سلسلة الرسائل الجامعية (٦١)

الدكتور عبد الرحمن بن مرزوق بن محمد الهذلي

الصلة بين عقيدة وحدة الوجود وفلسفة الطاقة الكونية

تقديم فضيلة الشيخ د. توفيق بن كمال طاس

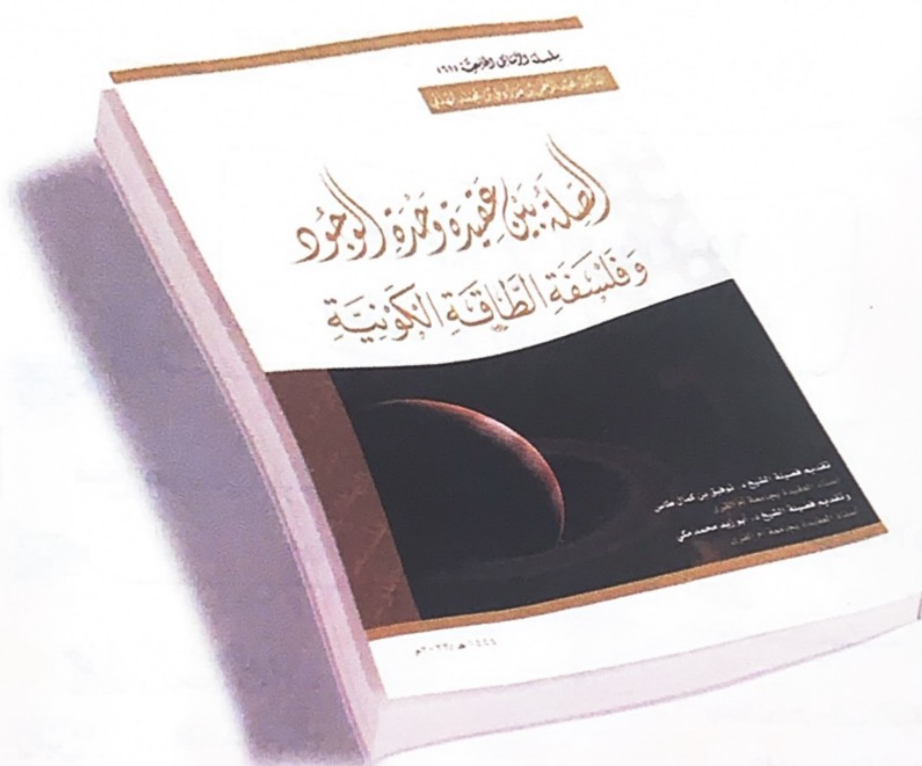
أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى

وتقديم فضيلة الشيخ د. أبو زيد محمد مكي

أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى



١٤٤٤ هـ /٢٠٢٣م


الصلة بين عقيدة وحدة الوجود
وفلسفة الطاقة الكونية





الصلة بين عقيدة وحدة الوجود وفلسفة الطاقة الكونية

الدكتور عبد الرحمن بن مرزوق بن محمد الهذلي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المشرف

فضيلة الشيخ د. توفيق بن كمال طاس

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن إقامة التوحيد وحفظه هو أعظم أركان الإيمان، ومن الركائز التي يقوم عليها التوحيد الإقرار بربوبية الله على خلقه، وإفراده -سبحانه وتعالى- بالخلق والتدبير والملك والرزق والإحياء والإماتة، ونحوها من الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، فلله عزّ وجلّ الخلق والأمر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الزمر: ٦٢]، وقال تعالى﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ ، فالله تعالى هو ربّ كلّ شيء وخالقه، ومالكه ومدبره، لا شريك له في خلقه ولا ندّ له في ربوبيته وملكه، وفي خلقه وتدبيره، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكلّ ما في الوجود هو عن قدرته ومشيئته وخلقه، وهو كائن بقضائه وقدره، والذين من دون الله تعالى لا أحد منهم يملك مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض، ولا هو ظهير أو شريك لله، ولا يملك من دون الله نفعا ولا ضرا، ولا يشفع إلاّ بإذن الله تعالى، وقد نهى الله تعالى، وحذّر من جميع وجوه الشرك، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وقال عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ، ثمّ قال بعدما ذكر بنعمه على عباده: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[النحل: ١٧ - ٢٠] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج: ٧٣].

وقال جلّ ذكره: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣]. وقال عزّ من قائل: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال سبحانه: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [فاطر: ٤٠].

وقال جلّ ذكره: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾. في آيات كثيرة سيقت لإقامة الحجة على الذين يتخذون من دون الله تعالى أولياء، يلجؤون إليهم ويخضعون لهم طالبين منهم النفع والضر الغيبي، وتدل على أن الإقرار بربوبية الله -تعالى- على خلقه يستلزم توحيده في ألوهيته وإفراده بالعبادة، وهي حجة قائمة على كلّ من أشرك في عبادته مع الله أحدا سواه، وكلّ فساد في توحيد الربوبية يستلزم نقصا وفسادا في توحيد الألوهية.

ومن الأمم من يقع في شرك الربوبية؛ فيزعمون أن لبعض المخلوقات والروحانيات قدرة ومشيئة يتصرفون بها على حسب إرادتهم واختيارهم من دون الله تعالى، فينفعون ويضرون ويعينون ويغيثون، ومن هؤلاء فلاسفة اليونان، وعامة وثني الهند ونحوهم.

وكثير من هذه الأمة افتتنوا ببعض الممارسات المتصلة بعقائد وفلسفات تلك الأمم، بغير علم، أو بعلم من بعضهم ببعض أصولها، ولكن برروا فعلها وعللوها بأنها مجرد أسباب كونية، وبكون الله -تعالى- مكّنهم منها، لا أنهم أتوا بها على استقلال وتفرد من قدرتهم وأفعالهم، وأنها قدرة موهوبة منه لهم، والآيات القرآنية السابقة محكمة الدلالة، مفصّلة البيان، تدل في وضوح على أن ما هم فيه هو من جنس ما فعله أولئك، ومادة ما حصل منهم فيها واحدة، وما اختلفت إلّا في الصورة فقط.

وقد علم من البراهين القرآنية السابقة الذكر إبطال ما يزعمه هؤلاء الوثنيون من أن هناك قدرة وطاقة تشارك الله -تعالى- في خلقه وتدبيره لهذا الكون، وتتصرف فيه بهواها واختيارها من دون الله.

وأما ما يسخره الله عزّ وجل من الأحوال المعتادة، والأسباب الطبيعة الجارية على العادة، فليس من هذا في شيء، كما قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٣]. وتسخير الشيء يكون مع بقاء طبيعته وحقيقته، والجريان على عادته لمن ينتفع به من الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ [إبراهيم ٣٢-٣٣] وقال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾ [الأعراف ٥٤].

فالخير المسخر للعبد إنّما بدايته ونشأته من الله، ودوامه واستمراره وثبوته بالله، ولو شاء الله لرفعه، وأخذه من صاحبه، فما من نعمة حصلت للعبد فإنما ابتداؤها ودوامها من الله سبحانه: كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل: ٥٣].

فليس شيءٌ في ملكوت السماوات والأرض هو خارجا عن ملك الله تعالى، لا في الأجسام ولا في عالم العقول والنفوس كما في قول الفلاسفة ومن شاكلهم، وليس هذا من دين المسلمين

ولا غيرهم من أهل الأديان الإلهية.

وأصحاب نظرية أو فلسفة الطاقة الكونية لا يريدون مجرد التسخير الطبيعي المنتفع به، الجاري على العادة من هذه الطاقة الكونية، وإلاّ لو أرادوا ذلك فإنه لا يكون لديهم اختصاص وتميز على سائر الناس، بل يريدون بها شيئا جاريًا على غير العادة يختصون به هم وأمثالهم دون غيرهم من الناس؛ فما هو هذا الشيء الخاص الذي انفردوا بتسخيره فيها دون غيرهم؟ لأن التسخير نوعان: نوع معتاد مألوف لدى الناس، ونوع غير معتاد ويكون خارقا للعادة، خارجا عن المألوف.

والطاقة الكونية عندهم هي من قبيل هذا النوع الثاني، وهي مبنية على أصول المتفلسفة القائلين بأنّ نفوس البشر تتصل بالنفس الفلكية، أو بالعقل الفعّال لدى بعض الناس، وأن هذا الاتصال يتفاوت الناس فيه حسب تفاوت استعداد نفوسهم وصفائها ونقائها، والنفس الفلكية عندهم هي سبب حدوث الحوادث في العالم، فإذا اتصلت بها نفس البشر فاض عليها وانتقش فيها ما كان في النفس الفلكية.

وهي قرينة قول الصوفية أصحاب وحدة الوجود ونحوهم، الذين تكلموا في التصوف والحقيقة على مذاهب الفلاسفة وقواعدهم، لا على أصول الإسلام والمسلمين، وأوغلوا في الاعتقاد بتصرف بعض الأولياء في بعض الأحوال الكونية، أو أنه يأخذ من اللوح المحفوظ، أو يحصل له من المكاشفة ما يطلع به على بعض المغيبات ونحو ذلك، فخرجوا بذلك إلى الإلحاد ومذاهب الباطنية.

وقد افتتن كثير من أصحاب الطاقة الكونية من هذه الأمة بهذه المعاني والظواهر، وتلقوها بالقبول، وهم لا يعرفون حقيقتَها ولا ما فيها من الباطل المخالف لعقيدة المسلمين.

ولو فرضنا أنّهم في أنفسهم يميزون الصحيح من الفاسد في الأحوال الحاصلة من التأثيرات الطبيعية في هذا الكون، وأنّه لا يرد عليهم الوقوع في ذرائع الباطل المفضية إليه من جهة اللبس، فلو سلمنا جدلا أنهم مانعون من هذه الذرائع محصنون منها لعلمهم بتلك الفوارق، فهذا لا يشمل سائر الناس الذين ليس لهم ذلك التمييز والتفريق، فيلتبس الأمر عليهم ويفضي بهم إلى الباطل وفساد الاعتقاد، فالمحذور حاصل بكل الأحوال، أوقع فيه ما حصل من الإجمال في استعمال هذه المصطلحات الواردة على هذه الأمة من غيرها من الأمم

الأخرى المتبعة للفلسفات اليونانية والوثنيات الهندية ونحوها.

ولابد من العلم بأن النفس البشرية أو غيرها من بعض الأعيان قد جعل الله -تعالى- فيها بعض القوى والطبائع مما يحصل به بعض الآثار، وهذا ليس بمنكر في الشرع، ولكنه مقيد بجريانه على القانون الطبيعي المعتاد، وأما ما هو خارج عن الطبيعة وقوى النفس المعتادة، فلا ينبغي طرده وجعله من جنس ما سبق، كالسحر والعين ونحوهما؛ لأن الساحر غايته أن يؤثر بقوى الأنفس في الأعراض بفعل ما يحدث، سواء بالتأثير المتصل أو المنفصل مما يقدر عليه سائر البشر، كالأمراض والقتل ونحو ذلك، فهي من الأفعال المقدورة للعباد.

وهذا البحث قد عالج هذا الموضوع من جوانب متنوعة، بيّن فيه الباحث حقيقة الطاقة الكونية، وما يقع فيها من التلبيس على الناس بمآخذها المهمة، وأبرز فيه أهم القضايا المتعلقة بالأباطيل المفضية إلى فساد الاعتقاد، والممتدة إلى مذاهب الفلاسفة ومن غرف من مشربهم من أصحاب وحدة والوجود ونحوهم، ونقض فيه أقوالهم ومذاهبهم بأدلة القرآن والسنة، وسائر الأدلة العقلية المندرجة فيهما، فكان بديعا في بابه، نافعا جليل الإفادة، محكم الوضع، حسن الترتيب، أسأل الله تعالى للأخ الفاضل عبد الرحمن بن مرزوق الهذلي التوفيق والسداد والقبول.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبت هذه المقدمة يوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربع مائة وألف.

د. توفيق بن كمال طاس
كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

مقدمة

فضيلة الشيخ د. أبوزيد بن محمد مكي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ فلسفة الطاقة الكونية فلسفة معاصرة غامضة، تحتاج إلى كشف وبيان عن حقيقتها وحقيقة تطبيقاتها، وقد تناولت ذلك عدة دراسات بحمد الله، وبقيت جوانب تحتاج إلى بحث ودراسة؛ ومن تلك الجوانب: بحث الصلة بينها وبين عقيدة وحدة الوجود، فكانت هذه الأطروحة المقدمة من د. عبد الرحمن بن مرزوق الهذلي، والتي أترككم معها ومع نتائجها، مشيدًا بجهد الباحث في جمع المادة العلمية، وفهمه لها، وقدرته على المقارنة والاستنتاج والاستنباط، وصحة النتائج التي وصل إليها؛ لقد أجاد وأفاد في عقد المقارنة بينهما من ناحية الحقيقة ومن ناحية الفكر ومن ناحية السلوك، ودرس جملة من مراكز ومؤلفات وتطبيقات أصحاب فلسفة الطاقة الكونية؛ باحثًا عن وجود عقيدة وحدة الوجود فيها، فوصل إلى النتائج الموجودة في ثنايا البحث وفي خاتمته.

وأحب أن أنبه في هذه المقدمة إلى عدة أمور:

أولًا: إنَّ فلسفة الطاقة الكونية فلسفة صوفية، وكل ما يقال عن التصوف يقال عنها؛ فكما يقال بأن هناك تصوفًا غاليًا فلسفيًا قائمًا على عقيدة وحدة الوجود، وهناك تصوفًا ينكر هذه العقيدة ويكفِّر أصحابها، فكذلك القول هنا، فليس كل من دخل في تطبيقات هذه الفلسفة يقول بوحدة الوجود.

ثانيًا: إنَّ فلسفة الطاقة الكونية متدرجة؛ تبدأ بأمور تتعلق بمعالجة الإرادة البشرية؛ لتستبدل -كما يزعمون- بإرادة إلهية، لا ترغب في شر ولا إيذاء، ولا تظهر شيئًا صريحًا غير هذا؛ فتأتي بتطبيقات فيها تمارين على التنفس والاسترخاء وتمدد العضلات، وأطعمة وتثقيف صحي، ونظافة مكان، وجمال ألوان، وتأمل، وهنا تظهر

جميع البدع الصوفية من تعلق بالتمائم والأحجار، وبدع في الأذكار والعبادات، سواء فيما يتعلق بأعمال القلوب أو أعمال البدن، فهذه المرحلة تمثل التصوف القديم، مع شيء من التطور في الأماكن، والغذاء، واللباس، والتمائم.

ثم تنتقل التطبيقات -بمن يستحق عندهم- إلى مرحلة أعلى؛ وهي مرحلةٌ -كما يزعمون- تفنى فيها القدرات البشرية المحدودة؛ لتحل محلها الصفات الإلهية غير المحدودة، سواء في المعرفة، أو في القدرات البدنية، أو في القدرات المتعلقة بأمور التقدير، أو الأمور المتعلقة بالعلاج، وهي عندهم مرحلة الخوارق، وكانت تسمى كذلك عند الصوفية، وتسمى عندهم مرحلة الكشف، ويصبح لدى صاحبها -بزعمهم- العلم ببواطن الأمور، وتظهر هنا بعض معتقدات الباطنية في الكون والإنسان والإله والعلاقات بينها، وصاحب هذه الدرجة من أهل فلسفة الطاقة الكونية كذلك قد ينكر القول بوحدة الوجود؛ لأنه فعلًا لم يصل لهذه الدرجة.

ثم تنتقل التطبيقات -بمن يستحق عندهم- إلى درجة إفناء الذات البشرية؛ لتحل محلها -كما يزعمون- الذات الإلهية، وفي هذه المرحلة تظهر عقيدة وحدة الوجود، والتصريح بعقائد الفكر الباطني في الكون، وفي الإله، وفي الإنسان، وفي القيم، والأديان، والحقيقة؛ فالكون ظاهره مخلوق وباطنه الخالق، والإله طاقة مبثوثة في الكون، والإنسان باطنه جنين إلهي، أو شرارة إلهية وقدرات كامنة غير محدودة، والقيم والحقائق نسبية، والأديان واحدة، ونحو ذلك من عقائد الفكر الباطني.

والعجيب في الأمر أن هذا التدرج يظهر في أغلب التطبيقات؛ كالتأمل، واليوغا، والماكرو بيوتيك، والريكي، والأيورفيدا؛ فيبدأ بالشفاء والرياضة والنجاح والسعادة، ثم ينتقل للخوارق، ثم ينتقل لوحدة الوجود والنشوة والانعتاق والموكشا. وبعضها يبدأ من الدرجة الثانية مباشرة كممارسة الإسقاط النجمي، والباراسيكولوجي، ونحوهما.

ثالثًا: إنَّ فلسفة الطاقة الكونية فيها حق وباطل، فتظهر الحق ابتداء، ثم تتبعه

بالباطل، وتستخدم مصطلحات دينية، ومصطلحات علمية فيزيائية؛ لتمرير باطلها ومعتقداتها الباطنية. وهي لا تصطدم مع الأديان ولا مع الإلحاد، لكونها ملحدة لا تؤمن بإله مفارق، ولكونها تقول بإله موجود في كل الوجود، وقد استطاعت أن تنتشر في العالم أجمع؛ لكونها تدعو إلى وحدة الأديان، والإخاء في الإنسانية، والسلام العالمي، فضلًا عن زعم أصحابها قدرتها على تحقيق سعادة الإنسان وثرائه وشفائه ونجاحه، وهذا بدوره جذب إليها كثيرًا من الناس.

رابعًا: يحتاج كثير من المشتغلين بالتدريب إلى التفريق بين الحكمة المهارية والحكمة الفلسفية؛ فالحكم المتعلقة بالإدارة والإلقاء وتنظيم الوقت حكم مهارية، لا بأس من الاستفادة فيها من الغرب أو الشرق، رغم وجود ذلك عندنا في الوحي، لكن الحذر من أخذ الحكم الفلسفية من الغرب أو الشرق؛ لكونها تتحدث فيما يتحدث فيه الدين من الحقائق الكبرى: الله، والكون، والإنسان، والعلاقات بينها، وكيفية تنظيم الحياة، واليوم الآخر، ونحو ذلك؛ فأخذ هذه الحكم ضلال وانحراف عن الحق.

على كل أجاد الباحث وأفاد، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

د. أبوزيد بن محمد مكي
كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

مقدمة الباحث

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١][1].

أمَّا بعد:

لقد بعث الله الرسل، وأنزل الكتب بالهدى ودين الحق؛ لينقذ البشرية من براثن الوثنية، ويخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن التخبط والظلام إلى الاستقامة والإسلام.

ومن مظاهر التخبط في فترة من تاريخ البشرية القول "بوحدة الوجود"، وأن المعبود والمعبودات شيء واحد، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، وقد تبنى هذه العقيدة طوائف وأديان وفلسفات قديمة وحديثة، متنوعة لكنها متفقة في النتيجة.

وقد ظهر في هذا العصر ما يُسمى "فلسفة الطاقة الكونية"، وتطبيقاتها الروحية،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٦)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي (١٤٠٤)، وابن ماجة (١٨٩٢).

والتأملية، والاستشفائية، والخارقة للعادة الإنسانية، فانقسم فيها العالم الغربي إلى مؤيد ومعارض، ثم انتقلت إلى العالم الإسلامي، فانقسموا في حقيقتها، هل هي من العلوم التجريبية، أم هي مجرد وهم ودجل؟ وذهب بعضهم إلى أنها عقيدة وحدة الوجود القديمة بصبغة غربية تَلْبَسُ ثوب العلم زورًا وبهتانًا.

فجاء هذا البحث لدراسة الصلة بين عقيدة وحدة الوجود وفلسفة الطاقة الكونية.

وكان من أسباب اختيارهذا الموضوع ما يلي:

أولاً: انتشار دورات الطاقة الكونية وتطبيقاتها؛ كالعلاج بالريكي، أو اليوغا، أو قانون الجذب في كثير من البلاد الإسلامية، في ظل جهل كثير من المسلمين لحقيقتها وحكمها.

ثانيًا: جهل بعض المدربين والمتدربين بحقيقتها.

ثالثًا: اختلاف الناس في الطاقة الكونية وتطبيقاتها بين مجيز ومانع، بل وجعلها عقيدة وحدة الوجود، وذلك لاختلاف تصورهم لحقيقتها.

فجاء البحث لتجلية هذه المسائل المهمة لبناء الأحكام الشرعية الصحيحة.

منهج البحث:

- **المنهج الوصفي:** المتمثل في تعريف وحدة الوجود، وبيان حقيقتها، والألفاظ ذات الصلة.

وبيان حقيقة فلسفة الطاقة الكونية والألفاظ ذات الصلة.

- **المنهج الاستقرائي:** المتمثل في استقراء مؤلفات ومحاضرات وبرامج إعلامية لفلاسفة الطاقة الكونية، وتتبع عقيدة وحدة الوجود في مصادر متنوعة لملل وفلسفات قديمة وحديثة متفقة في النتيجة وإن بدت مختلفة في عرض الفكرة؛ وذلك بغية الوصول إلى الجذور الفلسفية لهذه العقيدة.
- **المنهج النقدي** المتمثل في نقد عقيدة وحدة الوجود وفلسفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها؛ للوقوف على حقيقة الصلة بينهما وتجلية الأثر العقدي المترتب.

الدراسات السابقة:

على الرغم من ظهور الدعوة إلى عقيدة وحدة الوجود في وقتنا المعاصر بأساليب متنوعة، إلَّا أنَّها لم تدرس دراسة عقدية مفصلة، تتضح من خلالها الصور المتنوعة المعاصرة لهذه الدعوة بمسميات علمية زورًا وبهتانًا، لكنني اطلعتُ على بحثين في هذا السياق:

الأول: مقال من صفحة واحدة؛ للدكتور تميم القاضي عن وحدة الوجود، غير أنه لم يستوفِ الموضوع[(١)].

والثاني: رسالة علمية بعنوان "عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية"؛ للباحث د. أحمد بن عبد العزيز القصير، وقد أجاد فيها الباحث، لكنه حصر موضوعه في عقيدة وحدة الوجود عند الصوفية، ولم يدرس هذه العقيدة دراسة مفصلة.

أمَّا فلسفة الطاقة الكونية، والصلة بينها وبين عقيدة وحدة الوجود فلم أقف على دراسة مستقلة لها، لكن الباحثة د. هيفاء الرشيد ذكرت أن المشكلة في مواجهة هذه الفلسفات (كفلسفة الطاقة الكونية) في العالم الإسلامي ليست في إبطال عقيدة وحدة الوجود أو عقيدة تناسخ الأرواح؛ فعامة المسلمين يعلمون بطلانها، ولكن المشكلة هي الربط بين هذه الفلسفات وبين عقيدة وحدة الوجود أو تناسخ الأرواح، وإثبات تبني رموز هذه الفلسفات لها، غير أن الباحثة لم تبرز هذه الصلة بشكل مستقل في كتابها (حركة العصر الجديد، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية)، وإنما ذكرته ضمن عقائد حركة العصر الجديد.

وكذا كتاب "الثيوصوفيا" للباحثة مريم عنتابي؛ فقد حصرت بحثها في قضية الألوهية فقط، وأشارت إلى وحدة الوجود ضمن عقائد الجمعية، بل أوصت بدراستها بشكل مفصل.

(١) http://www.al-aqidah.com/art/s/

كما أشارت الباحثة د. فوز كردي إلى عقيدة وحدة الوجود في بحثها (حركة العصر الجديد) ضمن عقائد الحركة.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

- ✓ **الباب الأول: حقيقة عقيدة وحدة الوجود، وفلسفة الطاقة الكونية،**

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: عقيدة وحدة الوجود؛ حقيقتها، والألفاظ ذات الصلة.

الفصل الثاني: أبرز المذاهب لأصحاب عقيدة وحدة الوجود، وجذورها التاريخية.

الفصل الثالث: فلسفة الطاقة الكونية؛ حقيقتها، وجذورها الفكرية.

الفصل الرابع: أبرز عبادات ومعتقدات أصحاب فلسفة الطاقة الكونية.

- ✓ **الباب الثاني: مظاهر وحدة الوجود في مراكز ومؤلفات وتطبيقات فلسفة الطاقة الكونية،**

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: مظاهر وحدة الوجود في مراكز فلسفة الطاقة الكونية.

الفصل الثاني: مظاهر وحدة الوجود في أبرز مؤلفات فلاسفة الطاقة الكونية.

الفصل الثالث: مظاهر وحدة الوجود في أبرز تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية،

الفصل الرابع: مناقشة الأصول التي بنى عليها فلاسفة الطاقة الكونية القول بوحدة الوجود.

- ✓ **خاتمة البحث :** وتشتمل على أهم نتائج البحث.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الأول

حقيقة عقيدة وحدة الوجود وفلسفة الطاقة الكونية

ويشتمل هذا الباب على الفصول الآتية:

- الفصل الأول: عقيدة وحدة الوجود؛ حقيقتها، والألفاظ ذات الصلة.
- الفصل الثاني: أبرز المذاهب لأصحاب عقيدة وحدة الوجود، وجذورها التاريخية.
- الفصل الثالث: فلسفة الطاقة الكونية؛ حقيقتها، وجذورها الفكرية.
- الفصل الرابع: أبرز عبادات ومعتقدات أصحاب فلسفة الطاقة الكونية.

الفصل الأول

عقيدة وحدة الوجود؛ حقيقتها، والألفاظ ذات الصلة

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: حقيقة وحدة الوجود لغة واصطلاحًا.
- المبحث الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

المبحث الأول

حقيقة وحدة الوجود - لغة واصطلاحًا

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: معنى وحدة الوجود لغة.
- المطلب الثاني: معنى وحدة الوجود اصطلاحًا.

المطلب الأول
معنى وحدة الوجود لغة

وفيه بيان معنى الوحدة، والوجود، والإشتراك في الوجود بين الخالق والمخلوق.

أولاً: معنى الوَحدة لغة؛ مشتقة من الفعل (وحَّد)، قال ابن فارس: (وحد) الواو والحاء والدال: أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد. من ذلك الوَحْدَة. وهو وَاحدُ قبيلتِه، إذا لم يكن فيهم مثلُه.

قال: يا واحدَ العُرْبِ الذي ما في الأنامِ له نَظِير[1].

فالوحدة يعود معناه لغة إلى الانفراد وعدم الكثرة.

ثانيًا: معنى الوجود لغة؛ مشتق من الفعل (وجد)، قال ابن فارس: (وجد) الواو والجيم والدال: يدلُّ على أصلٍ واحد، وهو الشيء يُلفيه. ووَجَدْتُ الضَّالَّة وِجْدانًا.

فالوجود ضد العدم، ويعود معناه إلى وجود الشيء، ومعنى الوجود أبين من أن يعرّف؛ لوضوحه وبداهته[2].

ثالثًا: وجود الله ﷻ ووجود المخلوق وإن اتفقا في مسمى الوجود، فالله - تعالى- مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشاركه في شيء من ذلك، والعبد أيضًا مختص بوجوده وعلمه وقدرته، والله - تعالى- منزه عن مشاركة العبد في خصائصه، وإن اتفقا في مسمى الوجود والعلم والقدرة ونحو ذلك، فهذا المشترك كلي يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والوجود في الأعيان لا اشتراك فيه، وهذه المسألة تُسمى القدر المشترك بين صفات الله - تعالى- وصفات خلقه، قال شيخ الإسلام: "وإذا أخذ القدر المطلق الذي يتفق فيه الخالق والمخلوق مثل: مسمى الوجود، والحقيقة،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ٩٠).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٩٠).

والعالم والقادر، ونحو ذلك، فهذا لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان.

والمخلوق لا يشارك مخلوقًا في شيء من صفاته، فكيف يكون للخالق شريك في ذلك؟

لكن المخلوق قد يكون له من يماثله في صفاته، والله - تعالى- لا مثل له أصلاً، والقدر المشترك المطلق - كالوجود والعلم والحقيقة ونحو ذلك- لا يلزمه شيء من صفات النقص الممتنعة على الله تعالى؛ فما وجب للقدر المطلق المشترك لا نقص فيه ولا عيب، وما نُفي عنه فلا كمال فيه، وما جاز له فلا محذور في جوازه.

وأما ما يتقدس الرب - تعالى- ويتنزه عنه من النقائص والآفات فليس من لوازم ما يختص به، ولا من لوازم القدر المشترك الكلي المطلق أصلاً، بل هو من خصائص المخلوقات الناقصة، والله - تعالى- منزه عن كل نقص وعيب"[(١)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨٥/٥)، والرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي القاري (٤١)، ومسألة القدر المشترك بين صفات الخالق والمخلوق اختلفت الطوائف فيها على ثلاثة أقوال، هل هي من باب الاشتراك اللفظي؟ أم من باب التواطئ؟ أم من باب المشكك؟ قال شيخ الإسلام: "مذهب عامة الناس بل عامة الخلائق من الصفاتية كالأشعرية والكرامية وغيرهم أن الوجود ليس مقولاً بالاشتراك اللفظي فقط، وكذلك سائر أسماء الله التي سُمي بها، وقد يكون لخلقه اسم كذلك مثل الحي والعليم والقدير، فإن هذه ليست مقولة بالاشتراك اللفظي فقط، **بل بالتواطؤ، وهي أيضًا مشككة**، فإن معانيها في حق الله تعالى أولى، وهي حقيقة فيهما. ومع ذلك فلا يقولون: إن ما يستحقه الله تعالى من هذه الأسماء إذا سمي بها مثل ما يستحقه غيره، ولا أنه في وجوده وحياته وعلمه وقدرته مثلاً لخلقه، ولا يقولون أيضًا: إن له أو لغيره في الخارج وجودًا غير حقيقتهم الموجودة في الخارج، بل اللفظ يدل على قدر مشترك إذ أطلق وجرد عن الخصائص التي تميز أحدهما" بيان تلبيس الجهمية (٣٧٠/٤)، وانظر الحد الأرسطي أصوله ولوازمه للدكتور سلطان العميري فقد ناقش جميع هذه الأقوال بالتفصيل (٤٧٩-٥٠٢)، وانظر جواب الإمام أحمد في رده على الجهمية والزامهم بالقدر المشترك، قال:".. فقلنا هو شيء فقالوا: هو شيء لا كالأشياء، فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء. فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئًا، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشُّنْعَةَ بما يقرُّون من العلانية". الرد على الجهمية (٢٠٩)، ومراد الإمام أحمد" إن الشيء الذي لا كالأشياء.. أنه لا شيء" أي عدم، وقال الشيخ عبد الله الغنيمان: "يطلق على الله تعالى أنه شيء، وكذلك صفاته، ==

المطلب الثاني
معنى وحدة الوجود اصطلاحا

تمهيد: إثبات وجود الله تعالى (الخالق) وإثبات وجود المخلوق (العالم أو الطبيعة) من المعلوم بالضرورة الحسية والشرعية، وخالف في إثبات ذلك طائفتان:

- أمّا الطائفة الأولى فقد أنكرت وجود الخالق، ولم تثبت سوى العالم أو الطبيعة، فمنهم من يقول بجوهر[1] واحد أو مبدأ واحد؛ فهؤلاء يدخلون في القائلين بوحدة

==

وليس معنى ذلك أن الشيء من أسماء الله الحسنى، ولكن يخبر عنه تعالى بأنه شيء، وكذا يخبر عن صفاته بأنها شيء، لأن كل موجود يصح أن يقال: إنه شيء، قال الحافظ في فتح الباري(١٣/٤٠٢): "الشيء يساوي الموجود، لغةً، وعرفًا، وأما قولهم: فلان ليس بشيء فهو على طريق المبالغة في الذم، فلذلك وصف بصفة العدم". شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١٩٢/١).

(١) الوجود عند الفلاسفة ينقسم إلى جوهر وعرض قال الآمدي:"الجوهر ما وجوده لا في موضوع.. وأمّا العرض فعبارة عن الموجود في الموضوع" المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين (١٠٩، ١١٠).

وقد أبطل شيخ الإسلام هذه الدعوى قال: "فإنا إذا علمنا أن الوجود ينقسم إلى جوهر وعرض وأن أقسام الجوهر خمسة كما زعموه مع أن ذلك ليس بصحيح ولا يثبت مما ذكروه إلا الجسم وأمّا المادة والصورة والنفس والعقل فلا يثبت لها حقيقة في الخارج إلَّا أن يكون جسمًا أو عرضًا ولكن ما يثبتونه يعود إلى أمر مقدر في النفس لا في الخارج" الرد على المنطقيين (١٣١).

وقال أيضًا: "فدعواهم أن الجوهر جنس تحته أربعة وهي العقل والنفس والمادة والصورة والخامس هو الجسم إذا حقق الأمر عليهم كان ما يثبتونه من العقليات إنما هو موجود في الذهن والعقل بمنزلة الكليات لا وجود لها في الخارج" الرد على المنطقيين (٣٠٧).

ونقل أبو الحسن الأشعري أقوال الفلاسفة واختلافهم في معنى الجوهر، وهل الجواهر كلها أجسام، وهل جوهر العالم واحد؟

فذكر أربعة أقوال في معنى الجوهر قال: "قالت النصارى: الجوهر هو القائم بذاته.. وقال بعض الفلاسفة: الجوهر هو القائم بالذات القابل للمتضادات. وقال قائلون: الجوهر ما إذا وجد كان حاملاً للأعراض.. وقال الصالحي: الجوهر هو ما احتمل الأعراض وقد يجوز عنده أن يوجد الجوهر ولا يخلق الله فيه عرضًا ولا يكون محلاً للأعراض إلا أنه محتمل لها". مقالات الإسلاميين (٣٠٧).

وقال شيخ الإسلام: "وهؤلاء منهم من يريد بالجوهر المتحيز فيكون الجسم المتحيز عندهم جوهرًا، ==

الوجود[1]، ومنهم من يقول بجوهرين أو بجواهر وعوالم متغايرة متمايزة؛ فهؤلاء هم القائلون بالثنائية والتعددية[2].

- وأمَّا الطائفة الثانية: فترى أن الإله هو الوجود الحقيقي، ويكون العالم إمَّا أجزاء وأبعاضًا للإله، أو مظهرًا، أو أعراضًا، أو تجليات، أو وهمًا وخيالاً؛ وهذا قول أصحاب نظرية وحدة الوجود، وسيأتي مزيد إيضاح بإذن الله عند ذكر مصادر ومدارس وحدة الوجود.

وقد عُرِّفت وحدة الوجود بعدَّة تعريفات متقاربة من أبرزها:

١- عرفها البعض بأنَّها فلسفة تفسر الوجود تفسيرًا واحديًا، لا ثنائية فيه، فترى الوجود كله إمَّا واحدًا في جوهره، وإمَّا كُلاً متوحدًا من حيث أصله ومرجعه ووجوده، فهي كل نظرية تحاول تفسير الوجود بإرجاعه كله إلى مبدأ واحد[3].

٢- وعرفتها الموسوعة الفلسفية المختصرة[4] بأنَّها نظرية تقول بجوهر واحد فحسب

==

وقد يريدون به الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ. والعقلاء متنازعون في إثبات هذا؛ وهو أن الأجسام هل هي مركبة من الجواهر المفردة؟ أم من المادة والصورة؟ أم ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا على ثلاثة أقوال؛ أصحها "الثالث" أنها ليست مركبة لا من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة ... والقائلون بأن لفظ "الجوهر" يقال على المتحيز متنازعون: هل يمكن وجود جوهر ليس بمتحيز؟ ثم هؤلاء منهم من يقول: كل موجود فإمَّا جوهر وإمَّا عرض ويدخل الموجود الواجب في مسمى الجوهر، ومن هؤلاء من يقول: كل موجود فإما جسم أو عرض ويدخل الموجود الواجب في مسمى الجسم وقد قال بهذا وبهذا طائفة من نظار المسلمين وغيرهم، ومن المتفلسفة والنصارى من يسميه جوهرًا ولا يسميه جسمًا..". مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٩).

(١) وجوه بطلان وحدة الوجود سيأتي بإذن الله في الفصل الرابع الباب الثاني (٣٨٩).

(٢) انظر تعريف الواحدية والثنائية والتعددية (٤٥).

(٣) الموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٧/٣).

(٤) قسمت الدكتورة هيفاء الرشيد معتقدي وحدة الوجود بحسب اختلافهم في الديانة وما يترتب علها إلى فريقين: الفريق الأول: من يعتقد وجود إله، وهم من ينتسبون إلى الكتب المنزلة (اليهودية-النصرانية-الإسلام) فرغم انتسابهم لأحد هذه الأديان إلَّا أن غلاتهم يعتقدون أن الإله والعالم حقيقة ==

أو عالم واحد، أو أن الواقع الخارجي واحد بمعنى ما؛ أي لا يتغير ولا ينقسم ولا يتمايز؛ فهو مذهب يشمل كل من يعتقد أن العالم ليس إلَّا حالاً أو جزءًا أو مظهرًا للواحد الكلي[(١)] [(٢)].

٣- وعرفها آخرون بأنَّها مذهب فلسفي يقول بأن الإله[(٣)] والطبيعة واحد، وأن الإله هو الوجود الحق، ويعتبرونه صورة هذا العالم المخلوق، وأمَّا مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الإله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته؛ فأصحاب هذه الفكرة يعتقدون أن المخلوقات من جبال وأشجار وبحار معدومة أزلاً وأبدًا،

==

واحدة، وتفرع عن هذا الفريق قولان:

- القول الأول: إن الموجود الحق هو الإله، والعالم ليس إلَّا مظهرًا لذلك الوجود.
- القول الثاني: إن العالم هو الموجود الحق، والإله ليس إلَّا سوى مجموع الأشياء الموجودة في العالم.

والفريق الثاني: من لا يعتقد وجود إله، كعقيدة أصحاب الديانات الشرقية في انبثاق الكون من الكلي أو المطلق أو البرهمان أو الطاو، فالعالم عندهم ليس إلَّا حالاً أو جزءًا أو مظهرًا للواحد الكلي أو الكائن المطلق الذي ليس له وجود منفصل عنه.

ولا فرق بين الفريقين من يعتقد وجود إله، ومن لا يعتقد وجود إله، إلَّا أن الفريق الأول يستخدم لفظ الإله ليعبر عن معتقده الإلحادي في محاولة فاشلة للتوفيق بين الدين الذي يعترف بإله والمذاهب المادية المنكرة له، وانظر التطبيقات المعاصرة (٢٢٨).

(١) يقصد بالكلي هنا المبدأ الأول للوجود على اختلاف بينهم في تسميته فيُسمى عند الهندوس برهمان وعند الطاوية الطاو وعند المدرسة الأيلية الماء أو الهواء و اللامتعين أو النار، وعند أفلاطون وأرسطو وأفلوطين المبدأ الأول أو العلة الأولى وهذا المبدأ الكلي في الحقيقة عدم لا وجود له الَّا في أذهانهم؛ لأن الموجودات في خارج الذهن هي أمور معينة، فكل موجود له حقيقة تخصه يتميز بها عما سواه لا يشركه فيها أحد ، وسيأتي -بإذن الله- تحقيق ذلك في الباب الثاني الفصل الرابع.

(٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة (٤١٠) فقد ذكرته الموسوعة عند تعريف الواحدية وهو ينطبق على وحدة الوجود، وانظر التطبيقات المعاصرة (٢٢٨).

(٣) المترجمون لكتب الهندوس أو الفلاسفة يعبرون عن مرادهم الإله بلفظ الجلالة(الله) وهذا خطأ، فالله عز وجل علمٌ على الذات الإلهية المتصفة بكل صفات الكمال، أمَّا الإله فقد يكون الإله الحق (الله) وقد يكون إلهًا باطلاً وطاغوتًا معبودًا من دون الله، وانظر المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية د. فوز كردي (٢٢)، والثيوصوفيا لمريم عنتابي (٢٤).

وليس مقصدهم جحدها، وإنما إنكار كونها خلقًا؛ لاعتقادهم أن الكائنات - كلها- هي الإله[1].

٤- وعرفها آخرون بأوجز عبارة فقالوا: إنّ الإله والعالم شيءٌ واحد؛ فالإله هو الكون، والكون هو الإله [2].

٥- وعرفها آخرون بأنها مصطلح: "يعني أن كل الموجودات هي الإله، وأن الإله هو كل الموجودات، وأن الإله هو العالم، وأن العالم هو الإله، والإله والعالم حقيقة واحدة.. ليس في العالم وجودان أو جوهران؛ بل هناك جوهر واحد"[3].

٦- وعرفها آخرون بأنها: "عقيدة فلسفية لا يقر أصحابها إلَّا بوجود واحد هو الله- في رأي البعض- وجميع ما عداه أعراض له، أو الطبيعة في رأي البعض الآخر"[4].

٧- ويمكننا القول بأنها **نظرية تجعل الوجود الحق واحدًا، وهذا الوجود إمَّا أن يكون هو المطلق**[5] **أو الأول أو الإله عند من يؤمن بإله، ويكون العالم مظهرًا لذلك الوجود، وليس له وجود حقيقي دائم،**

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/٧٨٣)، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا(٢/٥٦٩).

(٢) الصوفية وحدة الوجود الخفية (٣٠).

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١/١٨٢).

(٤) وحدة الوجود بين الهندوسية وغلاة الصوفية (٣٠١).

(٥) المطلق: مبدأ غامض ليس له ذات أو صفات أو وجود في الخارج عند التحقيق، لذا لا نجد له مفهومًا واضحًا واحدًا عند معتقديه، فبعضهم يعرفه بالسلب، أو سلب النقضين، أو ببعض الألفاظ العامة التي لا تدل على شيء، كتعريف برهمان عند الهندوس كما سيأتي(٦٩)، وتعريف المطلق في الفلسفة اليونانية كوصف أفلوطين للأول بأنه: مطلق بسيط، لا صفة له ولا صورة، وليس كائنًا ذا حجم وحيز ما.. انظر الثيوصوفيا لمريم عنتابي (١٣٤)، وأفلوطين عند العرب (١٧٥، ١٨٨)، وموسوعة الفلاسفة، عبدالرحمن بدوي (١/١٩٨) (٢/٤٤٧).

وإمّا أن يكون العالم هو الوجود الحق، و ليس (المطلق أو الأول أو الإله) سوى مجموع الأشياء الموجودة في العالم[1].

وسيأتي مزيد إيضاح بإذن الله عند ذكر مدارس وحدة الوجود.

وعليه فلا يوجد عند أصحاب وحدة الوجود إله مباين لخلقه، قائم بذاته، مستقل بصفاته، خالق لكل شيء، متميز عن الكون، ليس مختلطًا ولا حالاً بالخلق، بل الإله عندهم مطلق كلي سار في الموجودات.

(١) المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٥٦٩/٢)، وموسوعة الفلسفة لبدوي (٥٣٦/٢)، والثيوصوفيا لمريم عنتابي (١٤٢).

المبحث الثاني

ألفاظ ذات صلة بوحدة الوجود

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الفرق بين وحدة الوجود والحلول والاتحاد.
- المطلب الثاني: العلاقة بين وحدة الوجود ووحدة الشهود والفناء.
- المطلب الثالث: الواحدية.

المطلب الأول

الفرق بين وحدة الوجود والحلول والاتحاد

أولاً: معنى الحلول لغة: يطلق على عدة معانٍ منها النزول.

قال ابن فارس: "(حل) الحاء واللام له فروع كثيرة ومسائلُ، وأصلها كلُّها عندي فَتْح الشيء، لا يشذُّ عنه شيء...

وحَلَّ: نزل. وهو من هذا الباب؛ لأن المسافر يشُدّ ويَعقِد، فإذا نزلَ حَلّ؛ يقال حَلَلْتُ بالقوم"[١].

ثانيًا: معنى الاتحاد لغة: مصدر من اتَّحد يتَّحد اتِّحادًا، وأصل مادة الاتحاد من (وحَدَ)، وهي تدور على معنى الانفراد[٢] كما سبق.

ثالثًا: معنى الحلول اصطلاحًا في عرف من يستخدمه يُقصد به حلول الله - تعالى- في مخلوقاته أو في بعض مخلوقاته.

رابعًا: معنى الاتحاد اصطلاحًا في عرفهم هو اتحاد الله - تعالى وتقدس - بمخلوقاته أو ببعضها.

خامسًا: اختلف العلماء في الفرق بين الحلول والاتحاد ووحدة الوجود على عدة أقوال:

القول الأول: التفريق بين وحدة الوجود والحلول والاتحاد بأن يقال:

وحدة الوجود: إثبات لوجود واحد فقط.

والاتحاد: إثبات لوجودين يؤولان إلى وجود واحد؛ فعلى هذا فإن الاتحاد يقر بالتعددية في الأصل، ثم حصل الاتحاد بعد ذلك.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/٢٠).

(٢) المرجع السابق (٦/٩٠).

والحلول: إثبات لوجودين وحلول أحدهما في الآخر، وجود الحق (الحال) ووجود المخلوق (المحل)[(١)].

القول الثاني: الحلول والاتحاد بمعنى واحد وهما مترادفان[(٢)]. وهذا صحيح إذا فُسر الحلول بمعناه السرياني، وسيأتي ترجيح تفسير الحلول بالمعنى الجواري؛ لأنه موافق للمعنى اللغوي وهو النزول.

القول الثالث: معنى الحلول والاتحاد مبنيٌ على تقسيم كلٍ منهما إلى عام وخاص، **فقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الاتحاد إلى قسمين:**

الأول: الاتحاد العام: وعرفه بأنه: "القول بأن الله -تعالى- هو عين وجود الكائنات"[(٣)].

وعلى هذا يكون الاتحاد العام بمعنى وحدة الوجود عند شيخ الإسلام.

القسم الثاني: الاتحاد الخاص: وعرفه بأنه: القول باتحاد الله - تعالى - ببعض خلقة "وهو قول يعقوبية النصارى[(٤)]، وهم أخبث قولاً، وهم السودان والقبط؛ يقولون إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام"[(٥)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمة (١٤١/٢)، ومجموع الرسائل والمسائل (١٠/٤)، والثيوصوفيا(١٤٨).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١٨٢/١)، وعقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية (٤٥).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمة (٢/ ١٧٢).

(٤) اليعقوبية: أتباع يعقوب البراذعي الذي ظهر في وسط القرن السادس الميلادي بالقسطنطينية، ويقولون إن المسيح هو الله، جوهر واحد، وطبيعة واحدة، وقد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان كامتزاج الماء والخمر، وتكوّن من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، وإن الله مات وصلب وقتل، فبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر، وهي أساس مذهب الأرثوذكس، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢]، وانظر التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تأليف البطريرك سعيد بن بطريق (١٦١/١، ١٦٥، ١٧٩، ١٩٦)، والفصل لابن حزم (٩٢/١).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمة (٢/ ١٧٢).

ثم قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الحلول - كالاتحاد- إلى قسمين:

الأول: الحلول العام؛ حلول الله بذاته في كل مكان، قال شيخ الإسلام: "هو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية، الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، ويتمسكون بمتشابه القرآن كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: ٣]، وقوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ ﴾ [الحديد: ٤]، والرد على هؤلاء كثير ومشهور في كلام أئمة أهل السنة وأهل المعرفة وعلماء الحديث"(١)؛ وعليه فالحلول العام بمعنى وحدة الوجود عند شيخ الإسلام(٢).

القسم الثاني: الحلول الخاص؛ حلول الله - تعالى- في بعض مخلوقاته، قال شيخ الإسلام: "هو قول النسطورية(٣) من النصارى ونحوهم، ممن يقول إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء ....، وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة، كغالية الرافضة، الذين يقولون: إنه حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته، وغالية النساك، الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيه الولاية، أو في بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء"(٤).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) درء تعارض العقل والنقل(١٧٠/٥).

(٣) النسطورية: أتباع نسطور الذي كان بطريركًا على القسطنطينية في أوائل القرن الثاني الميلادي، وقد زعم أن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، إله تام، وإنسان تام، ليس أحدهما غير الآخر، غير أن مريم ولدت الإنسان، وأن الله لم يلد الإنسان إنما ولد الإله. فالإله ليس مولودًا لمريم أي مريم أم يسوع الناسوت فقط، ولأجلهم انعقدت ثلاثة مجامع مشهورة، قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ﴾ [التوبة: ٣٠]، وانظر التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تأليف البطريرك سعيد بن بطريق (١٥٧/١، ١٥٩)، والفصل لابن حزم (١/ ٩٢)، والانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية للطوفي (٥٩١/٢) تحقيق د. سالم القرني.

(٤) المرجع السابق (١٧٢/٢).

والراجح - والله أعلم- هو القول الأول (مخالفة مصطلح وحدة الوجود لمصطلحي الحلول الخاص والاتحاد الخاص)؛ لقرب دلالته من المعنى اللغوي؛ **فإن الحلول هو حلول شيء في شيء آخر وهو نوعان:**

- **الأول: حلول جواري**؛ عرفه الجرجاني بأنَّه "عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفًا للآخر (كحلول الماء في الكوز)"[1].
- **والنوع الثاني: حلول سَرَياني** عرفه الجرجاني **بأنَّه** "عبارة عن اتحاد الجسمين؛ بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر (كحلول ماء الورد في الورد)، فيسمى السّاري حالاً، والمسْرِي فيه مَحَلًّا"[2].

والحلول السرياني قريب المعنى من وحدة الوجود.

أمَّا الاتحاد: فهو الامتزاج بين شيئين فيكونان شيئًا واحدًا، قال الجرجاني: "الاتحاد: هو تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلَّا في العدد من الاثنين فصاعدًا ... وقيل الاتحاد: امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا؛ لاتصال نهايات الاتحاد"[3].

فالاتحاد هو اتحاد بين شيئين أو ذاتين، بحيث لا يمكن أن ينفصلا، كاتحاد الماء مع اللبن، وهو مطابق للحول السرياني.

وأمَّا الحلول-الجِواري- فهو أن يكون أحد الشيئين ظرفًا للآخر، بحيث يمكن أن ينفصلا.

وعليه يمكن تلخيص الفرق بين الحلول والاتحاد ووحدة الوجود بما يلي:

أولاً: الحلول والاتحاد يختلفان عن وحدة الوجود في المقدمة من حيث الاعتراف بوجود ثنائية، وهي: العالم والكائنات من جانب، والمطلق أو الإله من جانب أخر، إلَّا

---

(١) التعريفات (٨٢).

(٢) المرجع السابق (٨٢).

(٣) المرجع السابق (١٠).

أنهما يتفقان معها في النتيجة، فالتعدد في الحلول والاتحاد يؤول إلى وحدة، فـ"الكثرة صارت وحدة"[1].

ثانيًا: الحلول يقبل الانفصال، أمَّا الاتحاد فلا يقبل الانفصال، وأمَّا الوحدة فلا تعدد فيها أصلاً.

ومن الأمثلة التي توضح الفرق بين الحلول والاتحاد، السكر إذا وضعته في الماء دون تحريك فهو حلول؛ لأنه ثَمَّ ذاتان، وأمَّا إذا حركته فذاب في الماء فيصير اتحادًا؛ لأنه لا يقبل أن ينفصل مرة أخرى.

ومثال آخر يجتمع فيه الحلول والاتحاد، ورق الشاي الذي يوضع في الماء المغلي؛ فبمجرد وضعه وتحريكه يتغير لون الماء، ويصبح شايًا لا ماء.

فهو بهذا الاعتبار اتحاد؛ لأن الماء والشاي لا يمكن أن ينفصلا.

وورقة الشاي يمكنك رفعها وفصلها؛ فالحالة - بهذا الاعتبار- حلول لا اتحاد[2].

ثالثًا: ومن الفروق أيضًا بين الحلول والاتحاد: أن الحلول الخاص عندهم نزول الذات الإلهية لتحلَّ بالمخلوق، أمَّا الاتحاد الخاص فهو ارتفاع وترقي المخلوقات إلى الذات الإلهية.

رابعًا: ومن الفروق أيضًا بين الاتحاد ووحدة الوجود: أن الاتحاد الخاص يتعلق بالإنسان والإله، بخلاف وحدة الوجود فتعم جميع الكائنات[3].

ولكن لا يمكن حمل كلام القائلين أو الناقدين لعقيدة وحدة الوجود أو الاتحاد أو الحلول على ما ترجح، بل الواجب حمل كلامهم على مصطلحهم؛ **لذا فلا يمكن فصل عقيدة الاتحاد أو الحلول عن عقيدة وحدة الوجود للأسباب التالية:**

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤١/٢)، ومجموع الرسائل والمسائل (١٠/٤)، والثيوصوفيا (١٤٨).

(٢) انظر شرح الفتوى الحموية الكبرى لصالح آل الشيخ (٣٢٤)، ومصطلحات في كتب العقائد للحمد (٤٢).

(٣) وحدة الوجود بين الأديان الوضعية والفكر الإسلامي (٣٤، ٣٥).

السبب الأول: اتفاق وحدة الوجود والحلول والاتحاد في النتيجة كما سبق؛ وهي القول بالوحدة والمزج والتسوية بين المطلق (أو الإله عند من يؤمن بإله) والعالم، كما أنها كلها مفضية إلى القول بنفي الإله وتأليه البشر، وإن كان القول بوحدة الوجود أكبر كفرًا من الاتحاد والحلول؛ لأنهما يثبتان وجودين ابتداء أحدهما (الخالق أو المطلق)، والآخر (المخلوق أو الكائن)[١].

السبب الثاني: بعض الدراسين يرجح القول الثاني؛ وهو أن الحلول والاتحاد بمعنى واحد وهما مترادفان، أو أن الاتحاد آخر درجات الحلول تطرفًا وفي منتاه[٢].

السبب الثالث: بعض أهل العلم - كشيخ الإسلام- يتجوز في التعبير؛ فيطلق اسم الاتحاد والحلول على وحدة الوجود بمعنى الحلول والاتحاد العام، لا الحلول والاتحاد الخاص، فيُسمي أهل وحدة الوجود اتحادية وحلولية بهذا الاعتبار لقرب مفاهيمها، ووجود قاسم مشترك بينها[٣].

السبب الرابع: بعض القائلين بوحدة الوجود، يقولون بالاتحاد والحلول كما سيأتي.

وهنا يرد السؤال: كيف يُجمع بين قول أهل وحدة الوجود وبين ما يشعر من أقوالهم بالحلول أو الاتحاد؟

والجواب: أنه قد تبين مما تقدم مخالفة مصطلح وحدة الوجود لمصطلحي الحلول والاتحاد، إذ الحلول والاتحاد في الأصل مذاهب تقر بتعدد الوجود، ولكن اعترى هذا التعدد نوع امتزاج؛ لذا نجد من غلاة الصوفية من ينفي الحلول ويؤمن بوحدة الوجود؛ لأن الحلول يستلزم الثنائية، وإليك ما يقوله الجيلي: "كل موجود يوجد فيه

---

(١) مجموع الرسائل والمسائل (٤/٩)، والثيوصوفيا (١٤٩).

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١/١٨٢).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/١٣١)، ومقال الدكتور تميم القاضي عن وحدة الوجود http://www.al-aqidah.com/art/s/..٣٥١.

ذات الله سبحانه"، ثم خشي أن يُتَّهم بالحلول، فقال: "وكيف يجوز الحلول والمماسة وهو عين الموجودات نفسها"[1].

بينما مذهب وحدة الوجود ينفي التعدد من الأصل، فالوجود واحد ولا تعدد، ولكن مع هذا الفرق الجوهري بينهما نرى أن منهم من يجمع بينهما، قال شيخ الإسلام: "فإن لفظة الاتحاد عندهم ليست مطابقة لمذهبهم؛ فإن عندهم ما زال واحدًا، ولا يزال، لم يكن شيئان فصار واحدًا، ولكن كانت الكثرة والتفرق في قلب الإنسان لمَّا كان محجوبًا عن شهود هذه الحقيقة، فلمَّا انكشف الحجاب عن قلبه شهد الأمر. فالمراتب في اعتقاده وخياله، وأما الكثرة والتفرق فهو عندهم بمنزلة أجزاء الكل أو جزئيات الكل"[2].

ومنهم من هو متناقض كما قال شيخ الإسلام: "ولهذا يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه؛ ولهذا يلبسون على من لم يفهمه"[3].

السبب الخامس: أن الاتحاد والحلول طريق إلى وحدة الوجود، وقد ذكر عدد من الباحثين أن وحدة الوجود ما هي إلَّا تطور لفكرتي الحلول والاتحاد؛ لأن الذات الإلهية إذا كانت تقبل الحلول في أجساد طائفة من الخلق أو الاتحاد بها فلا يوجد ما يمنع أن يصبح هذ الحلول أو الاتحاد عامًا يشمل جميع الموجودات؛ بحيث لا يكون في الكون شيء إلا الله[4].

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي (١/٣٣).

(٢) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٢٧)، ومقال الدكتور تميم القاضي عن وحدة الوجود http://www.al-aqidah.com/art/s/٣٥١.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٣٦٨).

(٤) شيء من العبث الصوفي لابن عقيل الظاهري (٥٦، ٦٤، ٩٥) ومدلولات المصطلحات الصوفية (٣٤٨).

السبب السادس: التقارب في النتيجة بين اعتقاد وحدة الوجود، أو الاتحاد، أو الحلول بكون العبد - بزعمهم- ربًّا[(١)]، فغايتهم واحدة؛ وهي جمع الإنسان مع الإله في وحدة حلولية لا تفرق بين العبد والرب[(٢)].

(١) الصوفية وحدة الوجود الخفية (٥٥).

(٢) موقف الإسلام من الغنوصية (٥٤٢).

المطلب الثاني

العلاقة بين وحدة الوجود والفناء ووحدة الشهود.

أولا: معنى الفناء لغة:

الفَنَاء: نقيض البقاء، وهو الاضمحلال والتلاشي والانعدام والزوال، والفِنَاء: سَعةٌ أَمامَ الدَّارِ؛ لأن الفِناء مِنْ فَنِيَ يَفْنَى، وذلك أن الدَّارَ هنا تَفْنى؛ لأنك إذا تناهَيْتَ إلى أَقصى حُدُودِهَا فَنِيَتْ[(١)].

ثانيا: معنى وحدة الشهود لغة:

قال ابن فارس: "الشين والهاء والدال أصل يدل على حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه.

من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام. يقال شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً. وَالْمَشْهَدُ: مَحْضَرُ الناس.

ومن الباب: الشهود: جمع الشاهد"[(٢)].

وأمَّا الوَحدة فقد سبق بيان معناها لغة.

ثالثا: معنى الفناء ووحدة الشهود اصطلاحا؛

الفناء: من أشهر المصطلحات الصوفية، وله معان متعددة عندهم، **لخَّصها شيخ الإسلام في ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: فناء عن إرادة السوى: هو الفناء الديني الشرعي، الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وهو الفناء عن إرادة ما سوى الله؛ بحيث يفنى بعبادة الله عن

---

(١) لسان العرب (١٥/١٦٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٢١).

عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه، وبخوفه عن خوف ما سواه[١].

القسم الثاني: فناء عن وجود السوى: وهو فناء أهل الوحدة الملاحدة؛ بأن يجعل الوجود وجودًا واحدًا، بحيث يرى أن وجود الخالق هو وجود المخلوق.

القسم الثالث: فناء عن شهود السوى: وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى، فيفنى بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره -وهم يفرقون بين الرب والعبد، وبين الطاعة والمعصية-وهذا يعرض لكثير من الصوفية، وهو مقام الاصطلام[٢]، ومن الناس من يجعل هذا من السلوك، ومنهم من يجعله غاية السلوك، حتى أنهم يجعلون الغاية هي الفناء في توحيد الربوبية؛ فلا يفرقون بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه.

وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر وأحكام الربوبية عن شهود الشرع والأمر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله، لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وذاك فقد يكون معذورًا للعجز، لا محمودًا على النقص والجهل[٣].

ومما سبق يتضح أن وحدة الشهود هي القسم الثالث من أقسام الفناء (الفناء عن شهود السوى)، كما يتضح الفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود وهو أن وحدة الشهود تجربة يعيشها الصوفي ويعانيها في غمرة الحال؛ فيفنى عن شهود الكثرة والتعدد بين المشاهِد والمشاهَد، مع كونه لا ينفي الكثرة والتعدد عن حقيقة الوجود؛ فهو يعتقد الفرق بينهما، فليست عقيدة أو علمًا أو فلسفة يحاول برهنتها بأدلة عقلية أو سمعية، بل هي كما سبق حالة نفسية يقع فيها البعض؛ فيصاب بالذهول المطلق،

(١) وهذا المعنى وإن كان صحيحًا فلا يُسلَّم به لعدم وروده في الكتاب والسنة ولاشتراكه مع سواه من معاني الفناء الباطلة.

(٢) الاصطلام من مصطلحات الصوفية وهو الوله الغالب على القلب فلا يفرق بين المأمور والمحظور، وانظر معجم مصطلحات الصوفية (١٧).

(٣) انظر مجموع الفتاوى بتصرف من أكثر من موضع (٢/٣١٤، ٣٠٤).

فلا يشعر بالكون أو النفس، دون أن يجره ذلك إلى اعتقاد أن وجود العالم هو وجود الله. قال ابن القيم: "لا ريب في إمكانه ووقوعه؛ فإن القلب إذا امتلأ بشيء لم يبق فيه متسع لغيره، وأنت ترى الرجل يشاهد محبوبه الذي قد استغرق في حبه، بحيث تخلل حبه جميع أجزاء قلبه، أو يشاهد المخوف الذي امتلأ قلبه بخوفه، فتراه دَهِشًا عن شعوره بحبه أو خوفه؛ لاستيلاء سلطان المحبوب أو المخوف على قلبه، وعدم اتساعه لشهود غيره البتة"(١).

ثم بين أن ذلك نقص وليس كمالاً فقال: "لكن هذا لنقصه لا لكماله، والكمال وراء ذلك؛ فلا أحد أعظم محبة لله ﷻ من الخليلين - عليهما الصلاة والسلام- وكانت حالهما أكمل من هذه الحال، وشهود العبودية أكمل وأتم وأبلغ من الغيبة عنها بشهود المعبود، فشهود العبودية والمعبود درجة الكُمَّل، والغيبة بأحدهما عن الآخر للناقصين.. فالحق - تعالى- مراده من عبده استحضار عبوديته"(٢).

والفناء بهذا المعنى (وحدة الشهود) هو المَعْبَرُ الذي عبر منه الصوفية إلى القول بالحلول ووحدة الوجود؛ إذ قد يبلغ بالسالك الفناء حتى ينتهي بالاتحاد بين المحب والمحبوب، وبشعور الفاني بأنه هو والله واحد، وقد يصل به الشعور إلى أن وجود الله صار متغلغلاً في جميع خلقة، وهذه عقيدة وحدة الوجود(٣).

ويتضح أيضًا: أن القسم الثاني(الفناء عن وجود السوى) من أقسام الفناء مرادف لتعريف وحدة الوجود، وقد تمثل عند الهندوس والبوذيين في عقيدة الانطلاق "النرفانا"؛ فغايتها في الهندوسية الانطلاق أو التحرر من تكرار التناسخ والتوالد، وعودة الروح إلى أصلها التي صدرت عنه، والاتحاد والاتصال ببرهمان، وغايتها في

---

(١) مدارج السالكين (١/١٦٩).

(٢) المصدر السابق، وانظر مجموع الفتاوى (٢/٣٦٨)، والصوفية وحدة الوجود (٥٧)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٦٩).

(٣) وحدة الأديان في عقائد الصوفية (١/٤٢٨).

البوذية الفراغ من كل شيء؛ بإنقاذ النفس من التناسخ والانتقال من حياة إلى حياة، والسعي إلى الانطفاء التام، فكما تخمد النار إلى الأبد فكذلك الإنسان بعد أن يبلغ النرفانا فإنه يخمد إلى الأبد؛ بحيث لا يبقى وجود ذاتي للفاني، ولا يبقى في نفسه ولا تفكيره شيء لا إله ولا غيره، فكأن النرفانا نوع من الموت، ومن هنا نبه بوذا إلى أن النرفانا صعبة المنال في حياة واحدة؛ فهي تستلزم أكثر من تناسخ[(١)].

(١) سيأتي مزيد توضيح لعقيدة النرفانا الفصل الثاني "وحدة الوجود في البوذية"، وانظر البوذية لعبدالله نومسوك(٤٢٠)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (١/٢٣٨).

المطلب الثالث

الواحدية

يستخدم فلاسفة الطاقة الكونية مصطلح الأحدية والواحدية بمعنى وحدة الوجود، يقول واين داير شارحًا التاو والأحدية عند الطاوية: "يشرح البيت الافتتاحي من كتاب (تاو تي تشينغ) أن التاو الذي يُمكن تسميته ليس هو التاو المطلق. بعبارة أُخرى، ما إن تُطلق عليه اسمًا حتى يضيع؛ لأنَّنا بذلك نخلق انقسامًا: الأحدية تعني الواحد وحسب.. في اللحظة التي نُميزه أو نُطلق عليه اسمًا يُصبح شيئًا آخر، شيئًا مُنفصلاً، وبالتالي لم يعُد وحدة واحدة. لا ينفك لاو تزو يُكرر أنَّك ما إن تطلق عليه اسمًا حتى تفقده. من أجل ذلك من المستحيل الكتابة عن الأحدية، فكل كلمة أستخدمها من أجل وصفها تُبين أنَّني لم أُدركها ولم أفهمه!... إنَّ فهم فكرة الأحدية هو أمرٌ يستحيل إدراكه؛ لأنَّنا نعيش في عالم من المتناقضات التي تتطلب أكثر من عنصر واحد...

نستطيع أن نُحفز الأحدية من خلال الجزء الذي في داخلنا والذي يعرف الصمت، حيث لا أسماء ولا أشياء. هنا يُمكن لنا أن نبدأ الإحساس باتصالنا مع كل الناس، الأرض، الكون، وفي نهاية المطاف مع التاو العظيم"[(١)].

ويقول إكهارات تول: "الواحدية.. أنت مع كل كائن، على أعمق مستويات الكينونة"[(٢)].

---

(١) النقلة (٤٣،٤٤).

(٢) قوة الآن (١٢٧).

وسنتحدث عن الأحدية والواحدية في النقاط التالية:

أولا: معنى الواحدية لغة:

قد سبق بيان معنى "الوَحدة" لغة وأنها تدُلُّ عَلَى الِانْفِرَاد.

والْوَاحِد من أسماء الله قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦] ، ومعناه: أن الله تعالى واحد لا نظير له ولا ندّ له ولا شبيه له بأي وجه من الوجوه لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو المستحق للألوهية والعبادة دون من سواه[(١)].

ومن واحدانيته وكماله سبحانه انفراده تعالى بالتنزه عن أن يكون في ذاته شيء من مخلوقاته حالاً فيه، أو يكون هو حالاً بذاته في شيء من مخلوقاته، قال بن جرير الطبري رحمه الله : "وقال آخرون: معنى «وحدانيته» تعالى ذكره، معنى انفراده من الأشياء، وانفراد الأشياء منه. قالوا: وإنما كان منفردًا وحده، لأنه غير داخل في شيء ولا داخلٌ فيه شيء. قالوا: ولا صحة لقول القائل: «واحد»، من جميع الأشياء إلا ذلك"[(٢)].

وكذا الأحد من أسماء الله، ومعناه تفرد الله بالكمال المطلق؛ أي تفرده بالكمال في جميع أسمائه وصفاته، فهو المتفرد بالعلم، الكامل والقدرة الكاملة، والحكمة الكاملة... إلى آخر أسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] ولا يعبر بلفظ الأحد في الإثبات على وجه الإطلاق إلّا على الله ﷻ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

قال الأزهري: "قلت: والواحِدُ فِي صفة الله معناه أَنه لَا ثَانِي لَهُ، وَيجوز أَن يُنْعَتَ الشَّيْء بِأَنه وَاحِدٌ، فأَمَّا أَحَدٌ فَلَا يوصَفُ بِهِ غيرُ الله؛ لِخُلوصِ هَذَا الاسمِ الشريف لَهُ جلّ ثناؤُه"[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٧٤٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٧٤٦).

(٣) تهذيب اللغة (٥/ ١٢٨)، وذكر الأزهري أنه لا يطلق على الله المنفرد أو المتفرد لعدم ورودها في الكتاب ==

وقال أبو القاسم الأصبهاني: "وَمن أَسْمَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ.. الْوَاحد والأحد ... وَمعنى الْوَاحِد: الَّذِي لم يزل وَحده، لم يكن مَعَه آخر، وَقيل: هُوَ الْمُنْقَطع القرين الْمَعْدُوم النظير، وَأمَّا الْأَحَد: فَقَالَ أهل الْعَرَبيَّة: أَصله وَحَد، وَالْفرق بَين الْوَاحِد والأحد: أَن الْوَاحِد هُوَ الْمُنْفَرد بالذَّاتِ، لَا يضامه آخر، والأحد هُوَ الْمُنْفَرد بِالْمَعْنَى لَا يُشَارِكهُ فِيهِ أحد، قيل: إِن الْأَحَد يصلح فِي مَوضِع الْجُحُود[1]، وَالْوَاحد فِي مَوضِع الإثبات، يُقَال: لم يأتني من الْقَوْم أحد، وَجَاءَنِي مِنْهُم وَاحِد وَلَا يُقَال: جَاءَنِي مِنْهُم أحد"[2].

وقال شيخ الإسلام: "قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ فأدخل اللام في الصمد ولم يدخلها في أحد؛ لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحدًا في الإثبات مفردًا غير مضاف إلا الله تعالى؛ بخلاف النفي وما في معناه: كالشرط والاستفهام فإنه يقال: (هل عندك أحد)؟ و(إن جاءني أحد من جهتك أكرمته) وإنما استعمل في

==

والسنة ويقال الأحد والواحد قال: "وأمَّا قول الناس توحَّد الله بالأمْرِ وتفرّد فَإِنَّهُ وَإِن كان صَحِيحًا في العربية فإني لَا أحبُّ أن ألْفِظَ بلفظٍ فِي صفة الله لم يصِفْ به نَفسه فِي التَّنْزِيل أو فِي السّنة وَلم أجد المتوحد وَلَا المتفرد فِي صِفَاته، وَإِنَّمَا تَنْتَهِي فِي صِفَات الله إِلَى مَا وصف بِهِ نَفسه، وَلَا تجاوزه إِلَى غَيره لجوازه فِي العربيَّة تعَالى الله عَن التَّمْثِيل والتشبيه علوًّا كَبِيرًا". قلتُ: باب الإخبار أوسع من الأسماء والصفات لكن قد يُفهم من جهة المعنى أن المنفرد المتخلي عن أقرانه وهذا باطل في حق الله تعالى.

(١) في المسألة تفصيل؛ وبيانه أن "أحد" الملازمة للجحود هي التي يراد بها العموم كالمثال المذكور" لم يأتني من الْقَوْم أحد" فهو ينفي مجيئ عموم القوم؛ ولذلك يجوز الاستثناء منه فنقول" لم يأتني من الْقَوْم أحدٌ إلَّا زيدًا" ومعلوم أنه لا يستثني إلَّا من اثنين فأكثر، وأحد هذه همزتها أصلية، أمَّا أحد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فهي بمعنى الإفراد وهمزتها منقلبة عن واو؛ لأنها من " الوِحْدة" فأبدلت الهمزة من الواو.

ولذلك فإن "أحد" التي بمعنى (الواحد) هي التي من أسماء الله عز وجل، ولا تستعمل "أحد" أصلية الهمزة مع الحق تبارك وتعالى؛ لأنها بمعنى العموم والجمع.

انظر حاشية الصبان على شرح الأشموني (١/١٥٤)، والدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/٦٧٠،٢٥٤)، والبحر المحيط (١/٥٠٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٧٥)، وتهذيب اللغة (٥/ ١٢٦).

العدد المطلق يقال: أحد اثنان. ويقال: أحد عشر. وفي أول الأيام يقال: يوم الأحد: فإن فيه - على أصح القولين - ابتدأ الله خلق السماوات والأرض. وما بينهما" (1).

فالأَحَد والْوَاحِد هما اسمان يدلان كمال الوحدانية لله - تبارك وتعالى- في ربوبيته والوهيته وأسمائه وصفاته، ولعلماء اللغة فروقٌ بين الواحد والأحد منها: إن الواحد مبتدأ العدد؛ فتقول واحد واثنان وثلاثة، فالإله واحد، أي ليس بمتعدد اثنان أو ثلاثة، وأمَّا الأحد فهو منقطع العدد، وأعم في باب النفي كقولنا ليس في الدار أحد، وأبلغ في باب الإثبات كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وهو مختص بالله عند الإطلاق كما سبق، ويصلح للإفراد والجمع والتذكير والتأنيث كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة: ٤٧]، وقوله تعالى ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ويجمع آحاد بخلاف لفظ واحد فلا تجمع (2).

ثانيًا: معنى الواحدية عند الفلاسفة:

يُقسِّم كثير من الفلاسفة - تقسيمًا افتراضيًا- عناصر الوجود إلى نفس وجسم، أو مادة وصورة، وقد أثار ذلك مشكلة الثنائية في أصل الكون أو الواحدية بينهم قديمًا وحديثًا (3).

فالواحدية هي المذهب القائل بمبدأ واحد في الوجود، أو بجوهر واحد، أو بنوع واحد من الجوهر وإن تعددت أفراده (4)، فيشمل مذهبين:

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣٥/١٧)، وبيان تلبيس الجهمية (١٩٣/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٨٠/٦) (١٧/ ٢٣٧)، والكليات (٥٢، ٩٣٢).

(٣) كل فيلسوف يركب من المادة والصورة نسيجًا معينًا وفق رأيه الخاص.

(٤) موسوعة الفلسفة لبدوي (٦٢٣/٢)، والمجموعة الفلسفية، وضع لجنة من الأكاديميين السُوفياتيّين بإشراف روزنتال (٥٧٢).

المذهب الأول: واحدية الجوهر "أو واحدية العين":

وهي الفلسفة القائلة بأن تعدد الموجودات ظاهرًا يرجع إلى أنها أعراض أو حالات مختلفة **لجوهر واحد**؛ فمثلاً اسبيونزا لا يوجد عنده إلَّا جوهر واحد هو الإله أو الطبيعة، ولا يمكن اعتبارهما جوهرين منفصلين، واعتبر المادة والعقل مظهرين أو وجهين للجوهر الواحد؛ فحيث توجد المادة يوجد العقل يقول اسبيونزا:"الأشياء جميعها موجودة في الله، وعلى ذلك لا يمكن تصور لأي شيء خارج الله"[1]، وسيأتي بإذن الله تعالى مزيد من التفصيل والأمثلة في الفصل الثاني (أبرز المذاهب لأصحاب عقيدة وحدة الوجود).

المذهب الثاني: واحدية النوع:

وهي الفلسفة القائلة بأن تعدد الموجودات (الجواهر) يرجع إلى نوع واحد، فيشمل:

١- المذهب الواحدي المادي، الذي يقرر أن كل شيء مادي؛ أي أن المادة أساس العالم.

٢- المذهب الواحدي المثالي، الذي يقرر أن كل شيء عقلي؛ أي أن العقل أساس العالم.

٣- النظرية الواحدية المحايدة، وهي النظرية القائلة بأن العالم يرجع إلى أصل واحد؛ أي عنصر محايد يجمع بين هذين الجوهرين العقل والمادة معًا، يطلق عليها راسل اسم الأحداث[2]، وهذه الوحدة بالكيف وإن كثرت الجواهر؛ أي وجود نوع واحد في العالم[3].

وجاء في المعجم الفلسفي: "والواحدية عند المحدثين مذهب فلسفي يرد جميع

---

(١) اللأخلاق(٥١)، وقصة الحضارة الملحق (١٢٨٦).

(٢) أي أن الكون كله عبارة عن سلسلة من الأحداث أي حوادث تحدث، فتضاربت آراء الفلاسفة في المادة، هل هي كلي عقلي أم كل متماسك وثابت أم مجموعة من الذرات أم أنها حوادث تحدث؟ انظر الواحدية المحايدة برتراند راسل أنموذجًا (٤٤، ٤٨).

(٣) موسوعة الفلسفة لبدوي (٦٢٣/٢)، والموسوعة الفلسفية المختصرة (٤١١)، والموسوعة الفلسفية العربية (١٤٥٥/٣)، وفلسفة وحدة الوجود، للجبوري (٢٢)، والواحدية المحايدة برتراند راسل أنموذجًا (٣٣، ٦٦).

الأشياء إلى مبدأ واحد، سواء أكان ذلك من ناحية الجوهر أم من ناحية القوانين المنطقية، أو الطبيعية، أو الأدبية.. ومن لواحق هذا المعنى إطلاق الواحدية على مذهب.. هيجل الذي يرد كل شيء في العالم إلى الفكرة أو المثال؛ فالمطلق عنده هو الوجود الحقيقي، والطبيعة والفكر حالان من أحوال المطلق"[(١)].

فالعلاقة بين الواحدية ووحدة الوجود علاقة تضمن جزء من كل، فالواحدية أوسع من وحدة الوجود؛ لأن وحدة الوجود صورة من صور الواحدية، فواحدية الجوهر يصح أن يطلق عليها وحدة الوجود، وأمَّا واحدية النوع فلا تنطبق تفاصيلها مع مذاهب وحدة الوجود، وجاء في المعجم الفلسفي: "ومذهب وحدة الوجود صورة من صور الواحدية"[(٢)].

وأمّا الدكتور عبد الرحمن بدوي فيجعل الواحدية تقول بمبدأ أو بجوهر واحد في كل تجلياته، كالمذهب الواحدي المادي أو المثالي.

أمَّا وحدة الوجود فتقول بمبدأ أو بجوهر واحد، ثم ما يلبث أن تقول بالثنائية والتعدد كمذهب أفلوطين، أو تعزو إلى الجوهر الواحد مظهرين أو وجهين متقابلين، كما فعل اسبيونزا في القول بالإله والطبيعة[(٣)].

وأمَّا المذهب الثنائي فيذهب إلى أن أصل الوجود جوهران، - كالمادة والصورة عند أرسطو، وعالم المثل[(٤)] وعالم المحسوسات عند أفلاطون- أو مبدآن، كالنور والظلمة

---

(١) المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٥٤٨/٢).

(٢) المصدر السابق (٥٧٠/٢)، والتطبيقات المعاصرة (٢٢٨).

(٣) موسوعة الفلسفة لبدوي (٦٢٣/٢)، الموسوعة الفلسفية المختصرة (٤١٠)، وفلسفة وحدة الوجود، للجبوري (٢٢).

(٤) المثل عند أفلاطون: نظرية تقسم الوجود إلى حقائق كلية موجودة وجودًا فعليًا مفارقًا للإنسان، وهو مصدر المعرفة، في مقابل العالم المحسوس الجزئي. انظر قصة الفلسفة الغربية (٢٨)، والفلسفة اليونانية لعبد الرحمن مرحبا(١٢٦-١٣٢).

عند المانوية، وكتقسيم ديكارت للعالم إلى جوهرين العقل والمادة يستقل كلٌ منهما بذاته عن الآخر؛ لأن لكل منهما خواصه، فخاصية الجسم المادي الامتداد، فيسميه جوهرًا ممتدًا، وخاصية العقل التفكير؛ فيسميه جواهر مفكرة[(١)].

وأمّا أهل الإسلام فيعتقدون بوحدانية الله ﷻ وتفرده بالملك والخلق والتدبير، وأنه وحده المستحق للعبادة، ويعتقدون بتعدد المخلوقات المحدثات، ويفرقون بين وجود الله ﷻ ووجود المخلوق وإن اتفقا في مسمى الوجود، فالله - تعالى- مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشاركه في شيء من ذلك، والعبد أيضًا مختص بوجوده وعلمه وقدرته، والله - تعالى- منزه عن مشاركة العبد في خصائصه، وإن اتفقا في مسمى الوجود والعلم والقدرة ونحوها، فهذا المشترك كلي يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والوجود في الأعيان لا اشتراك فيه، وهذه المسألة تُسمى القدر المشترك بين صفات الله - تعالى- وصفات خلقه، قال شيخ الإسلام:" وإذا أخذ القدر المطلق الذي يتفق فيه الخالق والمخلوق مثل: مسمى الوجود، والحقيقة، والعالم والقادر، ونحو ذلك فهذا لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان.

والمخلوق لا يشارك مخلوقًا في شيء من صفاته، فكيف يكون للخالق شريك في ذلك؟

لكن المخلوق قد يكون له من يماثله في صفاته، والله - تعالى- لا مثل له أصلاً، والقدر المشترك المطلق - كالوجود والعلم والحقيقة ونحو ذلك- لا يلزمه شيء من صفات النقص الممتنعة على الله تعالى؛ فما وجب للقدر المطلق المشترك لا نقص فيه ولا عيب، وما نُفي عنه فلا كمال فيه، وما جاز له فلا محذور في جوازه.

وأما ما يتقدس الرب - تعالى- ويتنزه عنه من النقائص والآفات فهي ليست من لوازم ما يختص به ولا من لوازم القدر المشترك الكلي المطلق أصلاً، بل هي من خصائص

---

(١) قصة الحضارة (٣٤/ ١٣٥)، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٣٧٩/١)، وموسوعة الفلسفة لبدوي (٦٢٣/٢)، والموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٧/٣)، وفلسفة وحدة الوجود، للجبوري (٢٢).

المخلوقات الناقصة، والله - تعالى- منزه عن كل نقص وعيب"[1].

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨٥/٥)، والرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي القاري (٤١)، ومسألة القدر المشترك بين صفات الخالق والمخلوق اختلفت الطوائف فيها على ثلاثة أقوال، هل هي من باب الاشتراك اللفظي؟ أم من باب التواطئ؟ أم من باب المشكك؟ قال شيخ الإسلام: "مذهب عامة الناس بل عامة الخلائق من الصفاتية كالأشعرية والكرامية وغيرهم أن الوجود ليس مقولاً بالاشتراك اللفظي فقط، وكذلك سائر أسماء الله التي سُمي بها، وقد يكون لخلقه اسم كذلك مثل الحي والعليم والقدير، فإن هذه ليست مقولة بالاشتراك اللفظي فقط، **بل بالتواطؤ، وهي أيضًا مشككة**، فإن معانيها في حق الله تعالى أولى، وهي حقيقة فيهما. ومع ذلك فلا يقولون: إن ما يستحقه الله تعالى من هذه الأسماء إذا سمي بها مثل ما يستحقه غيره، ولا أنه في وجوده وحياته وعلمه وقدرته مثلاً لخلقه، ولا يقولون أيضًا: إن له أو لغيره في الخارج وجوداً غير حقيقتهم الموجودة في الخارج، بل اللفظ يدل على قدر مشترك إذ أطلق وجرد عن الخصائص التي تميز أحدهما" بيان تلبيس الجهمية (٣٧٠/٤)، وأصل الإشكال عند المخالف جعل المتواطئ والمشكك متباينين تباينًا مطلقًا بحيث إذا كان متواطئًا لم يكن عندهم مشككًا والعكس والأمر ليس كذلك، بل يجمع بينهما فانطباق الإنسانية على أفراد الإنسان تواطئ؛ لأنه لا تفاوت بينهم في الإنسانية وباعتبار تفاوت الصفات بينهم في درجة البياض مثلاً مشكك، والمراد بالمتواطئ: اللفظ الذي يشترك في معناه أفراد متعددة على جهة التساوي، والمراد بالمشكك: اللفظ الذي يشترك في معناه أفراد متعددة على جهة التفاضل، وانظر الحد الأرسطي أصوله ولوازمه للدكتور سلطان العميري فقد ناقش جميع هذه الأقوال بالتفصيل (٤٧٩-٥٠٢)، وإيضاح المبهم (٧١).

الفصل الثاني

أبرز المذاهب لأصحاب عقيدة وحدة الوجود، وجذورها التاريخية

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: أبرز المذاهب لأصحاب وحدة الوجود.
- المبحث الثاني: الجذور التاريخية لوحدة الوجود.

المبحث الأول

أبرز المذاهب لأصحاب وحدة الوجود

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مذهب وحدة الوجود الروحية.
- المطلب الثاني: مذهب وحدة الوجود المادية.
- المطلب الثالث: نظرية الفيض في وحدة الوجود.

المطلب الأول
مذهب وحدة الوجود الروحية أو الحلولية

ترى هذه المدرسة أن الإله حال في المخلوقات (أي حال في مجموع العالم)، وكل شيء يتحد به (عن طريق الفناء أو النرفانا والخلاص)؛ لأنه جزء من الإله، وتقبل هذه الوحدة النسب والإضافات، أي: بوجود الأشياء؛ فمع قولهم بوحدة الوجود يثبتون إثنينية - وإن كانوا لا يصرحون بذلك- باعتبار أن الثاني(الخلق) محل للأول (الحق) يحل فيه وتظهر فيه أسماؤه وصفاته، فالإله عندهم له وجود مطلق سار في الموجودات. ويدخل في هذه المدرسة أديان الهند عمومًا، والثيوصوفيا المعاصرة، وبعض غلاة الصوفية من المنتسبين إلى الإسلام كابن عربي[(١)][(٢)]، وسيأتي - بإذن الله- تفصيل كل طائفة على حدة في المبحث الثاني (الجذور التاريخية لوحدة الوجود)..

وللنزعة الروحية في الفلسفة معان منها:

١- تعاليم مثالية عن الأصل الروحي للعالم؛ فعند بعض أصحاب النزعة الروحية: العالم المادي هو وسيط لتجلي الإله وقدرته، على حين أنه في نظر البعض الآخر: وهمٌ اخترعه وعي الإنسان، ويذهب دعاة الروحية إلى أن النفس توجد مستقلة عن الجسد.

---

(١) ابن عربي: محيّ الدين محمد بن على بن محمد بن عبد الله العربي، الطائي الأندلسي، أحد غلاة الصوفية ويلقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، ولد في مدينة مُرْسِيه سنة ٥٦٠هـ، وكان مجاهرًا بعقيدة وحدة الوجود ويسعى لنشرها بين المسلمين، وألف فيها الرسائل، وقد تجاوزت رسائله ٤٠٠ رسالة من أشهرها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، والفناء، وذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، توفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ البداية والنهاية (٢٥٢/١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٩٣/٢)، والإنسان الكامل في الفكر الصوفي (١٨٣)، وقصة الحضارة (٢٧٣/٣) هامش.

٢- مصطلح يستخدمه بعض الفلاسفة المحدثين للإشارة إلى المثالية[١].

فمذهب وحدة الوجود الروحية أو الحلولية (الإله حال في المخلوقات) وأمّا مذهب وحدة الوجود المادية أو المطلقة (فوجود الإله هو وجود المخلوق) كما سيأتي مفصلاً في المبحث القادم[٢].

---

(١) المجموعة الفلسفية، وضع لجنة من الأكاديميين السُوفياتيّين بإشراف روزنتال (٥٢٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٣٣٣، ٣٣٨، ٤٧٦).

المطلب الثاني
مذهب وحدة الوجود المادية أو المطلقة

ترى هذه المدرسة أن وجود الإله هو وجود المخلوق؛ لأنها لا ترى في الكون إلَّا جوهرًا واحدًا، فترى أن الوجود واحد (أي العينية التامة بين الإله والعالم)، فَتمَّحي الثنائيات تمامًا، فلا تمييز عندهم بين واجب وممكن، فكثرة الموجودات إما أن تكون وجودٌ ذهنيٌ وأوهامٌ، وإمَّا صورٌ عقلية للجوهر المعبر عنه بالإله، وبها قال الفلاسفة الإيليون كأكسانوفان وبرمنيدس[(١)].

وقال بالوحدة المادية بعض الصوفية المنتسبين إلى الإسلام؛ فقالوا بوحدة وجود مطلقة، ترى أن الإله هو الوجود المادي بعينه، وكل شيء هو الإله (أي الإله هو مجموع العالم)، وبقية الموجودات وجودها عين وجود الواحد، وليست زائدة عليه بوجه من الوجوه؛ فالإله هو الوجود، فلا تجعل مجالاً أبدًا للقول بممكنات بأي وجه من الوجوه، فهي وحدة خالصة لكونها أنكرت الإضافات والنسب، ونظّر لمذهب الوحدة المطلقة من غلاة الصوفية ابن سبعين[(٢)]، والتلمساني[(٣)(٤)]؛ فنفوا وجود

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٤٩٣)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (١/٤٧٥، ٥٥٩)، وحركة العصر الجديد (١٩٨).

(٢) ابن سبعين: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد، ويلقب ابن سبعين، ولد في بلدة رقوطة بالأندلس سنة (٦١٣ هـ)، وهو من غلاة الصوفية، وتوفي سنة (٦٦٩هـ). البداية والنهاية (١٧/ ٤٩٧).

(٣) التلمساني: سليمان بن علي بن عبدالله بن علي التلمساني، ولد سنة (٦١٠ هـ)، ويلقب بعفيف الدين وهو أحد زنادقة الصوفية القائلين بالوحدة المطلقة، كان يتبع طريقة ابن عربي في أقواله وأفعاله، ويميل إلى مذهب النصيرية، وله مصنفات كثيرة منها شرح الفصوص لابن عربي، توفي سنة (٦٩٠ هـ) بدمشق. البداية والنهاية (١٧/ ٦٤٥).

(٤) وذهب فريق من الباحثين إلى أن ابن عربي يقول بوحدة الوجود المادية قال عنه عبدالرحمن الوكيل: "ويؤمن بالعينية التامة المطلقة بين الله والعالم؛ فالعالم هو الله والله هو العالم، وأنصار ابن عربي ==

العالم، واعتبروا وجوده أي - عند التلمساني- أجزاء من الإله وأبعاضًا له بمنزلة أمواج البحر في البحر، فالكون جزء من الإله، أو هو-تعالى الله عن ذلك- الصور التي تتشكل فيها المادة، ومن ذلك قول ابن سبعين عن الإله هو "في الماء ماء، وفي النار نار، وفي الحلو حلو، وفي المرِّ مر"[1]. قال شيخ الإسلام إن ابن سبعين وطائفته يجعلون: "الوجود واحد فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق.. يجعلون الوجود الواجب والوجود الممكن بمنزلة المادة والصورة التي تقولها المتفلسفة أو قريبًا من ذلك، كما يقوله ابن سبعين وأمثاله"[2].

وفي الطرح المادي للوحدة الوجودية من خلال مذاهب الطبيعيين يُعتبر عالم الألوهية هو إنتاج عقل الإنسان، والعالم وحده هو الحقيقي، وكل شيء يرد إلى المادة التي هي حية بذاتها، وعنها نشأت الكائنات جميعها، وما الإله إلَّا مجموع كل ما هو موجود؛ فالإله هو الطبيعة والطبيعة هي الإله[3]، فيتم الاستغناء عن أية لغة روحية،

==

يحاولون إثبات أنه يؤمن بوحدة الوجود الروحية، غير أن آراءه في كتابيه "الفصوص" و"الفتوحات" وغيرهما تؤكد أنه يدين بوحدة الوجود المادية، وحسبك قوله: "لا يشاهد الحق مجردًا عن المواد أبدًا" وقوله :"الإله المطلق لا يسعه شيء؛ لأنه عين الأشياء وعين نفسه"[فصوص الحكم (٢١٧، ٢٢٦)، ومثله قوله في الفتوحات المكية (١٣٣/٤): (تجده في صور المعادن والنبات والحيوان والأفلاك والأملاك؛ فسبحان من أظهر الأشياء، وهو عينها)] وقوله: "إن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره.. فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة، كان شهودًا في منفعل، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه - شاهده في فاعل.. فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل"[فصوص الحكم (٢١٧)] فهل رأيت مادية مسرفة في الجحود كهذه المادية؟ ألا تراه يحكم على الله سبحانه بأنه في جلاله وكماله هو عين المرأة حين يقارف معها الرجل دنس الخطيئة؟!". البهائية لعبد الرحمن الوكيل (١٧٨)، وقد ذكر شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٩٩/٢، ٣٠٧): أن عربي متناقض؛ تارة يقول بالمادية وتارة بالروحية.

(١) رسالة الألواح، ضمن رسائل ابن سبعين (١٩٢)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٧٥/١، ٥٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩٦/٢)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٧٥/١، ٥٥٩).

(٣) وحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٧٥/١)، والموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٧/٣).

وتَمَّحِي الثنائيات تمامًا بما فيها الثنائية اللفظية، وتسود الواحدية، ويفقد الإله اسمه، ويُطلَق على المبدأ الواحد عبارات مثل قانون الطبيعة، أو القوانين العلمية، أو القوانين المادية، أو قانون الحركة، وهذا القانون شامل يمكن تفسير كل الظواهر من خلاله [١].

ومن قال بوحدة الوجود المادية الفيلسوف الألماني: اسبيونزا [٢]؛ حيث إن الإله عنده هو الجوهر السرمدي المطلق، وهو الوحيد الموجود، والموجودات أعراض له، قال: "لا يوجد في الطبيعة سوى جوهر واحد، ألا وهو الله، ولا توجد أعراض عدا الأعراض الموجودة في الله" [٣].

لكن هل إله اسبيونزا جوهر مطلق، أم هو الطبيعة نفسها؟

ذهب بعض الباحثين إلى أن مذهب اسبيونزا يمثل وحدة وجود مثالية، أي: الإله هو الوجود الحقيقي، والعالم مجموع ظواهر وأحوال ليس لها وجود حقيقي دائم ولا جوهر متميز [٤]، جاء في قصة الحضارة: والحقيقة التي لا مراء فيها أن اسبيونزا كان يدين بالمثالية قدر ابتعاده عن المذهب المادي ..فلم يكن ماديًا؛ لأنه لم يعادل بين الإله والمادة، ولكن المادة صفة ملازمة متأصلة أساسية، أو مظهر للإله.

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٣٠/٥) (٢٩/٨).

(٢) باروخ اسبيونزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧م) فيلسوف هولندي يهودي، هاجر أبواه من البرتغال إلى أمستردام بهولندا في فترة الاضطهاد الديني لليهود من قبل النصارى، ودرس الديانة اليهودية والفلسفة كما هي عند ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الذي عاش في الأندلس وتأثر به ويرجح أنه أطلع على أراء ابن عربي الأندلسي في وحدة الوجود عن طريق ابن ميمون، وانظر الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٧٨٦/٢)، وقصة الحضارة (٣٤/ ١٠٥، ١٣١).

(٣) ينظر: الأخلاق (٦٤، ٥١،٥٤، ٦٣، ١١٩)، ورسالة في اللاهوت، الفصل الربع (١٨٣، ١٨٩)، وقصة الحضارة (١٥٥/٣٤)، والموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٨/٣)، والموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٧٨٦/٢).

(٤) ينظر: قصة الحضارة (٣٤/ ١٥٥)، والموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٨/٣)، والمعجم الفلسفي (٥٦٩/٢)، وموسوعة الفلسفة لبدوي (/٦٢٤).

ولم يكن روحيًا؛ لأنه لم يعادل بين الإله والذهن، ولكن الذهن صفة أو مظهر ملازم متأصل أساسي للإله.

ويعادل بين الإله والجوهر؛ لأن الإله هو الحقيقة التي تشكل أساس المادة والذهن وتوحد بينهما، فالإله هو **مجموع كل العقل الموجود**؛ كل الحيوية والنشاط والإحساس والفكر، بقدر ما هو كل المادة.

فالإله والجوهر متعادلان مع الطبيعة والمجموع الكلي للكينونة أو الوجود؛ ولهذا كان اسبيونزا يقول بوحدة الوجود: إن الله والطبيعة شيء واحد، وإن الكون المادي والإنسان ليسا إلا مظاهر للذات الإلهية.اهـ[1].

ويعتقد اسبيونزا "أن كل الأشياء حية نشطة بشكل ما"؛ فهناك شكل أو درجة من الذهن أو الحياة في كل شيء. والجوهر دائمًا حي أو نشط، والمادة في حركة دائمة، والذهن دائمًا يدرك، أو يحس، أو يفكر، أو يرغب، أو يتخيل ويتذكر في اليقظة أو النوم. **والعالم في كل جزء من أجزائه حي**"[2].

وذهب بعض الباحثين إلى أن إله اسبيونزا هو الطبيعة نفسها في قوانينها ونظامها الحتمي؛ أي مجرد علة أولى ليست مفارقة للمادة، بل هو القانون الحاكم فيها، فحوَّل الإله إلى مجرد مفهوم يتطابق على مستوى الواقع مع الطبيعة ونظامها، فيُسمى طبيعة أو يُسمى إلهًا، لا فرق، **قال المسيري عنه**: يؤمن بوحدة الوجود الروحية

---

(١) قصة الحضارة (٣٤/ ١٢٩- ١٣٥) ملخصًا، وقال بدوي: من صفات الإله عند اسبيونزا الفكر والامتداد معًا أي أنه ممتد مكاني من الموضوعات الفيزيائية بقدر ما هو نظام لا مادي ولا ممتد من الفكر وبعبارة أوجز: الله مادة وعقل معًا. موسوعة الفلسفة لبدوي (١٣٩/١).

ونسبة الامتداد إلى الله هو سبب اتهام اسبيونزا بالإلحاد أي إنكار وجود إله؛ لأن الامتداد من صفات المواد فإله اسبيونزا هو الطبيعة، فالطبيعة عنده علة ذاتها ولا تحتاج إلى أي علة خارجية كي توجد فهي النظام الكلي للعالم، انظر الأخلاق (٣٩).

(٢) قصة الحضارة (١٢٩/٣٤).

في المظهر، المادية في المخبر.. مستخدمًا مصطلحًا دينيًا روحيًا ومصطلحًا فلسفيًا ماديًا في آن واحد.. فألّه الطبيعة وطبّع الإله[١].

وعلى كلا الرأيين لا يوجد عند اسبيونزا إلّا جوهر واحد هو الإله أو الطبيعة، ولا يمكن اعتبارهما جوهرين منفصلين، واعتبر المادة والعقل مظهرين أو وجهين للجوهر الواحد؛ أي أنهما شيء واحد ولهما نفس الحقيقة، فحيث توجد المادة يوجد العقل، جاء في قصة الحضارة "واسبيونزا واحدي تمامًا، يقول بأن الحقيقة كل واحد، فإن جانبي الحقيقة هذين - المادة والفكر- ليسا وجودين متميزين مستقلين الواحد منهما عن الآخر، بل هما جانبان، الخارجي والداخلي لحقيقة واحدة"[٢].

وينتج عن ذلك أنه لا يمكن وصف الإله بأنه خالق العالم كما في الكتب المنزلة، ولا هو صادر عنه ولا فائض عنه كما في نظريات الفيض، لكن كيف وجد الكون عنده؟

يجيب اسبيونزا قائلاً: "إنّ وجود الكون ضرورة منطقية. فوجود الكون وطبيعته ناتجان عن طبيعة الله، كما أن وجود الدائرة وتساوي أقطارها ناتجان عن طبيعة الدائرة". ويقول أيضًا: "إن الأشياء ما كان يمكن أن يوجدها الله على نحو أو نظام مختلف عن ذلك الذي أوجدها عليه"[٣].

أي أنها علاقة منطقية فحسب، وإذا كان العالم متأخرًا وتاليًا للإله بالضرورة، فإن ذلك التأخر ليس إلّا تأخرًا منطقيًا، وليس تأخرًا زمنيًا، إنّه ينبثق عنه تمامًا، مثلما

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٣/٣٧١، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٣)، وموسوعة الفلسفة لبدوي (١/١٣٩)، ووحدة الوجود لدى اسبيونزا لقاسم شعيب (٤)، يقرر المسيري في موسوعته (٣/٣٨٣): إن إنجاز اسبيونزا الأكبر هو اكتشافه التقابل بين وحدة الوجود الروحية (لا موجود إلا الإله) ووحدة الوجود المادية (لا موجود إلا الطبيعة)؛ لأن مؤدّاهما واحد فالإله هو الطبيعة والطبيعة هي الإله فأصبح الأنسان الغربي عند حديثه عن العلة الأولى للأشياء يتحدث عن الطبيعة عوضًا عن الإله وأن الطبيعة قد حبت الإنسان والحيوان بدلاً من أن يقول حباهم الإله دون أي إحساس بالحرج.

(٢) قصة الحضارة الملحق (١٢٨٦) (٣٤/ ١٢٩، ١٣٥).

(٣) ينظر: الأخلاق (٦٦)، وموسوعة الفلسفة لبدوي (١/١٤٠)، وقصة الحضارة (٣٤/١٣٢).

ينبثق من تعريف المثلث أن مجموع زواياه يساوي قائمتين(١).

وقد ميز بين الطبيعة الطابعة [إله اسبيونزا]، والطبيعة المطبوعة: **فالأولى** فعّالة، وهي وجود ضروري يمثّل النظام الشامل الكلي للأشياء؛ إذ لا شيء يخرج عنه، فهو علّة ذاته، ولا يتحكم فيه شيء من خارجه، وهي التي يسميها ابن عربي الله في نظريته. **والثانية** (الطبيعة المطبوعة) منفعلة وهي المكونات الجزئية الموجودة في العالم (الكون) التي تعكس صفات الجوهر، وهي في حال صيرورة، وتريد التحقق من خلال المادة(٢).

وتمييزه بين الطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة إقرار منه بالثناية والتفريق بين الإله الخالق والمخلوقات وإن حاول نفي ذلك.

فمدار وحدة الوجود عند اسبيونزا على أن الإله هو الطبيعة السارية في الموجودات أو هو الجوهر المقوم للماديات، وقد يفسر قوله أنه السنن التي يتحقق بها تحول الموجودات، وكلامه فيه غموض في بعض المواطن.

وقد ذكروِل ديورَانت(٣) في قصة الحضارة نماذج كثيرة ممن تأثروا باسبيونزا في القول بوحدة الوجود المادية، نكتفي منها بنموذجين:

---

(١) رسالة في اللاهوت، الفصل الرابع (١٨٩)، والأخلاق (٦٣، ٦٥)، وموسوعة الفلسفة لبدوي (١/١٤٠)، ووحدة الوجود لدى اسبيونزا لقاسم شعيب (٤).

(٢) ينظر: الأخلاق (٦٣، ٦٤)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٣/٣٧١)، وقصة الحضارة (٣٤/ ١٣٢)، وموسوعة الفلسفة لبدوي (١/١٤٠) (٢/٦٢٥)، ووحدة الوجود لدى اسبيونزا لقاسم شعيب (٥)، والموسوعة الفلسفية العربية (٣/١٥٢٦)، وجاء في قصة الحضارة (٣٤/ ١٣٣) "ليس هناك (عند اسبيونزا) معجزات، لأن إرادة الله و "نظام الطبيعة الثابت الذي لا يتغير شيء واحد وأي خرق أو اضطراب في "سلسلة الأحداث الطبيعية" يكون تناقضًا ذاتيًا".

(٣) وِل ديورَانت: فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي (١٨٨٥ - ١٩٨١م)، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "قصة الحضارة"، والذي شاركته زوجته أرئيل ديورانت في تأليفه، وقد استعان المؤلف في كتابه: "قصة الحضارة" بما تيسر له من المراجع المترجمة إلى اللغات الأوروبية، وهي -مع قِلّتها- لا تسلم من الآفات، انظر المقدمة العربية للكتاب (هـ).

قال وِل ديورَانت عن هردر[١]: "وقد كرس لسبيونزا الفصول الأولى من رسالة عنوانها (أحاديث عن الله)، ففي هذا البحث فقد الله صورته الذاتية وأصبح قوة الكون وروحه، الذي لا سبيل إلى معرفته إلا في نظام العالم والوعي الروحي للإنسان"[٢]. أي ليس للإله وجود خارج عن المخلوقات.

وقال وِل ديورَانت عن شيلنج[٣]: "لقد عرَّف شيلنج قضية الفلسفة الأساسية بأنها المأزق الواضح بين المادة والعقل؛ إذ كان من المستحيل - من وجهة نظره- "أن نفكر في أن أحدهما ينتج عنه الآخر"، وانتهى وهو في هذا يعود مرة أخرى إلى فكر اسبيونزا "أنَّه أفضل مخرج من هذا المأزق هو أن نفكر في المادة والعقل كوجهين لحقيقة واحدة معقدة ولكنها متحدة؛ فكل فلسفة تقوم على العقل الخالص وحده هي فلسفة سبينوزية"[٤].

فأمَّا قوله: "من المستحيل أن نفكر في أن أحدهما ينتج عنه الآخر " فصحيح؛ لأن ذلك يلزم منه الدور الممتنع.

وأمَّا قوله: "أفضل مخرج من هذا المأزق هو أن نفكر في المادة والعقل كوجهين لحقيقة واحدة" فغير صحيح، ويرد عليه السؤال التالي: هل يقصد وحدة بسيطة (شيء واحد)، أم مركبة؟

والصواب الإقرار بوحدانية الله ﷻ وتفرده بالملك والخلق والتدبير، وأنه وحده المستحق للعبادة، وبتعدد المخلوقات المحدثات، والتفريق بين وجود الله ﷻ ووجود المخلوق.

---

(١) هردر (١٧٧٧ - ١٨٠٣) كان قسيسًا يقوم بواجبات العماد، والتثبيت في المانيا وافق على وحدة الوجود التي قال بها اسبيونزا، قصة الحضارة (٢٨١/٤١).

(٢) قصة الحضارة (٢٨١/٤١).

(٣) شيلنج (١٧٧٥ - ١٨٥٤) قال عنه هنري برجسون: "إن شيلنج واحد من أعظم الفلاسفة في كل العصور"، قصة الحضارة الملحق (١٢٨٨).

(٤) قصة الحضارة الملحق (١٢٨٦).

وممن قال بوحدة الوجود المادية أيضًا: ديدرو[١] "ويعتقد أن الذهن والمادة أبديان معًا، وأنهما يؤلفان الكون، وأن هذه الوحدة الكونية هي الله. وربما كان ديدرو يقرأ اسبيونزا"[٢]، والطبيعة عنده "هي كل شيء وهي إلهه...، وهي المادة الحية...، وليس الإنسان آلة، كما أنه ليس روحًا غير مادية، والجسم والنفس كائن واحد ويفنيان معًا"[٣].

وبعد بيان مذاهب وحدة الوجود نُبين الفرق بين وحدة الوجود الروحية والمادية: فالروحية ثنائية، إله يحل في كل شيء (الكون)، لكن يبقى فيها اسم الإله وتقبل النسب والإضافات، أمَّا المادية فترى العينية التامة بين الإله والعالم، فَتمَّحي الثنائيات تمامًا، بما فيها الثنائية اللفظية، وتسود الواحدية، ولها صورتان:

الصورة الأولى: لا وجود إلَّا للإله؛ فترى أن الإله كل شيء، فلا تجعل مجالاً أبدًا للقول بممكنات بأي وجه من الوجوه، فهي وحدة خالصة؛ لكونها أنكرت الإضافات والنسب، فالكل في الإله؛ أي اشتمال الإله على الطبيعة؛ أي أن الطبيعة في الإله وليس العكس، فالعالم جزء من الإله بمنزلة ثوب الإله.

الصورة الثانية: لا وجود للإله إلَّا حالاً في الطبيعة؛ فيفقد الإله اسمه، ويُطلَق على المبدأ الواحد عبارات مثل (قانون الحركة) أو (قوانين المادة)، فالإله هو الطبيعة والطبيعة هي الإله، فهما شيء واحد[٤].

---

(١) ديدرو (١٧١٣ - ١٧٦٨) اتهم الكنيسة بأنها منبع الجهل والتعصب والاضطهاد فأمر برلمان باريس بإحراق كتبه فأرتفع عند الناس إلى مرتبة تداني فولتير وله الموسوعة في الفلسفة، انظر قصة الحضارة (٣٨ / ٢٦).

(٢) قصة الحضارة (٣٨/ ٣١).

(٣) قصة الحضارة (٣٨/ ٦٧).

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥/ ٣٠)، والمعجم الشامل (٧٨١)، وموقف الإسلام من الغنوصية (٥٢٢)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (١/ ٤٩٢).

المطلب الثالث

نظرية الفيض في وحدة الوجود

ترى هذه المدرسة أن الواحد - الذي هو المبدأ الأول عندهم- مع تمام وحدته يفيض عنه كل شيء بتراتب وجودي، وهذا العالم وكل شيء يصبو للاتحاد به[1]، فيكون هذا الواحد هو مصدر وجود العالم وجوهره، وبمجموعها تتشكل وحدة وجود، وممن قال بهذه الوحدة أفلوطين، كما سيأتي[2].

وتبدو هذه النظرية واضحة لدى فلاسفة المدرسة الفيضية من المنتسبين إلى الإسلام من كون واجب الوجود الذي هو المبدأ وأساس وأصل الوجود، وعنه تنبثق وتفيض كافة الموجودات والكائنات بواسطة العقول والنفوس، فكل ما هو ظاهر في الوجود ما هو إلَّا إنبثاق وفيض عن الواحد - واجب الوجود- الموصوف بالوحدة عندهم، فهم يرون أن الله والكون شيء واحد تفاصيله الواجب والممكن؛ وعليه فإن واجب الوجود عندهم وما صدر عنه يكوّنان وحدة وجودية[3]، **ومن ذلك قول الفارابي**[4]: "واجب الوجود مبدأ كل فيض، فهو ظاهر فله الكل من حيث لا كثرة

---

(١) لذلك أنكر ابن سينا البعث الجسماني، يقول د سليمان دنيا محقق الإشارات والتنبيهات لابن سينا (١٣٨/٢): "أمّا مسألة البعث الجسماني، فلا سبيل إلى الشك في أن ابن سينا ينكره، والحجج التي يتذرع بها من يقف مثل الموقف تدور حول أمرين؛ **أولهما**: أن الكمال الإنساني إنما هو في العلم والمعرفة، لا في المأكل والمشرب، ولا حاجة للإنسان إلى الجسم ليعرف؛ بعد أن يكون قد انتقل عقله من مرحلة العقل الهيولي إلى مرتبة العقل بالملكة. **وثانيهما**: أن العقل والجسم متباينان، فالجسم من ظلمة، والعقل من نور، ودوام مصاحبة الجسم للعقل معوق له، وصارف له عن بلوغ الكمالات..."

(٢) انظر المبحث الثاني وحدة الوجود في الفلسفة اليونانية (١١٠)، وانظر الموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٨/٣)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٧٦/١)، وحركة العصر الجديد(١٩٨).

(٣) انظر فلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (١٠٩).

(٤) أبو نصر الفارابي محمد بن محمد التركي الفيلسوف، (ت٣٣٨هـ)، وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك تخالف المسلمين.البداية والنهاية ==

فيه"[١]، وجاء في الموسوعة الفلسفية العربية: "إن القول بالفيض أو الصدور يستتبع وحدة الوجود؛ لأنه ينكر الخلق من عدم، ويجعل الله أصل الكل ومرجع الكل، يجعله العشق والعاشق والمعشوق.

والفارابي هو أول من قال بالفيض في الفكر الإسلامي، وعنه أخذ ابن سينا.

يرى الفارابي أن الموجودات كلها- على نقصها- تتطلع إلى الكمال؛ لأنها في الأصل فاضت عن الواحد واجب الوجود، عن الله المطلق الكمال، وهذه الموجودات- على كثرتها وتنوعها وتدنيها- تشكل مع الأول كلاً واحدًا؛ فالوجود واحد في أصله وجوهره، ويتمتع بوحدة منسجمة. وهكذا اقترب الفارابي من القول بوحدة الوجود، وفارق الخط الأرسطي الثنائي النظرة"[٢].

وممن قال بها أيضًا ابن سينا[٣]؛ لأن الإله عنده له الوجود المطلق بشرط الإطلاق[٤]؛

==

(٢٠٧/١٥)، وجاء في قصة الحضارة في ترجمته (٢٠٤/١٣): "درس المنطق في بغداد على معلمين مسيحيين وقرأ كتاب الطبيعة لأرسطو أربعين مرة، وكتاب النفس مائتي مرة".

(١) عيون المسائل، الفارابي (٤).

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية (١٥٢٨/٣)، ويضع ابن تيمية الفارابي ضمن القائلين بوحدة الوجود، وانظر درء تعارض العقل والنقل (٣٥٩/٥).

(٣) أبو علي بن سينا، الطبيب الفيلسوف، الحسين بن عبد الله بن سينا، (ت٤٢٨هـ)، وكان يقول بقدم العالم، وعدم المعاد الجسماني، وأن الله لا يعلم الجزئيات. البداية والنهاية (٦٦٧/١٥)، ويحدثنا ابن سينا أنه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو أربعين مرة من غير أن يفهمه، وأنه حين استطاع آخر الأمر أن يدرك معناه بعد أن قرأ تعليق الفارابي عليه، سر لهذا سرورًا عظيمًا.

(٤) الفرق بين المطلق بشرط الإطلاق، والمطلق لا بشرط: أن الأول هو الذي يسميه أهل المنطق الكلي العقلي وهو الذي لا يتعين ولا يتقيد بشيء، وهذا لا وجود له في الخارج أصلاً وإنما يوجد في الذهن فقط.

وأمَّا المطلق لا بشرط؛ فهو الذي يسمونه الكلي الطبيعي وهذا الذي يصدق على الأعيان؛ باعتباره الذهني ويوجد في خارج الذهن معينًا مقيدًا، لكن عند وجوده في الخارج لا يكون كليًا بل معينًا مقيدًا، وضرب ابن تيمية مثلاً للمطلق لا بشرط (الكلي الطبيعي) بقولنا: إنسان فلا يوجد في الخارج إلّا معينًا مخصوصًا متميزًا منفصلاً عما سواه. وإمَّا ولو قلنا إنسان: و"عنينا به المطلق بشرط الإطلاق فلا

==

أي بشرط سلب الأمور الثبوتية(١) ونحو ذلك، وهذا حقيقة كلام القائلين بوحدة الوجود، قال شيخ الإسلام: "ولهذا ذكر عنهم أنهم سلبوه كل ما يتميز به موجود عن موجود: فسلبوه الصفات والأفعال وسائر ما يختص بموجود"(٢). فيضعه ابن تيمية ضمن القائلين بوحدة الوجود(٣). ومن أقوال ابن سينا في وحدة الوجود: "فقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ دالّ على كونه واحدًا من جميع الوجوه، وأنه لا كثرة هناك أصلاً"(٤)، وقال أيضًا "إن من أمعن في الارتياض-رياضات النفس- يكاد يرى الحق في كل شيء"(٥).

وخلاصة نظرية الفيض عند ابن سينا أن الأول - (يقصد الله ﷻ) يعقل ذاته، فيفيض عنه عقل واحد بالعدد، مُمكن بذاته، واجب الوجود بغيره، وعندما يعقِل هذا العقلُ مبدأه، يفيض عنه عقلٌ ثانٍ هو العقل الكلي، وعندما يعقِل ذاته بأنه واجب الوجود بغيره تفيض عنه نفس الفلك الأقصى، وعندما يعقل نفسه بأنه ممكن يصدر عنه جِرم ذلك الفلك، ويفيض عن العقل الكلي ثالوث مؤلَّف من عقل ونفس وفلك، وتستمر سلسلة الفيض حتى تصل إلى العقل الأخير، وهو العقل الفعَّال، أو عقل فلك القمر، وتحت هذا العقل يوجد عالم العناصر، عالم الجزئيات الخاضعة للكون والفساد(٦).

==

وجود له في الخارج". الصفدية (٣٠٣/١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٧٥)، ومجموع الفتاوى (١٦٨/٢)، وسيأتي -بإذن الله- مناقشة هذه المسألة في الباب الثاني الفصل الرابع (٣٨٩).

(١) تفسير سورة الإخلاص لابن سينا (مخطوط) لوح (٥ب) وقد طُبع هذا المخطوط بإسم" التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا" لحسن عاصي (١١١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢٨٨/١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٧٨/٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٥٩).

(٤) تفسير سورة الإخلاص لابن سينا (مخطوط) لوح (٣ب) وقد طُبع هذا المخطوط بإسم" التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا" لحسن عاصي (١١٠)، وانظر أيضًا تفسيره سورة النور ص (٨٦)، قال: "وجوده تعالى منبسط على هياكل الممكنات بحيث لا يحول عن شيء منها".

(٥) الإشارات والتنبيهات (٨٧/٤).

(٦) رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها لابن سينا (١٥)، والإشارات والتنبيهات (٢٢٩/٣، ٢٢٠-٢٣٩)، وبغية المرتاد (٢٤١)، ومعاني العقل عند الإمام ابن تيمية د فهمي النجار.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن قول ابن سينا وأمثاله - من أن العالمَ صدرَ عن ذاتٍ بسيطة لا يقوم بها صفة ولا فعل- قول باطل ممتنع في صريح المعقول، فقال رحمه الله: "فإن هؤلاء يقولون بصدور الأمور المختلفة عن ذات بسيطة، وأن العلة البسيطة التامة الأزلية توجب معلولات مختلفة، وهذا من أعظم الأقوال امتناعًا في صريح المعقول. ومهما أثبتوه من الوسائط كالعقول وغيرها، فإنه لا يخلصهم من هذا القول الباطل"[(١)].

ومقصود شيخ الإسلام أنه مهما قالوا إن الواحد لا يصدر عنه إلَّا واحد فإنه سينتهي الأمر إلى واحد صدر عنه الكثرة، وهذا ما الجأهم إلى القول بالعقل الكلي الذي يفيض عنه ثالوث مؤلَّف من عقل ونفس وفلك، وعند عكسه ورجوعه إلى ما قبله نصل إلى البداية التي تقول إنه واحد صدر عنه واحد وإنها ليست كذلك في حقيقة الأمر.

وقد ألزمهم بهذا صاحب قصة الحاضرة في حل مشكلة الانتقال من الوحدة إلى الكثرة، قال عن ابن سينا: "ويدهشه كيف تستطيع الكثرة الممكنة المتغيرة - كثرة الأشياء الفانية- أن تصدر عن الواحد الواجب الوجود الذي لا يتغير. وهو يفعل ما يفعله أفلاطون؛ فيفكر في حل هذه المشكلة بافتراض وجود وسيط بينهما[(٢)] هو العقل الفاعل منتشرًا في العالم السماوي، والمادي، والبشري، وهو النفس"[(٣)].

وقال عنه أيضًا: "وجد شيئًا من الصعوبة في التوفيق بين الانتقال من عدم الخلق إلى الخلق وبين صفة عدم التغير الملازمة لله، فينزع إلى الاعتقاد مع أرسطو بقدم العالم المادي، ولكنه يدرك أن هذا سيؤلب عليه جماعة المتكلمين؛ فيعرض عليهم حلاً وسطًا كثيرًا ما لجأ إليهِ الفلاسفة المدرسيون[(٤)]؛ وهو: أن وجود الله سابق على وجود

---

(١) منهاج السنة النبوية (١٨٢/١).

(٢) الإشارات والتنبيهات (١٨٣/٣).

(٣) قصة الحاضرة (١٣/ ٢٠٩).

(٤) يراد بالفلسفة المدرسية مرحلة من تاريخ الفلسفة ألا وهي الفلسفة الأوربية المسيحية في الجملة في العصر الوسيط والتي مزجت بين الإلهيات والفلسفة ومن أشهر روادها توما الأكويني. تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ليوسف كرم (١٦).

وكذلك السهروردي(١)؛ حيث يذهب إلى أن النور هو أصل الوجود، وأن العالم كله هو إشراق نوراني متعدد الأبعاد، هو فعل إشراق يتجدد باستمرار في تدفق وحركية.

فالوجود عنده نور يتنزل مراتب، يتنزل من مرتبة نور الأنوار-أي الله- باتجاه مرتبة الظلمة أي العالم المادي الذي يعتبره السهروردي وهْمًا وخيالاً وظلمة مؤقتة(٢).

قلت: الاختلاف بين هذه المدارس في التفسير لا غير؛ حيثُ إنها تتفق في النتيجة؛ وهي أن هذه المظاهر الوجودية المتنوعة كلها ترجع إلى مبدأ واحد وجوهر واحد، وأن وجود الإله هو عين وجود المخلوق، وإن كان بعضها أشد كفرًا من بعض، وهي في الحقيقة إنكار لوجود الله وعلمنة للدين(٣)، وسيأتي بإذن الله تفصيل ذلك في المبحث التالي: (الجذور التاريخية لوحدة الوجود).

---

(١) أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، (٥٥٠-٥٨٧هـ)، قال ابن تيمية: "المقتول بحلب على الزندقة صاحب التلويحات والألواح وحكمة الإشراق، وكان في فلسفته مستمدًا من الروم الصابئين والفرس". مجموع الفتاوى (٢٧٠/٦).

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية (١٥٣٥/٣)، وانظر رسالة أصوات أجنحة جبريل للسهروردي (١٣٢-١٣٦).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٢٩٧/٢)، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١٩٦/١، ١٩٧) (٣٧٢/٣) (١٧٠/٥)، والموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٧/٣).

المبحث الثاني

الجذور التاريخية لوحدة الوجود

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: وحدة الوجود في الديانات الوضعية والعبادات والرياضات الموصلة إليها.
- المطلب الثاني: وحدة الوجود في الفلسفة اليونانية.
- المطلب الثالث: وحدة الوجود في الديانات الكتابية.

المطلب الأول

وحدة الوجود في الديانات الوضعية والعبادات والرياضات الموصلة إليها

أولا: وحدة الوجود في الهندوسية:

الهندوسية - وتسمى أيضًا البراهمية[١] - وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد تشكلت من امتزاج عقيدتين: عقيدة الشعوب الآريّة التي غزت الهند، وعقيدة أهل البلاد الأصليين عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، وقد أشار البيروني إلى أنه ثمة عقيدتان عند الهندوس: عَقِيدة خواص الهندوس، وهي فلسفة وحدة الوجود، وتدرس لتلامذتهم، وعَقِيدة العامة، وهي الوثنية الساذجة التي تعبد كل شيء تأثرًا بوحدة الوجود[٢]، بل إنهم يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهًا يعبد، وقالوا بوجود آلهة ثلاثة: برهما، وفشنو، وسيفا[٣]، من عبد أحدها فقد عبدهم جميعًا؛ لأنها تجلّيات وصور لبرهمان

(١) ويطلق البَرَاهِمة على أعلى طبقة من طبقات الهندوس الأربعة وهم كهنة الهندوس ومعناها العارف بالإله، وحامل العلم والمعرفة، وهم من أصل الآريين-الراجح أنهم من جنس أوربي- الذين غزو الهند، وكان دين أهل الهند يُسمى بالدين الآري، وأمَّا كلمة هندوسية فإنها اشتقت من كلمة "سند" حُرفت لكلمة "هند" و"استان" المقر، فقالوا "هندوستان" أي مقر أهل الهند، فقالوا لأهل هذا الدين: هندوسي أو هندوكي. انظر فصول في أديان الهند للأعظمي (٥٢٩، ٥٣٢، ٥٧٠).

(٢) انظر تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (٢٠)، ومقارنات الأديان الديانات القديمة لمحمد أبو زهرة (٢٦)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٥١).

(٣) برهما وفشنو وسيفا: أسماء ثلاثة آلهة، كانت فرقًا في الهندوسية مستقلة، فرقة برهما التي تعتقد أنَّ برهما مُوجد الكون وروحُهُ العليا وجوهرُهُ، ويُعرف بـ "الخالق"، وهو المعْبُود الأَعْلَى في الثَّالوث الهندوسي، وفرقة فشنو التي كانت تعبد فشنو إله الخير الذي يحفظهم من النوازل وقد جاء اسمه في الفيدا ومع مرور الوقت عبدت كرشنا؛ لأنَّ فشنو حل فيه، وأمَّا فرقة سيفا فقد كانت في السند ولها معابد خاصة وقد جاء ذكره في ريج فيدا ومن وظائفه الإعدام والتدمير حتى لقب بالإله الأعظم، =

المطلق[1]، فالهندوسية دعوة إلى التوحد مع البرهمان[2].

فهل برهمان عندهم داخل في الثالوث الهندوسي؟ أم أنه بمنزلة المبدأ الأول: أي المعنى الكلي الذي فاض عنه هذا الثالوث المقدس فهي (براهما وفشنو وشيفا) بمنزلة الوسائط بين برهمان المطلق والكون كالعقول والنفوس في الفلسفة اليونانية؟

وجاء في قصة الحضار: "براهمان معناها هنا روح العالم غير المشخصة، ويجب تمييزها من لفظة براهما الذي هو أكثر منها تشخصًا، وهو أحد الثالوث الإلهي (براهما وفشنو وشيفا) كما يجب تمييزها من لفظة "برهمي" التي تدل على العضو في طبقة الكهنة، ومع ذلك فليس التمييز بين اللفظتين الأوليين بملحوظ دائمًا فقد تجد براهما بمعنى براهمان"[3].

وكل هذه الفلسفات معان كلية لا وجود لها في الخارج، على ما ذكرنا من اضطرابهم وتناقضهم حين يجعلون براهمان كليًا ثم يقولون هو جزء من ثلاثة، فكيف جزء من

==

وبعد هذه الفرق ظهرت البوذية كردة فعل على نظام الطبقات عند الهندوسية وظهرت الجينية أيضًا فقامتا بالهجوم على معتقدات الفيدات، مما اضطر علماء الهندوس إلى تأليف كتاب واحد يشتمل على تقديس الآلهة الثلاث، وتعترف به الفرق الثلاث وهو كتاب مهابهارت أي عظيم الهند وهو من مصادر الهندوس الأساسية مع الفيدانت واليوغا. انظر فصول في أديان الهند للأعظمي (٥٥١، ٥٩٩)، والفكر الشرقي القديم (٦٤، ١٤٥).

(١) برهمان: كلمة سنسكريتية يقصد بها الاسم الذي أطلقه معلمو وحكماء الأوبانيشاد على الوجود الأسمى والمبدأ الأول، ولا يعطي حكماء الهندوس تعريفًا محددًا له فهو غامض في طبيعته، وصف في الأوبانيشادات بأنه: "حقيقة عامة في كل شيء، ولا يمكن تعيينها ولا تشبيهها بأي شيء" وهم يجسدونه في الإله الخالق براهما، ويضعونه في ثالوث مقدس يتألف من براهما وفشنوا وسيفا كما سبق، وانظر الأوبانيشاد ترجمة عبدالسلام زيان (١١،١٤٨، ١٥٠، ١٦٨)، والفكر الشرقي القديم (٣١)، والموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٩/٣)، والثيوصوفيا لمريم عنتابي (١٣٤).

(٢) أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي (٣٧، ٦٦، ٩٣)، وفصول في أديان الهند للأعظمي (٥٢١)، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٢-٧٢٤-٧٢٨)، والفكر الشرقي القديم (١٤٥).

(٣) قصة الحضارة (٤٧/٣)، وانظر كتاب أفلاطون والأوبانيشاد (٤٣).

كل يكون كلاً لتلك الأجزاء؟

وهذه العقيدة ليست ببعيدة عن مذهب النصارى في التثليث، واختلافهم هل الأب جزء من الأقانيم الثلاثة، أم هو خارج عنها؟[١]

وليس المقصود في هذا البحث بيان عقيدة الهندوس عامة، إنما المقصود بيان إيمانهم بوحدة الوجود، **حيثُ يزعم الهندوس** (أن الكون وما فيه من مظاهر مختلفة هو واحد لا غير، وأن ما نراه من اختلاف وتعدد إن هو إلا خداع بصر لا حقيقة له، وليس في الكون إلا حقيقة واحدة هي برهمان)[٢].

وقال البيروني[٣] عن الهندوس: "إنهم يذهبون في الوجود إلى أنه شيء واحد.. فإن باسديو[٤] - أحد كبرائهم- يقول في الكتاب المعروف بكيتا[٥]: "أمَّا عند التحقيق فجميع الأشياء إلهية؛ لأن بشْن[٦] جعل نفسه أرضًا ليستقر الحيوان عليها، وجعله

---

(١) عقد محمد أبو زهرة مقارنة بين الهندوسية والنصرانية في قضية التثليث السابقة وحلول الآلهة في إنسان اسمه كرشنا كما يتحدث النصارى في حلول الإله في عيسى. مقارنات الأديان (الديانات القديمة) لمحمد أبو زهرة (٢٨، ٣٠)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/٧٢٦، ٧٣٠).

(٢) منو سمرتي كتاب الهندوس المقدس (٢٥-٢٧) ترجمة د. إحسان حقي، وهو كتاب التشريع عند الهندوس، وانظر المنهجية في دراسة الأديان الوضعية (٢٦٩).

(٣) البيروني يعتبر من أفضل من كتب عن الهند وديانتها وثقافاتها وفلسفاتها؛ لأنَّه مكث فترة طويلة فيها، وقد قام محمد أبو زهرة بشرح مواضع من كلام البيروني في كتابه مقارنات الأديان (الديانات القديمة).

(٤) أحد أسماء الإله فشنو. وانظر اليوغا في الإسلام مع دراسة وتحقيق وتفسير لكتاب باتنجل الهندي (١٢٣).

(٥) كتاب كيتا: هو جزء من الملحمة الكبرى مهابهارتا التي تصف حربًا شعواء بين فريقين من الأمراء، ويُنسب هذا الكتاب أو أكثره إلى كرشنا، والكتاب يشتمل على جانب من القصص والفلسفة والحياة الاجتماعية، وانظر أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي (٧٩).

(٦) بشْن هو الإله فشنو أو ويشو ويعتقدون أنه حل في المخلوقات ليقيَ العالم من الفناء التام. انظر اليوغا في الإسلام مع دراسة وتحقيق وتفسير لكتاب باتنجل الهندي (١٢٣)، ومقارنات الأديان (الديانات القديمة) لمحمد أبو زهرة (٢٨)، والمنهجية في دراسة الأديان الوضعية (٢٦٣).

ماء ليغذيهم، وجعله نارًا وريحًا ليُنميهم وينشئهم، وجعله قلبًا لكلّ واحدٍ منهم، ومنح الذكر والعلم وضديهما على ما هو مذكور في بيذ"[(١)].

وهذا يعني أن الإله بشن (فشنوا) يتجلى في جميع مظاهر الكون أو هو حقيقة الكون.

وتظهر عقيدة وحدة الوجود في كتاب (الفيدانت) (VEDANT)[(٢)] من خلال عناوين أبوابه؛ فالكتاب يشتمل على أربعة أبواب، وستة عشر فصلاً:

يحتوي الباب الأول على عبادة البرهما وطريقتها.

والباب الثاني على **وحدة الوجود**، والرد على المبادئ البوذية والجينية الإلحادية.

والباب الثالث على حصول النجاة وهي طريقتان: طريقة العبودية الكاملة والفناء فيها، وطريقة العلم الإلهي المتصل بمبدأ الفيض.

والباب الرابع على جزاء المجتهد في العبادة، كما يشتمل أيضًا على أحوال الأرواح التي اتَّحدت بالروح العليا.

فمن أصول الهندوسية الفناء والفيض؛ بعودة الروح إلى أصلها الذي صدرت عنه، كما في الباب الثالث في الفيدانت، وهي من أُسُس وحدة الوجود التي بُنيت عليها، قال الدكتور أحمد شلبي عن الفيدانت - وهو من المتخصصين بأديان الهند-: "والكتاب يتضمن عبارات كثيرة تدل على أن الإله والعالم شيء واحد"[(٣)].

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (٣٠)، وبيذ هو كتاب الفيدا، انظر اليوغا في الإسلام مع دراسة وتحقيق وتفسير لكتاب باتنجل الهندي (١٢٣)، ويُرجح الدكتور عبدالله سمك نطقه ويدا، وانظر المنهجية في دراسة الأديان الوضعية (٢٣٤، ٢٣٦).

(٢) معناه زبدة الفيدا، ويعتبر من الكتب الفلسفية الأخلاقية لدى الهندوس وله تأثير كبير على الفكر الهندي الفلسفي الصوفي أكبر من أي كتاب آخر من الكتب الهندوسية، وانظر فصول في أديان الهند العظمى للأعظمي (٥٥٨).

(٣) أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي (٦٦)، وفصول في أديان الهند العظمى للأعظمي (٥٥٨).

ولكن هل المراد بوحدة الوجود في الفيدانت مادية مطلقة، أم روحية؟

سلك مفسرو الفيدانت اتجاهين متقاربين:

الاتجاه الأول: وحدة وجود مادية مطلقة؛ فالإله (برهمان) معنى كلي مجرد من أي قيد وصفي لا وجود له في الخارج، قال العالم الهندوسي الفلسفي المعروف شَنْكَرا جَارَيا[1] وهو أحد مفسري الفيدانت: "الذي نراه بأعيننا ليس بحقيقة، وإنما هو خدعة النفس، ثم تتلاشى، والعالم يشبه الحلم الذي لا حقيقة له في الوجود، وهو كالحبل الذي يراه الإنسان في الظلام ثعبانًا، فإذا انتهى هذا العمل الذي يشبه اللعب لم يبق في الوجود سوى ذات برهمان"[2].

فشَنْكَرا ينكر العالم؛ لأن الكون عنده مجرد خيال، وهذه مثالية وسفسطة مخالفة للضرورة العقلية والادراك الحسي المباشر، وهذا مما أوقعه في التناقض؛ ففي عبارته السابقة يثبت حبلاً حقيقًا يُرى في الظلام ثعبانًا، فليس كله خيالاً؛ فالخيال عنده هو الثعبان لا الحبل، وأثبت ذات برهمان، فهل برهمان حقيقة، أم خيال ومعنى ذهني لا وجود له في الخارج؟

جاء في قصة الحضارة: "وليس وجود الإله معضلة في رأي شانكارا؛ لأنه يعرّف الإله بالوجود، ويجعل الكون الحقيقي كله والله شيئًا واحدًا بعينه؛ أما عن وجود إله مشخص، يكون خالقًا ومُخَلّصًا، فقد يكون هناك - في رأيه- موضع للشك؛ مثل هذا الإله في مذهب هذا المفكر الذي سبق (كانت) في تفكيره، لا يمكن البرهنة عليه بالعقل، وكل ما

(١) شَنْكَرا جَارَيا ولد في مليبار، عام ٧٧٨م، واختار سلوك النساك وعمره ثمان سنوات، وتوفي وعمره ٣٢سنة، ويقولون إنه أصغر زعيم في تاريخ الأديان الهندوسية، وهو أول من دعا إلى وحدة الوجود، وأقام الأدلة والبراهين من الفيدات، وأسس مراكز التعليم في أنحاء الهند لنشر أفكاره وتسمى ماتها، وفي كل مركز يُعين راهبًا يلقب "شَنْكَرا جَارَيا"، وهو أعلى لقب للرهبان الهندوس. فصول في أديان الهند العظمى (٥٣٧)، وقصة الحضارة (٣/٢٦٨).

(٢) الفكر الشرقي القديم (١٢٣) وما بعدها، وأديان الهند العظمى (٥٦٠).

نستطيعه إزاءه هو أن نفرض وجوده فرضًا باعتباره ضرورة عملية، يهب الطمأنينة لعقولنا القاصرة والتشجيع"[١].

الاتجاه الثاني: وحدة الوجود روحية؛ ترى الإله برهمان يحل في كل شيء، وكل شيء يتحد به؛ لأن الكائنات جزء منه، فمع قولهم بوحدة الوجود يثبتون اثنينية، لكن باعتبار أن الثاني(الكون) محل للأول (برهمان) يحل فيه[٢].

وهناك اتجاه ثالث: يفرق بين برهما الخالق، والعالم المخلوق، ويجعلهما قديمين، وهذا التفسير لم ينتشر في الأوساط الهندوسية[٣].

مسألة: كيف يمكن الجمع بين عقيدة وحدة الوجود وتعدد الآلهة في الهندوسية؟

اختلف الباحثون في ذلك على أقوال:

أقواها: أن الآلهة عند الهندوس تجليات متعددة، أو مظاهر، أو أعراض في الكون للإله برهمان؛ لأنَّ روحه تسري في جميع الموجودات، كما جاء في الفيدانت: "هذا الكون ليس إلا ظهورًا للوجود الحقيقي الأساسي، والشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات **أجزاء لذلك الوجود المحيط المطلق**، إن الحياة كلها أشكال لتلك **القوة الوحيدة الأصلية**، وإن الجبال والبحار والأنهار تُفجر من ذلك الروح المحيط المطلق الذي يستقر في سائر الأشياء"[٤]، فالهندوسي يرى الإله الذي يعبده في كل شيء؛ ولهذا يحترمون كل موجود، كما جاء في شريعة منو(الهندوسية):

---

(١) قصة الحضارة (٢٧٢/٣).

(٢) دعا إلى هذا الاتجاه العالم الهندوسي رامانج، وانظر الفكر الشرقي القديم (١٣٦)، وأديان الهند العظمى(٥٦٢).

(٣) دعا إلى هذا الاتجاه العالم الهندوسي مادفا بحجة تناقض وحدة الوجود مع العقل والتجربة، وانظر الفكر الشرقي القديم (١٢٣،١٣٩)، والمصدر السابق.

(٤) الفيدانت (٤١، ٤٢)، نقلاً عن أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي (٦٦).

"بعض الناس يعبده في عنصر النار، وبعضهم يعبده في منُو، وبعضهم يعبده في إندار، وبعضهم يعبده في عنصر الهواء الخالص، وبعضهم يعبده في برهمان الأزلي.. ذلك هو الإله المحيط بجميع المخلوقات.. إن من يرى نفسه في كل المخلوقات، ويرى كل المخلوقات في نفسه يغدو الكل لديه سواء وينال مكان برهمان الأسمى"[١].

وقد أشار البيروني كما سبق إلى أن العوام من الهندوس لا تقبل بفلسفة وحدة الوجود، فثمة عقيدتان: عقيدة خواص الهندوس، وهي فلسفة وحدة الوجود، وتدرس لتلامذتهم، وعقيدة العامة، وهي الوثنية الساذجة التي تعبد كل شيء تأثرًا بوحدة الوجود[٢].

وذهب بعض الباحثين إلى أن الهندوسية قد مرت بمراحل: ابتدأت بالوثنية الساذجة والنزعة التعددية، ثم التثليث؛ فقالوا بثلاثة آلهة من عبد أحدها قد عبدهم جميعًا، وهي: برهما وفشنو وسيفا، ثم القول بوحدة الوجود[٣].

وأخيرًا جانب من العبادات والطقوس الهندوسية الموصلة إلى وحدة الوجود:

يعتقد الهندوسي: أن غاية النجاة أن تنطلق روحه لتتحد بالإله، وتسمى هذه عندهم عقيدة الانطلاق؛ أي التحرر من تكرار التناسخ والتوالد، وعودة الروح إلى أصلها الذي صدرت عنه، والاتحاد والاتصال ببرهمان؛ فالفناء والفيض بعودة الروح إلى أصلها الذي صدرت عنه من أصول الهندوسية كما سبق[٤].

---

(١) منو سمرتي كتاب الهندوس المقدس (٧٠٣) ترجمة د إحسان حقي، وهو كتاب تشريع، ومنو: هو خالق العالم عند الهندوس، وانظر حضارات الهند لغوستاف لوبون (٢٦٥)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٨٤/١).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (٢٠)، وانظر مقارنات الأديان الديانات القديمة لمحمد أبو زهرة (٢٦)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٥١)، وصرح شنكرا بالتفريق بين عقيدة العوام والفلاسفة. قصة الحضارة (٢٧٥/٣).

(٣) انظر أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي (٤٥)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٥٣)، ووحدة الوجود بين الأديان الوضعية والفكر الإسلامي (٥٢).

(٤) البوذية لعبد الله نومسوك (٢٢١).

يقول كرشنا[١]: "من يعرف طبيعة ظهوري وأعمالي التجاوزية، لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي"[٢].

ولكن كيف يصل الهندوسي إلى هذه الغاية (الانطلاق للاتحاد والاتصال ببرهمان)؟

والجواب: بممارسة التأمل الشرقي وممارسة اليوغا وبأن يترك الدنيا، وينعزل عن الناس، ولا يفعل الخير ولا الشر؛ بحيث لا تبقى له شهوة أو ميل "فإذا اقتلع الإنسانُ بالتزهد كلَ شهوات نفسه، لم يعد هذا الإنسان فردًا جزئيًا قائمًا بذاته، وأمكنه أن يتحد في نعيم أسمي مع روح العالم"[٣] سواء في حياة واحدة أو أكثر من دورة واحدة، فالزهد والسلبية أفضل من صالح الأعمال؛ **لأنها طريق للاتحاد ببرهمان**، وهذا في اصطلاح غلاة المتصوفة المنتسبين إلى الإسلام هو الفناء.

أمَّا مَن عمل صالحًا في حياته فإنه سيلقى ثوابه بعد الموت بأن تنتقل روحه إلى جسد آخر أعلى منه؛ لتكرم على أعمالها السالفة، وتبدأ الروح بدورة جديدة بحسب قانون الكارما[٤].

---

(١) يعتقد الهندوس أن آلهتهم قد حلت أو تجسدت في إنسان اسمه كرشنا، وقد التقى فيه الإله بالإنسان أو حل اللاهوت في الناسوت وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن المسيح، وانظر الفكر الشرقي القديم (٧٩)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٧٢٦/٢)، والتجسد هو وجود الإله في كائن واحد لفترة مؤقته لإداء مهمة ثم يعود إلى وضعه الطبيعي.

(٢) الكيتا: آية (أشلوك٩)، وفصول في أديان الهند للأعظمي (٦٣٣).

(٣) هذا جواب ياجنافالكيا- أحد أبرز مؤلفي يوبانشاد- على السؤال المطروح:كيف يمكن التخلص من العودة إلى الولادة من جديد؟ قصة الحضارة (٥٠/٣) (٤٣/٢).

(٤) الكارما-من معتقدات الهندوسية- وهي قانون الجزاء الكوني أي أن نظام الكون يجازي على العمل الصالح ويعاقب على العمل السيء بالتناسخ فليس هناك عندهم جنة أو نار، والنجاة عندهم من التناسخ بالسلبية وترك العمل للاتحاد ببرهمان أو بوذا، فهي محاولة منهم لإيجاد تفسير للتفاوت في الرزق والصحة وإحداث نوع من الرقابة الذاتية حين غاب عنهم مراقبة الله وثوابه وعقابه في الدنيا والآخرة.

وعقيدة التناسخ مما رسخ نظام الطبقات في الهند. فصول في أديان الهند للأعظمي (٦٣١)، وحركة العصر الجديد (٢٣٦).

وأمّا من كان عمله سيئًا في حياته، فسيلقى جزاءه بعد الموت بأن تنتقل روحه إلى جسد آخر أحط منه؛ لتُهان وتجازى عن أعمالها السيئة، وتبدأ الروح بدورة جديدة، وهذه عقيدة تناسخ الأرواح[(١)]، فهم يعتقدون أن الإنسان إذا مات يفنى منه الجسد، وتنطلق منه الروح لتتقمص وتحل في جسد آخر بحسب ما قدَّم من عمل[(٢)].

فعقيدة التناسخ والخلاص لها اتصال وثيق بوحدة الوجود، فهي من أُسُسها التي بنيت عليها؛ لأن الروح الناجية عندهم تتحد بالروح العليا وتنعم إلى الأبد ولا ترجع مرة أخرى.

وسيأتي بإذن الله في الباب الثاني تفصيل لبعض الطقوس والعبادات الوثنية الهندوسية -كعبادة التأمل واليوغا- الموصلة بزعمهم للخلاص ووحدة الوجود.

ولكن كيف يسعى الهندوسي للاتحاد بما هو واحد معه أصلاً؟

ولهم على هذا السؤال جواب لا يقل غموضًا واضطرابًا عن الإشكال القائم، ويمكن أن يفسر هذا الاتحاد بممارسة الوحدة عن طريق التجربة الذاتية والاحساس بها، أو إدراك الوحدة الموجودة أصلاً، لكنه تبرير فاسد متناقض كما قال شيخ الإسلام: "اعلم - هداك الله وأرشدك- أن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده، لا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم

---

(١) قال البيروني: "التناسخ علم النِّحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد من جملتها" فهو بمنزلة الشهادتين عند المسلمين. وانظر تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (٣٨)، وليس صحيحًا ما ذكره غاندي أنَّ الهندوسية ليس لها عقيدة رئيسة قال: "إن عقيدتها هي عدم التعصب والبحث عن الحق بطرق حسنة، وأما الاعتقاد بوجود الخالق أو عدمه فكلاهما سواء، ولا يلزم لأي رجل من الرجال الهندوس أن يؤمن بالخالق، فهو هندوسي آمن أم لم يؤمن"، إلَّا أن يقصد فقدان المصادر الأساسية التي تضمنت العقائد الأولى للهندوسية؛ لأن هناك عقائد تعد شيئًا أساسيًا في حياتهم كالتناسخ والكَارْمَا والخلاص حتى صارت كالمجمع عليها بينهم، وإن حاول إنكارها بعض علماء الهندوس المعاصرين مع اعترافهم بوجودها بالفيدا و منو سمرتي، وانظر فصول في أديان الهند للأعظمي (٥٣١، ٦١٠، ٦٢٩)، ووحدة الوجود بين الأديان الوضعية والفكر الإسلامي (٥١).

(٢) انظر فصول في أديان الهند للأعظمي (٦٣٢).

وقصدهم؛ لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم أيضًا **لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه**؛ ولهذا يتناقضون كثيرًا في قولهم، وإنما ينتحلون شيئًا ويقولونه أو يتبعونه؛ ولهذا قد افترقوا بينهم على فرق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم مع استشعارهم أنهم مفترقون»[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٣٨/٢)، وانظر التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٢٣٢).

ثانيا: وحدة الوجود في البوذية:

البوذية فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، ويزعمون أنها روحية وأخلاقية وتقوم على الزهد ونبذ الترف، وإماتة الشهوات والرغبات، والعزلة، والمناداة بالمحبة والتسامح(١)، وفعل الخير، وتحقيق السعادة القصوى ببلوغ النفس للكمال الأسمى، وتحريرها من أسر المادة، وانعتاقها من ضرورة التناسخ، وتحقيق النيرفانا، وقد ظهرت البوذية في الهند بعد الديانة الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت في البداية ثورة على نظام الطبقات الهندوسية والرهبان والكهنة، ولكن بعد موت مؤسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا(٢) اختلف أتباعه في شخصيته منقسمين إلى فرقتين:

---

(١) هذه دعواهم والواقع يدل على عكس ذلك تمامًا بدليل ما نشاهده من التطرف والعنف ضد من يخالفهم، بل استعمال هذا العنف ضد مخالفهم هو المأثور عن مؤسس البوذية من فعله بل التحريض عليه كما ذكر ذلك مايكل جيرسون- متخصص في الدراسات البوذية - في مقال له بعنوان "رهبانٌ يحملون السلاح" أن البوذية نجحوا في اخفاء جانب العنف والعداء لمن يخالف ملتهم ثم استعرض بعض نصوص أسفارهم ومنها ما جاء سِفر "نيرڤانا سُوترا" - أو "سِفر النيرڤانا" وهو سفر يحكي آخر أيام "بوذا" –، أن بوذا قتل ذات مرة أحد كهنة البرهمة لمَّا نال من أسفار "ڤايبوليا" المقدسة، وقال: "لذا لم أهبط إلى الجحيم بسبب ما صنعت... عندما نَقبل وندافع عن نصوص ماهايانا نكتسب فضائل لا تحصى"، انظر ترجمة خلاصة مقال مايكل مع التعليق عليه لفيصل بن علي الكاملي
https://www.albayan.co.uk/MGZarticle٢.aspx?ID=٣٧٨٧.

(٢) اسمه سدهارتا جوتاما واختُلف في تاريخ مولده وأقرب الأقوال -كما قال شلبي- سنة ٥٦٣ق.م، ومات سنة ٤٨٣ق.م عن ثمانين سنة، وأمَّا بوذا فهو لقب له عند الإطلاق ومعناه الرجل المستنير الذي يُعلم الناس الحكمة، وكان ابن ملك، فترك حياة الترف محاولاً التخلص من عناء الهرم والمرض والموت عن طريق التقشف والتبتل ثم عدل إلى طريق التأمل والتفكير العميق فحقق الإشراق بزعمه بينما كان جالسًا يتأمل تحت شجرة، ومن المعلوم بطلان هذا الزعم فلا يصدق عاقل أن المعرفة تفيض جملة مرة واحدة لكن يمكن أن يقال بداية التفكير كانت تحت شجرة، ورغم ذلك لم يقم بوصف الإشراق والنرفانا بشكل واضح ولم يقدم دليلاً عقليًا أو ملموسًا على صحة هذا الإشراق، قالت د. هيفاء الرشيد: "والذي يظهر أن حالة الإشراق التي توصل إليها بوذا لم تكن إلَّا كذبة اختلقها من أجل التخلص من الحيرة والضياع الذي يعيشه..[أو] أقل ما يمكن أن يقال عن حالة الإشراق هذه هو إنها من تلبيس الشيطان الذي كان يحدثه بصوت داخلي ويبشره بالخلاص الدائم، ليضل بدعوته ملايين البشر". وانظر أديان الهند الكبرى (١٣١)، قصة الحضارة (٣/ ٩٠)، والتطبيقات المعاصرة (١١٨).

الأولى: فرقة مهايانا - وتعني العربة الكبيرة- ويعتقدون أن بوذا إله متجسد، هبط إلى العالم لإنقاذه من الشرور، ومن أهم مدارسها: مدرسة الزن[(١)].

والثانية: فرقة هينايانا - وتعني العربة الصغيرة- ويعتقدون أن بوذا بشر، إلا أنه بلغ مرتبة الإله؛ لأنه تخلّص من صفات البشر؛ فيقدسونه إلى أقصى حد، ويقدسون كل من سلك مسلك بوذا من القديسين، فتحولت إلى دينية ذات معتقدات وعبادات ولها معابد وكهنة[(٢)].

فوحدة الوجود في البوذية تكمن في فكرة الكارما والتناسخ والنرفانا.

والنرفانا هي الهدف الأسمى ومرحلة الخلود الروحي عند البوذية، ولم يبين بوذا مراده منها بشكل واضح، ولكنها لا تخرج في النهاية عن المراتب الثلاث التالية، مع التنبيه على أن المرتبة الأولى لها ارتباط بالإله عندما كان بوذا يعتقد ذلك في أول حياته، وأمّا المرتبة الثانية والثالثة فليس لهما علاقة بالإله؛ لتخلي بوذا عن وجود الإله:

فالمرتبة الأولى: الاتحاد بالإله بعد الموت والنجاة من التناسخ، وقال بهذا الهندوس، وبوذا في أول حياته، وتقول به بعض فرق البوذية.

والمرتبة الثانية: الشعور بالوحدة في الحياة الدنيا للحصول على اللذة الصادقة والسعادة الدائمة، وهذه المرتبة يصل الإنسان إليها وهو حي؛ بتطهير النفس بإماتة الشهوات والرغبات، وإيقاف توارد الأفكار، والالتزام بالأخلاق، فالبوذية ترى أن خلاص الإنسان متوقف عليه لا على الإله، وأن الإنسان صانع مصيره[(٣)]، فعقدت الصلة بين

---

(١) بدأت بوذية زن في التشكل في القرن السابع الميلادي، واشتهرت في اليابان ثم انتقلت إلى العالم الغربي وهم من أتباع مدرسة مهايان وتأثروا بالفلسفة الطاوية، وكلمة زن تعني التأمل وعن طريقه يتم الاتحاد ببوذا المطلق، وانظر مقدمة كتاب الطاو ترجمة فراس السواح (٢٠)، والموسوعة الفلسفية العربية (١٥٢٤/٣).

(٢) انظر البوذية لعبد الله نومسوك (٣٥١، ٥٢٥).

(٣) مقارنة الأديان (٤٣٢) (١٠٩).

الإنسان وبين عالمه الروحي عن طريق الشعور بالوحدة بينهما بإلغاء الألوهية ودمجها في العالم الروحي للفرد؛ **وهذا يشكل أسس وحدة الوجود**[(١)].

يقول بوذا: **كل شيء فارغ**، والكل لا جوهر له، **لا شيء موجود**، والكل يسير ويضمحل، ويفنى، **والكل في صيرورة بغير جوهر**"[(٢)].

والمرتبة الثالثة: معنى قريب من الانطلاق والنجاة في الهندوسية؛ وهو التخلص من تكرار المولد والتناسخ؛ عن طريق التخلص من الشهوات والرغبات، والتوقف عن عمل الخير والشر، لكن لا يعقبه اتحاد، فالفرق بين المعنى الأول والثالث في نقطة النهاية؛ فنهاية المعنى الأول الاتحاد بالإله بعد الموت، ونهاية المعنى الثالث النجاة وإنقاذ النفس من التناسخ[(٣)].

قال شلبي: "ويبدو مما لدينا من مراجع أن النرفانا مرت بمراحل تاريخية؛ فقد كان مفهومها عند بوذا أول الأمر أنها الاندماج في الإله والفناء فيه، ولكن أفكار بوذا تغيرت بالنسبة للتفكير في الإله، فقد تخلى عن القول بأن هناك إلهًا، بل أنكر وجود الإله... وبناء على هذا الإنكار لم تعد النرفانا الاندماج في الإله، بل اتخذت لها معنى جديدًا أو قل أحد معنيين متلاحقين هما:

١- وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه، والقضاء على جميع رغباته المادية...

٢- إنقاذ الإنسان نفسه من ربقة الكارما، ومن تكرار المولد؛ بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر.

وبناء على المعنى الأول يصل الإنسان إلى النرفانا وهو حي.

---

(١) انظر فلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٥٤، ٥٧، ٥٩)

(٢) "تري بيتاكا" الكتاب المقدس لدى البوذيين ويعتبر أهم الكتب البوذية (٣١٢) نقلاً عن البوذية لعبد الله نومسوك (٣١٥).

(٣) انظر البوذية لعبد الله نومسوك (٤٢٠)، وأديان الهند الكبرى (١٥٥)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٢٣٨/١).

وبناء على المعنى الثاني ترتبط النرفانا بالموت وبالتخلص من هذه الحياة على ألَّا يعود لها"[١].

لكن ما مصير الإنسان إذا نجا من تكرار المولد والتناسخ بعد الموت في البوذية كما في المرتبة الثالثة؟ المشكلة تكمن في غموض بوذا؛ فهو يذكر أنه نجا دون الخوض فيما بعد الموت من العقائد.

وهذا من التناقض فلا يعترف بوجود إله، ثم يدعي حصول العرفان أي العلم الإلهي والنجاة! وهذا أحد أسباب فشل البوذية[٢].

جاء في قصة الحضارة: يرى بوذا أن " كل ما يراه في الحياة دوامة تدور وحركة ما تنفك في تغير؛ إن الحقيقة الميتافيزيقية النهائية في هذه الحياة هي التغيير.

وكما أنه يقترح لاهوتًا بغير إله... [و] إن "الروح" أسطورة من الأساطير... ولكن إن كان ذلك كذلك، فكيف يمكن أن يعود الحي إلى الحياة من جديد في ولادة ثانية؟ إذا لم يكن هناك روح، فما الذي يتقمص أجسادًا أخرى في ولادات تالية، ليلقى عذابه على خطاياه إذ هو حال في صورة الجسد؟ تلك هي أضعف الجوانب في فلسفة بوذا"[٣].

أما بعد موت بوذا فقد ذهبت بعض الفرق البوذية (مهايان) إلى تأليه بوذا ووصفة بصفات براهمان عند الهندوس، وأصبح معنى النرفانا هو الاتحاد ببوذا المطلق، والوصول إلى هذه المرتبة عندهم يُسمى بالخلود الروحي[٤]، وفي رأي الراهب البوذي نيشيرين[٥] أن

---

(١) أديان الهند الكبرى (١٥٥).

(٢) فصول في أديان الهند، للأعظمي (٦٤٨، ٦٥٢).

(٣) قصة الحضارة (٣/ ٨٣).

(٤) انظر أديان الهند الكبرى (١٥٢، ١٥٥)، والبوذية لعبد الله نومسوك (١٦٣، ٢٥٣)، وفلسفة الطاقة الكونية وموقف الإسلام منها (١٤٧، ١٥١).

(٥) يشيرين راهب بوذي ياباني من الداعين والقائلين بوحدة الوجود، عاش بين عامي (١٢٢٢-١٢٨٢م. فكر الهند، أليبر شويتز (١٣٢).

كل ما هو موجود يشاطر بوذا الأول في حياته[١].

ومن أقوالهم: "لا يخلو مكان من بوذا فهو الوجود الحقيقي وما عداه وهم وخيال، وفي داخل كل إنسان يقطن البوذا، وما المظاهر المتعددة إلَّا مظاهر للبوذا فهو الوحدة الحقيقة والحقيقة الوحيدة"[٢].

وبعبارة أخرى: "ليس لبوذا الحقيقي هيئة.. ليس له مادة" "إنه في كثرة الأشياء" "الإله هو العالم والعالم هو الإله"[٣].

بل كل إنسان يستطيع أن يرتقي إلى مرتبة بوذا؛ بأن يجاهد نفسه ويهذبها من رغبات العالم ومن الصفات البشرية، فعند ذلك يتجسد فيه الإله ويتصف بصفاته، وينقذ غيره بالمعرفة؛ لأنَّ الطبيعة الإلهية تحل في الطبيعة البشرية إذا كانت مستعدة لها، ومن نصوص مذهب "مهايان" التي يستدل بها قول بوذا: "إن الشخص يقدر على رفع مصيره حتى مستو الآلهة، أو يخفضه حتى الدرك الأسفل، ومن يهبط يستطيع الصعود..."[٤].

ومن صور وحدة الوجود اتصال الكون الصغير الداخلي للإنسان مع الكون الكبير الذي هو الوجود "إن الكون هو في داخلنا، وما يفعله معلم زن يقتصر على الإشارة إليه؛ بحيث تمكننا رؤيته بمزيد من الوضوح. وحين يتم إخراج الكون من اللاوعي إلى حقل الوعي يُقال إنه قد فُهِمَ من قبلنا"[٥]؛ أي كلما توغلتَ في كشف حقيقة نفسك وداخلك الذي هو مكمن الإله المطلق عندهم كلما استطعت أن ترتقي إلى مستوى الآلهة أو الكون الكبير الذي هو الوجود، فأنت المؤثر حقيقة في الكون عندهم.

---

(١) فكر الهند، أليبر شويتز (١٣٢).

(٢) وحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٨٥/١).

(٣) التصوف البوذي والتحليل النفسي (١١١، ١٥٠).

(٤) انظر البوذية لعبد الله نومسوك (٤٧٧).

(٥) التصوف البوذي والتحليل النفسي (١١٦).

ثالثا: وحدة الوجود عند الطاوية:

الطاوية: فلسفة تقوم في جوهرها على العودة إلى الطبيعة؛ أي تأليه الطبيعة، والاندماج معها، والتخلص من عوائق المادة؛ ليصبح الإنسان روحًا خالصًا، ثم ينتقل إلى الوحدة بين الفرد والجوهر الكلي "الطاو"، والوقوف موقفًا سلبيًا من الحضارة والمدنية؛ بعدم العمل والاقتصار على التأمل الفردي، وهي والكنفشيوسية(١) من أكبر الديانات الوثنية الصينية القديمة التي ما تزال حية إلى اليوم؛ وترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، ويُعتقد أن لاوتزي(٢) تأسس على يده مذهب الطاوية الذي تَرجع بعض معتقداته إلى زمن قديم، وهو من وضع كتاب (طاو- تي - تشينغ)(٣) أي كتاب طريق القوة(٤).

ثم تحولت الطاوية في القرن الثاني الميلادي من فلسفة إلى دين ذي معتقدات وعبادات، ولجأت إلى السحر والشعوذة لجذب الأتباع، وانتقلت إليهم الكارما من البوذية، وفي الوقت الحاضر هناك تشابه كبير بين الطاوية والبوذية(٥).

---

(١) الكنفشيوسية: فلسفة نشأت في الصين على يد مؤسسها كونفوشيوس وكان معاصرًا للاو تزي ومعظمًا له، ومن أبرز معتقداتهم الوثنية وحدة الوجود، وانظر مقدمة كتاب الطاو ترجمة فراس السواح (١٨).

(٢) لاو تزي معناه الإنسان الحكيم، ولد (٦٠٤ق.م)، وهو المؤسس الأول للفلسفة الطاوية؛ فالمفاهيم الطاوية كانت موجودة قبل لاو تزي لكنها تبلورت على يده، عمل أمينًا للمكتبة الملكية، ويرى إصلاح الأوضاع المنحطة في المجتمع بالخلاص الفردي والابتعاد عن الحياة الاجتماعية بخلاف الكنفشيوسية التي ترى إصلاح الأوضاع بالعمل الجماعي والأخلاق، وانظر مقدمة كتاب الطاو ترجمة فراس السواح (١٨)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٨٦).

(٣) كتاب طاو- تي - تشينغ: تَذكُر الروايات الصينية أنه لما بلغ السبعين من عمره قرر أن يهاجر من بلاده وعندما وصل إلى حدود البلاد طلب منه حارس الممر أن يدون أفكاره فألفه، وهو عبارة عن قطع أدبية تحيط بطبيعة طاو، كما تشمل قواعد وأمثلة للحاكم، وهو كتاب غامض في كثير من عباراته. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/٧٣٦).

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/٧٣٤)، ذيل الملل والنحل للشهرستاني لمحمد سيد كيلاني (٢٦-٢٨).

(٥) انظر التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٩٥، ١٠١).

وليس المقصود في هذا البحث بيان عقيدة الطاوية عامة، إنما المقصود بيان إيمانهم بوحدة الوجود؛ فغاية الطاوية الاتحاد مع الطبيعة، وهي مرحلة الوحدة التامة بين الفرد والقانون الأعظم (الطاو)، والطاو هو المبدأ الذي ترتكز عليه الفلسفة الطاوية؛ فهو عندهم مفهوم كلي، موجود قبل كل شيء، وأعظم من كل شيء، ولا وجود لشيء بدونه، وهو حال وممتد في كل شيء، ويصفونه بأنه غير قابل للتوضيح أو الفهم، فهو مبدأ كل شيء ومآله، لكنه لا يخرج عن الطبيعة؛ أي ليس منفصلاً عنها، بل هو داخل فيها دخولاً جوهريًا، وهو في كل مكان، ولا يخلو منه مكان، فنظرتهم إلى الطاو قريبة جدًا من مذهب الحلولية - أي أصحاب وحدة الوجود الروحية- الذين يذهبون إلى أن الإله حالٌّ في كل الموجودات وأن تأثيره فيها يكون خلال حلوله فيها[(١)]، يحاول لاو تزي تقريب مفهوم الطاو فيقول:

"هناك شيء بلا شكل

موجود قبل السماء والأرض

لا أعرف له اسمًا فأدعوه التاو

لا أعرف له وصفًا فأقول العظيم

عظمته امتداد في المكان

الامتداد في المكان يعني امتدادًا بلا نهاية

الامتداد بلا نهاية يعني العودة إلى نقطة المبتدى"[(٢)]. بل صرحوا بوجود التاو في كل مكان حتى في الروث، وأنه لا وجود لأي شيء بدون التاو[(٣)].

---

(١) انظر التاو ترجمة معلوي (١٨، ٣٠، ٩٠)، والفكر الشرقي القديم (٣٥٨)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٩٣)، وفلسفة الطاقة الكونية (١٢٨)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/٧٣٧)، فالطاو يشبه-إلى حد كبير- العقل الأول عند الفلاسفة وبرهمان عند الهندوس.

(٢) انظر كتاب الطاو ترجمة فراس السواح (٦٠).

(٣) المصدر السابق (٣٠).

يقول واين داير شارحًا التاو والأحدية عند الطاوية قال: "يشرح البيت الافتتاحي من كتاب (تاو تي تشينغ) أن التاو الذي يُمكن تسميته ليس هو التاو المطلق. بعبارة أُخرى؛ ما إن تُطلق عليه اسمًا حتى يضيع؛ لأنَّنا بذلك نخلق انقسامًا: الأحدية تعني الواحد وحسب... في اللحظة التي نُميزه أو نُطلق عليه اسمًا يُصبح شيئًا آخر، شيئًا مُنفصلاً، وبالتالي لم يعُد وحدة واحدة. لا ينفك لاو تزو يُكرر أنَّك ما إن تطلق عليه اسمًا حتى تفقده. من أجل ذلك من المستحيل الكتابة عن الأحدية، فكل كلمة أستخدمها من أجل وصفها تُبين أنَّني لم أُدركها ولم أفهمه!... إنَّ فهم فكرة الأحدية هو أمرٌ يستحيل إدراكه؛ لأنَّنا نعيش في عالم من المتناقضات التي تتطلب أكثر من عنصر واحد...

نستطيع أن نُحفز الأحدية من خلال الجزء الذي في داخلنا، **والذي يعرف الصمت**، حيث لا أسماء ولا أشياء. هنا يُمكن لنا أن نبدأ الإحساس باتصالنا مع كل الناس، الأرض، الكون، وفي نهاية المطاف مع التاو العظيم"(١).

وتشبه الفلسفة الطاوية نظرية الفيض، فمن الطاو المطلق فاض الواحد (طاقة تشي)، ومن الواحد (طاقة تشي) يأتي اثنان (الين واليانغ)، ومن الاثنين يأتي ثلاثة، ومنها تأتي كل الأشياء(٢)؛ فطاقة التشي هي الوسائط بين التاو المطلق والكون المادي، بمنزلة العقول والنفوس في الفلسفة اليونانية(٣).

ومراحل الوصول إلى وحدة الوجود عندهم أربعة:

المرحلة الأولى: الخلوة والتأمل؛ لذلك تكمن الفضيلة عندهم في عدم العمل، والاقتصار على التأمل، داعين إلى الحياة على الجبال المقدسة وقرب الجُزُرِ النائية.

---

(١) النقلة (٤٣،٤٤).

(٢) انظر كتاب الطاو ترجمة علوي (١٥، ١٦، ٢٣، ٩٧)، والفكر الشرقي القديم (٣١٢)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٨٧-٩٠)، وفلسفة الطاقة الكونية (١٣٠).

(٣) قوة الآن (١٣١).

المرحة الثانية: التجرد من الماديات؛ ليصبح الإنسان روحًا خالصًا للوصول إلى الحقائق المجردة.

المرحة الثالثة: الكشف من خلال الاتصال بالتاو؛ لإدراك الحقائق مباشرة، وتُسمى بالتنوير والإشراق.

المرحلة الرابعة: الاتصال التام بالطاو، ولا يمكن الوصول إلى هذه المرتبة إلَّا إذا نظف الطاوي نفسه من جميع المشاغل والشوائب؛ ليوجِد في داخله فراغًا هو في الحقيقة الامتلاء نفسه، ويُكافأ المحسن بالصحة وطول العمر؛ لذا يقدسون من تقدم في السن، ويسعون لإطالة العمر والخلود بتدريبات ورياضات جسدية وروحية، فضلاً عن السحر والشعوذة[1].

---

(١) المراجع السابقة، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٩٦).

المطلب الثاني
وحدة الوجود عند فلاسفة اليونان

تمهيد:

يمكن تقسيم فلاسفة اليونان من حيث اعتقادهم بوجود موجودٍ أعلى مؤثرٍ في هذا الكون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

الذين يقولون بوجود موجود أعلى، ويسمونه العلة الأولى أو الواحد، وهم كثير من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين، إلَّا أنهم يختلفون في تصورهم له والتعبير عنه، مع اتفاقهم على إثبات وجوده وجودًا مطلقًا، وعلى نفي وصفه بأي صفة ثبوتية كالخلق، وهم الذين يسميهم المسلمون بالمؤلهة(١).

القسم الثاني:

فلاسفة ماديون؛ وهولاء يقولون: أصل العالم مادة أو أنواع من المادة تكوَّن منها الكون، ولا يثبتون موجودًا أعلى صدرت عنه الكائنات، فمنهم من يقول بجوهر واحد فحسب أو عالم واحد، أو أن الواقع الخارجي واحد بمعنى ما؛ أي: لا يتغير ولا ينقسم ولا يتمايز، فهؤلاء يدخلون في القائلين بوحدة الوجود، ومنهم من يقول بجواهر أو عوالم متغايرة متمايزة.

---

(١) أشار شيخ الإسلام إلى أن كلام الفلاسفة في الإلهيات نزر قليل، وهو مع ذلك كثير الخطأ، ولم يصر للفلاسفة كلام يعتد به في هذا المجال **إلَّا بما جمعه وقرره ابن سينا وأمثاله، وهو أول من أطلق عليه العلم الإلهي**، وأن فلاسفة اليونان لم يكونوا يسمونه بالعلم الإلهي؛ **و إنما يسمونه علم ما بعد الطبيعة**، ولا يصلون به إلى اليقين وإنما يتكلمون فيه بالأولى والأحرى، وانظر مجموع الفتاوى (٨٤/٢)، والرد على المنطقيين (١٤٣)، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة (٣٣٥).

القسم الثالث:

فلاسفة وحدة الوجود، وأساس مذهبهم يقوم على قول الفلاسفة الماديين القائلين إن أصل هذا العالم هو المادة ولا يوجد فيه إلَّا ما هو جسم، فركب عليه القائلون بوحدة الوجود أن هذا العالم تشيع فيه قوة حية، وهذه القوة الحية هي المؤثرة في هذا الكون(١).

ولا فرق بين هذه الأقسام؛ فجميعهم يتفق على قدم المادة وعدم إثبات إله خالق مدبر للكون.

وممن قال بوحدة الوجود من فلاسفة اليونان:

أصحاب المدرسة الأيونية، والمدرسة الإيلية، والمدرسة الرواقية، وأصحاب مذهب الأفلاطونية المحدثة(٢). وفيما يلي نتناول كلاً منها بحديث مقتضب تتضح معه معالم وحدة الوجود عندهم:

أولا: المدرسة الأيونية:

وهم فلاسفة اليونان الأوائل الذين ظهروا في إقليم أيونيا(٣)، وتُعرف مدرستهم بالمادية الطبيعية؛ لأنَّها أول محاولة لتفسير أصل العالم الطبيعي من خلال تساؤلهم عن المادة الأولى التي يتكوّن منها العالم، هل هي الماء، أم الهواء، أم النار؟ وهل هذه المواد حيوية لها القدرة على التأثير بذاتها؟ وهل الوجود واحد؟

---

(١) المنقذ من الضلال (١١٨)، وشرح الأصبهانية (٥٨٥)، وقول فلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية لسعود الخلف.

(٢) جاء في قصة الحضارة "ويظهر أن فيثاغورس وبارمنيدس وأفلاطون قد تأثروا بالميتافيزيقا الهندية؛ أما آراء طاليس وأنكسمندر وأنكسمينس، وهرقليطس، وأناكسجوراس وأمباذقليس، فهي لا تسبق فلسفة الهنود الدنيوية فحسب، بل يطبعها طابع من الشك ومن البحث في الطبيعة المادية، يميل بنا إلى ردها إلى ما شئت من أصول ما عدا الهند" (٣/٢٤٦).

(٣) أيونيا مستعمرة يونانية سابقًا تقع في وسط الساحل الغربي لآسيا الوسطى(تركيا اليوم). دروس في الفلسفة، ابراهيم مدكور ويوسف كرم (٢٩).

ومن أقطاب المدرسة الأيونية طاليس[١] الذي أرجع أصل الأشياء أو المبدأ الذي صدرت عنه إلى الماء[٢]، وهو "العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها[٣]؛ فانبعث من كل صورة موجودة في العالم على المثال الذي في العنصر الأول، **فمحل الصور ومنبع الموجودات كلها هو ذات العنصر**. وما من موجود في العالم العقلي والعالم الحسي إلَّا وفي ذات العنصر صورة له ومثال عنه"[٤].

ونقل أرسطو عن طاليس "أنَّ كل شئ مملوء بالآلهة"[٥]، وفسرها أرسطو في كتابه

---

(١) طاليس: فيلسوف رياضي هندسي فلكي يوناني (٦٢٤- ٥٤٦ق.م)، وتبدأ المدرسة الأيونية به، والملل والنحل (٢/٦٥)، وقصة الحضارة (٦/ ٢٥٠).

(٢) الماء عند طاليس ماء كلي ليس الماء المحسوس؛ وهذا الماء المحسوس أحد تحولاته، والكثرة صور عقلية لجوهر الماء الكلي، انظر تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة القديمة) برتراند راسل (٦٢)، وموسوعة الفلاسفة، عبد الرحمن بدوي (١/٢٧٧).

الكون في الفيزياء المعاصرة مكون من أكثر من مائة عنصر كما في الجدول الدوري وهذه العناصر تتشكل مع بعضها على شكل جزئيات. تعليق استاذ الفيزياء بجامعة أم القرى د. عبد الوالي العجلواني.

(٣) علق هنا الشهرستاني فقال: "والذي أثبته من العنصر الأول الذي هو منبع الصور شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور في الكتب الإلهية؛ إذ فيه جميع أحكام المعلومات، وصور جميع الموجودات، والخبر عن الكائنات.

والماء ... شديد الشبه بالماء الذي عليه العرش: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾". الملل والنحل (٢/٦٤). ولعل الشهرستاني يريد أن يقرر أخذ الفلاسفة بعض أفكارهم من الأنبياء ثم تحريفها وإعادة صياغاتها بفكرة أخرى، وقد أشار الشهرستاني وشيخ الإسلام إلى أن بعض الفلاسفة كفيثاغورس وسقراط وأفلاطون كانوا يهاجرون إلى أرض الأنبياء ويتلقون عنهم بخلاف أرسطو فلم يسافر إلى أرض الأنبياء ولم يكن عنده من العلم بالأنبياء ما عند سلفه، وانظر الملل والنحل (٢/٦٧)، والرد على المنطقيين (٢٨٣، ٣٣٧)، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة (٣٣٦) وقصة الحضارة (٦/ ١٣٠)، مع التنبيه على أن طاليس يجعل الماء المصدر الأول وعنه تصدر جميع الأشياء بخلاف جميع الكتب المنزلة من الله التي فيها أنَّ الماء مخلوق لخالق، وانظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار (١/١١٦)، والاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات دراسة نقدية (٨١)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (١/٤٩٥).

(٤) الملل والنحل (٢/٦٣).

(٥) كتاب النفس لأرسطو، ترجمة الأهواني (٣٦)، وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٢٦).

النفس[(١)] بأن طاليس ربما عنى بذلك أنَّ للعالم نفسًا[(٢)]؛ أي: مملوء بالآلهة أو النفوس التي تكون ممتزجة فيه، وقد اعتقد أنَّ هذه النفوس أو الآلهة هي القوى المحركة للكائنات؛ ولذلك فإن هذه النفس منبثة في العالم أجمع، وهي سبب حركته؛ إذن الروح أو النفس شيء غير منفصل من المادة ولكنَّها حالَّة بها[(٣)].

قال يوسف كرم: "مما يؤيد هذا التأويل عبارة منسوبة لطاليس، ويوردها أرسطو بتحفّظ؛ وهي أنَّ للحجر المغناطيسي نفسًا؛ لأنَّه يحرك الحديد[(٤)]، فإنها تدل على أن مبدأ الفعل والحركة عنده النفس، ولما كانت الحركة ظاهرة كلية كانت النفس كلية كذلك"[(٥)].

---

(١) انظر المصدر السابق، وفجر الفلسفة اليونانية (٥٣).

(٢) الفلاسفة يزعمون أن هناك نفوسًا غير النفوس البشرية والحيوانية؛ فللأفلاك عندهم نفوس، ولكل سماء نفس، وللعالم نفس؛ وهذه النفوس تتفاعل فيما بينها، وأعلاها شرفًا عندهم نفوس الأفلاك والسماوات.

ونفس العالم عندهم هو مبدأ وحدة العالم وحركته وتدبيره، وقال بهذه النفس فريق من أصحاب مذهب وحدة الوجود، وهي عندهم بمنزلة الآلهة، وهي مرادفة لنفس الكل والنفس الكلية، قال شيخ الإسلام: "والعقل في لغة هؤلاء الفلاسفة هو جوهر قائم بنفسه. وأما النفس الفلكية، فلهم فيها قولان: قيل: إنها عرض قائم بالفلك، وهو قول أكثرهم. وقيل: بل جوهر قائم بنفسه، ولهذا يميل ابن سيناء" الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤٢/٥)، وقال الآمدي: "وأمَّا النفس فعبارة عن كمال لكل جسم طبيعي من شأنه أن يفعل أفعال الحياة. وهذا رسم النفس على وجه تشترك فيه النفس الفلكية والنباتية والحيوانية والإنسانية.." المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين (١٠١)، وانظر معجم الفلسفة، جميل صليبا (٤٨٨/٢)، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١٧١٣/٣)، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة (٥١٨).

(٣) قصة الحضارة (٢٩/٦، ٢٥٢)، وتاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة القديمة)، برتراند راسل (٦٢)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، محمد مرحبا (٤٩)، وفلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٦١)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٢٥-٢٧)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٩٥/١)، وفلسفة وحدة الوجود، حسن الفاتح (١٥، ٢٥)، وموسوعة الفلاسفة لعبد الرحمن بدوي (٢٧٩/١).

(٤) كتاب النفس لأرسطو، ترجمة الأهواني (١٤).

(٥) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٢٧).

ومما تقدم يتبين أن طاليس يقول بمادة ثابتة غير حادثة، ويتصور هذه المادة حاصلة على قوَّة حيويَّة تدفعها إلى التفاعل على نحو طبيعي - أي بمجرد اجتماع أجزائها وافتراقها- دون علة فاعلية متمايزة[(١)].

فهل هذه القوة المؤثرة في المادة طبيعية بحتة كيميائية فيزيائية، أم فلسفية ميتافيزيقية (روح أو نفس)؟

ذهب بعض الباحثين إلى أنَّ فلسفة طاليس طبيعية بحتة، وأن سبب اختياره لمادة الماء؛ لمرونتها وقابليتها للتشكل والتحول من حالة إلى أخرى، أي من الصلابة إلى السيولة إلى الغازية وبالعكس[(٢)].

وذكر الشهرستاني أنَّه يوجد شبهٌ بين فلسفة طاليس ودين الأنبياء الحق؛ فنسب إليه إثبات مبدع للكون، وأن قوله مقتبس من مشكاة النبوة، وشكك فيما نسب إليه من أن المبدع الأول هو الماء[(٣)]، وكذا ذكر الشهرزوري[(٤)(٥)]، ونقله شيخ الإسلام عنهم قال: "قالوا: وقال تاليس - وهو أحد أساطين الحكمة-: إن صفة الباري لا تدركها العقول إلَّا من جهة آثاره، فأما من جهة هويته فغير مدرك له صفة من نحو ذاته، بل من نحو ذواتنا، وكان يقول: أبدع الله العالم لا لحاجة إليه، بل لفضله، ولولا ظهور

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية لمحمد مرحبا (٤٩)، ودروس في الفلسفة، ابراهيم مدكور ويوسف كرم (٥٤).

(٢) انظر فلسفة وحدة الوجود (٦٢) "الهامش"، وبحث قول فلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية.

(٣) الملل والنحل (٢/٦٣- ٦٤)، وانظر نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة للشهرزوري (١٦).

(٤) محمد بن محمود، وكان يلقب بشمس الدين، ويسكن قرية يقال لها" شهرزور" تقع بين العراق وإيران، وقال يقوت الحموي: أكثر ساكنها من الأكراد أهـ. فلعله منهم، ومن مؤلفاته: نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، والشجرة الإلهية في علوم الحقائق الربانية وغيرهما، وقيل: إنه من أقرباء السهروردي المقتول وشرح كتابه حكمة الإشراق، وكان يعتقد أن الفلسفة نوع من النبوة، وتوفي سنة ٦٨٧هـ. انظر مقدمة المحقق خورشيد أحمد لكتاب نزهة الأرواح، وانظر معجم المؤلفين لعمر كحالة (١١/٣٢٠).

(٥) نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة للشهرزوري (١٧).

أفاعيل الفضيلة لم يكن ههنا وجود، وكان يقول: إن فوق السماء عوالم مبدعة، أبدعها من لا تدرك العقول كنهه"[1].

ويمكن إيجاز مناقشة هذه الأقوال فيما يلي:

أولاً: أمَّا ما ذهب إليه بعض الباحثين من أنَّ فلسفة طاليس طبيعية بحتة، فهذا غير صحيح بدلالة أقواله السابقة التي يقرر فيها أن المبدأ الأول هو الماء، وأن الأرض تطفو فوق الماء، وأن الماء محل الصور ومنبع الموجودات كلها، وبدلالة ما نقله عنه أرسطو من أنَّ العالم مملوء بالآلهة، وأنَّ للحجر المغناطيسي نفسًا، جاء في قصة الحضارة: "أهم ما في آرائه قوله إن الماء أصل كل شيء، بل أهمها إرجاعه الأشياء جميعها إلى أصل واحد؛ ولقد كان ذلك أول قول بوحدة المادة في التاريخ المدون كله. **ويصف أرسطو آراء طاليس بأنها مادية، ولكن طاليس يضيف إلى أقواله السابقة أن كل جزء في العالم حي**، وأن المادة والحياة وحدة لا ينفصل أحد جزأيها عن الآخر، وأن في النباتات والمعادن نفسًا خالدة كما في الحيوان والإنسان، وأن القوة الحيوية تتغير صورتها ولكنها لا تموت أبدًا. وكان من عادة طاليس أن يقول إنه لا يوجد فرق جوهري بين الأحياء والأموات"[2].

ثانيًا: وكذا خطأ من نسب إليه إثبات مبدع للكون أمر ظاهر؛ لأن ذلك خلاف المشهور المنقول عن فلاسفة اليونان، الذين لم يتطرقوا إلى ذكر الله ووجوده، فضلاً عن الإقرار بوحدانيته وخلقه لهذا الكون[3]، ويرجح الدكتور أحمد الأهواني أن سبب هذه الأخطاء في هذه المصادر الإسلامية أنهم نقلوها عن بعض المؤرخين المتأخرين الذين عاشوا في القرن الخامس والسادس الميلادي، ونقلوا الفلسفة اليونانية إلى السريانية، وعنها نُقلت إلى العربية فيما بعد عصر الترجمة[4]، أما الدكتور علي النشار فيرجح أن أخبار

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٦٣/٢).

(٢) قصة الحضارة (٢٥٢/٦).

(٣) موسوعة الفلاسفة، عبد الرحمن بدوي (٢٧٧/١).

(٤) فجر الفلسفة اليونانية (٥٥، ٦٣، ٦٦).

الفلاسفة المتعارضة قد وصلت إلى المؤرخين المسلمين، ففضلوا الأخبار التي تجعل هؤلاء الفلاسفة أقرب إلى الإيمان بالله[(١)].

وهذا غير صحيح بإطلاق؛ فهناك ألفاظ جاءت في أخبار الفلاسفة من كلام أرسطو وغيره أثارت اختلافًا كبيرًا بين المترجمين والمفسرين، كنقل أرسطو السابق عن طاليس أنَّ العالم مملوء بالآلهة ونحوها، وسيأتي بعض هذه العبارات، وقد يخبرون عن مصطلحات فلاسفة اليونان بالمعنى للتقريب؛ فيعبّرون عن المبدأ الأول بالإله.

ومن أقطابها أيضًا: انكسيمندريس[(٢)] الذي اقتنع بفكرة الأصل الواحد للوجود، لكنَّه رأى أنَّ الماء لا يصح أن يكون مبدأ للكون، وأنَّ المبدأ الأول لا يمكن أن يكون شيئًا معينًا، فذهب إلى أن أصل الكون مادة لا شكل لها ولانهاية ولا حدود، مادة غير معينة من حيث الكيف والكم، وهذه المادة قد حوت في كيانها كل موجود، والموجودات كامنة فيها؛ أي أنها تنمو وتتطور بما فيها من قوى ذاتية، حتى نشأت منها جميع حقائق الكون المختلفة[(٣)]، فماذا يقصد انكسيمندريس بهذه المادة التي لا شكل لها ولانهاية لها ولا حدود؟ هل يقصد مادة مادية مبهمة ليس لها خصائص وصفات، أم يقصد كليًا عقليًا؟

اختلف الباحثون في ذلك اختلافًا كبيرًا؛ وسبب الاختلاف كما ذكر الأهواني - بعد

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/ ١١٠-١١٤، ١٢٠- ١٢٣)، ومنهج الشهرستاني في الملل والنحل (٦١٠).

(٢) انكسيمندريس: فيلسوف يوناني (٦١٠- ٥٤٧ق.م)، تلميذ طاليس، ويعتبر من أوائل من قال بنظرية التطور قال: "إن الدنيا في أول صورة لها كانت في حالة الميوعة، ولكن الحرارة الخارجية جففت بعضها فكان أرضًا، وبخرت بعضها فكان سحابًا؛ وإن اختلاف الحرارة في جَوّها الذي تكوّن بهذه الطريقة قد نشأت عنه حركة الرياح. ونشأت الكائنات الحية بمراحل تدريجية من الرطوبة الأولى؛ وكانت الحيوانات الأرضية في بادئ الأمر سمكًا، ولم تتشكل بأشكالها الحالية إلا بعد أن جفت الأرض. وقد كان الإنسان هو الآخر سمكة". قصة الحضارة (٦/ ٢٥٤)، وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٢٧).

(٣) وتحتوي اللانهائية الأزلية على جميع الأضداد الحر والبرد والرطوبة والجفاف والسيولة والصلابة والغازية. قصة الحضارة (٦/٢٥٣).

أن نقل شذرات من أقوال انكسيمندريس في أن المادة الأولى هي اللانهائي الأبيرون apeiron- هو اختلاف المترجمين والمفسرين في هذه اللفظة أهي لا محدودة، أم لانهائية، أم لا متعينة؟[١].

ثم قال: "وإذا رجعنا إلى القدماء رأينا أرسطو يفسر مذهب انكسمندريس تفسيرًا ماديًا... يقول أرسطو في كتاب الطبيعة منتقدًا لمذهب انكسمندريس بعد عرضه: "وأيضًا فلا يمكن وجود مادة واحدة بسيطة لا نهائية، لا كما يذهب البعض من أنها إحدى العناصر تخرج هذه عنها أو تستمد منها؛ لأن هناك مَن يذهب إلى وجود مادة متميزة عن العناصر هي اللانهائي، ليست ماء ولا هواء؛ حتى لا تفسد الأشياء بما فيها من لا نهائية. والعناصر متضادة، الهواء بارد، الماء رطب، النار حارة؛ ولذلك يقولون إن اللانهائي شيء مختلف عن العناصر، وإن العناصر تنشأ عنها"[٢].

والذي يعنيه أرسطو أنه لا يمكن أن يكون العنصر الأوَّلي ماء أو هواء مما نعرف؛ لأنه لو كان بين هذه العناصر عنصر أولي لاكتسح العناصر الأخرى؛ لأن بعضها يعارض بعضًا، فلا بد أن يكون العنصر محايدًا في هذا الصراع الكوني[٣].

وحكى عنه الشهرستاني أنَّه قال: "إن أصل الأشياء **جسم واحد** موضوع الكل، لا نهاية له ... ومنه تخرج جميع الأجسام، والقوة الجسمانية، والأنواع، والأصناف".

ولم يبين ماهية الجسم أهو من العناصر أم خارج عنها؟ قال: ومنه تخرج جميع الأجسام، والقوة الجسمانية، والأنواع، والأصناف.[٤].

---

(١) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط (٥٨)، وتاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة القديمة)، برتراند راسل (٦٤).

(٢) الطبيعة لأرسطو (٢١، ٣٤، ٢٢٩)، وانظر فجر الفلسفة اليونانية (٥٩).

(٣) انظر تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة القديمة) برتراند راسل (٦٥).

(٤) الملل والنحل (٢/٦٤)، وذكر الأهواني والنشار أن الشهرستاني مزج بين مذهب انكسيمندريس وبين مذهب أنكساغورس، فنظرية أنكساغورس في العقل، وانظر فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط (٥٨)، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/١١٩).

وقال الشهرستاني أيضًا: "**وهو أول من قال بالكُمُون والظهور**؛ حيث قدر الأشياء كلها كامنة في الجسم الأول، وإنما الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعًا وصنفًا ومقدارًا وشكلاً وتكاثفًا وتخلخلاً، كما تظهر السنبلة من الحبة الواحدة، والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة، والإنسان الكامل الصورة من النطفة المهينة، والطير من البيض، فكل ذلك ظهور عن كُمُون، وفعل عن قوة، وصورة عن استعداد مادة. وإنما الإبداع واحد، ولم يكن بشيء آخر سوى ذلك الجسم الأول"[١]. وممن فسرها تفسيرًا ماديًا يوسف كرم[٢]، وعبد الرحمن بدوي[٣].

وذهب آخرون إلى أن أرسطو يفسر مذهب انكسمندريس تفسيرًا كليًا عقليًا عندما وصف الأبيرون بأنه "إلهي وخالد ولا يفسد"[٤] وهذه صفات للآلهة عند اليونان[٥].

وقد حاول الشهرزوري أن يضفي على اللامتناهي عند انكسيمندريس صفات الألوهية فقال: "انكسيمندريس الملطي وكان رأيه أن أول الموجودات - المخلوقة للبارئ- الذي لا نهاية له، ومنه كان الكون، وإليه ينتهي الكل"[٦]، وما أبعد هذا عن فيلسوف مادي لم يسم اللامتناهي الله في فلسفته، بل قصارى ما حاول فعله عدم حصر مبدأ الوجود على عنصر معين من عناصر الطبيعة، فأحدث نظرية الأبيرون أو اللامتناهي[٧].

---

(١) الملل والنحل (٦٥/٢).

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٢٨).

(٣) موسوعة الفلاسفة، عبد الرحمن بدوي (٢٧٧/١، ٢٧٩).

(٤) الطبيعة لأرسطو (٢٠٥، ٢١٢)، وانظر فجر الفلسفة اليونانية ص٦٠، وانظر فلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٦٣).

(٥) فجر الفلسفة اليونانية (٦٠)، وانظر كتاب دروس في الفلسفة، ابراهيم مدكور ويوسف كرم (٤٧) هامش، فقد أفاض في ذكر براهين من يفسر مذهب انكسمندريس تفسيرًا كليًا عقليًا والرد على من فسره تفسيرًا ماديًا.

(٦) نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة للشهرزوري (١٨).

(٧) الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات دراسة نقدية (٩٠).

ومما تقدم يتبين أن انكسيمندريس كان يرجع كل شيء إمّا إلى كلي عقلي وإمَّا إلى مادة مبهمة ليس لها خصائص وصفات، مع كونها مادة لا تفنى ولا ستحدث من العدم، جوهرها ثابت والصورة متغيرة بسبب **اجتماع و انفصال المادة**، وعنها نشأت الكائنات جميعها.

ومن أقطابها أيضًا: انكسيمانس[1] الذي تبع طاليس في مبدأ الأصل الواحد للوجود، لكنَّه غير مقتنع بأنَّه الماء، فذهب إلى أنَّ المادة الأولى واحدة لا متناهية تكونت منها الأشياء؛ لكنه لم يقل إنها لا معينة كانكسيمندريس، بل هي عنده معينة، وقال هي الهواء؛ لأنَّ الهواء فيه خصائص مناسبة، فالهواء نفس العالم وعلة وحدته، والموجودات تحدث منه **بالتكاثف والتخلخل**، فالمادة قديمة حية **متحركة بذاتها**، تتحول إلى صور الوجود المختلفة بقانون ثابت[2].

فالروح عنده هواء، والنار هواء مخلخل؛ وإذا ما تكثف الهواء انقلب بادئ الأمر ماء، ثم إذا مضيت في تكثيفه انقلب ترابًا، وبعدئذ يكون صخرًا؛ فالفارق بين العناصر المختلفة في الكمية التي تعتمد على درجة التكثف[3].

وذهب الشهرزوري إلى أن الهواء عند انكسيمانس هو أول الموجودات المخلوقة للبارئ قال: "انكسيمانس الملطي، وكان يرى أن أول الموجودات - المخلوقة للبارئ- الهواء، ومنه كان الكل، وإليه ينحل مثل النفس التي فينا، فإن الهواء الذي يحفظه فينا، والروح والهواء يمسكان العالم"[4]. وذكر الشهرستاني كلامًا قريبًا من هذا[5].

---

(١) انكسيمانس: فيلسوف يوناني (٥٨٨- ٥٢٤ق.م)، وهو الرجل الثالث في المدرسة الأيونية تلميذ انكساغورس، وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٣٠).

(٢) الطبيعة لأرسطو (١/٥، ٣٣، ٣٤، ٤٣)، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١٢٣)، والملل والنحل (٢/٦٧)، وفلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٦٥)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٣٠)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (١/٤٩٦)، وفلسفة وحدة الوجود، حسن الفاتح (١٥، ٢٦).

(٣) انظر تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة القديمة) برتراند راسل (٦٦).

(٤) نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة للشهرزوري (١٩).

(٥) الملل والنحل (٢/٦٧).

قال النشار معقبًا على كلامهما: "وما أبعد هذا الكلام عن فيلسوف طبيعي من فلاسفة أيونا ينادي بأحادية المادة، ولا يخرج تفكيره عن تفسير مادي للوجود"[(١)].

وأمَّا هرقليطس[(٢)] فيرى أن النار هي المبدأ الأول الذي تصدر عنه الأشياء وترجع إليه.

ويبقى أن نُبين مراده بالنار؛ هل هي هذه النار المشهودة المحسوسة، أم هي نار أخرى يُعبر عنها بعض الباحثين بالإلهية؛ أي أن النار هي الإله المؤثر في الكون؟

فإن كان مراده الأول؛ أي أنها النار المشهودة المحسوسة فمذهبه امتداد للمدرسة الأيونية، وهذا ما نسبه إليه أرسطو[(٣)]، غير أنه يخالف المدرسة الأيونية في جهة التغيّر؛ حيثُ يرى أنه حاصل في الكيف لا في الكم، أي المادة تتغير باستمرار مع بقاء الصورة، وهم - أي المدرسة الأيونية- متفقون على أن المبدأ الأول لا يتغير من ناحية الكيف؛ أي الجوهر ثابت، وأن التغيّر يتم بالكم؛ أي في الصورة عن طريق الامتداد أو التقلص أو التخلخل أو التكاثف كما سبق[(٤)].

وإن كان مراده الثاني؛ وهو أنها نار إلهية فهو مدرسة مستقلة غير المدرسة الأيونية، وهي التي تُسمى عند كثير من الباحثين مدرسة التَغَيُّر، وهرقليطس أيضًا لم يتميز في مداركه بالتقرير النظري العلمي للأشياء كما تميز بذلك أهل ملطية من أصحاب المدرسة الأيونية، بل يميل أكثر إلى النظرة الصوفية الإلهامية الوجدانية[(٥)].

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١٢٢/١).

(٢) هرقليطس: فيلسوف يوناني نشأ بمدينة أفيسوس(٥٣٥- ٤٧٥ق.م)،ويُسمى الغامض أو المظلم لصعوبة أسلوبه في الكتابة، وأُختلف فيه هل يعتبر امتدادًا للمدرسة الأيونية؟ أم مدرسة مستقلة كما سيأتي، وانظر قصة الفلسفة لزكي نجيب (٥٣).

(٣) الطبيعة لأرسطو (٨/١، ١٤، ٢٣٠)، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١٣٦/١).

(٤) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط (١١٤)، وموسوعة الفلاسفة لعبد الرحمن بدوي (٥٣٥/٢)، وفلسفة وحدة الوجود لنظلة الجبوري (٦٨)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٩٧/١).

(٥) انظر تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة القديمة) برتراند راسل (٨٧)، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١٣٩/١).

ورغم هذا التنوع في أقواله أو في تفسيرها فإن أكثر من تكلم عنه لم يَعُدها مبررًا لتصنفيه في مذهب جديد ومستقل غير مذهب الأيونية[(١)].

قال يوسف كرم: "قلنا إنه يرى في النار المبدأ الأول الذي تصدر عنه الأشياء وترجع إليه، لا النار التي ندركها بالحواس، بل نار إلهية لطيفة جدًا أثيرية، نسمة حارة حية **عاقلة أزلية تملأ العالم**، يعتريها وهن فتصير نارًا محسوسة، ويتكاثف بعض النار فيصير بحرًا، ويتكاثف بعض البحر فيصير أرضًا.. مع بقاء كمية المادة الأولى أو النار واحدة"[(٢)].

يعني التغيُّر في الكيف (الجوهر) لا في الكم(الصورة)؛ أي أن النار جوهرها متغير باستمرار، مع بقاء كمية النار الأولى واحدة، ثم ينقل يوسف كرم عن هرقليطس قانونه الكلي للكون الذي يسميه باللوغوس[(٣)]، الذي يدل على أنَّ الأشياء جمعها واحدة، ونص القانون: "العالم لم يصنعه أحد من الآلهة أو البشر، ولكنه كان أبدًا،

---

(١) يوسف كرم مع تقريره أن النار ليست محسوسة إلَّا أنه يُدخل هرقليطس ضمن فلاسفة اليونان الطبيعيين؛ لاجتماعه معهم في فكرة المبدأ الواحد الذي تكونت منه الموجودات وله القدرة على التأثير وبهذا انضم إلى قائمة الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود، وإن كان قد خالفهم في التغيُّر الدائم من ناحية الكيف باستمرار، وهم متفقون أن المبدأ الأول لا يتغير من ناحية الكيف، وأن التغيُّر يتم بالكم عن طريق الامتداد أو التقلص أو التخلخل أو التكاثف، وانظر فلسفة وحدة الوجود لنظلة الجبوري (٦٦،٦٧)، وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم (٣٠)، والاتجاهات الفلسفية اليونانية (١٠٢).

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم (٣٣).

(٣) اللوغوس أو الكلمة أو العقل الكلي أو الإله أو الحقيقة الأزلية، والتي عرفها هرقليطس من الإلهام بزعمه، وأخذتها منه المدرسة الرواقية واعتبرت أنَّ الإله منبث في دقائق العالم ومجمل الوجود، انتقلت فكرة النار عند هرقليطس إلى المسيحية عن طريق الرواقية، وصارت الكلمة أو عقل الطبيعة في اللاهوت المسيحي هي الكلمة الإلهية، أو الحكمة المجسدة التي يخلق الله بها الأشياء كلها ويحكمها. انظر قصة الحضارة (٦/ ٢٦٩)، وفلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٧٩، ١٣٠)، وجاء في موسوعة الفلاسفة، لعبد الرحمن بدوي (٢/٥٣٦)"اللوغوس: هو القانون العام الذي يسير عليه الوجود في تغيره من ضد إلى ضد. وهو الشيء الوحيد الثابت في هذا الوجود الدائم السيلان، وهو الله، وهو النار".

وهو كائن، وسيكون نارًا حية، تستعر بمقدار، وتنطفئ بمقدار"[1]. فكل الكائنات ما هي إلَّا تحولات دائمة مستمرة ومرحلية للنار المقدسة، فالعالم قديم لم يخلقه إله. فقد كان منذ الأبد، وسيظل إلى الأزل، وهو النار[2].

وجاء في الموسوعة الفلسفية العربية: "ولا يقصد هيرقلطس بالنار، تلك المشهودة الحسّية؛ لأن هذه النار المحسوسة إحدى تحولاتها، أمَّا نار هيرقلطس الواحدة الظاهرة في التحولات المحسوسة، فهي رمز للكون وهو جريان بين اضداد التوتر. إنها لطيفة عاقلة إلهية، وهي مستمرة أزلية أبدية. وهذه النار الإلهية تضعف فتصبح محسوسة، ثم تتكاثف بحرًا، ويتكاثف البحر أرضًا، ترتفع أبخرة، تتراكم سحبًا، تلتهب نارًا، وهكذا في حركة أزلية أبدية. وينتج عن ذلك أن كينونة العالم؛ هي صيرورة دائمة"[3].

وجاء في قصة الحضارة: "وأكبر الظن أنه كان يستعمل هذا اللفظ[النار] استعمالاً رمزيًا وحرفيًا معًا، ويقصد به الطاقة كما يقصد به النار نفسها، كما نستدل على هذا من جمعه بين النار والنفس والله في معنى واحد.. **والنفس أو المبدأ الحيوي في الإنسان جزء من الطاقة الخالدة في الأشياء جميعها**؛ وهي بهذا الوصف لا تموت أبدًا، والموت والميلاد نقطتان حددهما العقل البشري"[4].

وهنا يظهر ارتباط الفلسفة اليونانية بالطاقة الكونية، وأنها هي المؤثرة في الكون، سواء سُميت نفوسًا أو طاقة، كما سيأتي.

---

(١) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط (١٠٥) شذرة رقم (٢٠-٣٠)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٣٣، ٣٤)، وفلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٦٨).

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية (١٥٢٥/٣).

(٣) الموسوعة الفلسفية العربية (١٥٢٨/٣).

(٤) قصة الحضارة (٢٦٤/٦).

وقال الشهرستاني: "إن هيرقليطس زعم أن الأشياء إنما انتظمت بالبخت[(١)]، وجوهر البخت هو نطق عقلي ينفذ في الجوهر الكلي"[(٢)].

قال النشار معلقًا على كلام الشهرستاني السابق: "والجزء الأول من العبارة هو ترجمة دقيقة لقول هيرقليطس: "إنَّه لا شيء يأتي عن نظام، وإنما أتى الوجود عن صدفة"، والثاني هو اللوغوس المشهور"[(٣)].

ومن أقوال هرقليطس: "إن الشيء غير موجود، ولا يمكن أن يوجد، لأنك لا تنزل مجرى النهر مرتين بشكل واحد؛ لأنَّ مياهًا جديدة باستمرار"، ويقصد أنَّ الماء عند الخطوة الثانية غيره عند الأولى، ويقول أيضًا: "إنك تكون ولا تكون" ويقصد كل شيء موجود وغير موجود في نفس الوقت؛ موجود في صورته الظاهرة وغير موجود بمادته لأنَّها دائمة التغير، فهو فيلسوف الصيرورة المتغيرة على الدوام؛ فكل شيء في حالة صيرورة كبرى[(٤)].

وقوله بوحدة الوجود يناقض قوله بالتغيير الدائم المستمر؛ لأنَّ القول بوحدة الوجود يقتضي أن شيئًا واحدًا هو الموجود أزلاً أبدًا، وأن ما عداه مظاهر وظواهر، وقوله بالتغيير الدائم المستمر يعني أن كل موجود جزئي فهو كذا وليس كذا في آن واحد، فلا يبقى ولو جزء من الثانية؛ وعلى هذا فالكون عنده ليس على صورة واحدة، بل في تغيُّر وتحول دائم، فكل لحظة تباين اللحظة التي سبقتها، كما تخالف التي تليها، دون

---

(١) البخت والاتفاق عبارة عن وقوع أمر ما لا عن قصد ولا عن فاعل، وانظر المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين (١١٨).

(٢) الملل والنحل (٢/٩٢).

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/١٣٧).

(٤) انظر فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط (١٤١)، تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة القديمة)، برتراند راسل (٩٢).

وقد رد أرسطو على أدلة هرقليطس السابقة، انظر تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم (٢٤١).

أن تدوم على حال لحظة واحدة[١].

قال الأهواني: "هرقليطس يجد الوحدة في الأضداد نفسها، فهي كثيرة وواحدة في آن واحد"[٢]؛ لأن الأضداد عنده كلها مراحل في حركة متقلبة، ولحظات في النار الدائمة التغير، فكل فرد في الزوجين المتضادين لا غنى عنه لمعنى الآخر ووجوده، ومن أقواله في وحدة الأضداد، واعتماد المتناقضات بعضها على بعض: "الإله هو الليل والنهار، والشتاء والصيف، والحرب والسلم، والتخمة والجوع" "والخيّر والشرير واحد، وكذلك الخير والشر" "والحياة والموت شيء واحد، كذلك اليقظة والنوم، والشباب والشيخوخة"[٣].

---

(١) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط (١٠٥، ١٢٠)، وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم (٣٣، ٣٤)، وفلسفة وحدة الوجود لنظلة الجبوري (٦٨)، وقصة الفلسفة لزكي نجيب محفوظ (٥٦).

(٢) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط(١٢٠، ١٢٢).

(٣) قصة الحضارة (٦/٢٦٥).

ثانيًا: المدرسة الإيلية:

ويمثلها الفلاسفة الذين وُجِدوا في مدينة (إيليا) بإيطاليا التي كانت مستعمرة يونانية، وتتفق مع المدرسة الأيونية في نشأة الكون وأن العالم موجود واحد وطبيعته واحدة، ولكنها حولت مسار البحث إلى ما وراء هذا العالم الطبيعي (الميتافيزيقيا)؛ أي البحث في الفكر والوجود نفسه، لا في أصل العالم فحسب، وتعتمد على العقل في إدراك الواقع لتؤسس جذور المدرسة العقلية المثالية.

ومن آرائهم أن العالم واحد ساكن، وينكرون الكثرة والحركة؛ فلا تغيُّر عندهم في الكيف ولا في الكم، بخلاف الأيونية فقد سبق أنهم يفرضون موجودًا واحدًا - ماء أو هواء أو نارًا- ويستخرجون منه كثرة الأشياء بالحركة والتغيُّر العرضي (اجتماع وانفصال، أو تكاثف وتخلخل)(١).

ومن أقطاب المدرسة الإيلية أكسانوفان(٢)، واضع أصل هذه المدرسة في الوجود(٣)، نقل عنه أرسطو أنه نظر إلى مجموع العالم وقال: "**إن الأشياء جمعيًا**

---

(١) الطبيعة لأرسطو (٥/١، ٣٣، ٣٤، ٤٣)، وكتاب "ما بعد الطبيعة" لأرسطو(م١ف٥ص٩٨٦) أي المقالة الأولى، الفقرة الخامسة ص٩٨٦ النسخة الانجليزية ترجمة إمام عبد الفتاح ص (٢٧٠)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٤٧)، وفلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٦٩).

(٢) أكسانوفان: فيلسوف يوناني ولد سنة (٥٧٠ق.م)، بقولوفون من أعمال أيونية، ويُرجح أن غزوة الفرس لبلاده هي التي حملته على مغادرتها، حتى استقر بإيليا، كان شاعرًا ساخرًا، وكان يرى أن الناس هم الذين استحدثوا الآلهة، وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم (٤٧،٤٨).

(٣) اختلف الباحثون قديمًا وحديثًا في مؤسس المدرسة الإيلية هل هو أكسانوفان أم بارمنيدس؟ قرر يوسف كرم في كتابه تاريخ الفلسفة اليونانية (٤٧)، أن المؤسس الحقيقي للمدرسة هو أكسانوفان، وأمَّا الأهواني فيقرر أن أكسانوفان لا يعدو أن يكون من جملة الأحرار الذين هاجروا عن أيونية حين شعروا بضغط المستعمرين الفرس عليها.. كما قرر عدم تتلمذ بارمنيدس عليه، وأن بارمنيدس هو المؤسس للمدرسة، وانظر فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط (٩٣، ١٢٧، ١٤١)، وذهب آخرون إلى أن أكسانوفان واضع أصل المدرسة في الوجود وبارمنيدس هو المؤسس الحقيقي للمدرسة والذي اكتمل به المذهب في صورته الكاملة وفي هذا يقرر أرسطو أن أكسانوفان هو الأول من أصحاب
==

عالم واحد، ودعا هذا العالم الإله" ثم ذكر أرسطو أنه لم يبين إن كان عنده واحدًا من حيث الصورة أو من حيث المادة[(١)].

وعلق يوسف كرم قائلاً: "فكأنه كان حلوليًا، أو كأنه أخذ وحدة الوجود عن فلاسفة وطنه أيونية، وتصور الوجود تصورًا روحيًا"[(٢)].

وقال زكي نجيب: "لم يعتقد أكسانوفان أن العالم شيء والإله شيء آخر، يحكمه وهو منفصل عنه كما يحكم القائد جنوده، بل الإله والعالم حقيقة واحدة؛ وإذن فقد كان مذهبه أقرب شيء إلى الحلول"[(٣)]. يقصد وحدة الوجود، فلم يميز بين الإله والطبيعة، فتحدّث عن الإله حديثه عن الطبيعة، وتحدّث عن الطبيعة حديثه عن الإله[(٤)].

ثم أتى بعده برمنيدس[(٥)]، وهو المؤسس الحقيقي للمدرسة، والذي اكتمل به

==

المدرسة الإيلية الذي قال بالوحدة ثم قال: "ويقال إن بارمنيدس تتلمذ عليه". ما بعد الطبيعة لأرسطو المقالة لأولى، الفقرة الخامسة ص٩٨٦ النسخة الإنجليزية، ترجمة إمام عبد الفتاح ص (٢٧٠) ضمن كتاب الميتافيزيقا مع ترجمة للكتب الخمس الأولى من ميتافيزيقا أرسطو.

ويقال: إن أكسانوفان أول من فسر وحدة الوجود بمعنى الإله، وبارميندس تمم هذه الفكرة فأضفى على الوجود صفات الإلهية، بخلاف مفهوم وحدة الوجود عند المدرسة الأيونية التي تجعله الماء أو المطلق أو الهواء وتجعل فيها قوة باطنة مؤثرة. انظر الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات (٦٨، ١٨٠، ١٨٦)، وموسوعة الفلاسفة، لعبدالرحمن بدوي (٢٦٨/١).

(١) ما بعد الطبيعة لأرسطو م١ف٥ص٩٨٦، ترجمة يوسف كرم في تاريخ الفلسفة اليونانية (٤٨)، وقريبًا منها ترجمة إمام عبد الفتاح ص (٢٧٠)، وفلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٦٩).

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٤٨).

(٣) قصة الفلسفة اليونانية لزكي نجيب محفوظ (٤٠)، وقصة الحضارة (٦/ ٣٠٤).

(٤) تاريخ الفلسفة اليونانية، محمد مرحبا (٨٣)، الصوفية وحدة الوجود الخفية (٧٦).

(٥) فيلسوف يوناني ولد سنة (٥٤٠ق.م) بمدينة إيليا، يقال إنه تتلمذ على أكسانوفان، وضع كتابه "في الطبيعة" شعرًا، فكان أول من نظم الشعر في الفلسفة، وسار برمنيدس إلى الفلسفة المثالية التي كان لها أكبر الأثر في تشكيل تفكير أفلاطون والأفلاطونيين طوال العصر القديم، وتفكير أوربا الذي دام إلى يومنا هذا. قصة الحضارة (٦/ ٣٠٤)، وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٤٩).

المذهب في صورته النهائية، وصاغه بشكل منسق، ومن المُحَقق تأثره بأكسانوفان؛ فقد آمن بوحدة الوجود، وجوهر واحد هو الوجود وما عداه وهم.

قال أرسطو: "ويبدو أن بارمنيدس تشبث بالقول بأن الكون واحد في شكله أو صيغته"[(١)].

ويمكن تلخيص فلسفته في خمس قواعد:

القاعدة الأولى: الوجود موجود حقيقة، ولا يمكن ألا يكون موجودًا؛ أي واجب الوجود، ولعله يريد بذلك الرد على فيلسوف الصيرورة المتغيرة على الدوام هرقليطس، الذي يقول إن كل شيء يتغير؛ لأن برمنيدس يقول إن الأشياء بأجمعها كلٌ واحدٌ أبدًا، وأنكر الحركة والتغير[(٢)].

لكن هل الواحد عنده مادي، أم مثالي، أم مجموعهما؟

جاء في قصة الحضارة: "أمَّا بارمنيدس فيقول: إن الأشياء بأجمعها كل واحد أبدًا، **وهو في بعض الأحيان** يقول كما يقول أكسانوفان: **إن هذا الواحد هو الكون**، ويصفه بأنه شبه كرى ومحدود، **وفي بعض الأحيان** - حين ينظر إليه نظرة فكرية مجردة- يرى أن هذا الكائن هو الفكر ويقول: **"إن الفكر والكون شيء واحد"**، وكأنه يريد بهذا أن يفهمنا أن الأشياء لا وجود لها في إدراكنا[(٣)]، وأن البداية والنهاية، والمولد والموت، والتكوين والتدمير، لا تصيب إلا الأشكال والصور، أما الواحد الحق فلا بداية

---

(١) ما بعد الطبيعة لأرسطو م١ف٥ص٩٨٦، ترجمة إمام عبد الفتاح ص (٢٧٠). فهل يريد برمنيدس أن عالم الظاهر غير موجود فعليًا بمعنى من يسافر من الرياض إلى مكة لم يتحرك، وأن الشجرة هي الإنسان وهكذا؟ أم يقصد أن الوجود الحقيقي هو الوجود العقلي الكلي مع عدم أنكار العالم الظاهر الذي تدركه الحواس والتشكل فيه؟ عبارته محتملة الأمرين. وانظر: مدخل إلى الميتافيزيقا لإمام عبد الفتاح (٩٥).

(٢) قصة الحضارة (١٩٧/٦، ٢٠٠).

(٣) الإشكال القائم عند برمنيدس وغيره هو عدم التمييز بين ما هو قائم في الأذهان وما هو قائم في الأعيان.

له ولا نهاية، وليس ثمة صيرورة، وليس ثمة إلا وجود، وأن الحركة أيضًا غير حقيقية؛ لأنها تفترض انتقال شيء من المكان الذي هو فيه إلى مكان لا يوجد فيه شيء؛ أي إلى الفراغ، ولكن الفراغ الذي هو غير كائن لا يمكن أن يكون، إذ ليس ثمة فراغ قط؛ لأن الواحد يملأ كل ركن وكل شق في العالم، وهو ساكن سكونًا سرمديًا؛ أي الوحدة التي لا تتبدل حقيقة في عالم الأفكار"(١).

القاعدة الثانية: اللاوجود غير موجود أي المعدوم ليس بشيء.

القاعدة الثالثة: الوجود لا يمكن أن يتحول إلى اللاوجود، أي: لا يمكن أن يفنى؛ لأنه كما سبق ينكر الحركة والتغير.

القاعدة الرابعة: اللاوجود لا يمكن أن يتحول إلى الوجود، أي: لا خلق من عدم على الإطلاق.

القاعدة الخامسة: الوجود واللاوجود لا يجتمعان؛ لأنهما نقيضان.

والنتيجة: لا وجود إلَّا للوجود، وما عداه خداع باطل، ووصف الوجود بالوحدة والثبوت وعدم التغير، يقول برمنيدس: "إن الصيرورة والحركة والتغيُّر والنمو هي أشياء غير حقيقة"(٢).

فالوجود والكون هما وحدة واحدة عنده؛ فألغى نشأة الكون أو ميلاده، وألغى نموه وحركته وتعدده، كما ألغى ظواهر الحياة والموت، فالكثرة والتغيُّر الحادث في العالم ما هما إلَّا وهمٌ وظنٌّ؛ لأنهما نتيجة الحواس، فلا وجود إلَّا للكل، والكل واحد(٣).

ونقل عنه أرسطو قوله: "إن الأشياء واحد في العقل كثير في الحس"(٤).

---

(١) قصة الحضارة (١٩٧/٦).

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية (١٥٢٥/٣).

(٣) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط (١٣١، ١٣٩، ١٤٣)، وفلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٧٢)، وموسوعة الفلاسفة، لعبد الرحمن بدوي (٢٧٠/١)، تاريخ الفلسفة اليونانية، محمد مرحبا (٩٢).

(٤) ما بعد الطبيعة لأرسطو م١ف٥ص٩٨٦، ترجمة يوسف كرم في تاريخ الفلسفة اليونانية (٥٠)، وقريبًا
==

وهذا تناقض؛ لأنه أنكر كثرة الأشياء بالعقل، واعتبرها صورًا زائفة باطلة توهمنا بها الحواس، ثم أثبتها بالحواس، فهل يصح أن يقال: كثرة الأشياء غير ثابتة من جهة العقل ولكنها ثابتة بالحس!

قال أرسطو: "أمَّا بارمنيدس فيبدوا أنه يتكلم ببصيرة أكثر منهما[1]؛ لأنه ادَّعى أنه إلى جانب الموجود فلا يوجد شيء اسمه اللاموجود. واعتقد أن الموجود هو بالضرورة واحد. ولا شيء يوجد سواه.. **لكنه اضطر إلى متابعة الظواهر مفترضًا أن ما هو موجود هو واحد من حيث الشكل، لكنه كثير طبقًا للإدراك، فإنه الآن يضع علتين ومبدأين**"[2].

وجاء بعده زينون الإيلي تلميذ برمنيدس فآمن بوحدة الوجود، ولم تكن له فلسفة خاصة، واكتفى بإقامة الأدلة على مذهب أستاذه والدفاع عنه بإبطال أدلة المخالفين باستحالة التعدد والحركة[3].

==

منها ترجمة إمام عبد الفتاح ص(٢٧٠)، وقد اختُلف في مصدر المعرفة عند بارميندس، وهل الوجود عنده حسي أم عقلي أم مجموعهما؟ قال د. عبدالرحمن بدوي: "وخلاصة ما نقوله نحن أن الوجود عند بارميندس ليس هو الوجود الحسي، كما أنه ليس الوجود المنطقي الصِرف، بل هو وجود حاول صاحبه أن يرتفع به عن الوجود الحسي؛ لكنه درجة التجريد، فيما يتصل بالوجود، لم تكن كافية لكي تجعل هذا الوجود وجودًا لا حسيًا أو وجودًا منطقيًا"، موسوعة الفلاسفة (٣٧١/١).

(١) يقصد أكسانوفان ومليسس؛ لأنه وصفهما "بالسذاجة التي لا حد لها" وأنه ينبغي "إهمالهما أو التغاضي عنهما" في المناقشة. ما بعد الطبيعة لأرسطو م١ف٥ص٩٨٦، ترجمة إمام عبدالفتاح ص(٢٧٠).

(٢) المصدر السابق، وقد رد أرسطو على برمنيدس في مواطن عدة من كتبه انظر الطبيعة لأرسطو، الفصل الثالث: نقض حجج الإيليين "برمنيدس"، ترجمة إسحاق بن حنين (١٧، ٩، ٨، ٥-٣٣).

(٣) انظر قصة الحضارة (١٩٨/٧)، والصوفية وحدة الوجود الخفية (٧٦)، والمذاهب اليونانية الفلسفية لدافيد سانتلانا(٨٢)، ومدخل إلى الميتافيزيقا لإمام عبدالفتاح (٩٥).

ثالثا: المدرسة الرواقية:

والرواقية مذهب فلسفي وضع أصوله زينون الرواقي[(١)]، في أثينا باليونان، وهي فلسفة أخلاقية مادية في كل شيء، والمعرفة عندهم ترجع إلى الحس، ومذهبهم القول بوحدة الوجود؛ أي ليس هناك إلا جوهر واحد، هو مادة من أحد وجهيه، وقوة فاعلة (عقل) من الوجه الآخر، لا يمتاز أحدهما عن الآخر[(٢)]، وتابعوا هرقليطس في تأصيل العالم من النار الحية، وأنها هي التي تربط أجزاء العالم وتجعله واحدًا متماسكًا، مقررين أن النار أو الإله أو زيوس - حسب تعبيرهم- هي الأصل والأساس لكل شيء، واعتبروا أنَّ الإله في صورة النار منبث في دقائق العالم ومجمل الوجود، والعالم هو جسم الإله الظاهر في الوجود بكل ما يحويه من موجودات وأشياء، جاء في قصة الحضارة: "والله عندهم كالإنسان، مادة حية؛ فالعلم[(٣)] كله جسمه، ونظام العالم وقانونه عقله وإرادته؛ والكون كائن حي ضخم، الله روحه، ونسمته المنعشة، وعقله المخصب، وناره المحركة المنشطة.

وترى الرواقيين أحيانًا يفكرون في الله تفكيرًا مجردًا غير مجسد؛ ولكنهم يصورونه في الأكثر الأهم على أنه قوة مدبرة، تضع للكون خطته وترشده بعقلها الأعلى، وتنظم أجزاءه كلها؛ لتؤدي أغراضًا تنطبق على العقل"[(٤)].

---

(١) زينون الرواقي ولد بقبرص (٣٣٦-٢٦٤ق.م)، وقدم أثينا عام ٣١٢ق.م، وأنشأ مدرسته في مكان يطلقون عليه الرواق، فسُمّي أصحابه بالرواقية، وأطلق علهم الإسلاميون اسم (أصحاب المظلة والروحانيين)، وتسربت كثير من آرائها إلى الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام وديكارت وكانت في الأخلاق واسبيونزا حتى قيل عن مذهبه "رواقي في ثوب ديكارتي"، تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٣١٧)، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة (٧٧)، وقصة الحضارة (٨/ ١٦٦).

(٢) قصة الحضارة (١٩٨/٧).

(٣) لعلها: العالم.

(٤) المرجع السابق (١٨٢/٨).

وهكذا تتجلى وحدة الوجود عند الرواقية في إقرارهم بأن الإله هو النار الإلهية، وأنه منبث في الطبيعة، فالإله جوهر العالم وحقيقته، والعالم بمجموعه وكليته إلهي؛ وعلى هذا فالإله والعالم أو الطبيعة اسمان لحقيقة واحدة، أو شيء واحد [1]، كما تتجلى في قولهم بوجود نفس عامة للعالم تدبره، ونفوس خاصة كنفوس الأفلاك والبشر التي هي أجزاء منها، ويتولى كل جزء منها وظيفته في الجسم الصغير، على نحو ما تفعل النفس العامة في جسم الكون الكبير [2].

ومن ثم يمكن القول بأن كلمة الإله عند الرو اقيين تأتي لمعنيين:

الأول: معنى عام مرادف لكلمة الكون كله؛ فالعالم هو الإله؛ وعلى هذا المعنى يظهر قولهم بوحدة الوجود المادية.

والثاني: معنى خاص بمعنى الروح المدبرة في جسم الكون؛ وعلى هذا تكون حلولية، ترى أن الروح الإلهي حالّ في كل جزئية من جزئيات جسم الكون، فعلى هذا المعنى يظهر قولهم بوحدة الوجود الروحية.

لذلك اختلف الباحثون في تصنيف وحدة الوجود عند المدرسة الرواقية أهي مادية، أم روحية؟

يقول د.محمد غلاب: "وإذا دققنا النظر اتضح لنا أن هذه المدرسة ليس لها إلا مذهب واحد، تفرع الثاني عنه ضرورة؛ لأن الأصل هو وحدة الوجود[المادية]؛ إذ لم يكن إلا الروح الإلهي وهو النار، ثم استحال بعضها إلى جسم حلت فيه بقيتها... وإليك رأي الأستاذ سانتلانا قال: "والحاصل من مذهب أهل الرواق القول بوحدة الوجود؛ أي ليس هناك **إلَّا عالم واحد، وجوهر واحد هو عقل، ومادة لا يمتاز أحدهما عن الآخر، قالوا لو**

(١) قصة الحضارة (١٨٣/٨)، وانظر قصة الفلسفة اليونانية لزكي نجيب محفوظ (٣٨٧)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٣١٨)، وفلسفة وحدة الوجود لنظلة الجبوري (٧٨ -٨١) (١٣٠)، وموسوعة الفلاسفة، عبد الرحمن بدوي (٥٣٣/١، ٦٣٥)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٤٧٣/١، ٤٩٩).

(٢) الفلسفة الإغريقية لمحمد غلاب (٣٠٨/٢).

كان العقل مخالفًا للمادة لما أمكن الاتصال بينهما؛ فوجب أن يكونا جوهرًا واحدًا.."[(١)].

وذهب بعض الباحثين إلى أن الرواقيين يقولون بوحدة الوجود الروحية؛ لأنهم يرون أن باطن العالم هو النفس الكلية[(٢)]، وقال زكي نجيب: "على الرغم من مادية الرواقيين فقد قالوا إن الله هو العقل المطلق، وهم بهذا القول لم يعدلوا عن ماديتهم؛ لأنهم فسروه بالنار الإلهية"[(٣)].

وهذا الاختلاف ناتج عن اضطراب المدرسة الرواقية في الجمع بين العقل والمادة، وإمكان كونهما شيئًا واحدًا.

---

(١) المذاهب اليونانية الفلسفية لسانتلانا (٨٢)، وانظر الفلسفة الإغريقية (١١٦٢/٢)، وانظر الموسوعة الفلسفية العربية (١٥٢٥/٣)، ووحدة الأديان (٤٧٤/١، ٤٩٩)، والاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات (١٤٧).

(٢) البهائية لعبد الرحمن الوكيل (١٧٧).

(٣) قصة الفلسفة (٢٨٩).

رابعًا: الأفلاطونية المحدثة:

والأفلاطونية المحدثة مذهب فلسفي مؤسسه الحقيقي أفلوطين(١)؛ لذا سأكتفي به ممثلاً لهذه المدرسة، وفلسفته قائمة على فلسفة أفلاطون، ومذاهب أُخرى مختلفة يونانية وشرقية، ومحاولة الجمع بين الفلسفة والدين(٢).

يعتقد أفلوطين أنَّ العالم لم يوجد بنفسه، بل لا بُد له من علة أو سبب ظهر منه؛ وهو المبدأ الأول، وهو واحد مطلق بسيط لا يحده حد، ولا يوصف بأي صفة ثبوتية كالخلق والإرادة؛ لأنها بزعمه تحد من كماله، فهو أقرب إلى العدم منه إلى الحقيقة.

وإذا كانت فلسفته على هذا النحو فكيف وُجد الكون من الواحد بلا خلق ولا إرادة عند أفلوطين؟

والجواب أنه جاء بنظرية الفيض التي تقول: إن الكون وُجد بفيض من الأول، من غير اختيار منه ولا إرادة؛ بل فيضًا اضطراريًا، كما يصدر الشعاع من الشمس، فالأول فاض عنه العقل الكلي، والعقل الكلي فاضت عنه النفس الكلية التي يصدر عنها المادة والعالم المحسوس.

قال أفلوطين: "كل ما كان بعد الأول فهو من الأول اضطرارًا. إلَّا أنه إمَّا أن يكون منه سواء بلا توسط، وأمَّا أن يكون منه بتوسط أشياء أخر هي بينه وبين الأول"(٣).

---

(١) أفلوطين: فيلسوف رماني، مصري النشأة ولد سنة ٢٠٥ بعد الميلاد درس في الإسكندرية على معلمه (أمونيوس) ورحل في عام (٢٤٣) بصحبة الجيش الرماني لغزو بلاد فارس ثم رحل إلى روما فأقام بها حتى وفاته سنة ٢٧٠م، وقد اختلف مؤرخو الفلسفة هل أفلوطين امتداد وخاتمة للفلسفة اليونانية لمحافظته على الروح اليونانية الوثنية؟ أم من فلاسفة القرون الوسطى لبعد زمانه عن المدرسة اليونانية ولصبغ فلسفته بالإلهام الشرقي؟ وانظر قصة الفلسفة اليونانية لزكي نجيب (٣١٧)، وموسوعة الفلاسفة، عبد الرحمن بدوي (١٩٦/١)، وموقف شيخ الإسلام من أراء الفلاسفة (٩٨).

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٤٣٤، ٣٤٥).

(٣) أفلوطين عند العرب (١٧٨).

وقال أيضًا: "الخير المحض هو الأول الذي يفيض الخير على الأشياء، فيُلبسها الخير مثلما تُلبِس الشمسُ الأجسام نورًا تشرق به. والخير الأول خير محض، لا بإضافة إلى شيء آخر؛ لأنه ليس فوقه شيء آخر، بل الأشياء كلها تحته ومنه تنال الخير... وكلما تباعد الشيء من الهيولى(١) كان الخير فيه أكثر، وكلما دنا من الهيولى كان الخير فيه أقل"(٢).

جاء في المعجم الفلسفي: "والمقصود بالفيض أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم تفيض عن مبدأ أو جوهر واحد"(٣).

وتتجلى وحدة الوجود عند أفلوطين في أنه يرى الوجود كله - ابتداءً من الأول حتى آخر الأشياء- يُكوِّن وحدة تامة؛ بمعنى أن الكثرة في الواحد، فهو يعتقد أن الوجود المحسوس مشتق وصادر عن المبدأ الأول الذي هو مبدأ كل شيء وغاية كل شيء، وما عداه عَرَض وليس بجوهر(٤)، ويُعَبر عن وحدة الوجود مرة أخرى بقوله بوجود نفس كلية للعالم تدبره.

وقد نقل عنه الشهرستاني قوله: "المبدع الحق ليس شيئًا من الأشياء؛ لأن الأشياء منه، وقد صدق الأفاضل الأوائل في قولهم: **مالك الأشياء كلها هو الأشياء كلها**؛ إذ هو علَّة كونها بآنيته فقط وعلة شوقها إليه"(٥).

وهذا تناقض، فكيف هو المالك والمملوك معًا؟ بل هذا إقرار منهم بالثنائية.

---

(١) الهيولى: كلمة يونانية الأصل يراد بها المادة الأولى "كلية ذهنية" وهي كل ما يقبل الصورة. انظر المعجم الفلسفي (٢/٥٣٦).

(٢) أفلوطين عند العرب (١٩٤).

(٣) المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/١٧١).

(٤) انظر أفلوطين عند العرب (١٧٥)، وموسوعة الفلاسفة، عبد الرحمن بدوي (١/٢٠١)، والصوفية وحدة الوجود الخفية (٧٧).

(٥) الملل والنحل (٢/١٣٧).

ونظرية الفيض لم تستطع حل مشكلة الكثرة التي نراها في العالم: هل هي صادرة عن الواحد الذي قرروا أنه لا يصدر عنه إلَّا واحد أم لا؟

فإذا كان الجواب بـ (نعم) فالواحد صدر عنه أكثر من واحد، وهذا ما الجأهم إلى القول بالوسائط بين الواحد والكثرة، فقالوا: بالعقل الكلي، الذي يفيض عنه ثالوث مؤلَّف من عقل ونفس وفلك.

والحق أنه مهما قالوا إن الواحد لا يصدر عنه إلَّا واحد فإنه سينتهي الأمر إلى واحد صدر عنه الكثرة، وعند عكسه ورجوعه إلى ما قبله نصل إلى البداية التي قيل إنه واحد صدر عنه واحد، وإنها ليست كذلك في حقيقة الأمر[(١)].

وغاية الفلسفة عند أفلوطين الإرشاد إلى الطريق الذي به يصل الإنسان إلى إفناء الذات في الوحدة، وإيجاد التجربة الروحية التي يستطيع الإنسان بواسطتها أن يتحد بالواحد، والمزاج المكون لهذه التجربة هو الوجد؛ لأن مصدر المعرفة عنده هو التجربة الذوقية الصوفية والكشف؛ فينبغي للفيلسوف أن يجمع بين المعرفة العقلية والتجربة الصوفية[(٢)].

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية (١/١٨٢)، موسوعة الفلاسفة (١/٢٠١)، وفلسفة وحدة الوجود نظلة الجبوري (٨٤) هامش.

(٢) انظر تاسوعات أفلوطين (٣٣٤، ٣٣٥)، وموسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (١/١٩٦، ٢٠١)، وتاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٣٤٦)، وفلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٨٣).

خامسًا: هل أفلاطون وتلميذه أرسطو من فلاسفة وحدة الوجود؟

ذهب بعض الباحثين إلى أن أفلاطون وتلميذه أرسطو قالا بوحدة الوجود، قال الدكتور سعيد معلوي(١): "ونجد وحدة الوجود عند أفلاطون؛ فكل شيء عنده إله أو إلهي دون فارق كبير ولا تمييز، إلا أنهم على درجات في مقام الألوهية؛ أعلاهم منزلة الخير والجمال المطلق(٢).

وتبع أرسطو شيخه أفلاطون في القول بوحدة الوجود؛ حيث يقول: "فأما أن العالم واحد فظاهر... فالكثرة إنما تكون بحسب الهيولى، **فكثرة هذه إنما هي في العدد، والصورة واحدة**"(٣)، ويقول:" هو العقل وهو العاقل"(٤).

أمَّا قول أرسطو إن الكثرة في العدد والصورة واحدة، فهذا تناقض، وسببه محاولة إثبات وحدة ذهنية عنده في خارج الذهن.

وأمَّا قول أرسطو "هو العقل وهو العاقل"، فهذا أيضًا يحتمل أن مراده وحدة المبدأ الأول عنده؛ فلا يتصف بأي صفة.

---

(١) أ.د سعيد محمد معلوي أستاذ العقيدة والفرق والمذاهب، عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وله العديد من البحوث منها: تحقيق كتاب: "غيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ وعن الصحابة أجمعين، تقي الدين علي السبكي"، وكتاب: "وحدة الأديان في عقائد الصوفية".

(٢) وحدة الأديان في عقائد الصوفية(١/٤٩٨ -٤٩٩)، وانظر أيضًا: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٧٨-٨٨، ٢٥٤).

(٣) حرف اللام من كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو (ضمن كتاب أرسطو عند العرب لعبد الرحمن بدوي ص (٨).

(٤) حرف اللام من كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو (ضمن كتاب أرسطو عند العرب لعبد الرحمن بدوي ص (٦)، وانظر وحدة الأديان في عقائد الصوفية (١/٤٩٨ -٤٩٩)، وممن ذهب إلى ذلك أيضًا: د. طيب تيزيني في كتابه مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، ود. محمد عمارة في كتابه المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد، ود. محمد بيصار في كتابه في فلسفة ابن رشد الوجود والخلود، نقلاً عن فلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٧٩، ١٣٢) هامش.

ولو قال هو العقل والمعقول فيحتمل وحدة الوجود.

وذهب بعض الباحثين إلى أنه لا يمكن اعتبار أفلاطون وتلميذه أرسطو من فلاسفة وحدة الوجود؛ لأنَّ أفلاطون يقرر الثنائية المطلقة بين العالم المثالي العقلي والعالم الحسي الجزئي[(١)]، ويعتبر أن النفس **مستقلة عن الجسم** في كل الأشياء؛ فهي بمميزاتها **تشبه العنصر الإلهي**، وتجعل من الجسد عبدًا لها[(٢)].

وهذا من التناقض أيضًا؛ فكيف يجعل النفس متصلة مع النفوس العلوية، ويشبهها بالعنصر الإلهي المبثوث في الكون، ثم يجعلها مستقلة عن الجسد؟

جاء في الموسوعة الفلسفية المختصرة: "قد نترخص في استعمال كلمة الثنائية؛ فنطلقها على المذاهب الفلسفية التي تتخذ محورها من **تعارض ما، كالتعارض الذي نجده في فلسفة أفلاطون بين العالم الذي تدركه الحواس وعالم الصور الذي يعرفه العقل**"[(٣)].

وقال بدوي بعد ذكر أمثلة الثنائية: "كذلك الحال في مذهب أفلاطون القائل بأن الأصل في الكون جوهران هما الهيولى والروح (أو النفس)"[(٤)].

والعالم المعقول عند أفلاطون مؤلف من الجمال والانسجام والحقيقة، **وإن كان الكل واحدًا**[(٥)].

فهل يقصد بالجمال والانسجام والحقيقة أوصافًا لموصوف واحد؟

أم مراده أنها واحدة دون تمايز بينها، بمعنى أن الانسجام هو الجمال؟ فهذا لا شك في بطلانه.

---

(١) فلسفة وحدة الوجود، للجبوري (٢٢، ٧٦).

(٢) الواحدية المحايدة برتراند راسل أنموذجًا (٦٦).

(٣) الموسوعة الفلسفية المختصرة (١٢٤)

(٤) موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٢/٦٢٣).

(٥) الفلسفة الإغريقية لمحمد غلاب (٢/٣٠٢).

وكذا "أرسطو فيعتبر قمة الثنائية المطلقة؛ وذلك لإقراره الثنائية المطلقة في كل تفاصيل فلسفته، مبتدئًا بالبحث في مبادئ الوجود وعلله، موضحًا نظريته في القوة والفعل[(١)] باعتبارهما المفهومين العقليين المجردين للعلل المادية والصورية[(٢)]، منتهيًا إلى البحث في الإله [العلة الأولى إله أرسطو[(٣)]] وصلته بالعالم، مقررًا أنه خارج العالم ومستقل عنه، وأن العالم أزلي قديم [أي الأول منفصل عن العالم].

فأرسطو يقر بوجود عقول مفارقة [(٤)] في كل فلك من الأفلاك، ويقول بمحرك لا

---

(١) القوة: إمكان وجود الشيء واستعداده ليكون شيئًا آخر في المستقبل كإمكان أن تصبح البذرة شجرة أو البيضة دجاجة أو نطفة الإنسان طفلاً أو الحجر ترابًا.
والفعل: حقيقة وجود الشيء فمثلا البذرة أو البيضة أو نطفة الإنسان أو الحجر هي وجود بالفعل وإذا أصبحت دجاجة أو طفلاً أو ترابًا فهي وجود بالفعل أيضًا.
والحركة انتقال الشيء من القوة إلى الفعل بطريقة تدريجية.
وهذا التحول ليس عشوائيًا فلا يمكن أن يتحول الحجر الى إنسان، وإنما هو حجر بالفعل وتراب بالقوة.
المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين (١١٧)، والفلسفة الإغريقية لمحمد غلاب (٢/٣١٣).

(٢) أرسطو يقسم العلل إلى اربعة أقسام:
العلة المادية والعلة الفاعلية والعلة الصورية والعلة الغائية.
فلو افترضنا أن لدينا شجرة وأراد نجار أن يعمل منها سريرًا لغرض الراحة والنوم
فالشجرة هي القوة المادية والنجار هو الفاعلة والشكل هو الصورية ولأجل الراحة والنوم هي الغائية.
وانتقال القوى من المادية إلى الغائية هو انتقال من القوة إلى الفعل فيقولون:
الشجرة سريرًا بالقوة فإذا خرجت من المصنع وأصبحت جاهزة فهي سريرٌ بالفعل.
وابن تيمية وسائر العقلاء يسلمون بالعلة الفاعلية وكذلك العلة الغائية التي يسميها الفقهاء الحكمة.
انظر مجموع الفتاوى (٢/ ٣٠، ٣٧) (٥/ ٥١٥)، وأمَّا الصورية فمبنية على الخلاف هل العلم فعل أم انفعال كما ينازع ابن تيمية في العلة أو القوة المادية فتسمية طبيعة الشي قوة مخالف للغة وربما هو اصطلاح خاص بالمشائين والمادية هي التي تسميها الفيزياء المعاصرة الكتلة والتي تعرف بأنها مقدار ما في الجسم من مادة. المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين (١١٧).

(٣) يقول يوسف كرم: "إن إله أرسطو يشبه قائدًا وقف كالتمثال اعتزازًا بكرامته، وكان هناك عساكر من خشب أخذت تحاكيه على قدر استطاعتها فتنظمت جيشًا حقيقًا". تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم (٣٧).
فإله أرسطو في غاية الضعف محرك (بالعلة الغائية شوقًا إليه) لا يتحرك (ليس له علة فاعلة)، فعلاقته بالعالم تنحصر في أن يثير شوق العالم، وغائب عن الكون؛ لأنَّه لا يعقل سوى ذاته فقط.

(٤) يدعو أرسطو العقول المفارقة آلهة ويشيد بأجداده من قدماء اليونان الذين نسبوا الألوهية إلى
==

يتحرك، ولا يقول بنفس كلية في العالم"[1]، ويقرر أن الإنسان نفس وجسد، ويشبه ارتباطهما بارتباط المادة بالصورة؛ فلا وجود لواحدة منهما دون الأخرى فهما متصلتان معًا[2].

جاء في الموسوعة الفلسفية العربية بعد تعريف الثنائية: "ويتمثل هذا الاتجاه بأرسطو في الفكر اليوناني"[3].

فالعقل الإلهي الأرسطي يستلزم ضرورة الثنائية من العقل والمعقول وإن كانا واحدًا... مذهب أرسطو يصرح بأن المدِرك والمدَرك شيء واحد، ويرفض في صرامة أن يعترف بمعروف خارج العارف؛ "المعروف هو نفس العارف"[4].

فهل يعد أرسطو متناقضًا حينما جمع بين الثنائية والقول بوحدة الوجود؟

أرسطو ينكر على القائلين بالوحدة ويرد عليهم، كما أنه ناقش برميندس في مواطن كثيرة من كتبه[5].

قال ابن رشد: "إذا فهمنا من المسألة المشهورة عند القدماء، وهي القائلة: هل الموجود

==

الأجرام السماوية، وشبهها بالمحرك الأول من حيث براءتها من المادة، وهي محرك يلي المحرك الأول الذي لا يتحرك ويستمد حركته منه فهي المدبرة للكون، وهذا المحرك هو السماء الأولى أو فلك النجوم الثوابت، ويتصور الأجرام السماوية كائنات حية لها نفس أو عقول، وانظر: أرسطو المعلم الأول لماجد فخري، وفكرة الإله عند أرسطو لبشرى زكام، وفجر الفلسفة اليونانية (٦٦).

لذلك اعتبر شيخ الإسلام أرسطو مشركًا يعبد الأوثان قال: "وأما أرسطو وأصحابه فكانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب" الرد على المنطقيين (١٨٦، ٢٨٣).

(١) فلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري (٧٦، ١٣١)، ونظرية المعرفة عند ابن رشد، محمود قاسم (٩١-٩٤).

(٢) تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة القديمة) برتراند راسل (٢٧٢)، والواحدية المحايدة برتراند راسل أنموذجًا (٨، ٦٦).

(٣) الموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٧/٣).

(٤) الفلسفة الإغريقية لمحمد غلاب (٣٠٢/٢).

(٥) انظر مثلاً كتاب النفس لأرسطو، ترجمة الأهواني (١٦،٣٦)، والطبيعة لأرسطو، الفصل الثالث: نقض حجج الإيليين "برمنيدس"، ترجمة إسحاق بن حنين (٥، ٨، ٩، ١٧-٣٣)

واحد، أو أكثر من واحد؟ وهي التي تكلم فيها أرسطو مع برمنيدس من القدماء في الأولى من السماع الطبيعي"[١].

وقال شيخ الإسلام عن أرسطو في إنكاره القول بوحدة الوجود: "واعلم أن هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه؛ ولكن رأيت في بعض كتب الفلسفة المنقولة عن أرسطو أنه حكى عن بعض الفلاسفة قوله: إن الوجود واحد، ورد ذلك، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين"[٢].

ورغم إنكار أرسطو لوحدة الوجود، إلَّا أنه لازم له في بعض أرائه؛ كفكرة أرسطو القائلة بوجود العقل الفاعل أو العقل الكوني الذي (يسري إلى عقولنا وينيرها)، واقترب اقترابًا شديدًا من مبدأ وحدة الوجود"[٣].

وأما عن بحثه في العلاقة بين المبدأ الأول والوجود؛ هل هي علاقة منفصلة بحيث تدل على الثنائية المطلقة، أم هي علاقة متداخلة؟ فيقرر أرسطو أنها متداخلة حينما جعل العالم الخارجي قديمًا أزليًا، ويلزم من ذلك أن يكون متداخلاً مع العلة الأولى التامة التي لا ينفصل عنها معلولها.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن وصف أرسطو وابن سينا للإله بأنه الوجود المطلق أو المقيد بالقيود السلبية ونحو ذلك هو حقيقة كلام القائلين بوحدة الوجود[٤].

وذهب الدكتور عبدالله القرني أن أرسطو مهد لفكرة وحدة الوجود أكثر نضجًا؛ من خلال تقريره أن الكليات موجودة في الخارج كلية مقارنة للجزئيات، وتفريقه بين الوجود والماهية[٥].

---

(١) تهافت التهافت (٢/٥٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/١٧١).

(٣) قصة الحضارة (١٧/٢١٨).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٥/١٧٨).

(٥) نظرية المعرفة في الإسلام (٣٧١)، وانظر الحد الأرسطي أصوله ولوازمه (٣٧٠،٣٣٥)، وسيأتي مناقشة ذلك بإذن الله تعالى في الباب الثاني الفصل الرابع (٣٨٩).

وأخيرًا: وجد الغرب إبان نهضته الأولى غاياته في الكتابات الأرسطية، مشروحة ومفسرة في مؤلفات ابن رشد، خصوصًا ما تعلق منها بمركزية الكون، وقد أدى فساد الكنسية بالكثير من الفلاسفة والمفكرين إلى تبني أفكار مناهضة للدين، وقراءات مناقضة للوحي الإلهي؛ إذ ذهبوا أبعد بكثير، وروجوا لنهاية الإله، "لكن موت الإله المجرد أمر لا يقبله العقل، ولكن في إطار حلولي يصبح الأمر منطقيًّا. فالحلول الإلهي يأخذ درجات منتهاها وحدة الوجود؛ حيث يتجسد (يحل) الإله تمامًا في الطبيعة وفي أحداث التاريخ[١]، ويتوحد مع الإنسان ومع مخلوقاته" ويصبح كامنًا فيهما تماشيًا مع مقولات أرسطو العقلية، إذ يقول هذا الأخير في كتاب النفس: "فهو إذا اتصل بنا عقل المعقولات التي هاهنا، وإذا فارقنا عقل ذاته"[٢]، ولكن لحظة وحدة الوجود هي نفسها اللحظة التي يصبح الإله فيها غير متجاوز للمادة، ومعنى ذلك موت الإله وغيابه[٣].

(١) الفلسفة الغربية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، (١٧٥).

(٢) تلخيص كتاب النفس، أبو الوليد ابن رشد (١٢٠).

(٣) فكرة الإله عند أرسطو وامتدادها في الثقافة الغربية لبشرى زكام.

المطلب الثالث
وحدة الوجود في الديانات الكتابية

أولا: وحدة الوجود عند اليهودية:

ظهر أصل عقيدة وحدة الوجود عند اليهود قديمًا، فقالوا بحلول جزء إلهي في البشر كما أخبر الله-تعالى- عنهم في قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ، ومما قالوه إن أرواح اليهود جزء من الإله [١].

وقد تبلورت عقيدة وحدة الوجود في فرقة الحسيديم[٢]، فقالوا: ليس هناك وجود حقيقي إلا وجود الله تعالى، وما المخلوقات إلَّا مظاهر لذلك الوجود وتعبير عنه.

ووحدة الوجود التي يؤمنون بها هي وجود الكل في الإله؛ أي أن الطبيعة في الإله وليس العكس، فالعالم جزء من الإله بمنزلة ثوب الإله، صَدَر عنه ولكنه جزء منه،

---

(١) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٧٦/٥، ١٨٥)، والموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٥٠٣/١)، وقد ذكر المسيري في موسوعته (١١٦٥/٥) أن الحلول يضرب بجذوره في الفكر اليهودي المحرف منذ القدم قال: "ورغم تأكيدنا أن القبَّالاه ثورة على التراث الحاخامي إلا أنها تضرب بجذورها في الطبقة الحلولية التي تراكمت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي منذ البداية في العهد القديم، حيث يتوحد الإله مع شعبه. وهو توحُّد كان يأخذ شكل العهد المتجدد بين الإله والشعب، والتدخل المستمر للإله في التاريخ لصالح شعبه، وتجسُّده في شكل عمود نار ليقودهم، وغضبه منهم وحبه لهم وغزله فيهم ومعهم. وقد عبر الحلول الإلهي وعشقه لبنت صهيون عن نفسه في نهاية الأمر في شكل العبادة القربانية المركزية حيث كانت تتم لحظة الحلول والالتحام بين الإله والشعب والأرض في يوم عيد الغفران حين كان كبير الكهنة يدخل إلى قدس الأقداس لينطق باسم يهوه، ورغم حرب الأنبياء ضد الأفكار الحلولية إلا أنها زادت ترسخًا في القرن الأول قبل الميلاد...".

(٢) الحسيديم: فرقة من فرق اليهود متأخرة النشأة في القرن الثامن عشر، وهو مصطلح مشتق من الكلمة العبرية «حسيد»، أي «تقي»، وتعزى إلى رجل يسمى "إسرائيل اليعازر" الملقب بـ "بعل شم طوب"، واليهود الحسيديم هم أرثوذكس إلَّا أنهم يختلفون عنهم في الممارسة الدينية والسلوك والتقاليد، ويتبعون المذهب الباطني الغنوصي في المعرفة ويؤمنون بتناسخ الأرواح، وانظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٣٥٢/٥)، ودراسات في الأديان لسعود الخلف (٤٥)، واليهود الحسيديم لجعفر هادي حسن (٥، ٦٤).

تمامًا مثل محارة الحيوان البحري المعروف بالحلزون، قشرته الخارجية جزء لا يتجزأ منه [(١)].

ومن أقوال مؤسس هذه الفرقة إسرائيل اليعازر [(٢)]: "إن العالم مرآة يعكس جلال الله". ويقول أيضًا:" إن الله موجود حتى في الشر والذنوب... وليس هناك فاصل بين المقدَّس وغير المقدَّس... وليس هناك حاجز بين الإنسان وخالقه" [(٣)].

فالهدف من حياة الإنسان عندهم هو الالتصاق بالإله والتوحد معه، قال المسيري عن مؤسس هذه الفرقة: "وتتلخص تعاليمه في أن الإنسان يبحث عن وسيلة للالتحام والالتصاق بالإله، بل التوحد معه؛ حتى يستطيع التوصل إلى القوة الروحية الموجودة والكامنة في كل شيء" [(٤)].

---

(١) بخلاف مقالة الفلاسفة الطبيعيين-كاسبيونزا- فهؤلاء يقولون: الإله في الطبيعة، الذين يتصورون الطبيعة الخارجية على أساس الطبيعة الإنسانية، وأضفوا على ذلك نظرة صوفية، بأن جمعوا بينهما عن طريق الإله، فقالوا: بوجود إله الطبيعة، أو أنه لا وجود للإله إلَّا حالاً في الطبيعة. وهذه النظرة التألهية للطبيعة هي ما تُترجم أحيانًا بأنها: حلول الإله في الكل، فالإله هو الطبيعة، والطبيعة هي الإله، فهما شيء واحد، وانظر اليهود الحسيديم (٦١)، المعجم الشامل (٧٨١)، وموقف الإسلام من الغنوصية (٥٢٢).

(٢) إسرائيل اليعازر " الملقب بـ "بعل شم طوب" أي الذي تملَّك ناصية الإله؛ بحيث يمكنه التأثير في الإرادة الإلهية، متصوف يهودي ولد في أوكرانيا (١٧٠٠م)، وفي العشرينات من عمره ذهب إلى الغابات واشتغل بالأعمال اليدوية وبدأ دراسة القبَّالاه ثم خرج على الناس بمذهب الحسيديم، وتوفى سنة (١٧٦٠م) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٣٥٨/٥).

(٣) اليهود الحسيديم (٦١)، والتصوف والفلسفة (١٣٨).

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٣٥٩/٥)، ويقول المسيري في موسوعته (٣٦٩/٥): " أثَّرت الحسيدية (بحلوليتها المتطرفة) في الوجدان اليهودي المعاصر تأثيرًا قويًا، ففرويد العَالم النفساني النمساوي اليهودي، كان مهتمًا بالحسيدية القبَّالية، ومن هنا كانت نظرياته في الجنس، وفي علاقة الذات بالكون" و "من المعروف أن معظم المفكرين والزعماء الصهاينة إما نشأوا في بيئة حسيدية، أو تعرَّفوا إلى فكرها الحلولي بشكل واع أو غير واع. بل إن الصهيونية ضرب من «الحسيدية اللادينية» أو الحسيدية داخل إطار حلولي بدون إله ووحدة الوجود المادية".

وهذا من التناقض فكيف يسعى الحسيديم للالتصاق والاتحاد بالإله مع زعمهم أنهم والإله واحد؟

وقد سبق الجواب عن ذلك في المطلب الأول (وحدة الوجود في الديانات الوضعية)، وأن لهم على هذا السؤال جوابًا لا يقل غموضًا واضطرابًا عن الإشكال القائم؛ وذلك أنهم قالوا: يمكن أن يفسر هذا الاتحاد بممارسة الوحدة عن طريق التجربة الذاتية والإحساس بها، أو إدراك الوحدة الموجودة أصلاً، لكنه تبرير فاسد متناقض.

ومن قال بوحدة الوجود متصوفة اليهود القبَّالاه(١)، ومذهبهم مذهب يهودي متشدد، يخلط بين الشعوذة والسحر والمعاني الباطنية، ويفسرون التوراة بتفسيرات باطنية غنوصية(٢)؛ فكل كلمة لها معنى باطن ومعنى ظاهر، ومن أخطر ما في هذا التفسير الباطني أنهم ادّعوا وحدة الوجود، وأن العارف بزعمهم يمكنه أن يترقى من خلال هذه المعارف الباطنية المزعومة إلى أن يتحد بالإله(٣).

قال الدكتور عبد الوهاب المسيري: ويمكننا القول بأن التصوف اليهودي (على وجه

---

(١) كانت تُسمى أول أمرها: الحكمة المستورة، ومن ثم بات اسمها القبَّالاه؛ والكلمة من أصل آرامي ومعناها القبول أو تلقي الرواية الشفهية، وتأثرت القبَّالاه بفلسفات هندية وفارسية ويونانية إشراقية، وقد ظهرت مجموعة نصوص عندهم جمعوها في كتاب أو سفر سموه: الزوهار يُنسَب إلى أحد معلمي المشناه الحاخام شمعون بن يوحاي من القرن الثاني الميلادي ، وإلى زملائه، ولكن يُقال إن موسى دي ليون (مكتشف الكتاب في القرن الثالث عشر الميلادي) هو مؤلفه الحقيقي أو مؤلف أهم أجزائه، وإنه كتبه بين عامي (١٢٨٠ و١٢٨٥م)، وأولى طبعاته خلال الفترة من (١٥٥٨ إلى ١٥٦٠م) في إيطاليا، وفكرة القبَّالاه شقت طريقها فعليًا بين يهود بدءًا من القرن الثالث عشر الميلادي وسيطرت على اليهودية تمامًا ابتداءً من منتصف القرن السابع عشر. موسوعة الأديان الميسرة (٤٠٢)، وموسوعة اليهود (٤٣٦/٣) (١٦٤/٥).

(٢) الغنوصية من الكلمة اليونانية "جنوصيص gnosis"، ومعناه "علم" أو "معرفة" أو "حكمة" أو "عرفان"، وهي حركة فلسفية وتعاليم دينية غير متجانسة تدور حول وحدة الوجود، ويُعد صاحب الغنوص جزءًا من الإله وهو العبد والمعبود والمعبد، الكامن فيه كل شيء، وكان انتشارها في القرنين الثاني والثالث الميلادي. موسوعة اليهود (١٨٤/١) (٢٩/٨).

(٣) انظر الحداثة وما بعد الحداثة (١٣٢)، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١٦٤/٥).

العموم) من النمط الحلولي، وأنه ذو اتجاه غنوصي قوي؛ فالمتصوف اليهودي لا يتجه نحو تطويع الذات الإنسانية الفردية، وخدمة الإله، وإنما يحاول الوصول إلى فَهْم طبيعة الإله من خلال التأمل والمعرفة الإشراقية الكونية (الغنوص أو العرفان)، بهدف التأثير في الواقع، حتى تنفذ رغبات القبَّالي، أو المتصوف، حتى يتسنى لصاحب هذه المعرفة السيطرة على العالم، والتحكم فيه، والاتحاد بالإله والتوحد معه؛ ليصبح عارفًا بالأسرار الإلهية، وهو اتحاد يؤدي إلى وحدة الوجود؛ ومن ثم يصبح هو نفسه إلهًا أو شبيهًا بالإله[1].

ثانيًا: وحدة الوجود عند النصرانية:

القول بالاتِّحاد والحلول أمر ظاهر في النصرانية المحرفة؛ والمراد بالحلول عند النصارى: أن الله - تبارك وتعالى- اتخذ جسد المسيح له صورة، وحل بين الناس بصورة إنسان هو المسيح.

ومما استندوا إليه من النصوص المبهمة الواردة في الإنجيل ما جاء في انجيل يوحنا من الأقوال المنسوبة للمسيح بزعمهم نحو: "أنا في الآب والآب فيّ"، "صدقوني، إني في الآب والآب فيّ"[2]، "أنا والآب واحد"[3].

ولا يلزم من هذه النصوص - على فرض صحتها- القول بحلول الرب في المسيح؛ فهي محتملة لمعنى التأييد والنصرة، كما أن معنى الآب عندهم ليس محمولاً على الأبوة الحقيقة، ومرادهم بالآب الذات الإلهية مجردة عن الابن وروح القدس، وهو بمنزلة الأصل والمبدأ لوجود الابن، ومع هذا يقولون الابن أزلي الوجود مع الآب، لم يسبق أحدهما الآخر.

---

(١) انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٥ / ١٦٣ - ١٦٤).

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، الفقرتان (١١، ١٠).

(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٠، الفقرتان (٣٠).

وهذا أيضًا من التناقض؛ فكيف يكون الآب بمنزلة الأصل والمبدأ لوجود الابن ولم يسبقه في الوجود؟

وقد ورد إضافة الأب إلى غير المسيح في عدة مواضع كما جاء في (إنجيل يوحنا) قول المسيح: "إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"[(١)]، والمراد بها عندهم في حق التلاميذ أبوة النعمة[(٢)(٣)].

وكان للقول بالوحدة الجزئية المخصصة بالمسيح عند النصارى أثر في تعميمها على غير المسيح لدى بعض فرق النصارى؛ كالغنوصية النصرانية[(٤)]، الذين لم يقصروا الاتحاد على اتحاد المسيح بالإله فقط[(٥)(٦)]، بل ذهبوا إلى أن الله - تعالى- يتحد أيضًا

---

(١) إنجيل يوحنا، الإصحاح ٢٠، الفقرتان (١٧).

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١٨).

(٣) انظر دراسات في الأديان لسعود الخلف (٢٨٧).

(٤) وقد أُختلف في نشأت الغنوصية: هل كانت نشأتها في البيئة النصرانية منذ القرن الأول الميلادي أم وجدت قبل ذلك بكثير في بيئات مختلفة شرقية ويونانية ثم أُدمجت بالمعتقدات النصرانية لضمان قبولها؟
ونتج عن هذه الخلاف أقوال يمكن الجمع بينها بأن يقال: أن للغنوصية معنيان:

أ- معنى عام مرادف للباطنية وهو بمعنى المعرفة الحدسية أو العرفان، وحقيقته: ادعاء معرفة كشفية توصل إلى المعارف العليا والحقائق الكلية بشكل داخلي مباشر لا من خلال الوحي أو العمليات العقلية أو الحس، فهذا موجود قبل النصرانية.

ب- معنى خاص وهو المذهب الباطني الصوفي الناشئ في النصرانية؛ كحركة فكرية فلسفية دينية ظهرت في القرن الأول الميلادي وبرزت ونشطت في القرنين الثاني والثالث وقد رفضتها الكنيسة أولاً، ومع الزمن قبلتها وتبنتها. انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١٨٦)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (١٠٣)، والغنوصية وموقف الإسلام منها (٤١)، والثيوصوفيا لمريم عنتابي (٩٨).

(٥) بغية المرتاد (٥١٤)، والرد على القائلين بوحدة الوجود (٣١)، فالنصرانية المحرفة تقول باتحاد الله مع جزء خاص من العالم أي بين الله والمسيح فقط، ويطلقون الهرطقة على متصوفة المسحية الذين عمموا هذا الاتحاد مع المريدين، وانظر التصوف والفلسفة (٢٥٨).

(٦) تأثرت النصرانية بالغنوصية في كثير من العقائد منها: اللوغوس أو الكلمة التي أصبحت تعني المسيح ابن الله، بل ذهب بعض الباحثين أن النصرانية كما طرحها بولس الرسول دينًا غنوصيًا. وانظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة (٢/٩٣٥)، والغنوصية وموقف الإسلام منها (٤٢، ٤٣، ٧٠).

بالمريدين[(١)(٢)]، وقد تشعبت الغنوصية عند النصارى إلى أكثر من مذهب؛ فالقديسة تيريزا الأفيلية[(٣)] مثلاً وإن كانت تؤمن أن الخالق غير المخلوق فعندها نزعة حلولية بوجه ما؛ حيث تصف وصولها أو (فتوحها) بأنه اتحاد بينها وبين الله، كما تقول في قصيدتها:

... واتحاد النفس بالله في القران الروحي شبيه بشمعتين، تذوبان معًا حتى يصبح نوراهما نورًا واحدًا[(٤)] ...

حيث يظهر من قول القديسة تجليات اتحادية لا تريد بها الوحدة المطلقة.

وأمّا **القديس خوان دي لا كروث**[(٥)] فإنه يؤمن بوحدة الوجود المطلقة، ومن أقواله:

...حبيبي هو الجبال، والوديان المنعزلة المليئة بالأشجار، والجزر الغريبة، والأنهار الرنانة، وصفير الرياح الحبيبة، والليل الساكن[(٦)].

والشاهد من ذلك قوله: "حبيبي هو الجبال" أي الإله.

---

(١) انظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة (٩٣٥/٢)، والغنوصية وموقف الإسلام منها (٧١، ٥٤٤).

(٢) أبرز أعلام الغنوصية في التاريخ هو أفلوطين السكندري صاحب أكبر أثر فلسفي وعقائدي في المسيحية والذي قال بانبثاق العالم أو فيضه عن العقل الأول، وفلسفته عبارة عن صب للمسيحية في قوالب الغنوصية أو ملء لهيكل المسيحية بالأساليب الغنوصية.

(٣) تيريزا الأفيلية راهبة متصوفة ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي في أسبانيا، يطلق عليها مصلحة الرهبانية الكرملية ومجددتها، ماتت سنة (١٥٨٢م)، وقد عاون القديسة في حركة الاصلاح يوحنا حامل الصليب ودعا إلى الاتحاد بالله، وانظر يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه (٢٠٩)، والتصوف والفلسفة (٩٣، ٢٧٣).

(٤) المرجع السابق (٢١٢).

(٥) إسباني متصوف من أهل القرن السادس عشر الميلادي.

(٦) مجلة العربي، (عدد: ٣٠٥)، (ص:٤٠)، والكشف عن حقيقة الصوفية (٧٦٩)، والتصوف والفلسفة (٩٣، ٢٧٣).

ويقول إكهارت[(١)]: "ينبغي على المرء أن يحيا بحيث يكون متحدًا مع ابن الله، لدرجة أن يصبح هو ذلك الابن، وحتى لا يكون بين الروح وبين الابن أي تمايز"[(٢)].

ويقول أيضًا: "عن التوهج [ويعني الاتحاد] أكتشف أن الله وأنا واحد... فأنا المحرك الذي لا يتحرك والذي يحرك كل شيء... وهنا أيضًا يتحد الله مع الروح في هوية واحدة"[(٣)].

والنصارى في باب الاتحاد والحلول حائرون متناقضون فهم أحيانًا يجعلون الأقانيم[(٤)] صفات لجوهر واحد، وأحيانًا يجعلونها ذواتًا قائمة بأنفسها بمعنى الجوهر، ثم تناقضوا أيضًا في تصوير تجسيد واتحاد اللاهوت في جسد المسيح، هل هو تام حتى صارا شيئًا واحدًا، كاختلاط واتحاد الماء بالخمر- وهذا تشبيه اليعقوبية- أم حلول منفصل كل واحد منهما باق بحسبه، كاختلاط وحلول الزيت في الماء - وهذا تشبيه النسطورية- أم كاتحاد النار في الصفيحة المحماة، وهذا تشبيه الملكانية؟[(٥)].

وحالهم في هذا التناقض والاضطراب كحال من يقول بالاتحاد المطلق، كأصحاب وحدة الوجود من الصوفية وغيرهم، ولشيخ الإسلام تفصيل دقيق في ذلك؛ يقول:" فالنصارى حيارى متناقضون، إن جعلوا الأقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح إلهًا، وإن جعلوه جوهرًا امتنع أن يكون الإله واحدًا، وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله،

---

(١) إيكهارت: فيلسوف متصوف مسيحي ولد بألمانيا (١٢٦٠-١٣٢٧م)، ويعتبر من أعظم المتصوفة المسيحيين في العصور الوسطى، اتهمته الكنسية بالهرطقة لقوله بالوحدة والاتحاد وحوكم عليها، وانظر قصة الحضارة (١٦/ ١٥٧)، وموسوعة الفلسفة (١/ ٢١١)، التصوف والفلسفة، ولتر ستيس (٢٧٩).

(٢) التصوف والفلسفة، ولتر ستيس (٢٧٦).

(٣) المرجع السابق (٢٧٧، ٨٨، ٩٣).

(٤) الأقانيم: جمع أقنوم، وهو الأصل، وهي كلمة سريانية، معناها: شخص أساسي، أو شخص رئيس، وهي الكلمة اليونانية نوموس ومعناها قانون، ولذا فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ شخص، لأن المقصود في التثليث بالأقنوم كيان ذاتي أو في الذات، وانظر الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية للطوفي (١/ ٣٧١) تحقيق د. سالم القرني.

(٥) انظر الفصل لابن حزم (١/٩٩) وقد سبق التعريف بالنسطورية (٣٠) واليعقوبية (٢٩).

ويجعلونه ابن الله، ويجعلوا الآب والابن وروح القدس إلهًا واحدًا... **وهكذا حال هؤلاء؛ فإنهم يريدون أن يقولوا بالاتحاد، و أنه ما ثَمَّ غَيْرٌ، ويريدون أن يثبتوا وجود العالم؛** فجعلوا ثبوت العالم في علمه وهو شاهد له، وجعلوه متجليًا لذلك المشهود له، فإذا تجلى فيه كان هو المتجلي لا غيره، وكانت تلك الأعيان المشهودة هي العالم.

وهذا الرجل [يقصد التلمساني] وابن عربي: يشتركان في هذا، ولكن يفترقان من وجه آخر.

فإن ابن عربي يقول: وجود الحق ظهر في الأعيان الثابتة في نفسها. فإن شئت قلت هو الحق، وإن شئت قلت هو الخلق، وإن شئت قلت هو الحق والخلق، وإن شئت قلت لا حق من كل وجه ولا خلق من كل وجه، وإن شئت قلت بالحيرة في ذلك.

وأما هذا [يقصد ابن عربي] فإنه يقول: تجلى الأعيان المشهودة له، **فقد قالا في جميع الخلق ما يشبه قول ملكية[(١)] النصارى في المسيح؛** حيث قالوا بأن اللاهوت والناسوت صارا جوهرًا واحدًا له أقنومان.

وأما التلمساني فإنه لا يثبت تعددًا بحال؛ **فهو مثل يعاقبة النصارى، وهم أكفرهم،** والنصارى قالوا بذلك في شخص واحد، وقالوا: إن اللاهوت يتدرع بالناسوت بعد أن لم يكن متدرعًا به.

وهؤلاء قالوا: إنه في جميع العالم، وإنه لم يزل، فقالوا بعموم ذلك ولزومه،

---

(١) الملكانية سموا بذلك لوقوفهم في صف الملك الذي أعلن أن عيسى جوهر واحد له طبيعتان، وهم القائلون: إن الله عبارة عن ثلاثة أشياء: أب وابن وروح القدس. وإن عيسى إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر. وإن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، والإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما معًا في شيء واحد، وهي أساس مذهب الكاثوليك،

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣]، وانظر التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تأليف البطريرك سعيد بن بطريق (١٦١/١)، والفصل لابن حزم (٩٣/١).

والنصارى قالوا بخصوصه وحدوثه، حتى قال قائلهم: النصارى إنما كفروا لأنهم خصصوا"[1].

ثالثا: وحدة الوجود عند بعض المنتسبين إلى الإسلام (غلاة الصوفية):

تمهيد:

ينقل فلاسفة الطاقة الكونية مصطلحات فلاسفة غلاة الصوفية ويشيدون بهم في مؤلفاتهم؛ فمثلاً يفسر اكهارت تول قوة الآن بالفناء عند الصوفية قال: "الآن أساسية في التعاليم الصوفية الفرع الباطني في الإسلام للصوفيين. للصوفيين مقولة: "الصوفي ابن الزمان الحاضر"، صرح جلال الدين الرومي **الشاعر الصوفي العظيم** قائلاً: "يحجب الماضي والمستقبل اللهَ عن بصائرنا، أحرقوهما معًا بالنار"[2].

بل يقرر فلسفة ابن عربي عندما يصف اللامتجلّي بأنه المطلق (التاو) عند الطاوية؛ الذي فاض عنه طاقة تشي، ويصفه بأنه منتشر في كل مكان حتى في عواء الكلب[3]. قال: "يعرف اللامتجلي ذاته من خلال العالم، وبالنهاية من خلالك. وأنت هنا لتسمح للهدف الإلهي من الكون أن يظهر للعيان"[4]. وهذا عين قول ابن عربي أن الله يتجلى في الكائنات كما سيأتي بإذن الله.

ويقول واين داير: يجب علينا أن نُصغي بقلوبنا إلى نصحية الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي: "قُم ببيع ذكائك، واشتر الحيرة"[5].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/١٨٦).

(٢) قوة الآن (٦٥).

(٣) المصدر السابق (١٣٥).

(٤) المصدر السابق (١٤١)، وسيأتي بيان فلسفة اكهارت تول مع مزيد نقل من كلامه في الباب الثاني الفصل الثاني (٢٦٢).

(٥) النقلة (٦٣، ١٣٧، ١٠٢).

ويمكن تقسيم تاريخ التصوف عند المسلمين إلى أربع مراحل[١]:

المرحلة الأولى: الزهد الصوفي (التصوف العملي)؛ ويغلب على أصحاب هذه المرحلة الغلو في العبادات، وتعذيب النفس بغية الوصول إلى صفاء الروح، والعزلة عن الناس، مع التزامهم بأحكام الشريعة، وغالبهم لم يكن لهم أي آراء صوفية من القول بالفناء أو الكشف ونحوهما، أو اصطلاحات خاصة، ولكن هذا الزهد الذي قام عليه التصوف ليس هو الزهد الذي جاء به الإسلام، وإن كانوا موافقين لأصول السلف في الاعتقاد، وظهر أصحاب هذه المرحلة في منتصف القرن الثاني الهجري.

المرحلة الثانية: المرحلة النظرية (التصوف الاعتقادي)؛ حيث ظهرت آراء واصطلاحات خاصة تعارفوا عليها، كالقول بالفناء، والكشف، والتفريق بين الحقيقة والشريعة، والمقامات، والأحوال، والذوق، والوجد، ونحو ذلك من البدع، إلا أنهم لا يخرجون عن إطار الإسلام، ويتعبدون بالشريعة، وظهروا في القرن الثالث الهجري.

المرحلة الثالثة: مرحلة التصوف الحلولي، وأول من نادى به الحلاج[٢]، وقد نحا فيها التصوف منحى خطيرًا من القول بالحلول وإسقاط التكاليف؛ حيث زعم أن اللاهوت يمكن أن يحل في الناسوت إذا تهيأ لذلك، فعنده ذاتان منفصلتان تحل إحداهما في الأخرى، ومن أشعاره:

---

(١) تقسيم التصوف إلى مرحل زمنية يسهل للقارئ دارسة التصوف رغم صعوبة ذلك بسبب تداخل المراحل، ولمزيد تفصيل في هذه المراحل انظر مدلولات المصطلحات الصوفية (١٧٠-١٧٢).

(٢) قال شيخ الإسلام: "الحلاج قتل على الزندقة التي ثبتت عليه بإقراره وبغير إقراره؛ والأمر الذي ثبت عليه بما يوجب القتل باتفاق المسلمين.. والذي قتل به ما استفاض عنه من أنواع الكفر وبعضه يوجب قتله؛ فضلا عن جميعه.. وكان قد ذهب إلى بلاد الهند وتعلم أنواعا من السحر وصنف كتابا في السحر معروفا وهو موجود إلى اليوم وكان له أقوال شيطانية ومخاريق بهتانية". مجموع الفتاوى (١٠٨/٣٥).

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا[1]

وفي كتابه الطواسين قال بالاتحاد، ومن أشعاره:

رأيت ربي بعين قلبي فقلت من أنت؟ قال أنت[2]

وقد كان ظهور هذه الآراء مبكرًا في القرن الثالث الهجري[3]، لكنها اختفت ظاهرًا بعد صلبه وقتله على الزندقة سنة (٣٠٩هـ)، وتفرق أتباعه، ولم تظهر إلا بعد أكثر من قرنين على يد ابن عربي.

المرحلة الرابعة: مرحلة وحدة الوجود (التصوف الفلسفي)؛ حيث امتزج التصوف بالفلسفة، وأصبح التصوف أمشاجًا مختلطة من عقائد الهنود، والفلاسفة، والمجوس، واليهود، والنصارى، والباطنية، وقد نشأت عقيدة وحدة الوجود - في الأمة الإسلامية - بالشكل الذي هي عليه بعد ابن عربي الطائي؛ في القرن السادس الهجري[4] كما قال

---

(١) ديوان الحلاج ضمن الأعمال الكاملة للحلاج (٣٣٠).

(٢) الطواسين ضمن الأعمال الكاملة للحلاج (١٦٧، ١٨٠).

(٣) جاء في رسالة مدلولات المصطلحات الصوفية (٣٤٦): مع الحرص على الالتزام بالتقسيم الزمني للتصوف إلى مراحل فاصلة، إلا أنه لا مفر من اعتبار عصر الحلاج بداية مرحلة جديدة، حيث شهد نظريات تتنافى مع الإسلام بالكلية.

(٤) وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنَّ عقيدة وحدة الوجود نشأت في الإمة الإسلامية مع نشأة التصوف، وأن أعلام التصوف المتقدمين كالجنيد معتقدين بوحدة الوجود، داعين لها، وأن مؤلفاتهم وأقوالهم تشهد بذلك، وانظر عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية (١٠٧، ٢٦٩، ٦٥٧).

وهذا مخالف لما تقرره كتب التراجم والتاريخ والمقالات وما نص عليه العلماء الذين بحثوا في التصوف (كابن الجوزي وشيخ الإسلام وابن خلدون غيرهم) وبينوا أن الصوفية مروا بمراحل ونفوا تلك التهمة عن أعلام التصوف المتقدمين كالجنيد، قال شيخ الإسلام: "وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه: وقع فيه كثير من متأخري الصوفية؛ ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه: كما في قول الجنيد - لما سئل عن التوحيد - فقال: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم فبين أن التوحيد أن يميز بين القديم والمحدث. وقد أنكر ذلك عليه ابن عربي - صاحب الفصوص - وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد لما أثبتوا الفرق بين الرب ==

شيخ الاسلام في معرض رده على القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود من غلاة الصوفية: "فصل: واعلم أن هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمة قبل هؤلاء على هذا الوجه ... وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار"[(١)].

مسألة: اتفق الصوفية القائلون بوحدة الوجود أن وجود الله هو عين وجود المخلوق، لكنهم تفرقوا في تفسيرهم لهذا المذهب، وتفسيرهم للكثرة التي تشهد بها الحواس ويقرها العقل على ثلاثة طرق:

١- **الطريق الأول:** التفريق بين الوجود والثبوت؛ أي العلاقة بين وجود الأشياء وماهيتها، فابن عربي من الذين فرقوا بين الوجود والماهية تأثرًا بأرسطو[(٢)].

قال ابن عربي: "والصحيح أن الموجودات لها أعيان ثابتة حال اتصافها بالعدم الذي هو الممكن لا للمحال، فكما أبرزها للوجود، وألبسها حاله، وعرّاها عن حال العدم فيسمى بذلك موجِدًا، وتسمى هذه العين موجَدة"[(٣)].

فماذا يقصد ابن عربي بالأعيان الثابتة في العدم؟

هل يقصد الثابتة في علم الله فحسب، أم يقصد ثبوتًا خارجيًا لا ذهنيًا؟

والجواب أن ابن عربي يقصد بـ (الأعيان الثابتة في العدم) عالمًا عقليًا، توجد فيه حقائق الأشياء، أو كلياتها المعقولة التي يعبر عنها بـ (أعيانها المعقولة) إلى جانب العالم الخارجي المحسوس الذي توجد فيه أشخاص الموجودات، ككلام أفلاطون في مُثله التي هي أجناس الأشياء.

==

والعبد.. "مجموع الفتاوى (٢/٢٩٩)، وانظر تلبيس إبليس(١٤٤)، ومقدمة ابن خلدون (١/٦١١)، ومدلولات المصطلحات الصوفية (٢٠٨)، وقد وافقت الباحثة نوال عبد السلام شيخ الإسلام في رسالتها "الجنيد بن محمد وآراؤه العقيدة الصوفية عرض ونقد". رسالة علمية - ماجستير- بجامعة أم القرى (٤٦٧-٤٧١).

(١) مجموع الفتاوى (٢/١٧١).

(٢) ينظر: الكتاب التذكاري، أبو العلا عفيفي (٢١٢).

(٣) الفتوحات المكية (٤/٣٥٥) الباب(٢٧٩).

وما يرجع إلى الله منها ومن إيجادها هو إبرازها للوجود، وتعريتها عن حال العدم بتجلي الله لهذه الأعيان الثابتة في العدم أي في هذا العالم العقلي؛ فتخرج إلى العالم الخارجي[1].

فالمعدوم عند ابن عربي له ذات وماهية وحقيقة سابقة لوجوده، فلا يخلق الله ذاته، ولا تأثير له - تعالى- إلا في إظهاره للعيان، قال ابن عربي: "ما ظهرت أعيان الموجودات إلَّا بالحال التي كانت عليها في حال العدم، فما استفادت إلا الوجود من حيث أعيانها، ومن حيث بقاؤها، فكل ما هي عليه الأعيان القائمة بأنفسها ذاتي لها، وإن تغيرت عليها الأعراض بالأمثال والأضداد إلَّا أن حكمها في حال عدمها ليس حكمها في حال وجودها"[2].

فأعيان الموجودات عند ابن عربي كانت ثابتة في العدم منذ الأزل لم تفارق الإله[3]، فتجلى عليها الحق بوجوده فخرجت إلى الوجود؛ لأن الذات الإلهية عنده لها وجود مطلق[4]، وحتى تخرج عن إطلاقها إلى الوجود الظاهر أو التعينات أو التجليات يلزم أن يحل (الحق) في أعيان الموجودات الثابتة في العدم، فتظهر فيها أسماؤه وصفاته، فوجودها وجوده، ولكن ذواتها ليست ذواتِه، فهي متميزة بذواتها الثابتة في العدم، متحدة

---

(١) ينظر: الكتاب التذكاري، أبو العلا عفيفي (٢٠٨-٢٢٠)، والمعجم الصوفي (٨٣١)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٥٣٦/١)، ومقال هل المعدوم شيء أم لا لتميم القاضي.

(٢) الفتوحات المكية (٣٨٩/٥) الباب (٣٦٠).

(٣) أي أن كل حقائق الممكنات، أو الموجودات لم تكن قبل ظهورها عدمًا صرفًا، وإنما كانت ثابتة متحققة قبل أن يفاض عليها الوجود، فابن عربي ومدرسته لو أثبتوا أن هناك عدم محض؛ للزم منه وجود خالق أو وجود المخلوقات، وبالتالي يكون هناك خالق ومخلوق؛ وهذا يناقض قوله في أن المخلوق عين الخالق.

(٤) أي أن الحقيقة الإلهية كانت عماء أو غيبًا مكنونًا، ثم أحبت هذه الحقيقة أن تعرف وأن تظهر، وأن تتعين، لتسمى، وتوصف، وليكون لأسمائها وصفاتها معان ودلالات وآثار وإشارات، فتعينت في "النقطة الأولى أو الحقيقة المحمدية" وبهذا انتقلت الحقيقة من مرتبة التجرد إلى مقام التعيين، ثم قامت هذه النقطة بإضافة الوجود على الحقائق المسماة "بالأعيان الثابتة "كل منها بحسب استعداده وقابليته فبرزت هذه الحقائق أو الأعيان الثابتة المتحققة من قبل، فتجلت الكثرة بعد الوحدة غير أنها كثرة وهمية وانظر البهائية لعبدالرحمن الوكيل (١٧٥).

بوجود الحق القائم بها، فالموجود مرآة للحق يرى فيها صورته، فالجود (أي الفيض) الإ
يسري في الموجودات؛ فينال كل موجود نصيبه بقدر استعداده[(١)].

وكلام ابن عربي في غاية التناقض والاضطراب؛ ومرجع ذلك عدم تفريقه المعقولات الذهنية والأعيان الموجودة في الخارج[(٢)]، ويمكن أن نورد عليه سلسلة الأسئلة ليس له مخلص من واحد منها:

السؤال الأول الذي يُطرح على فلسفة ابن عربي هو: هل الوجود هو العدم؟

فإن كان الجواب بـ "نعم"، فهذا ممتنع باستحالة الجمع بين النقيضين.

وإن كان الجواب بـ "لا"، فيقال: هل يختلف حال وجود الموجودات عن حال عدمها

فإن كان لم يختلف، فيقال: هي إذًا نفسها.

وقد أجاب ابن عربي كما سبق بأنها لم تختلف في ذاتها، وإنما رُفع عنها الحجا
فيقال له: ما هو هذا الحجاب؟ وعمن رُفع؟ وهل رُفع عن نفسها؟ أم شيء آخر؟

وهذا خلاف ما يدعيه من أنها انتقلت من حال إلى حال، قال ابن عربي: "وهنا حا الألباب، هل الموصوف بالوجود، المدرك بهذه الإدراكات، العين الثابتة انتقلت من ح العدم إلى حال الوجود؟

أو حكمها تعلق ظهوريًا بعين الوجود؟ الحق تعلق صور المرئي في المرآة..؟

أو يكون الحق الوجودي ظاهرًا في تلك الأعيان، وهي له مظاهر، فيدرك بعض بعضًا عند ظهور الحق فيها؛ فيقال: قد استفادت الوجود، وليس إلا ظهور الحق ف وهو إلى ما هو الأمر عليه من وجه.

والآخر هو الأقرب من وجه آخر، وهو أن يكون الحق محل ظهور أحكام الممكنا

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢/٤٦٧)، والإنسان الكامل في الفكر الصوفي (١٨٣)، ومدلولات المصطل الصوفية (٧٩٣)، وشطحات الصوفية عبد الرحمن بدوي (١/١٦).

(٢) انظر الكتاب التذكاري، أبو العلا عفيفي (٢٢٠).

غير أنها في الحكمين معدومة العين، ثابتة في حضرة الثبوت"[1].

ثم بين ابن عربي موقف الأشاعرة والمعتزلة في مسألة هل المعدوم شيئًا؟ ثم بين رأيه فقال: "والمحققون من أهل الله يثبتون الأشياء أعيانًا ثابتة، ولها أحكام ثبوتية أيضًا بها يظهر كل واحد منها في الوجود على حد ما قلناه من أن تكون مظهرًا أو يكون له الحكم في عين الوجود الحق"[2].

والحقيقة أن هذه أوهام غرق فيها ابن عربي فتناقض كما في السؤال التالي:

هل الله عند ابن عربي خالق موجد حقيقة؟ وكيف يحافظ ابن عربي على وحدة الوجود مع الكثرة؛ أي وحدة الوجود مع هذه الإثنينية؟

فابن عربي وإن كان يقول بأن الوجود واحد فهو يقول بالاتحاد والحلول(إثنينية): من جهة أن الثاني(الخلق) محل للأول (الحق) يحل فيه، ولاشك أن القولين متناقضان[3].

قال شيخ الإسلام عن ابن عربي: "يمكن أن يجعل للحق وجودًا خارجًا عن أعيان الممكنات، وأنه فاض عليها؛ فيكون فيه اعتراف بوجود الرب القائم بنفسه الغني عن خلقه، وإن كان فيه كفر من جهة أنه جعل المخلوق هو الخالق والمربوب هو الرب. بل لم يثبت خلقًا أصلاً. ومع هذا فما رأيته صرح بوجود الرب متميزًا عن الوجود القائم بأعيان الممكنات..."[4].

وزعم لأجل ذلك أن الخلق ليس إيجادًا من العدم: فنفى عن الله حقيقة الخلق، بل هو التجلي المستمر في أعيان الكائنات، فهو تعالى الظاهر خلف حجاب المظاهر:

---

(١) الفتوحات المكية (٣١٠/٧) الباب (٥٥٨) حضرة الخلق، حيث ذكر أن اكتساب الأعيان للصور ينقلها إلى عالم الحس.

(٢) الصدر السابق.

(٣) بغية المرتاد (٤١٨)، مجموع الفتاوى (١٤٠/٢).

(٤) حقيقة مذهب الاتحاديين (١٨)، ومجموع الفتاوى (١٦١/٢، ١٦٢)، ومدلولات المصطلحات الصوفية (١١٥٩).

فالمظاهر عندهم هي الأعيان الثابتة في العدم، وأمّا الظاهر فهو وجود الحق، فقرر أن وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته، فهم يفرقون بين وجود الشيء وماهيته، ويثبتون وجودًا في الخارج قبل الوجود العيني، **وهذا مذهب ابن عربي**(١)، **وبناؤه على أصلين:**

أحدهما: أن الأشياء كلَّها ثابتة في العدم(٢)، مستغنية بنفسها، فما ثم من شيء موجود إلا وكان متحققًا ثابتًا في الأزل قبل ظهوره.

والأصل الثاني: أن الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة هو عين وجود الحق الواجب؛ أي وجود الله هو عين وجود تلك الأعيان الثابتة(٣).

فالعبد عند ابن عربي محتاج الى حلول الحق فيه حتى يظهر في الوجود، وهذا معنى العبودية عندهم، والرب محتاج إلى العبد ليظهر إلى الوجود في صورته، وتظهر أسماؤه وصفاته، فالمخلوق يجمع بين الربوبية والعبودية، فهو رب باعتبار أن الحق حال فيه، وهو عبد باعتبار الصورة الجسمانية (عينه الثابتة في القدم)، فظاهره عبد وباطنه رب(٤).

٢- **الطريق الثاني**: طريق الصدر الرومي القونوي(٥)؛ وهو التفريق بين المطلق والمعين،

---

(١) فصوص الحكم، فص حكمة نفثية في كلمة شيثية (٦٠، ٦١).

(٢) سيأتي تحرير مسألة هل المعدم شيئا؟ ومسألة التفريق بين الوجود والماهية في الباب الثاني الفصل الرابع (٣٨٩).

(٣) بغية المرتاد (٣٩٥)، وحقيقة مذهب الاتحاديين (١٦-١٧)، ومدلولات المصطلحات الصوفية (١١٥٨).

(٤) بغية المرتاد (٣٩٧)، مجموع الفتاوى (٢/٢١٥، ٢٦٨، ٣٠٧)، ومدلولات المصطلحات الصوفية (٨١٠، ١١٠٨، ٨٥٥).

(٥) محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف الرومي القونوي، نسبة إلى قونية بتركيا، يلقب صدر الدّين، تلميذ ابن عربي وربيبه، تزوج أمه فعاش في كنفه فتأثر به، توفي (٦٧٢هـ)، وفي هذا العام توفي أيضًا صديقه جلال الدين القونوي الرومي محمد بن محمد بن الحسين صاحب كتاب المثنوي الذي يزعم اتباعه أنه قرآن فارسي، وهو من القائلين بوحدة الوجود أيضًا، وانظر الوافي بالوفيات للصفدي (٢/١٤١)، وصدر الدين القونوي وفلسفته (٥٠)، ووحدة الأديان في عقائد الصوفية (٢/٧٠١، ٧٠٥).

فالله عنده هو الوجود المطلق الذي لا يتعين ولا يتميز، وإذا تميز وتعين فهو الخلق، سواء تعين في مرتبة الإلهية أو غيرها، فيرى ما ثَمَّ سوى الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة[1].

قال شيخ الإسلام: "وأمَّا صاحبه الصدر الفخر الرومي فإنه لا يقول إن الوجود زائد على الماهية؛ فإنه كان أدخل في النظر والكلام من شيخه، لكنه أكفر وأقل علمًا وإيمانًا وأقل معرفة بالإسلام وكلام المشايخ؛ ولما كان مذهبهم كفرًا كان كل من حذق فيه كان أكفر، فلما رأى أن التفريق بين وجود الأشياء وأعيانها لا يستقيم وعنده أن الله هو الوجود ولا بد من فرق بين هذا وهذا فرق بين المطلق والمعين ... وهذا القول قد صرح فيه بالكفر أكثر من الأول، وهو حقيقة مذهب فرعون والقرامطة، وإن كان الأول أفسد من جهة تفرقته بين وجود الأشياء وثبوتها..."[2].

فابن عربي متفق مع تلميذه القونوي في القول بأن الرب عين المربوب، والخالق عين المخلوق، وأنه ليس هناك خلق وإيجاد.

والفرق بينهما أن الأول أفسد من جهة تفريقه بين وجود الأشياء وثبوتها؛ إلا أنه يجعل للحق وجودًا خارجًا عن الممكنات، وأنه فاض عليها فخرجت من الثبوت إلى العيان؛ فيكون فيه اعتراف بوجود الرب القائم بنفسه الغني عن خلقه، ومع هذا فلم يصرح بوجود ربٍ متميزٍ عن الوجود القائم بأعيان الممكنات، في حين أن القونوي لا يفرق بين وجود الأشياء وماهيتها، ولا يثبت أن المعدوم شيء، ولكنه يفرق بين المطلق والمعين كما سبق.

وقد ذكر شيخ الإسلام أن من قال وجود الحق هو الوجود المطلق فقوله بحسب مراده:

---

(١) انظر صدر الدين القونوي وفلسفته (١٠٦، ١٠٩، ١١٤)، وحقيقة مذهب الاتحاديين (١٨)، ومجموع الفتاوى (١٦١/٢)، وبغية المرتاد (٤١٠)، ومدلولات المصطلحات الصوفية (١١٥٩) هامش.

(٢) مجموع الفتاوى (١٦٢/٢).

إن عنى به المطلق بشرط الإطلاق والذي يسميه أهل المنطق الكلي العقلي، كقولنا الماء المطلق فلا وجود له في خارج الذهن فلا يكون للحق وجودًا أصلاً كقول ابن سينا.

وإن عنى به المطلق لا بشرط الإطلاق والذي يسمونه الكلي الطبيعي كقولنا إنسان فلا يوجد في خارج الذهن إلَّا معينًا، فلا يكون للحق إلَّا وجود الأعيان، وهذا قول القونوي[1].

قال شيخ الإسلام: "... وأمَّا هذا [يقصد القونوي] فقد صرح بأنه ما ثم سوى الوجود المطلق الساري في الموجودات المعينة؛ والمطلق ليس له وجود مطلق، فما في الخارج جسم مطلق بشرط الإطلاق، ولا إنسان مطلق ولا حيوان مطلق بشرط الإطلاق، بل لا يوجد إلا في شيء معين"[2].

الطريق الثالث: ما ذهب إليه التلمساني وعبد الحق بن سبعين[3]؛ وهو عدم التفريق بين الظاهر والمظاهر، والمجلي والمتجلي، ولا بين ماهية ووجود، ولا بين مطلق ومعين؛ لأن الكثرة والتفرقة في ذهن الإنسان لما كان محجوبًا عن شهود الحقيقة، فلما انكشف الحجاب عاين أنه لم يكن غيره، وأن الرائي عينُ المرئي، والشاهد عينُ المشهود، وما عندهم ثَمَّ سوى، وإنما الكائنات أجزاء منه وأبعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر، فلا يثبت التعدد بحال.

قال شيخ الإسلام: "ولا ريب أن هذا القول: هو أحذق في الكفر والزندقة؛ فإن التمييز بين الوجود والماهية وجعل المعدوم شيئًا، أو التمييز في الخارج بين المطلق والمعين وجعل المطلق شيئًا وراء المعينات في الذهن قولان ضعيفان باطلان..."[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦٨/٢).

(٢) حقيقة مذهب الاتحاديين (١٨)، ومجموع الفتاوى (١٦١/٢، ١٦٢)، ومدلولات المصطلحات الصوفية (١١٥٩).

(٣) حقيقة مذهب الاتحاديين (٤١٧، ٤٢٤)، ومجموع الفتاوى (١٧٠/٢، ١٨٦)، ومدلولات المصطلحات الصوفية (١١٥٨) هامش.

(٤) مجموع الفتاوى (١٦٩/٢).

والفرق بين القول الأول (مدرسة ابن عربي)، والقول الثالث (مدرسة التلمساني وابن سبعين) أن الأول يفسح مجالاً للقول بالممكنات على وجه من الوجوه، ويقيل النسب والإضافات والأسماء، وإن كانت الحقيقة الوجودية عندهم واحدة، والتفرقة بين الذات والممكنات اعتبارية ليست حقيقة، بينما مدرسة التلمساني وابن سبعين تعتبر أن القول بوجود أي ممكن - ولو كان نتيجة للتجلي الإلهي على الصور- نوع من الوهم الزائل الذي لا حقيقة له، فوجود سائر الموجودات هو عين وجود الواحد، فهي غير زائدة عليه بوجه من الوجوه، فالوجود واحد، وهو وجود الله فقط، فلا اثنينية مطلقًا[(١)]، يقول ابن سبعين: "فلا وجود على الإطلاق، ولا واحد على الحقيقة إلا الله"[(٢)]، فالحق - تعالى- عند ابن سبعين" في الماء ماء، وفي النار نار، وفي الحلو حلو وفي المر مر"[(٣)]، ويقول: "ومما ظهر لي في الوجود أن الذوات كلها ذات ذلك الوجود...، والوجود في كل موجود هو الحق فيه، وقولك الجسم، والجوهر، والعرض: هو الوهم"[(٤)].

قال شيخ الإسلام: "فإن هؤلاء عندهم كل شيء هو الله، ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم. وأما على رأي صاحب الفصوص فإن بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم لعظم ذاته الثابتة في العدم؛ وأما على رأي الرومي فإن بعض المتعينات يكون أكبر، فإن بعض جزئيات الكلي أكبر من بعض؛ وأما على البقية فالكل أجزاء منه وبعض الجزء أكبر من بعض"[(٥)].

وقد بين شيخ الإسلام أن محصل أقوال أصحاب وحدة الوجود الثلاثة ترجع إلى

---

(١) وحدة الأديان في عقائد الصوفية (٥٦١/١).

(٢) انظر الرسالة الفقيرية، ضمن رسائل ابن سبعين (١٢).

(٣) الرسالة الألواح، ضمن رسائل ابن سبعين (١٩٢).

(٤) رسالة خطاب الله بلسان نوره، ضمن رسائل ابن سبعين (٢٢٧)، ولمزيد من التفصيل ينظر وحدة الأديان في عقائد الصوفية (٥٥٩/١).

(٥) مجموع الفتاوى (٤٧٦/٢).

الوجود الكلي الذي لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان، قد طلب بعض فضلاء الاسكندرية من شيخ الإسلام الرد على أهل وحدة الوجود كابن سبعين فأجابهم، قال: "وقال لي رجل من أعيانهم: بلغنا أنك ترد على الشيخ عبد الحق[(١)]، نحن نقول إن الناس ما يفهمون كلامه، فإن كنت تشرحه لنا وتبين فساده قبلنا وإلا فلا. فقلت له: نعم أنا أبين لك مراده من كتبه، كالبد[(٢)]، والإحاطة، والفقرية[(٣)] وغير ذلك. فقال: عندنا الكتاب الخاص الذي يسمى لوح الأصالة[(٤)]، وهو سر السر، وهو الذي نطلب بيانه. ولم أكن رأيته، فذهب وجاء به، ففسرته له حتى تبين مراده، وكتب أسئلة سألني عنها تكلمت فيها على أصل قولهم وقول ابن عربي وابن سينا ومن ضاهى هؤلاء، وبينت له أن **أصل قولهم يرجع إلى الوجود المطلق**، ثم بينت له أن المطلق لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان. وكان له فضيلة، فلما تبين له ذلك أخذ يصنف في الرد عليهم، وذهب إلى شيخ كبير منهم فقال له: بلغني أنك جرى بينك وبين فلان كلام. قال: نعم. قال أي شيء قال لك؟ قال: فقال لي آخر أمركم ينتهي إلى **الوجود المطلق**. قال: جيد. قال بأي شيء يرد ذلك؟ قال: **المطلق إنما هو في الأذهان لا في الأعيان**. فقال: أخرب بيوتنا وقلع أصولنا هذا ونحوه"[(٥)].

---

(١) يقصد ابن سبعين.

(٢) يقصد كتاب بد العراف لابن سبعين وقد طبع بتحقيق د. جورج كتوره نشر دار الأندلس والكندي ببيروت، والبد كلمة معربة، أصلها في الفارسية (بت)؛ وتعني: بيت الصنم، أو الصنم نفسه، فيكون المعنى صنم العارف، وقد استخدم ابن سبعين هذه الكلمة بمعنى الله، تعالى الله عن قوله علوًا كبيرًا فقال في مقدمة البد (٧): والحق هو أصل كل شيء وبده وصورته وذاته وبعضه من جهة ما يجب له وعلى ما يجب له، وكما يجب له". انظر مقدمة محقق كتاب بد العارف (٧) ، وبغية المرتاد (١٨٢)

(٣) الإحاطة إحدى رسائل ابن سبعين طبعت ضمن رسائل ابن سبعين تحقيق عبد الرحمن بدوي.

(٤) هكذا ورد تسمية تلك الرسالة بهذا الاسم عند ابن تيمية، وقد ناقشها في الصفدية وهي تحمل اسم الرسالة وفي آخرها كملت الألواح، وقد طبعت ضمن رسائل ابن سبعين تحقيق عبد الرحمن بدوي (١٩٠-٢٠٠). قاله محقق بغية المرتاد (٤٨) هامش.

(٥) الصفدية (٣٠٣/١).

الفصل الثالث

فلسفة الطاقة الكونية : حقيقتها، وجذورها الفكرية

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: حقيقة الطاقة الكونية.
- المبحث الثاني: الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية.

المبحث الأول

حقيقة الطاقة الكونية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف بالطاقة الكونية، وبيان أسمائها الأخرى.
- المطلب الثاني: خصائص الطاقة الكونية، وعلاقة الإنسان بها.

المطلب الأول
التعريف بالطاقة الكونية

أولا: تعريف الطاقة:

أ- الطاقة لغة:

مصدر طاقَ من الطوق؛ وهو دوران الشيء على الشيء، ومنه قولهم: أطاق هذا الأمرَ إطاقة، أي قدر وقوي عليه، واحتمله بمشقَّة، فكأنه قد أحاط به، ودار به من جوانبه.

قال ابن فارس: الطاء والواو والقاف أصل صحيح يدل على دوران الشيء على الشيء، فكل ما استدار بشيء فهو طوق. وسمي البناء طاقًا لاستدارته إذا عقد. والطيلسان طاق؛ لأنه يدور على لابسه.

فأما قولهم: أطاق هذا الأمرَ إطاقة، وهو في طوقه، وطوقتك الشيء، إذا كلفتكه، فكله من الباب وقياسه؛ لأنه إذا أطاقه فكأنه قد أحاط به ودار به من جوانبه"[١].

وقال ابن منظور: "والطوق والإطاقة: القدرة على الشيء ... أي أقصى غايته، وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة منه"[٢].

فالطاقة: نشاط أو قدرة أو قوة على إحداث فعل جسميّ أو ذهنيّ[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٤٣٣).

(٢) لسان العرب (١٠/٢٣٢).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/١٤٢٤).

ب- استعمالات الطاقة في القرآن والسنة:

ورد لفظ الطاقة في الشرع بمعناه اللغوي القوة أو القدرة، كقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]؛ أي لا قوة لنا[١]، وقوله: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ قال ابن جرير: "ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا"[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم والوصال". قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله. قال: "إنكم لستم في ذلك مثلي؛ إني أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون" وفي رواية "فَاكْلَفُوا مَا لَكُمْ بِهِ طَاقَةٌ"[٣].

وقد تستخدم بمعنى الهمة العالية.

ج- الطاقة في الاصطلاح الفيزيائي:

الطاقة في الفيزياء: القدرة على بذل شغل أو إحداث تغير، ووحدة قياسها الجول، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

- طاقة حركية؛ وهي التي تظهر على الجسم في حالة حركته، ومن أنواعها: الطاقة الكهربائية، والطاقة الميكانيكية.
- طاقة كامنة؛ وهي التي يكتسبها الجسم في حالة وجوده تحت تأثير قوة أخرى، ومن أنواعها: طاقة الجاذبية، والطاقة الكيميائية.

ومن مصادر الطاقة الفيزيائية: النفط، والفحم، والغاز الطبيعي، واليورانيوم، والطاقة الشمسية، والرياح، والكهرومائية، والحرارة الجوفية[٤].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (المشهور بتفسير النسفي) (١/ ٢٠٦).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المشهور بتفسير الطبري) (٥/ ١٦١).

(٣) صحيح مسلم حديث رقم (١١٠٣)، وانظر أيضًا حديث رقم (٢٦٨٨).

(٤) انظر أساسيات الفيزياء(٤٨،٥٦،٥٧).

ثانيا: تعريف الكون:

أ- الكون لغة:

قال ابن فارس: الكاف والواو والنون أصل يدل على الإخبار عن حدوثِ شيء، إمَّا في زمانٍ ماضٍ أو زمان راهن. يقولون: كان الشيء يكونُ كَونا، إذا وقع وحضر ... والحدث هو كون الشيء لم يكن. يقال حدث أمرٌ بعد أن لم يكن(١)، وكَوَّنَ الشيءَ: أَحدثه. والله مُكَوِّنُ الأشياء يخلقها من العدم إلى الوجود(٢)، وفي الحديث: "أعوذ بك من الحور بعد الكون"(٣)، قال ابن الأثير: الكون مصدر كان التامة؛ يقال: كان يكون كونًا؛ أي: وجد واستقر؛ أي: أعوذ بك من النقص بعد الوجود والثبات(٤).

ب- الكون في القرآن والسنة:

يطلق مسمى الكون في القرآن والسنة على ما خلقة الله وكوَّنه من المخلوقات؛ كالسموات والأرض وما فيهن وما بين ذلك، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الحديد: ٤]، وعندما سأل ناس من أهل اليمن الرسول ﷺ عن هذا الأمر قال: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض"(٥).

ولا تختلف اليهودية والنصرانية في هذه المسألة في الجملة عمَّا جاء في القرآن والسنة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٤٨/٥) (٣٦/٢).

(٢) لسان العرب (٣٦٥/١٣، ٣٦٦)، (١٥٥/٥) والمراد بالعدم أي أن الله خلق العالم بقدرة وإرادة.

(٣) صحيح مسلم (١٣٤٣)، وفي بعض نسخ مسلم" أنه كان يتعوذ من الحور بعد الكور" أي من النقصان بعد الزيادة، وهو من تكوير العمامة، وهو لفها وجمعها.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١١/٤).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٨)، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}.

ج- الكون في الأديان الوضعية الشرقية:

ليس للكون في الأديان الوضعية الشرقية خالق، وإنما بداية الوجود ناتجة عن العدم، ومتولدة عن كتلة غامضة دون وعي منها أو إرادة في نظرية تشبه نظرية الفيض عند فلاسفة اليونان[1]، وكل موجود في العالم المحسوس ليس إلَّا مظهرًا من مظاهر تلك القوة الغامضة، والتي يطلق عليها المبدأ الأول.

فيرى فلاسفة الشرق ومن تأثر بهم من أصحاب الطاقة الكونية المعاصرين أن الوجود صدر أو انبثق عن مبدأ أول كلي مطلق، تتغير أسماؤه بحسب المعتقد والفلسفة ولغة أهله؛ فيُسمى عند الهندوس برهمان، وعند الطاوية الطاو، وعند بعض فرق البوذية "بوذا المطلق".

وهذا المبدأ الكلي في الحقيقة عدم، لا وجود له إلَّا في أذهانهم؛ لأن الموجودات في خارج الذهن هي أمور معينة، فكل موجود له حقيقة تخصه يتميز بها عما سواه لا يشركه فيها أحد، وهو عندهم أيضًا لا يوصف بأي صفة ثبوتية كالخلق والإرادة؛ لأنها بزعمهم تحد من كماله.

فعلة الخلق والتأثير في الكائنات هي مشكلة الفلسفة قديمًا وحديثًا، من أين أتى التخصيص والايجاد في الكائنات؟، وما العلة المؤثرة في الكون التي تدبره وتتصرف فيه وتسري في كل ذرة من ذراته؟

فعند الهندوسية المبدأ الأول (برهمان المطلق) هو العلة الكبرى، ولا علة له، والجوهر المطلق الذي انبثق منه الوجود، وتولدت منه ما يعرف بالبرانا (الروح الكوني)، التي هي موجودة في كل شيء وفق إيقاع ثنائي أطلقوا عليه بنغالا وإدًّا[2].

---

(١) الفكر الشرقي القديم (٤٦).

(٢) انظر الأوبانيشاد ترجمة عبدالسلام زيان (٧٧)، والفكر الشرقي القديم لجون كولر (٩٨)، والفكر الشرقي ليونج شوون (٣٤)، نقلا عن التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٦٢)، وفلسفة الطاقة الكونية (١٠٢).

وعند **الطاوية** مبدأ العالم والكون قوة غامضة هي الطاو، الذي هو المطلق ومبدأ كل شيء ومآله، وانبثقت عنه ما يعرف بالـ(تشي) الطاقة الروحية، وطاقة تشي هي الوسائط بين التاو المطلق والكون المادي، بمنزلة العقول والنفوس في الفلسفة اليونانية[١]، وعن تشي انبثقت قوتي الـ(ين) والـ(يانغ)، ونتيجة لتفاعل هاتين القوتين نتج خمسة عناصر، وهي: الماء، والخشب، والنار، والتراب، والمعدن، وعنها نتج باقي الموجودات، وكل هذه الموجودات ليست منفصلة عن موجدها، بل هي وهو شيء واحد[٢]، قال لاو تزي:

"الـ(طاو) تنسل الواحد

الواحد ينسل الاثنين

الاثنان تنسل الثلاثة

والثلاثة تنسل العشرة آلاف شيء

العشرة آلاف[٣] شيء تحمل الـ(ين) وتحتضن الـ(يانغ)

وتحقق انسجامها بالدمج بين هاتين القوتين"[٤].

وعند أصحاب الطاقة الكونية المعاصرين مبدأ العالم والكون قوة غيبية كلية مطلقة، وباتحاد الإنسان معها تمنحه كل شيء.

والفرق بين النظرة إلى الكون في الأديان المنزلة من الله والكون في فلسفة الطاقة الكونية ظاهر؛ فالكون في الأديان المنزلة من الله مخلوق لله بقدرة وإرادة، والإله الخالق خارج عن المخلوقات مباين لها، بينما في فلسفة الطاقة فالكون صدر

---

(١) قوة الآن (١٣١).

(٢) الفكر الشرقي القديم (٣٢٤، ٣٢٦)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٦٢).

(٣) العدد العشرة آلاف للتكثير؛ لأنه أعلى رقم يعرفه أهل الصين، والمقصود ما لا ينتهي من الأعداد، وانظر كتاب الطاو (٢٢، ١٣٠) ترجمة هادي العلوي.

(٤) كتاب الطاو (٩٧) ترجمة هادي العلوي.

وفاض بلا إرادة عن الأول الذي هو قوة مطلقة كامنة في المادة ذاتها، ليس لها وجود مفارق لتلك المادة.

والفرق بين فلسفة الطاقة والنظرية المادية الداروِنية أن الأخيرة تجعل النشأة والارتقاء عائدين إلى أسباب مادية كامنة في الطبيعة؛ كيميائية أو فيزيائية أو حيوية أو غيرها، وراجعة إلى الصدفة، بينما في فلسفة الطاقة يرجعون ذلك إلى أسباب ميتافيزيقية كامنة في ذات المادة، وخاضعة لإرادة الإنسان، وراجعة إلى هدف محدد، وهو الاتحاد والوحدة ورفع الإنسان إلى المستوى الإلهي[1].

(١) حركة العصر (٤٨٣،٤٨٨)، وداروين ونظرية التطور لشمس آق بلوت (١٤).

ثالثا: تعريف الطاقة الكونية كاصطلاح مركب:

والآن بعد أن عرَّفنا الطاقة والكون باعتبارهما لفظين مفردين نعرف "الطاقة الكونية" باعتبارها اصطلاحًا مركبًا من المفردتين؛ وقد عُرِّفت الطاقة الكونية بعدَّة تعريفات أذكر منها:

١- عرفها البعض بأنَّها مبدأ فلسفي عقدي، يقوم على أساس النظرة الواحدية للوجود؛ حيثُ يعتقد أن الطاقة باختلاف أسمائها وُجدت قبل العالم، وأن العالم ليس إلَّا مظاهر مختلفة لها، وأنها قوة ممتدة في الوجود.

فهي منبثقة عن الوجود المطلق بمختلف أسمائه في الفلسفات الشرقية، أو هي الوجود المطلق(١).

٢- وعرفها آخرون بأنَّها قوة مبثوثة في الكون منبثقة عن (الكلي الواحد) الذي منه تكوّن الكون وإليه يعود، ولها القدرة على التأثير(٢).

٣- وعرفها آخرون بأنَّها قوى عظمى منبثقة من الكلي، تدرك بالتجربة الذاتية والتأمل، تتخلل كل شيء في الوجود، وبالاندماج معها تمنح الإنسان الحياة والحكمة وكل شيء(٣).

٤- ويُعرف ديباك شوبرا(٤) الطاقة الكونية (برانا) بقوله: "هي طاقة الحياة التي تجري في الطبيعة والكون" ثم يصفها بقوله: "القوة الكامنة المحركة للطبيعة، والمؤثرة في

---

(١) التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (١٩٤)، والثيوصوفيا لمريم عنتابي (١٨٤).

(٢) وقفات مع الفكر العقدي الوافد، د. فوز كردي (٧٣).

(٣) ترانسيرفينج الواقع (فضاء الاحتمالات) لفاديم زيلاند (٤٠، ٢٢٧) وتعليقات د. أيمن العنقري https://www.youtube.com/watch?v=pJzSu١fJi١g.

(٤) ستأتي ترجمته في الباب الثاني، الفصل الثاني عند الحديث عن مظاهر وحدة الوجود في أبرز مؤلفات فلاسفة الطاقة (٢٧٧).

المادة، إذا توقفت توقف الإنسان عن الحياة"[1]. ويزعمون أنها كانت أسرارًا لدى المعابد والسحرة.

٥- ويمكننا القول بأنها فلسفة تفسر المبدأ الكلي الفعال المؤثر في الكون، الذي يدبره، ويتصرف فيه، ويسري في كل ذرة من ذراته، وباتحاد الإنسان معه يمنحه كل شيء.

أو هي فلسفة شاملة لكافة مناحي الحياة بدءًا من كونها ممارسة شعائرية تعبدية مبنية على طقوس وثنية، مرورًا بالقدرة على الشفاء والعلاج والقدرة على التأثير على المادة وانتهاء بالوعي الموصل إلى تطبيق فلسفة الطاقة الكونية على كل شؤون الإنسان من جذب وخلق للواقع.

رابعًا: علاقة الطاقة الكونية بالفيزياء:

بعد أن عرّفنا الطاقة الكونية اصطلاحًا يرد سؤال، وهو: ما علاقة الطاقة الكو. بالطاقة الفيزيائية؟

والجواب أنه لم يثبت وجود علاقة بين الطاقة الكونية بمفهومها الموضح وعلم الفيزياء للأسباب التالية:

الوجه الأول: الفيزياء هو علم الطبيعة، ويعتمد على الكميات الفيزيائية ومقاديرها ووحدتها، والتي هي جميعًا قابلة للقياس ضمن أسس علمية، فما لا يقاس لا يدخل في علم الفيزياء.

وأمَّا الطاقة الكونية فغير قابلة للقياس بأجهزة القياس الفيزيائية المعتمدة، وإنما يُدّعى قياسها بواسطة أجهزة خاصة قد تعتمد المبادئ الفيزيائية، تُوظف بطريقة غير علمية مثل "البندول"[2]؛ فبحسب اتجاه دورانه تُعرف الطاقة السلبية من الطاقة

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٦).

(٢) يقول د.عايد العجمي (أستاذ مساعد في قسم الهندسة الإلكترونية بكلية الدراسات التكنولوجية بالكويت): إنَّ ما يسمى بعصا العرافة الكاشفة للمياه الجوفية أو البندول النحاس أو المعدني ليس له ==

الإيجابية، وبعضهم يستخدم "كاميرا كيرليان" التي تصور التفريغ الكهربائي الخارج من الأجسام[١]، أو جهاز الكشف على الأعصاب، ويزعمون أن النتائج الظاهرة هي قياسات "الطاقة الكونية" في الجسد!! في محاولة منهم لربط الطاقة الكونية بمفهوم الطاقة الفيزيائية؛ لتلبس لبوس العلم، ولتوحي ببعدها عن المعاني الدينية والفلسفات الميتافيزيقية "ما وراء الطبيعية"، مستغلين جهل أغلب الناس بهذه الأجهزة واستعمالاتها في مغالطة علمية وعبث في فضاء صعب، واستغلال لقلة معرفة العامة بنظريات الفيزياء[٢].

وهذا ما أدى إلى عدم اعتراف الفيزيائيين بـ "الطاقة الكونية" معتبرين أنها رأي غير قابل للأخذ به في الفيزياء؛ لأن الطاقة الفيزيائية متعلقة بالمادة ولها حس مادي ملموس، وكل تفسير ليس قابلاً للاختبار هو مجرد رأي لا يؤخذ به[٣].

فالمشاعر ليست حسية لتقاس فكيف يمكن قياسها؟ وقد زعم بعض أصحاب الطاقة الكونية أنها تنقسم إلى طاقة إيجابية؛ وهي الموجودة في الحب والسلام والطمأنينة ونحوها، وطاقة سلبية؛ وهي الموجودة في الكره والخوف والحروب ونحوها.

==

أي أساس علمي وإنما توازن غير مستقر بحيث تتحرك عند أدنى حركة بسيطة غير ملحوظة مما يوحي للمشاهد وجود قوة خفية.

والذي يستخدم في تطبيقات الفونغ شوي البوذية (طاقة المكان) والتي يدعون أنها حاكم المكان لأنها تأتيهم بحِكَم التنين وربطوها بالمقياس الوهمي "هاوكنز":

https://twitter.com/scita٢u/status/١٣٠١٩٦١٠٦٦٧٧٦٣٤٢٥٢٨?s=٢١

(١) انظر حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٢٧)، والإلحاد الروحي د.هيثم طلعت (٤٣).

(٢) حقيقة علم الطاقة الباطني د. فوز كردي٢٢٥٥٥https://ar.islamway.net/article/، وتعليق استاذ الفيزياء بجامعة أم القرى د. عبد الوالي العجلواني، وانظر مناظرة الفيزيائي داوكنز مع ديباك:

http :٤talal.blogspot.com/٠٣/٢٠١٤//blog-post.html.

(٣) انظر مثلاً موقف المختصين من قانون الجذب كبراين جرين (بروفيسور في الفيزياء في جامعة كولومبيا) قال: "إذا كان قانون الجذب يعني أن الفكرة تجتذب إليها ما يشابها، أستطيع أوكد لكم أن ميكانيكا الكم لا علاقة لها بها إطلاقًا"، وكذا موقف موري جيل مان (حائز على جائزة نوبل في الفيزياء) وغيرهم. انظر: خرافة السر (٦٨).

لذا يطالب معتنقوها بمن فيهم من المسلمين بتصفية النفوس والعالم من (الطاقات السلبية)؛ أي لابد من القضاء على الكره والخوف من قلوب العالمين!!! والقضاء على مسبباتها من النقد والجدال والحروب[١]!!

الوجه الثاني: اعتراف أصحاب الطاقة الكونية بالفرق بين فلسفة الطاقة الكونية والطاقة الفيزيائية؛ يقول أحمد توفيق (أحد أصحاب الطاقة الكونية): "للطاقة أشكال متعددة: قد تكون كهربائية، ما قد تكون مغناطيسية، أو حرارية، أو ضوئية، أو صوتية، **ولكن هناك طاقة أخرى، غير هذه الطاقات المعروفة**، تعمل بها المخلوقات الحية من نبات وحيوان. وهذه الطاقة هي طاقة الحياة أو طاقة الوعي"[٢]، وجاء في أعمدة اليوغا الثمانية: "ينبغي أن نذكر أن البرانا طاقة غير فيزيائية"[٣].

وفي مناظرة بين ديباك شوبرا وداوكنز[٤]، اعترف فيها ديباك شوبرا أنه يستخدم مصطلح التداوي بالطاقة بشكل مجازي لا علاقة له بالفيزياء[٥].

الوجه الثالث: وصف أصحاب الطاقة الكونية لها بصفات غيبية وميتافيزيقية (ما وراء الطبيعية)؛ كقولهم إنها موجودة في كل ذرة من ذرات الكون، وإن لها عقلاً كونيًا، وإنها تربط الإنسان بالذات العليا[٦].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) العقل الباطن (٩٧)، والشفا بالطاقة الحيوية لأحمد توفيق (٦)، الأصول الفلسفية لتطوير الذات (٢١٦/١).

(٣) أعمدة اليوغا الثمانية (١٩٩).

(٤) داوكنز: عالم أحياء تطوري بريطاني، وهو ملحد معروف بانتقاده لنظرية الخلق.

(٥) انظر مناقشة المهندس طلال العتيبي -ماجستير ودكتوراه من جامعة تكساس أوستن قسم هندسة الطيران والميكانيكا- للطاقة الكونية فيزيائيًا في مدونته في عدة مقالات:
http : ٤talal.blogspot.com/٢٠١٤/٠٣/blog-post.html

(٦) انظر المبحث التالي (صفات الطاقة الكونية) وانظر الأصول الفلسفية لتطوير الذات (٤٩٠/٢).

خامسًا: عدم ثبوت الطاقة الكونية وحيًا أو عقلًا أو تجريبيًا.

يلجأ بعض أصحاب الطاقة الكونية عند تقرير عدم قدرتهم على إثبات الطاقة الكونية فيزيائيًا (أي من خلال العلم التجريبي) إلى إلزامنا بأثبات وجود الملائكة فيزيائيًا أو نفي وجودهم؟

والجواب على ذلك:

أن مصادر المعرفة في الإسلام هي (الوحي والعقل والحس) والعلاقة بينهم علاقة توافق وتكامل ولكل واحدٍ منها اعتباره؛ فمثلاً الملائكة من عالم الغيب؛ وهذه الحقيقة تُعلم من جهة الوحي علمًا يقينيًا، وقد ثبت رؤية الملائكة عند الأنبياء وغيرهم كما جاءت بذلك الأخبار المتواترة، والعقل لا يمنعها إن لم يدل عليها.

وكذا ثبوت نبوة النبي ﷺ يمكن العلم بها من جهة الوحي والعقل من خلال المسلك الشخصي والنوعي[(١)].

وإذا كان الفيزيائيون قد أبطلوا ثبوت الطاقة الكونية فيزيائيًا؛ لعدم وجود ما يدل عليها تجريبيًا، وقد سلم الكثير منهم بذلك كما سبق، فليس أمامهم إلّا إثباتها عن طريق الوحي أو العقل؛ أمَّا الوحي: فليس لديهم من الكتاب أو السنة ما يثبت وجود الطاقة الكونية، إلَّا أن يكونوا معتقدين عقائد الفلاسفة الأوائل ومن تبنى مذهبهم من أصحاب الديانات الوضعية التي تنكر وجود الله وقدرته وتدبيره للكون وتحاول الاستعاضة عن ذلك بمفاهيم وقوى يزعمون أنها تدبر الكون كفلسفة النفوس الفلكية عند اليونان، أو طاقة برانا أو تشي عند فلاسفة الشرق وغيرهم، والتي هي بعيدة كل البعد عن الإسلام.

وإمَّا إثباتها من جهة العقل فلا بد من إقامة البرهان العقلي على ذلك، ولم تقيموا على ذلك أي دليل برهاني يثبت ما تقولون، بل نص كبار فلاسفة الطاقة الكونية كديباك

---

(١) انظر شرح العقيدة الأصبهانية (٥٤٠،٦٩٢)، ونظرية المعرفة في الإسلام د. عبدالله القرني.

شوبرا، ووابن داير، واكهارات تول، وأوشو، وغيرهم على وجوب إيقاف وإسكات العقل عن التفكير لإدراك الطاقة الكونية كما سيأتي ذلك بالتفصيل.

سادسًا: تسميات الطاقة الكونية:

الطاقة الحيوية، وقوة الحياة، وطاقة الحياة، والنفس، وقوة الشفا، وبرانا في الهندوسية والبوذية، وتشي في الصين، وكي في اليابان، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك بإذن الله[١].

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٦)، وأعمدة اليوغا الثمانية (٢٠٠)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٢٠٥).

المطلب الثاني
صفات الطاقة الكونية وعلاقة الإنسان بها

أصحاب الطاقة الكونية يصفون "الطاقة الكونية" بصفات غيبية أو ميتافيزيقية (ما وراء الطبيعية) نوجزها فيما يلي:

١. يصفونها بصفات الله الخالق، يقول واين داير: "إنَّ كل ما نحتاجه كي ننمو ونزدهر هو أن يتمّ الاعتناء بنا من قبل تلك القوة التي لا تُرى، والتي تبدو وأنَّها لا تفعل شيئًا، وفي الوقت ذاته لا تترك شيئًا دون أن تُنجزه... إنَّ الطاقة المسؤولة عن وجودنا تعلم على وجه الدقة ما الذي تفعله ومتى... القوة الخفية التي تُدبر كل شيء"(١).

٢. قوة الحياة موجودة في كل شيء عندهم، قال واين داير: "إن كل شيء عبارة عن طاقة، وإن كل شيء يهتزّ على عدة ترددات"(٢).

وجاء في أعمدة اليوغا الثمانية: "إن التحكم بالبرانا يعطي سيطرة على جميع موجودات الكون"(٣).

٣. الخلق والإيجاد؛ يقول ديباك شوبرا عن طاقة البرانا: "إنها الطاقة الأساسية التي تنعش وتنشط الجماد، وتحوله إلى مخلوقات بيولوجية حية ومتطورة... من وجهة اليوغا فإن الفرق بين الكائن الحي والميت حضور البرانا أو الطاقة الحيوية"(٤)، يقول أيضًا: "دع الكون يتولّ أمر التفاصيل... ثق بقوة طاقة القصد لضبط كل التفاصيل وتنسيقها من أجلك"(٥).

---

(١) النقلة (٤٨).

(٢) النقلة (٣٥).

(٣) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٠١)، والقوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٥، ٣٤).

(٤) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٥).

(٥) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٩٣).

٤. قوة الشفا يقول ديباك شوبرا: "برانا هي قوة الحياة الأولى التي تتحكم بجميع وظائفك الذهنية والبدنية. إنها الطاقة الحيوية التي تنشط الجزئيات الخاملة لشفا الذات، وتطوير الكائنات البيولوجية. أنها الطاقة الإبداعية الحاكمة للكون"(١).

وجاء في أعمدة اليوغا الثمانية: "البرانا تشفي وتؤدي أعظم عملية عضوية، وهي تماسك الخلايا؛ أي أن البرانا هي ضمانة الحياة"(٢).

٥. تسري في الوجود كله؛ فالحياة نتيجة لتكثفها، والموت نتيجة لقلتها؛ حيث إن وجودها سبب لاستمرار الحياة؛ يقول ديباك شوبرا: "عندما تجري برانا بحرية خلال جسدك وعقلك ستشعر بالصحة والحيوية تملؤك. عندما يتعرقل جريان برانا في جسدك، سينتج عن ذلك الإرهاق والمرض"(٣).

٦. أزلية أبدية يقول أوشو: "الطاقة لا يمكن أن تفنى. الطاقة لا تفنى أبدًا، إنها فقط تتحول، وتُغيّر شكلها"(٤).

٧. من آثار الطاقة الكونية عندهم أنها تقود إلى إدراك المعرفة الإلهية بالاتحاد بالمطلق: "الوحدة مع الروح الكونية والتي تقود إلى معرفة يقينية ثابتة بالمطلق"(٥).

فالمشركون في زمان النبي ﷺ خيرٌ ممن يعتقد أن الطاقة الكونية تدبر الكون؛ لأن المشركين لم يعتقدوا أنَّ الأصنام تدبر أو تخلق، بل كانوا يعتقدون أنهم شفعاء لهم عند الله قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوغا (١٢٩).

(٢) أعمدة اليوغا الثمانية (١٩٩).

(٣) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٦)، والأصول الفلسفية لتطوير الذات (١/٢١٥).

(٤) التحول التانتري (١٦٥).

(٥) الكامل في اليوغا (١٦)، والأصول الفلسفية لتطوير الذات (١/٢١٥).

هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]. قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] فكيف بتأليه كل شيء؟

علاقة الإنسان بالطاقة الكونية:

أولاً: الإنسان - بزعمهم- عبارة عن طاقة تحولت إلى تجربة بشرية مُوقتة، فإذا استطاع الإنسان التعامل معها عن طريق التأمل الشرقي والشاكرات فإنه يكسب القدرات الخارقة كقوة الشفا ومعرفة الغيب، قال واين داير: "إنَّنا نشأنا من شيء لا صورة له، لا حدود له، لا بداية، لا نهاية، لا مادة.

إنّ جمعينا في الأساس عبارة عن كائنات روحية تخوض تجربة بشرية مؤقتة. هذا هو جوهرنا، ومن هناك أتينا"[1].

ثم اتخذت هذه الطاقة شكل الجسم المادي للإنسان الذي يمثل الطاقة في صورتها المكثفة.

ويُحيط الجسم المادي - بزعمهم- هالة، والتي تتكون من سبع طبقات (تُسمى عندهم بالأجسام السبعة)، ولكل واحدة منها لون ووظيفة.

فأقربها للجسم المادي يُسمى الجسم الأثيري، الذي يزعمون أنه حلقة الوصل بين الروح والجسد.

وفي الطبقة أو الجسم السادس والسابع **تظهر عقيدة وحدة الوجود**، ويشعر الإنسان بوحدته مع الكون، ويتوصل إليها - بزعمهم- عند تحقيقه مستوى عاليًا من الوعي.

تقول لبنى شاكر: "في المستوى الروحي والذي يعتبر الأعلى في أسلوب البحث أو التنقيب، ففي هذا المستوى **نصبح نحن والشيء المراد البحث عنه أو الفكرة أو الوعي**

---

(١) النقلة (٢٦،٢٩)، وانظر كتاب السر (١٥٥).

والإدراك الذي نريد استكشافه شيئًا واحدًا، ففي هذا المستوى نندمج ونتوحد مع كل الوجود"[(١)].

يقول حكم الزمان حمزة:" في أبعاد الجسد الأثيري الثاني والثالث... تكتشف حقيقة وجودك وهي أنك غير موجود... لأن الحقيقة ستصنعها وتعرفها بنفسك عندما تعرف الموجود وحقيقة الوجود، وعندما تدرك **أنك موجود في كل الوجود، وحتى في أبسط الأشياء من حبة القمح ومن حبة الرمل إلى أوسع الأشياء في عوالم الوجود،** وستدرك أنك النقطة التي تنساب إلى المحيط، وتغوص لتبحر منه وإليه وفيه نحو نواة الجوهر، وسترى نفسك بأنك المحيط لمجرد وصولك إلى مركزية الوجود، وستشعر أنك جزء لا ينفصل عن الوحدة الكامنة فيك"[(٢)].

ثم يقول: "في أبعاد الجسد الأثيري الرابع والخامس.. حينها ستصبح الناظر والمنظور والقارئ والمقروء والوجه والمرآة.. فأنت لست مجزّأً.. بل كلي.. تشكل الوحدة الكلية الكاملة للوصول إلى الاتحاد بالوحدة الكونية"[(٣)].

ثانيًا: الشاكرات:

مصطلح يعبر عن مراكز ومسارات الطاقة الكونية في جسم الإنسان، ويرجع أصله إلى الفلسفة الشرقية القديمة.

ووظائف الشاكرات عندهم كثيرة منها: تنشيط الهالة، ومن ثم الجسم المادي، وإيصال الإنسان إلى بلوغ الاستنارة أو الوعي، وتلقي الطاقة الكونية (تشي، أو برانا) عبر الشاكرات، والتي بدورها تعطيه الشفاء والسعادة والقوة وكل شيء.

---

(١) العلاج بالطاقة الكونية، لبنى شاكر (٩١، ١٣٥).

(٢) أسرار الطاقة، حكم الزمان حمزة (٣٠).

(٣) المصدر السابق (٣١).

وعدد الشاكرات الرئيسية عندهم سبعة، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: تختص بالجسد؛ وهي الشاكرات الثلاث الأولى (شاكرا الجذر أو الجنس؛ وتتعلق بعمليات التناسل) و (العجز أو السرة؛ وتتعلق بالسعادة) و (الضفيرة الشمسية؛ وتتعلق بالرضى والخوف والغضب).

المجموعة الثانية: تختص بالفكر وهي الشاكرا الرابعة والخامسة والسادسة (شاكرا القلب؛ وتتعلق بالمحبة) و(الحلق؛ وتتعلق بالإرادة العليا) و(العين؛ وتتعلق بالأمور الروحية والحدس).

المجموعة الثالثة: وتظهر فيها عقيدة وحدة الوجود؛ فلا تختص بالجسد ولا بالتفكير، وإنما بالمعرفة المطلقة والاتحاد بالمطلق؛ وهي الشاكرا السابعة (التاج)، وتقع في قمة الرأس وليس لها مانترا[(١)] عندهم؛ لأنهم يعتقدون أنه **اتحد بالمطلق**[(٢)].

ويقرر محمد عمارة - وهو أحد المروجين لفكرة الطاقة الكونية في البلاد الإسلامية- أن حول الجسد المادي للإنسان هالة تُسمى (الجسد الروحي الطاقي)، لونها وقوتها بحسب عمل الشخص. وأنه بنسبة ٩٠% يؤثر الجسد الروحي على المادي، وأن كل فعل يعمله الإنسان مسجل (في الهالة)، ويؤثر في حياته المادية وفي واقعه.

فالأفكار السلبية أو الإيجابية تؤثر في مجال الهالة؛ فتحدث فيها فراغات فيها نتيجة كثرة دخول الطاقة السلبية، بخلاف من عنده طاقة إيجابية؛ فلدية درع يحميه من العين والأفكار السلبية ونحوها!

والهالة تؤثر في الجسد المادي فيمرض، ويكون العلاج بتنظيف الهالة والشاكرا؛

---

(١) والمانترا: عبارة عن رق وتعاويذ سحرية تكون بأسماء الآلهة والشياطين ومن أشهرها"أووم"، وليست مجرد أصوات بلا معنى كما يروج لها.

وانظر ملحق (٢): أماكن ووظائف الشاكرات السبع التي يعتقدها الشرقيون وأصحاب الطاقة الكونية (٤١٨).

(٢) التحول التانتري، أوشو (٩٤)، والتطبيقات المعاصرة (٢١٦-٢٢٣).

للحصول على احتمال أفضل، فمثلاً شاكرا الجنس تدخل معها طاقة سلبية؛ فيضعف الجنس أو التبيض وما هو مسجل فيها.

فالاحتمال الذي تعيشه هو نتيجة ما هو مسجل في الهالة (أي نتيجة أعمالك)؛ كل عمل عملته مسجل في الهالة على شكل نقاط سوداء حولك، والأصل أنها بيضاء نورانية، وهو كتابك الذي تحاسب عليه!

قلتُ: لا يوجد دليل من الوحي أو العقل أو الحس على إثبات الهالة وطبقاتها السبعة أو الشاكرات، بل هي فلسفة شرقية قديمة منبثقة من تقريرهم أن هناك مبدأ كلي فعال مؤثر في الكون، يدبره، ويتصرف فيه، ويسري في كل ذرة من ذراته، وباتحاد الإنسان معه يمنحه كل شيء، كما سيأتي تفصيله بإذن الله - تعالى- في المبحث التالي (الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية).

المبحث الثاني

الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الطاقة الكونية عند الهندوسية.
- المطلب الثاني: الطاقة الكونية عند البوذية.
- المطلب الثالث: الطاقة الكونية عند الطاوية.

المطلب الأول
الطاقة الكونية عند الهندوسية

يعتقد الهندوس أن طاقة برانا (الطاقة الكونية) هي القوة الحياتية المحركة، وأنها موجودة في كل شيء وفق إيقاع ثنائي أطلقوا عليه "بنغالا" و"إدًّا"، ومن خلال الموازنة بين هذين القطبين يتمكن اليوغي المعالج من استمداد الطاقة الكونية من البيئة المحيطة كالهواء وتوجيهها للمريض من أجل علاجه، دون أن يستخدم المعالج طاقته الخاصة به.

وقد اختلف الهندوس في أصل البر انا على قولين:

أولهما: أنها متولدة من البراهمان.

وثانيهما: أنها أزلية لا بداية لها ولا نهاية، وموجودة قبل الوجود.

وبحسب الأوبانيشاد فإن براهمان هو القوى العظمى التي تمنح الكون طاقته، وأتمان هو الطاقة الروحية للذات، وهما شيء واحد.

والأتمان: كلمة سنسكريتية يراد بها القوة الكامنة وراء كل قوة، أو روح العالم، أو النفس المطلقة، أو نفس الكون الفعلية التي تتخلل كل شيء، وهي جوهر الكيان الإنساني[(١)]، فالإنسان بحسب الأوبانيشاد تتواجد عنده: الروح المطلقة والروح البشرية الفردية التي يجب أن تتخلص من عوالق المادة وتفنى في برهمان، أو تفنى الذات الفردية (أتمان) في الذات الكونية (برهمان)؛ بمعنى تحقق الاتحاد بين جوهر الفرد(الأتمان) وجوهر الوجود (برهمان) عبر ممارسة الرياضات والتأمل والمعرفة[(٢)].

---

(١) انظر الفكر الشرقي القديم (٣٢، ٥٢، ٥٦، ٧٢)، والموسوعة الفلسفية العربية (١٥١٩/٣)

(٢) انظر الأوبانيشاد ترجمة عبد السلام زبان (١٨،٤٥،٤٨)، وقصة الحضارة (٤٨،٢٧٢/٣، ٢٧٥) وفلسفة الطاقة الكونية وموقف الإسلام منها (١٣٩)، والثيوصوفيا (١٤٩) والفلسفة في الهند لعلي زيعور (١٣٥)، الفلسفات الآسيوية (٦٣)، والتطبيقات المعاصرة (٣١٨).

المطلب الثاني
الطاقة الكونية عند البوذية

يعتقد البوذيون أن الإنسان (الكون الصغير) **هو المؤثر حقيقة في الكون**؛ فكلما توغل في كشف حقيقة نفسه التي هي مكمن الإله المطلق عندهم كلما استطاع أن يرتقي إلى مستوى الآلهة، يقول بوذا: "إن الشخص يقدر على رفع مصيره حتى مستو الآلهة، أو يخفضه حتى الدرك الأسفل، ومن يهبط يستطيع الصعود..."(١).

وجاء في كتاب: (التصوف البوذي): "إن الكون هو في داخلنا، وما يفعله معلم زن يقتصر على الإشارة إليه؛ بحيث تمكننا رؤيته بمزيد من الوضوح. وحين يتم إخراج الكون من اللاوعي إلى حقل الوعي يُقال إنه قد فُهِمَ من قبلنا"(٢)، ويقول بوذا: "**كل شيء فارغ**، والكل لا جوهر له، **لا شيء موجود**، والكل يسير ويضمحل، ويفنى، **والكل في صيرورة بغير جوهر**"(٣).

ويرى بوذا أن سعادة الإنسان تكمن في القضاء على الآلام ومسبباتها، والقضاء على الشهوات؛ وبالتالي يقرر أن الفرد البوذي لا بد أن يصل إلى حالة من التأمل والتصور الذهني والتي يرى فيها أن الذات (الكون الصغير) تندمج مع الكون الكبير.

فالغاية في البوذية هي الوصول إلى النرفانا؛ للقضاء على الألم، وفهم سر الحياة؛ بالاتحاد مع الطبيعة، وهذه حقيقة الطاقة الكونية، فخلاص الإنسان متوقف عليه لا على الإلهة، فالإنسان - بزعمهم- صانع مصيره(٤).

---

(١) انظر البوذية لعبد الله نومسوك (٤٧٧).

(٢) التصوف البوذي والتحليل النفسي (١١٦).

(٣) "تري بيتاكا" الكتاب المقدس لدى البوذيين ويعتبر أهم الكتب البوذية (٣١٢) نقلاً عن البوذية لعبد الله نومسوك (٣١٥).

(٤) مقارنة الأديان (٤٣٢)، (١٠٩).

والتأمل هو الطريق المؤدي إلى الحكمة والمعرفة الباطنية والنجاة من تناسخ الأرواح، كما سيأتي تفصيله في الفصل الرابع، المبحث الأول من الفصل الرابع (عبادة التأمل عند البوذية).

ويظهر تناقض بوذا في ادعائه حصول العرفان والنجاة، ثم عدم اعترافه بوجود إله، وكذلك يظهر تناقضه في مسألة (الروح)، وهي من أضعف الجوانب في فلسفة بوذا، جاء في قصة الحضارة: "يرى بوذا أن (الروح) أسطورة من الأساطير... ولكن إن كان ذلك كذلك، فكيف يمكن أن يعود الحي إلى الحياة من جديد في ولادة ثانية؟ إذا لم يكن هناك روح، فمن الذي يتقمص أجسادًا أخرى في ولادات تالية، ليلقى عذابه على خطاياه؛ إذ هو حال في صورة الجسد؟ تلك هي أضعف الجوانب في فلسفة بوذا"[(١)].

وهذا التناقض والفراغ في فلسفة بوذا أدى إلى تأليه بوذا بعد موته، ووصفة بصفات براهمان عند الهندوس، وأصبح معنى النرفانا هو الاتحاد ببوذا المطلق، والوصول إلى هذه المرتبة عندهم يُسمى بالخلود الروحي[(٢)].

فالطبيعة في البوذية صورة من صور تجليات الإله؛ ولذلك يمارسون الطقوس والشعائر التأملية في أجواء مفتوحة تمكنهم من مشاهدة الطبيعة؛ لإدراك الوعي الكوني.

---

(١) قصة الحضارة (٣/ ٨٣).

(٢) انظر أديان الهند الكبرى (١٥٢، ١٥٥)، والبوذية لعبد الله نومسوك (١٦٣، ٢٥٣)، وفلسفة الطاقة الكونية وموقف الإسلام منها (١٤٧، ١٥١).

المطلب الثالث
الطاقة الكونية عند الطاوية

يعتقد الصينيون أن طاقة تشي (الطاقة الكونية) انبثقت من الطاو وتغلغلت أي الطاقة في كل شيء في الكون وفق إيقاع ثنائي اطلقوا عليه الين واليانغ[١]، فطاقة التشي هي الوسائط بين التاو المطلق والكون المادي بمنزلة العقول والنفوس في الفلسفة اليونانية[٢].

وقد أشار لاوتزي - مؤسس الطاوية - إلى الطاقة الكونية (تشي) في كتابه الـ (طاو طي جنغ)[٣] فتشي "الواحد" المتولد عن الـ (طاو) والمكوِّن الأساسي للحياة هو الطاقة في أنقى صورها؛ هذا ما أجمع عليه الطاويون منذ زمن شوانغ تزي المؤسس الثاني للطاوية.

ومن صفات طاقة تشي:

أنها وُجدت قبل وجود العالم، وكل موجود ليس إلا مظهرا من مظاهرها، فهي تمثل الحقيقة المطلقة والوجود الكلي. والطاقة تتمثل في كل شيء، بل كل شيء طاقة، والمادة ليست إلا مظاهر بنسب مختلفة للطاقة.

---

(١) يقوم التفكير الصيني على النظر إلى الحياة والإنسان والوجود بأكمله على أنه نتاج حركتين ساريتين في كل مظاهر الوجود، هما (اليانغ والين) الموجب والسالب، المذكر والمؤنث. وهاتان القوتان على تعارضهما متعاونتان ولا قيام لأحدهما في معزل عن الآخر، فإذا غلب اليانغ نجم عن ذلك كل ما له صفة الموجب كالخير والنور والسماء، وإذا غلب الين نجم عن ذلك كل ما له صفة السالب كالشر والظلمة والأرض، في حالة تناوب تلقائي يتخذ كل ضد معناه من ضده؛ فإذا بلغ اليانغ أعلى قمه له في الارتفاع تحول إلى الين وهكذا إذا بلغ الين أعلى قمه له في الانخفاض تحول إلى اليانغ إلى ما لا نهاية، وفن الحياة في الحفاظ على التوازن بينهما؛ لأنه لا قيام لأحدهما دون الآخر، وانظر كتاب الطاو ترجمة سواح (٩) وانظر ملحق (١): صورة رمز الين واليانغ (٤١٧).

(٢) قوة الآن (١٣١).

(٣) كتاب الطاو ترجمة علوي (٢٧).

توصف (تشي) بأنها قوة ممتدة في الوجود ومتغلغلة في كل جزء من الزمان والمكان.

لا يمكن إدراك الطاقة الكونية إلا من خلال الأشكال التي تتشكل بها، وعندما تفنى تلك الأشكال تعود (تشي) إلى صورتها الأصلية، أو تتحول إلى شكل آخر.

عندما تتشكل (تشي) بموجود مادي فهي لا توجد منفصلة عنه، بل إنها تصبح الموجود ذاته.

عندما تكون (تشي) في حالتها الأكثر كثافة تصبح المادة، وفي حالتها الأكثر خفة تكون طاقة.

إن طبيعة (تشي) تعد سببًا في التغيير، سواء في الكون أو في الجسم البشري؛ ولذا فإنه لا يُنظر إليها كالمكون الأساسي للكون فقط، بل على أنها المُدبِّر والمُحرِّك له كذلك![1].

---

(١) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٠٠)، و مقال أولاً-فلسفة-الطاقة-الكونية http://sabeily.com/

الفصل الرابع

أبرز عبادات ومعتقدات
أصحاب فلسفة الطاقة الكونية

تمهيد:

الطاقة الكونية فلسفة شاملة لكافة مناحي الحياة-برعمهم- بدءًا من كونها ممارسة شعائرية تعبدية مبنية على طقوس وثنية، مرورًا بالقدرة على الشفاء والعلاج والقدرة على التأثير على المادة، وانتهاء بالوعي الموصل إلى تطبيق فلسفة الطاقة الكونية على كل شؤون الإنسان من جذب وخلق للواقع، ويحسن بنا الوقوف على هذه الفلسفة من عدة جوانب:

- **الجانب الأول:** كونها فلسفة شاملة للحياة.
- **الجانب الثاني:** كونها فلسفة إلحادية؛ فلا تؤمن بإله مفارق للمخلوقات، ولا تؤمن بالنبوات، ولا بالغيب الحق كاليوم الآخر والجنة والنار.
- **الجانب الثالث:** كونها فلسفة صوفية؛ تؤمن بإله داخل الكون ويمكن الإتحاد به، وتأله الإنسان والكون، فالإنسان بداخله الشرارة الإلهية بزعمهم.
- **الجانب الر ابع:** كونها فلسفة روحانية؛ تؤمن بالتواصل مع أرواح الموتى والجن.
- **الجانب الخامس:** كونها فلسفة باطنية؛ فالمعرفة عندهم بالكشف والغنوص، والحقائق والقيم عندهم نسبية، وهي فلسفة انتقائية تنتقي من العلوم ما يغطي ضلالاتها الباطنية.
- **الجانب السادس:** كونها فلسفة تعتمد على المزاحمة لا المواجهة؛ فتزاحم العقائد

والأديان حتى تُترك واحدة تلو الأخرى، وتبدأ بالتدرج في طرحها في ثلاث مستويات:

المستوى الأول: ويبدأ بتنمية الذات ورياضات وتدربيات؛ كالتأمل، ووضعيات اليوغا لإذهاب الإرادة البشرية لتحل بزعمهم الإرادة الإلهية.

المستوى الثاني: ويتضمن اكتساب المتدرب - بزعمهم- قدرات الشفاء، والعلاج، والتأثير، والخوارق.

المستوى الثالث: وفيه يصل المتدرب -بزعمهم-إلى الإتحاد بالمطلق وإداك وحدة الوجود.

ويمكن حصره عبادات ومعتقدات أصحاب فلسفة الطاقة الكونية في ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: عبادة التأمل.**
- **المبحث الثاني: الإنسان الكوني أو الكامل (تأليه الإنسان).**
- **المبحث الثالث: الوعي الكوني.**

المبحث الأول

عبادة التأمل

وهذا المبحث يشتمل على النقاط التالية:

- أولاً: معنى التأمل في اللغة.
- ثانيًا: التأمل في القرآن والسنة.
- ثالثًا: التأمل في الأديان الشرقية.
- رابعًا: التأمل في فلسفة الطاقة الكونية.
- خامسًا: أنواع وصورعبادة التأمل في فلسفة الطاقة الكونية.
- سادسًا: أوجه الفرق بين التأمل في الإسلام والأديان الوضعية الشرقية.
- سابعًا: حكم الشريعة الإسلامية في ممارسة عبادة التأمل على طريقة الأديان الوضعية الشرقية.

أولا: معنى التأمل في اللغة:

التأمل: تدبر الشيء، وإعادة النظر فيه مرة بعد أخرى ليتحققه[(١)]، قال أبو البقاء الكفوي: "التأمل: هو استعمال الفكر"[(٢)]؛ أي إعمال المعاني الموجودة سلفًا كالمقدمات والمبادئ، فلا يكون التأمل إلَّا بعلم سابق مستقر في القلب كما قال ابن القيم: "فالمتفكر ينْتَقل من الْمُقدمَات والمبادئ الَّتِي عِنْده إلى الْمَطْلُوب الَّذِي يُريدهُ، فَإِذا ظفر بِهِ وَتحصل لَهُ تذكر بِهِ وأبصر مواقع الْفِعْل وَالتّرْك، وَمَا يَنْبَغِي إيثاره وَمَا يَنْبَغِي اجتنابه"[(٣)].

ومن المعاني القريبة للتأمل في اللغة:

١- **التفكر:** قال ابن فارس: "(فَكَرَ) الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء. يقال: تَفَكَّرَ إِذَا رَدَّدَ قَلْبَهُ مُعْتَبِرًا. وَرَجُلٌ فِكِّيرٌ: كَثِيرُ الْفِكْرِ"[(٤)].

فالتفكر طلب الْقلب مَا لَيْسَ بحاصل من الْعُلُوم من أمْر هُوَ حَاصِل[(٥)].

قال الجرجاني: "الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول"[(٦)].

٢- **التدبر:** النظر في دبر الأمور أي عواقبها، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب[(٧)].

٣- **النظر:** قال ابن فارس: (نَظَرَ) النون والظَّاء وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَرْجِعُ فُرُوعُهُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ وَهُوَ تَأَمُّلُ الشَّيْءِ وَمُعَايَنَتُهُ[(٨)]، وَتَقُولُ نَظَرت إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ نَظَر

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد المناوي (٨٩).

(٢) الكليات (٢٨٧).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٢١٤).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٤٦).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/٢١٤).

(٦) التعريفات (١٦٨).

(٧) المصدر السابق (٥٤).

(٨) مقاييس اللغة (٥/٤٤٤).

الْعَيْنِ ونَظَر الْقَلْبِ[(١)]؛ أي طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر، كما يطلب إدراك المحسوس بالعين[(٢)] نحو: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

٤- **الاعتبار**: الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهدة إلى غيرها، وقال أبو البقاء: "هو التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر، ويكون بمعنى الإيقاظ نحو ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢]"[(٣)].

٥- **التعقل**: التدبر، وتعقلت الشيء تدبرته[(٤)] نحو: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨].

---

(١) لسان العرب (٢١٥/١٥).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٣٢٦).

(٣) المصدر السابق (٥٥).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١٠٢).

ثانيًا: التأمل في القرآن والسنة:

لم يأت لفظ التأمل في القرآن والسنة، ولكن جاء معناه بألفاظ أخرى (كالتفكر، والتدبر، والنظر، والاعتبار، والتعقل) كما سبق.

وجاء لفظ التأمل في كلام العلماء مرادفًا للتفكر أو دالاً على معنى قريب منه، ولاشك أن استعمال الألفاظ الشرعية أولى[(١)].

- فالتأمل الشرعي جاء بمعنى التفكر؛ وهو إعمال الفكر والقلب في المعاني الإيمانية التي تسمو بالروح والإيمان[(٢)]، وإدامة النظر والتثبت، وقد يحدث بالبصر وحده، أو بالبصر يعقبه عمل العقل، فاستمرار النظر مع التأني يؤدي إلى استخلاص العبرة.

- ومن مجالات ومقاصد التأمل في الإسلام ما يلي:

• التفكر في الآيات الشرعية كقول الله - تعالى - ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤] فقد ذكر ﷻ في هذه الآية حكمتين من حِكم إنزال القرآن على النبي ﷺ:

إحداهما: أن يبين للناس ما نزل إليهم في هذا الكتاب من الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، ونحو ذلك.

والحكمة الثانية: **التَّفَكُّرُ فِي آيَاتِ الله وَالِاتِّعَاظُ بِهَا**[(٣)].

(١) عبادة التأمل والتفكر لرؤى اليوبي (٢٣، ١٦٥) وقد أوردت الباحثة نقول من كلام السلف على استعمال لفظ التأمل في منصفاتهم كابن جرير في تفسيره وابن بطة العكبري وابن القيم وغيرهم (١٦٣).

(٢) عبادة التأمل والتفكر لرؤى اليوبي (٩).

(٣) أضواء البيان (٢/ ٣٨٠).

• التفكر في الآيات الكونية: كالأنفس والآفاق قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] فقد أثنى الله ﷻ على المتفكرين المتأملين في مخلوقاته؛ لأنَّه يؤدي إلى تعظيم الله ﷻ ومحبته وخشيته، ويعقبه العمل الصالح ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[١].

(١) نظرة النعيم لصالح بن حميد (٣/٨٤٦)، وعبادة التأمل والتفكر لرؤى اليوبي (٢٣، ١٦٨، ٢٠٥).

ثالثا: التأمل في الأديان الشرقية:

جميع الأديان الشرقية تعتبر التأمل وسيلة إلى الخلاص؛ ففي الهندوسية مثلاً التأمل اليوغي قديمًا، وفي البوذية التأمل الصامت.

التأمل في الهندوسية:

التأمل في الهندوسية يمثل الجانب العبادي عندهم، الذي من خلاله يتحقق الهدف الأسمى؛ وهو الاتحاد بالمطلق والخلاص من التناسخ، ويتحقق من خلال التأمل عندهم أيضًا اكتساب قدرات خارقة، ويعتبر التأمل من أهم مراحل اليوغا الثمانية، وبدونه لا يمكن تحقيق الهدف الأسمى منها، يقول باتنجل[(١)]: إن التأمل يمكن استحداثه من الدأب على تكرار المقطع المقدس "أوم"[(٢)]، ويقول أيضًا: "الخصلة الثامنة هي الإخلاص في ذلك الدُّؤوب؛ حتى تَتّحد الفكرة بالمتفكّر فيه"[(٣)]، فالتأمل الهندوسي وسيلة لتحقيق وحدة الوجود؛ فالمتأمل يشعر أنه هو والوجود شيء واحد وحقيقة واحدة، وأن التعدد إمَّا وهم وإمَّا مظاهر وتجليات للكلي.

ومن مجالات التأمل عندهم: التأمل في التنفس، والتأمل في الشاكرات، والتأمل في شيء مقدس، والتأمل في الصور أو الرموز[(٤)]، ومن أشهر الوضعيات في التأمل وضعية

---

(١) شخصية أسطورية ماهاريشي باتانجالي والذي يُعد المدون لفلسفة اليوغا وستأتي بإذن الله ترجمنه والتفصيل في اليوغا في الباب الثاني الفصل الثالث (٣٠٦).

(٢) أوم لفظ مقدس عند الهندوس ويعني الإله المطلق البراهمان (٧٤). الأوبانيشاد ترجمة عبد السلام زبان (٥٤، ١٤٨)

(٣) باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق المستشرق هلموت ريتر (٤٠)، وقصة الحضارة (٣/٢٦٥)، واليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٣٤).

والمراد بالإخلاص في نقل البيروني (سمادهي) الاستغراق أو الوعي الصافي، وانظر اليوغا في الإسلام (٢٥٤).

(٤) عبادة التأمل والتفكر لرؤى اليوبي (٨٥).

اللوتس بأن يضع المتأمل القدم اليمنى على الفخذ اليسرى، والقدم اليسرى على الفخذ اليمنى[1].

التأمل في البوذية:

قامت البوذية من الأساس على التأمل؛ فبوذا مارس التأمل مدة طويلة تحت الشجرة للوصول إلى الاستنارة والنرفانا والتخلص من الألم بزعمه كما سبق تفصيله.

ويعتقد البوذيون أن التأمل هو الطريق المؤدي إلى الحكمة والمعرفة والنجاة من تناسخ الأرواح.

جاء في كتاب البوذية: "الرياضة الروحية أو ممارسة سمادهي: وتعني سكون النفس، أو الاستغراق، أو التأمل الذاتي، أو التأمل والمراقبة، وتهدف إلى الوصول إلى الفناء، أو الفراغ، وهو نهاية مطاف البوذيين... ثم نقل عن بوذا أقوالاً في الترغيب في رياضة النفس والتأمل.

والسمادهي تمر بثلاث مراحل وهي: (التثبيت)؛ أي المجاهدة في إحضار النفس وتسكينها وتفريغها، بحيث لا يخطر بالبال سوى الفراغ، ثم (التأمل والتمركز)، ثم (الفناء) كما يقول بوذا: "**كل شيء فارغ**، والكل لا جوهر له، **لا شيء موجود**، والكل يسير ويضمحل، ويفنى، **والكل في صيرورة بغير جوهر**"[2].

والطريقة المشهورة في ممارسة التأمل عند البوذيين هي طريقة مراقبة الأنفاس... حتى يصل تركيزه في التأمل إلى مرحلة الفناء؛ أي فناء الكائنات كلها وعدم وجودها... وزعموا أن المثابرة على تمارين سمادهي سبب لانكشاف القلب وخوارق العادات[3].

---

(١) انظر ملحق (٣): صورة وضعية اللوتس (٤١٩).

(٢) "تري بيتاكا" الكتاب المقدس لدى البوذيين ويعتبر أهم الكتب البوذية (٣١٢) نقلاً عن البوذية لعبد الله نومسوك (٣١٥).

(٣) انظر البوذية لعبد الله نومسوك (٣١٢-٣١٩) بتصرف.

والفرق بين التأمل الهندوسي والتأمل البوذي: أن التأمل الهندوسي فيه مشقة؛ لأنه يشتمل على وضعيات كوضعيات اليوغا، وتعذيب الجسد، والاتحاد ببرهمان للخلاص من التناسخ.

أمَّا بوذا فقد قدم طريقة جديدة لتحقيق النرفانا؛ بالتأمل في الداخل، وإيقاف توارد الأفكار، والالتزام بالأخلاق البوذية ومبادئها، والحصول على اللذة والسعادة في الدنيا "بزعمهم"؛ بحيث لا يبقى وجود ذاتي للفاني، ولا يبقى في نفسه ولا تفكيره شيء لا إله ولا غيره، فلا يوجد فيها تعذيب للجسد أو الاتحاد بالإله، لكنه ترك فراغًا؛ مما أدى إلى عبادة بوذا بعد وفاته كما سبق.

التأمل في الطاوية:

التأمل في الطاوية هو توقف العقل عن التفكير؛ أي إفراغ الذهن من المعاني حتى يصبح كالوليد الجديد أو المرآة، يقول لا وتز: "في تركيزك على تنفسك. هل بمقدورك أن تغدو كالوليد الجديد؟ هل بمقدورك أن تجلو مرآتك الداخلية فلا تترك عليها أثرًا"[1]، ويقول تشوانغ لاتزو[2] في نصائحه للمتأمل الطاوي: "ثبت همك على هدف التأمل. لا تُصغ بإذنك بل اصغ بعقلك. لا تصغ بعقلك بل اصغ بتنفسك. أوقف أذنك عن سماع الأصوات، أوقف عقلك من تداول الصور. التنفس يعني أن تفرغ نفسك وتنتظر التاو. التاو لا يقيم إلا حيث الفراغ. والفراغ هو تثبيت الذهن. حدّق في الفراغ، من حجرته ينبثق النور. ها هي الغبطة، إنها لتبقى"[3].

---

(١) انظر كتاب الطاو ترجمة فراس السواح (٤٤) فقرة ٢٤ ب.

(٢) تشوانغ لاتزو: يعتبر أهم شراح كتاب(التاو) عاش في القرن الرابع ق.م، انظر مقدمة كتاب الطاو ترجمة فراس السواح (١٩).

(٣) انظر كتاب الطاو ترجمة فراس السواح (١٤٤).

والهدف من التأمل في الطاوية مراقبة الثنائيات الكونية، ومراقبة حالة التغير الكوني، والاتحاد مع الروح الكونية "تشي"[1].

وبعد الحديث باستيفاء عن التأمل في الفلسفات الثلاثة (الهندوسية والبوذية والطاوية) والعلاقة بينها، يأتي الحديث عن التأمل في فلسفة الطاقة الكونية المعاصرة.

---

(١) انظر المصدر السابق، وفلسفة الطاقة الكونية (١٣٠).

رابعًا: التأمل في فلسفة الطاقة الكونية:

لا يختلف التأمل عند أصحاب الطاقة الكونية عن التأمل في الفكر الشرقي القديم.

فالمراد بالتأمل في فلسفة الطاقة الكونية: هو إيقاف العقل عن التفكير؛ أي: السكون.

يقول إكهارت تول: "التوقف عن التفكير... هذا هو التأمل"[1].

ويقول أوشو: "التأمل في الشرق يعني ألا يكون لديك هدف، ألا يكون هناك اتصال بين عقلك وأي شيء آخر.

دع كل شيء جانبًا لا تفكر بشيء، فالتأمل يعني إفراغ ذاتك من أي محتوى.

حين لا تتزاحم الأفكار داخلك يكون السكون، والسكون هو التأمل... هو مجرد سر كامن فيك وليس عملاً، وليس أفكارًا ولا انفعالات. إنه بكل بساطة استراحة كاملة للوعي، لا تفكير ولا أية حركة. لحظة تعمل ستشعر بالتوتر والقلق، ماذا سنفعل؟ كيف سنفعل؟ كيف ستنجح؟ كيف تتفادى الفشل؟ إذا أنت تخرج من اللحظة التي أنت فيها وتتجه نحو المستقبل. التأمل هو نور براق، نور ساطع في حاضرك. التأمل هو نور داخل كينونتك،

لكن من أين أتى النور وأنت لا تفعل شيئًا؟

إنه يأتي من كل مكان، إنه ليس نتيجة فعل"[2].

ويقرر واين داير أن الوحدة تدرك عن طريق الصمت قال: "نستطيع أن نُحفز الأحدية من خلال الجزء الذي في داخلنا، والذي يعرف بالصمت"[3]، وقال أيضًا:

---

(١) قوة الآن (١٣٤).

(٢) ألف باء التنوير (٣٩)، واليوجا والتأمل عبادة أم رياضة (١٧٥، ٢٠٤).

(٣) النقلة (٤٥).

"أدهشني كم شدد لاوتزو على معرفة التاو العظيم أو الإله، من خلال التخليّ عن كل شيء ....، وممارسة معرفة الإله من خلال إفراغ ذهنك عوضًا عن ملئه. يُخبرنا جميع المُعلمين الروحانيين العظماء تقريبًا أن نجد الإله في الفراغ، وأن الإله يتحدّث إلينا في السكون"(١).

وجاء في أعمدة اليوغا الثمانية "خذ إجازة من التفكير. حاول وفكر باللاشيء ودع فكرة اللاشيء تملأ كيانك"(٢).

والسؤال هنا لماذا يسعى منظرو الطاقة الكونية إلى إيقاف العقل عن التفكير؟

والجواب: أن وحدة الوجود تتعارض مع العقل والحس؛ لأن العقل عقبة ومانع من موانع إدراك الوحدة لديهم، لهذا يقول واين داير: "من الصعب علينا فهم الأحدية على نحو دقيق؛ لأنَّنا مُنغمسون في عالم تبدو فيه الأشياء مُنفصلة عنا... إنَّ فهم فكرة الأحدية هو أمرٌ يستحيل إدراكه؛ لأنَّنا نعيش في عالم من المتناقضات التي تتطلب أكثر من عنصر واحد ..."(٣). بل يدعو إكهارت تول إلى التحرر من العقل، يقول: "بالتحرر من العقل؛ لأنه سبب اعتقاد ثنائية الوجود"(٤).

فإيقاف العقل عن التفكير يعني عندهم ورود المعرفة الباطنية بالاتصال مع العقل الكلي، وظهور الإشراقات والفيوضات كما في الفكر الشرقي القديم.

---

(١) المصدر السابق (٤١).

(٢) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٣٩).

(٣) النقلة (٤٤،٤٣).

(٤) قوّة الآن (٢٨ ، ٢٩).

خامسًا: أنواع وصور عبادة التأمل في فلسفة الطاقة الكونية.

في الفكر الباطني الحديث صور كثيرة للتأمل؛ منها: التأمل التجاوزي (مهاريشي)، وتأمل القلبين المفتوحين "تشو كوك سوي"، وتأمل التيقظ الذهني.

النوع الأول - من أنواع التأمل الباطني الحديث - التأمل التجاوزي:

وحديثنا عنه سيكون في النقاط التالية:

أولا: مفهوم التأمل التجاوزي أو التحولي:

جاء في الموقع الرسمي لحركة التأمل التجاوزي التعريف بها ونصه: "هي تقنية بسيطة وطبيعيّة، وسهلة التّعلّم، نمارسها لمدّة عشرين دقيقة، مرتين في اليوم ونحن في وضعيّة الجلوس المريح مغمضي العينين. إنّ الممارسة ليست بممارسة دينيّة أو فلسفة، ولا تَتطلّب أي تغيير في أسلوب الحياة"[(١)].

أمّا قولهم: "تقنية"؛ فهي محاولة منهم لإبعاد الجذور الهندوسية للتأمل التجاوزي، وإضفاء الصبغة العلمية ليقبلها الناس؛ لأن المجتمعات الغربية في الجملة ترفض ممارسة الطقوس الدينية، ولا تؤمن إلا بالمادة.

وأمّا قولهم: "ولا تَتطلّب أي تغيير في أسلوب الحياة "؛ فهم وإن كانوا لا يأمرون الأتباع أمرًا مباشرًا أن يقوموا بتغيير أديانهم، إلا أنهم يصلون بهم إلى نفس النتيجة بطريقة خفية؛ وذلك عن طريق تعليماتهم المغلفة بغلاف البحث عن السعادة والراحة بواسطة ما يسمونه بتقنية التأمل.

وقولهم: "إنّ الممارسة ليست بممارسة دينيّة أو فلسفة" فهذا غير صحيح؛ لأنه جاء في موقعهم أيضًا: يُعطى كل متدرب مانترا خاصة به، يصل من خلالها إلى مراحل متقدمة من الوعي، حتى يصل إلى مصدر الفكر[(٢)] (الوعي الخالص).

---

(١) http://maharishitm.org/

(٢) http://maharishitm.org/

وهذه المانترا هي عين وجوهر الطقوس الوثنية، فلماذا يتم الترويج للتأمل التجاوزي في إطار التنمية وتحقيق السعادة بعيدًا عن الدين؟

فالمهاريشي صرح بالمصادر التي استمد منها التأمل التجاوزي ككتاب الفيدا، والكتاب الهندي المقدس (كيتا)، قال: "التأمل التجاوزي هو المفتاح لفتح بوابات علم النفس الأكثر تقدمًا، والموجودة في الهند القديمة، ووجدت في تعاليم البهاغافاد كيتا[١](٢)".

ويصرح بعقيدة وحدة الوجود، وأن الإنسان في حقيقته لا شخصي. ومن أجل الاتحاد بالكون المطلق لا بد من ممارسة التأمل، ومن أقواله في ذلك قوله: "كل شيء في الخليقة هو مظهر من مظاهر شخصية مطلقة غير معلنة، **الإله في كل مكان**"[٣].

وقوله: "التأمل التجاوزي هو **وسيلة للوصول بوعي إلى المطلق**"[٤].

ثانيًا: تاريخ نشأة التأمل التجاوزي:

مؤسس التأمل التجاوزي هو المهاريشي-وهو لقب يعني المعلم العظيم- الذي عمل مع معلمه (غورو ديف)[٥] على تشكيل التعاليم الأساسية للتأمل التجاوزي، وبعد

---

(١) كتاب البهاغافاد كيتا-كتاب هندي مقدس وهو في المرتبة الثانية بعد الفيدا- وهو جزء من الملحمة الكبرى مهابهارتا التي تصف حربًا شعواء بين فريقين من الأمراء، ويُنسب هذا الكتاب أو أكثره إلى كرشنا، والكتاب يشتمل على جانب من القصص والفلسفة والحياة الاجتماعية، وانظر أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي (٧٩).

(٢) Maharishi Mahesh Yogi, Science of Being and Art of Living (٢٦٣)

(كتاب "علم الوجود وفن العيش: التأمل التجاوزي" للمهاريشي)، وانظر ترجمة محمد لمين في بحثه "التأمل التجاوزي حقيقته وأصوله وآثاره" (٤٦).

(٣) المصدر السابق (٢٦٥)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٣٧٩).

(٤) المصدر السابق (٢٦٨)

(٥) غورو ديف: هو سوامي براهمانتد سارسواتي ولد ١٨٦٩م، وهو المدرس المتخصص في الأفاديتا وهي مدرسة للفيدانتا أسست من طرف شنكرا وتدرس وحدة الوجود المادية، وتوفي ١٩٥٢م. انظر التأمل التجاوزي حقيقته وأصوله وآثاره (٤٦).

وفاة معلمه عام ١٩٥٢م اعتزل المهاريشي لمدة عامين عزلة تامة، وبعد ذلك بدأ بتنظيم حركة لنشر التأمل التجاوزي في جميع أنحاء العالم، وفي عام ١٩٥٩م بدأ بإنشاء مراكز تعليمية لنشر التأمل التجاوزي في أوربا والهند، وانتقل إلى أمريكا وأنشأ بها جامعة المهاريشي العالمية، وقد ظن الغربيون أنهم سيجدون في التأمل الشرقي حلاً لمشكلات الخوف والضياع، وبديلاً آمنًا للمخدرات.

ومن الغرب صُدِّر التأمل الشرقي إلى العالم الإسلامي بأشكال متعددة ومضمونها واحد، فظنَّ كثير من الناس أنه التأمل والتدبر الذي في القرآن والسنة، أو على الأقل لا يتعارض معهما[(١)].

ثالثا: ينتقد أوشو التأمل التجاوزي؛ لأنه لا يوصل إلى الوحدة، إنما يوصل إلى الراحة والنوم كمحاولة تهدئة الأطفال الرضع بترديد جمل بأثر إيقاعي، قال: "أصبحت طريقة التأمل التجاوزي التي اخترعها مهاريشي يوغي مؤثرة في أمريكا؛ لأن أمريكا دولة تعاني كثيرًا من الأرق. لا يستطيع الناس أن يناموا، وهم في حاجة إلى خدعة كي يناموا، والتأمل التجاوزي يمكن أن يساعدهم على النوم. أنا لست ضدّ التأمل التجاوزي إذا كنت تستخدمه فقط من أجل النوم الجيد، فأنا مع النوم الجيد، ولكن تذكر أنه لا يمكن أن يقودك إلى أي عالم آخر، ولا يمكن أن يُصبح رحلتك الروحية. إنه مجرد تسلية"[(٢)]. ثم بين كيف أن التأمل التجاوزي يقوم بالخداع، وأنه ليس سوى إيحاءات بإيقاع معين محدد لتهدئة التفكير، قال: "إذا كررت... أي مانترا كوكا كولا ستؤدي الغرض"[(٣)]. وذكر أنها "تصيب التفكير بالتبلد. إن تكرار المانترا بطريقة آلية تُبْعِد إدراكك أكثر، ولا تُضيف إليك إدراكًا، إن هذا التكرار مثل الغناء للأطفال في المهد"[(٤)].

---

(١) عبادة التأمل والتفكر في الأديان الكبرى المعاصرة "دراسة عقدية" لرؤى اليوبي (٧-٩).

(٢) التحول التانتري (٩٧).

(٣) المصدر السابق (٩٦).

(٤) المصدر السابق (٢٤٨، ٢٥٠).

فالتأمل عند أوشو وسيلة للوصول إلى الوحدة، فإذا وصل إلى الوحدة فلا يحتاج إلى تأمل[(١)]، ويبشر بدين جديد هو التحول التانتري، وسوف نفصل القول فيه بإذن الله - تعالى- في الفصل الثاني من الباب الثاني.

النوع الثاني: تأمل القلبين التوأمين.

وسنتحدث عنه في النقاط التالية:

أولاً: مؤسس تأمل القلبين التوأمين هو المعلم المعاصر تشو كوك سوي[(٢)]، ويُعتبر تأمل القلبين التوأمين من أشهر صور التأمل عند مروجي العلاج بالبرانا.

ثانيًا: صورة تأمل القلبين التوأمين لا تخرج عن التأمل الشرقي عمومًا؛ من حيث الوضعيات، وإسكات العقل، وتخيل الوحدة مع الكون، لكن التأمل الشرقي أصبح سلعة بيد أصحاب الطاقة الكونية، يُضيفون فيه بعض الإضافات، ويصبح علامة مسجلة باسم الواحد منهم.

ثالثًا: الهدف الحقيقي من تأمل القلبين التوأمين؛ وهو بلوغ الاستنارة وإدراك وحدة الوجود، يقول تشو كوك سوي: "إن طريقة الاستنارة أو التأمل في القبلين التوأمين **هي طريقة تهدف إلى بلوغ الوعي الكوني أو الاستنارة**. إنَّها أيضًا شكلٌ من أشكال العطاء والخدمة؛ **لأننا نبارك الكون بالانسجام**"[(٣)].

رابعًا: مرتكز تأمل القلبين التوأمين الاتحاد بالطاقة الإلهية كما ذكر تشو، وهذا ملخص ما ذكره في هذا السياق: "... تأمل القلبين التوأمين يرتكز على التنشيط الكافي لشاكرا التاج؛ لأن شاكرا التاج تشكل نقاطًا أو بوابات عبور للطاقة الإلهية - بزعمهم-

---

(١) التحول التانتري (٥٣، ١٤٩).

(٢) تشو كوك سوي فلبيني من أصول صينية، وهو المؤسس الحديث للمعالجة للبرانا، وله العديد من الدورات والكتب من أشهرها: كتاب: "معجزات الشفاء بطاقة الحياة" و"المعالجة المتقدمة لطاقة الحياة" وبالغلاف ترحمة لمؤلفها.

(٣) معجزات الشفاء بطاقة الحياة، تشو كوك سوي (٣٤٢).

التي تسيل منحدرة نحو المتأمل، معطية إياه الشعور بالنور الإلهي والمحبة والقوة، ويصبح المتأمل ممرًا لتلك الطاقة الإلهية؛ ليصل إلى بلوغ الاستنارة أو الوعي السماوي"[١].

خامسًا: سبب تسميته بتأمل القلبين التوأمين:

لاعتماد هذا التأمل-بزعمهم- على تنشيط القلب العاطفي(شاكر القلب) والقلب الإلهي (شاكرا التاج) لبلوغ الاستنارة والاتحاد مع المطلق، قال تشوا كوك: "يشير القلبان التوأمان: إلى شاكرا القلب التي هي مركز القلب العاطفي، وإلى شاكرا التاج التي هي مركز القلب الإلهي"[٢].

والقلب الإلهي في الإنسان عندهم متصل بالقلب الكوني، **وهذا مما يوضح اعتقادهم بوحدة الوجود**[٣] يقول تشوا كوك: "إنَّ شاكرا القلب هي المماثل السفلي لشاكرا التاج. وشاكرا التاج هي مركز الاستنارة والمحبة الإلهية أو **الاتحاد مع الكل**. تعتبر شاكرا القلب رمز **المشاعر العليا**"[٤].

سادسًا: المعرفة عنده تُدرك بالتجربة الشخصية والحدس قال: "لا يمكن للمرء عيش تجربة المحبة الإلهية إلا من خلال تطوير المشاعر الرفيعة النقية"[٥]. وقال: "هناك درجات عدّة للاستنارة. يتطلّب فنّ المعرفة بالحدس أو تصنيع المعرفة المباشرة ممارسة التأمل بشكل ثابت لمدة طويلة الزمن"[٦]. ويقرر تشوا كوك صعوبة إدراك وحدة الوجود بالعقل، قال: "شرح معنى المحبة الإلهية والاستنارة لشخص عادي أشبه

---

(١) معجزات الشفاء بطاقة الحياة، تشو كوك سوي (٣٤٣) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (٣٤٣).

(٣) المستويات المتقدمة في التأمل https://sabeily.com .

(٤) معجزات الشفاء بطاقة الحياة، تشو كوك سوي (٣٤٤).

(٥) المصدر السابق (٣٤٤).

(٦) معجزات الشفاء بطاقة الحياة، تشو كوك سوي (٣٥٨).

بمحاولة شرح ماهّية اللون لشخصٍ أعمى"[١].

ذكر تشوا كوك خطوات لتنشيط شاكرا القلب العين منها:

التمارين الرياضة وترديد مانترا (أوم)، يقول: "عندما تصبح شاكرا التاج منشطة بشكل كاف، يمكنك حينئذ القيام بعملية التأمل في النور، والمانترا (أوم OM) (المقدسة "أوم" تعني آمين أو "الله أكبر")...فبالتركيز على النور والفاصل الزمني (لحظة السكون أو الصمت) ما بين كلمتي "أوم" أو آمين تكون قد بلغت الاستنارة"[٢]. وقال: "إذا شعرت أنك بدأت بالخروج من جسمك، أو أنك تتحرك داخل نفق، فما عليك سوى السماح لهذا الشعور بالترعرع والانكشاف على حقيقته حتى تصل لاكتشاف شعور الوحدانية مع النور الإلهي"[٣]. وذكر أدعية تحتوي على مخالفات وشرك؛ منها علي سبيل المثال لا الحصر: "لنطلب البركة الإلهية إلى رب العالمين، إلى معلمي الروحي، إلى جميع المعلمين الروحيين، إلى الأنبياء والصالحين والملائكة المقدسة ....، وإلى المساعدين الروحيين، إلى جميع العظماء، نطلب بتواضع الإرشاد الإلهي، المحبة الالهية الاستنارة، الاتحاد الإلهي، النشوة الإلهية..."[٤].

النوع الثالث من أنواع التأمل: التيقظ الذهني

وله أنواع كثيرة، والنوع المشهور منها هو الذي يجمع بين ركنين:

الركن الأول: التركيز؛ وهو أن يجلس بوضعية معينة وعيناه مغمضتان أو مفتوحتان، ويُركز غالبًا في جسمه، والأكثر استخدمًا التركيز في عملية التنفس، ويجلس يوميًا نصف ساعة، موزعة على فترات، كل فترة عشر دقائق أو نحوها.

الركن الثاني: نزع المعنى؛ وهو رؤية وقبول الأشياء كما هي دون محاولة تغييرها.

---

(١) المصدر السابق (٣٤٤).

(٢) المصدر السابق (٣٤٦).

(٣) المصدر السابق (٣٥٥).

(٤) المصدر السابق (٣٤٩-٣٥٨).

أي أن الظواهر التي تدخل إلى الوعي أثناء ممارسة اليقظة الذهنية يجب ملاحظتها بعناية، ولكن لا يتمُّ تقيمها على أنها إيجابية، أو سلبية، أو حقيقة، أو وهمية، أو مهمة، أو غير ذات أهمية[١].

ويُسمى الركن الثاني المراقبة بدون أحكام: يمتنع العقل عن إصدار الأحكام أو الإجابة عن التساؤلات، بقصد محاولة إجبار الذهن على التوقف عن العمل.

وكثير من علماء النفس ينكر فكرة توقف العقل عن التفكير، لكن أصحاب التيقظ الذهني يزعمون أنه مع ممارسة التأمل يمكن توقف العقل جزئيًا وليس كليًا: كالتركيز على ألم الحزن بدون إصدار أحكام لمدة قليلة كأربع دقائق.

فالتيقظ الذهني هو محاولة إخراج التأمل الشرقي من التقاليد والممارسات الدينية، ودمجه في أشكال من التدخل النفسي العلاجي، وإلبَاسِه لباس العلم[٢].

يقول د. ابراهيم الحسينان[٣]: "برنامج الحد من التوتر القائم على اليقظة العقلية عبارة عن مجموعة من المعتقدات الدينية البوذية الأكثر حداثة... [وجعلها] ممارسة مبسطة في متناول الناس العاديين ... دون أن يتعهدوا بالتزام قواعد السلوك الصارمة أو دراسة مستفيضة للنصوص القديمة"[٤].

فوائد التيقظ عندهم: (صحية، ومعرفية، ونفسية كفهم النفس).

ومن فوائد التيقظ عندهم أيضًا الوصول إلى الاستنارة؛ كدعوى الاستنارة التي وصل اليها بوذا قبل ٢٥٦٥ سنة تقريبًا وهو في حالةٍ غير طبيعة وكأنه منفصل عن العالم

---

(١) تأثير الفكر الغنوصي الباطني في نظريات علم النفس الحديث (٤٢٤).

(٢) ندوة بعنوان: رؤية نفسية للممارسات النفسية الروحانية الشرقية | برنامج طوق، وكتاب تأثير الفكر الغنوصي الباطني في نظريات علم النفس الحديث (٤٢٤).

(٣) أستاذ علم النفس المشارك بجامعة المجمعة، له العديد من المقالات والبحوث للتصدي للفكر الباطني من ناحية علم النفس من أبرزها كتابه "تأثير الفكر الغنوصي الباطني في نظريات علم النفس الحديث".

(٤) تأثير الفكر الغنوصي الباطني في نظريات علم النفس الحديث (٤١٧).

الجذور التاريخية للتيقظ الذهني:

إن المتتبع لمفهوم التيقظ الذهني يجده مستمدًا من الأديان الشرقية عمومًا، فلا شك أن نزع المعاني مع إسكات العقل ركن أساسي في الأديان الشرقية؛ لعدم وجود إجابات للأسئلة الكبرى وتمرير فلسفة وحدة الوجود.

وأمَّا الثقافة الاسلامية فهي ثقافة تقوم على إعمال العقل وإشباع المعاني، أمَّا إسكاته فهو مخالف لوظيفته وطريق إلى الخرفات والبدع كفلسفة وحدة الوجود، ويسبب مشاكل نفسية كالقلق والاكتئاب، أو التشنجات العضلية والعصبية، وتصل إلى الذُهان، أو الإعاقات العقلية والجسدية المؤقتة(١).

نقد د. خالد بن حمد الجابر(٢) لمفهوم التيقظ الذهني من منظور علم النفس الإسلامي:

ويمكننا إيجاز ذلك في النقاط التالية:

- إسكات العقل ونزع المعنى غير ممكن عمليًا، وهذا رأي كثير من علماء النفس في الغرب، وقد نقل د. الجابر عشرات الأبحاث المعارضة للتيقظ الذهني، والتي تعده سببًا في ازدياد القلق.
- نزع المعاني والإماتة والإطفاء وإسكات العقل كلها مناقض للثقافة الإسلامية المشبعة بالمعاني؛ فلا يوجد في الإسلام تركيز مع نزع المعنى.
- التيقظ الذهني ليس فيه محتوى عميق، وحلوله قصيرة المدى، والمقصود منها التسكين فقط، وفائدتها مرتبطة بالاستمرار في تطبيقها ضمن برنامج علاجي، ولا تستقل بنفسها، بل هي جزء من منظومة نفسية عند الجناح المؤيد لها في الغرب،

---

(١) حركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها لهيفاء الرشيد (٣٨١).

(٢) استشاري طب الأسرة والعلاج النفسي بكلية الطلب، وقسم طب الأسرة بالشؤون الصحية بالحرس الوطني بالرياض، وزمالة طب الأسرة تخصص فرعي العلاج المعرفي السلوكي، وشهادة معهد بك للعلاج المعرفي بأمريكا، وشهادة جامعة كالغري في العلاج المعرفي السلوكي بكندا، وشهادة أكاديمية العلاج المعرفي ACT في أمريكا.

فالفائدة ليست محل إجماع غربي، ولم تُحدث الاختراق المأمول منها.

- الاسترخاء مغاير للتيقظ؛ فالتيقظ أسلوب حياة، ونمط عيش، وله أهداف فلسفية وروحية وأخلاقية، ولا يمكن عزلها عن العمق الفلسفي.
- التيقظ فلسفة شرقية طقوسية أقرب من كونها فنية علاجية؛ فهي تُرجع القوة للإنسان؛ للاستغناء عن أي مصدر خارجي (الله)، فمصدر القوة في الشرق من داخل الإنسان، ولا يوجد إله يُستمد منه العون والتوفيق.
- التيقظ الذهني نمط حياة متكامل، ومنظومة فلسفية مزاحمة للأديان عمومًا والحلول الإسلامية خصوصًا.
- التمارين الرياضية لا شك أنها من أسباب تحسن الحالة الصحية والنفسية للشخص، وقد يجد من يمارس التيقظ تحسنًا في الحالة النفسية؛ لصرف الذهن عن الضغوطات والمصاعب والقلق، لكن ما يحتاجه الشخص موجود في غيرها من التمارين الرياضية والدين الحق.
- بعض من يمارس التأمل الشرقي يبحث عن النشوة في حالات متغيرة من الوعي لديه، تشبه حالات تعاطي المخدرات، ومشاعر ما فوق الطبيعة البشرية.
- التيقظ طقوسه لا تشكل نفسية ناضجة قوية.
- من عيوب التيقظ أيضًا الانتقائية وتركيب النماذج: التيقظ، واليوغا، والفلسفة اليونانية الرواقية، والعلاج السلوكي؛ وهناك تناقض بين هذه الفلسفات والمعارف.
- التيقظ يدخل في الرهبانية التي تقوم عليها الفلسفة الشرقية المنهي عنها في الاسلام قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا﴾ [الحديد: ٢٧] قال ابن جرير: ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: "أحدثوها ﴿مَا كَتَبْنَاهَا﴾ يقول: ما افترضنا تلك الرهبانية عليهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ﴾ يقول: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله"[(١)].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المشهور بتفسير الطبري) (٢٢/ ٤٢٨).

- الاستناد على التجربة الشخصية يُعتبر من أضعف الأدلة، مع مخالفته للمنهجية العلمية؛ فالربط بين التجارب الشخصية والنتائج غير كافٍ، وهو أقرب إلى العلاج بالوهم الذي غالب نتائجه وقتية.
- يجب التفريق بين العلوم؛ فهناك علوم مشتركة تعتبر اكتشافًا لحقائق موجودة في الكون، وهناك علوم مبينة على معارف وفلسفات مخالفة للشرع كممارسة التأمل الشرقي.
- علم النفس يدعو لمعالجة المشكلات في واقع الفرد، بينما التيقظ الذهني ما هو إلَّا هروب من الواقع[1].

ندوة بعنوان: رؤية نفسية للممارسات النفسية الروحانية الشرقية | برنامج طوق. ونقد مفهوم التيقظ (اليقظة العقلية) Mindfulness د خالد بن حمد الجابر.

سادسًا: أوجه الفرق بين التأمل في الإسلام والأديان الوضعية الشرقية:

الوجه الأول:

التأمل والتفكر في الإسلام قائم من جهة المضمون على إعمال العقل، وإشباع المعاني كالصبر والرضا والشكر عند المصائب؛ فالإسلام يمتلك منظومة من العقائد والعبادات والأخلاق، ويمتلك الإجابة عن الأسئلة الكبرى بشكل واضح، فطلب العون والصبر والسكينة في الإسلام من الله ﷻ القوي العزيز، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤] ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

أمَّا التأمل في الأديان الشرقية فقائم على نزع المعاني وإسكات العقل - وهذا مخالف لوظيفته- وهو ما يُسمى المراقبة بدون أحكام، وإجبار العقل على التوقف عن العمل، والاكتفاء بالتركيز على أعضاء الجسم كمراقبة عملية (تنفس الإنسان)؛ لعدم القدرة على الإجابة عن الأسئلة الكبرى، ولتمرير فلسفة وحدة الوجود المخالفة للوحي والعقل والحس.

فليس التأمل عندهم مجرد استرخاء، بل تفاعل مع الكلي ومصدر القوة والسكينة في الأديان الشرقية من داخل الإنسان الذي يملك شرارة إلهية؛ لعدم إيمانهم بوجود إله خارج عن الذات الإنسانية يُستمد ويُطلب العون منه.

الوجه الثاني:

لا يوجد في الإسلام تكلف وضعيات أو هيئات معينة للتأمل، أو تحديد أزمنة أو أمكنة معينة، بل يسر الله ﷻ للإنسان سبلَ التأمل والتفكر من غير رهبانية.

لكن لا يمنع أن يختلي المرء بنفسه، بل إنه محبذ أحيانًا كما قال شيخ الإسلام:

"ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذكره وصلاته، وتفكره، ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره؛ فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه"[١].

الوجه الثالث:

التأمل والتفكر في الإسلام **يؤدي إلى تعظيم الله ﷻ ومحبته وخشيته، ويعقبه العمل الصالح**[٢].

أمّا أثر التأمل في الأديان الشرقية فإنه في المراحل المتقدمة منه يؤدي إلى الاتحاد بالمطلق الكلي، ووحدة الوجود، واعتقاد ازدياد الوعي الكوني (الإله عندهم) مع ازدياد الممارسين للتأمل وتلقي العلوم الالهية من الاله مباشرة. **أو على الأقل** يؤدي إلى الشعور بالاستغناء بالداخل عن أي مصدر خارجي كالإله.

(١) مجموع الفتاوى (٤٢٦/١٠)، وانظر عبادة التأمل والتفكر لرؤى اليوبي (١٥٨).

(٢) انظر عبادة التأمل والتفكر لرؤى اليوبي (١٦٢).

سابعًا: حكم الشريعة الإسلامية في ممارسة عبادة التأمل على طريقة الأديان الوضعية الشرقية.

من خلال ما سبق يمكن تقسيم ممارسة التأمل إلى نوعين:

النوع الأول: ممارسة التأمل مع اعتقاد فلسفته، وهذا النوع لا شك أنه من الكفر المخرج من الملة؛ لاشتماله على وحدة الوجود، والحصول على قوة مطلقة يستطيع بها الاطلاع على الغيب ومعرفة الأسرار، واشتماله أيضًا على صرف العبادة لغير الله؛ كالترنيمات التعبدية كأوم، وهي استغاثة بالقوة الغيبية، فهي داخلة في الشرك بالله، وقد سبق تفصيل ذلك.

جاء في الموقع الرسمي لحركة التأمل التجاوزي: يُعطى كل متدرب مانترا خاصة به، يصل من خلالها إلى مراحل متقدمة من الوعي، حتى يصل إلى مصدر الفكر[(١)] (الوعي الخالص).

ويصرح رئيس حركة التأمل التجاوزي (المهاريشي) بعقيدة وحدة الوجود، وأن الإنسان في حقيقته لا شخصي. ومن أجل الاتحاد بالكون المطلق لا بد من ممارسة التأمل، ومن أقواله في ذلك قوله: "كل شيء في الخليقة هو مظهر من مظاهر شخصية مطلقة غير معلنة، **الإله في كل مكان**"[(٢)].

وقوله: "التأمل التجاوزي هو وسيلة للوصول بوعي إلى المطلق"[(٣)].

فالتأمل عندهم وسيلة للوصول إلى الوحدة، فإذا وصل إلى الوحدة فلا يحتاج إلى تأمل، يقول أوشو:" اللاتفكير هي حالة نيرفانا.. ومن هنا إصرار جميع التأملات على أن

---

(١) http://maharishitm.org/

(٢) Maharishi Mahesh Yogi, Science of Being and Art of Living (٢٦٣)

(كتاب "علم الوجود وفن العيش: التأمل التجاوزي" للمهاريشي)، وانظر ترجمة محمد لمين في بحثه "التأمل التجاوزي حقيقته وأصوله وآثاره" (٤٦)، وانظر حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٣٧٩).

(٣) المصدر السابق (٢٦٨)

يوقف التفكير وتتوقف الأفكار..هكذا تتساقط القطرات في المحيط. مرة أخرى أنت المحيط، مرة أخرى أنت لانهائي، من جديد أنت أبدي. إن اللاتفكير هو الخلود، بينما التفكير هو الوقت"[1].

وسيأتي بإذن الله أن التأمل هو المرحلة السابعة من مراحل اليوغا، وبدونه لا يمكن تحقيق الهدف الأسمى منها؛ وهو الإحساس بالوحدة مع الكون واتحاد الذات الفردية (أتمان) بالذات الكونية (براهمان)، يقول باتانجالي: "إن التأمل يمكن استحداثه من الدأب على تكرار المقطع المقدس (أوم)[2].

النوع الثاني: ممارسة التأمل للاسترخاء من دون معرفة فلسفتها، وهذا النوع محرم لما يأتي:

أولاً: التأمل الشرقي الباطني لا يمكن ممارسته إلَّا مع تطبيق جزء من فلسفته، ولو لم يُدرك ذلك المتأمل؛ لأن التأمل الشرقي عمومًا يعمل على عزل العقل عن جميع المؤثرات؛ حتى يصفو التركيز، وبالتالي يتجاوز حدود الزمان والمكان والقوانين إلى حالة ليس فيها ماض أو مستقبل، وإنما هي حالة الدخول في عالم اللامحدود والخلود والاتحاد بالمطلق.

فمن مارس التأمل الشرقي لقصد السكون التام للعقل بإيقافه عن التفكير نهائيًا - لا يُسلم كثير من علماء النفس بإمكان ذلك فعليًا- دون اعتقاده لوحدة الوجود فقد وقع في وسائله وهي محرمة قطعًا؛ "فالوسائل لها أحكام المقاصد" كما هو مقرر في الأصول.

فالتأمل الشرقي ليس المقصود منه مجرد الاسترخاء، بل هو عندهم وسيلة لتحقيق النرفانا والسعادة والنجاة من تكرار التناسخ كما سبق بيانه في الهندوسية والبوذية والطاوية.

(١) التحول التانتري (٥٣، ١٤٩).

(٢) أوم لفظ مقدس عند الهندوس ويعني الإله المطلق البراهمان (٧٤). الأوبانيشاد ترجمة عبد السلام زبان (٥٤، ١٤٨)

وهو ليس مجرد حركات وأعمال، بل هو فلسفة، ويمثل الجانب العبادي في الأديان الشرقية؛ فهي صلاتهم، والمتعة الروحية التي يريدون أن يحققوها من خلال التنعم بمخاطبة الآلهة، وتحقيق السعادة الأبدية بزعمهم، يقول ديفيد إف:" عندما نتأمل يوميًا سنجد أن السعادة هي حالة من حالات العقل، وأنه كلما توفرت لنا الفرصة لكي نوجد حالات عقلية إيجابية عن طريق التأمل والصلاة والريكي، فإن هذا هو المفتاح للسعادة الأبدية، كما أن معرفة وفهم ذلك هو الحكمة بعينها"[١].

ثانيًا: الوقوع في مشابهة الكفار فيما هو من خصائص دينهم، قال النبي ﷺ: "من تشبه بقوم فهو منهم"[٢].

قال شيخ الإسلام: "هذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم"[٣].

ثم قال شيخ الإسلام بعد ذكر أدلة النهي عن التشبه: "فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، **ويقتضي تحريم أبعاض ذلك**، وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه؛ فإن كان كفرا أو معصية أو شعارا لها كان حكمه كذلك. وبكل حال يقتضي تحريم التشبه بعلة كونه تشبها"[٤].

ثالثًا: شدد الإسلام في النهي عن مشابهة الوثنيين في مجرد الشكل والصورة؛ فنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لأن عباد الشمس يتعبدون لها في هذين الوقتين، وإن لم يخطر ببال المصلي عبادة الشمس أو التوجه لها بالصلاة، لحديث عمرو بن عبسة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى

---

(١) الريكي للمبتدئين (١٨٥)، وفلسفة الطاقة الكونية وموقف الإسلام منها (٢٤٨).

(٢) أخرجة أبو داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، الحديث رقم (٤٠٣١)، وأحمد في مسنده رقم (٥١١٥)، وقال شيخ الإسلام: "هذا حديث جيد". الفتاوى (٢٥ / ٣٣١).

(٣) اقتضاء الصراط (١/ ٢٧٠).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٧١).

تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار ... حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار"(١).

قال شيخ الإسلام: "الشيطانُ يقارن الشمس، وحينئذ يسجد لها الكفار، فالمصلي حينئذ يتشبه بهم في جنس الصلاة. فالسُّجُودُ وإن لم يكونوا يعبدون معبودَهم ولا يقصدون مقصودهم لكن يشبههم في الصورة؛ فنهى عن الصلاة في هذين الوقتين سدًا للذريعة، حتى ينقطع التشبه بالكفار، ولا يتشبه بهم المسلم في شِرْكِهم"(٢).

رابعًا: التأمل الشرقي متضمن لكثير من خرفات الطاقة الكونية كتنشيط الشاكرات، وتوجيه الطاقة، فلا يمكن الفصل بين التأمل الشرقي وفلسفته وإلَّا سيصبح مجرد عبث.

وفي الإسلام من البدائل المشروعة ما يغني عن الوقوع في هذه المخالفات ؛ فالاسترخاء والطمأنينة في الإسلام يتحققان بأمور: منها التفكر المشروع في خلق الله عز جل، ومنها الذكر كما قال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقد جمع الله بين الذكر والتفكر، وأثنى على من يمارسهما، ووصفه بالحكمة والعقل فقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، ومنها التلذذ بالصلاة والخشوع فيها: فالصلاة من أكبر أسباب الراحة والسعادة، كما أن ممارسة الرياضة المشروعة المجردة من الفلسفات والتعاليم المخالفة للشريعة الإسلامية من أسباب تحسن الحالة الصحية والنفسية للشخص، وصرف الذهن عن الضغوطات والمصاعب والقلق.

---

(١) أخرجه مسلم (١/٥٦٩) برقم (٨٣٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/١٨٦).

المبحث الثاني

الإنسان الكوني أوالكامل (تأليه الإنسان)

والحديث في هذا المبحث سيكون في النقاط التالية:

- أولاً: مفهوم الإنسان الكوني أو الكامل.
- ثانيًا: الجذور التاريخية للإنسان الكوني أو الكامل (تأليه الإنسان).
- ثالثًا: الإنسان الكوني أو الكامل عند فلاسفة الطاقة الكونية.
- رابعًا: موقف الإسلام من قضية الإنسان الكوني أو الكامل.

أولا: مفهوم الإنسان الكوني أو الكامل:

من قضايا الفلسفة البحث في العلاقة بين الأول (الإله) و(الكون) و(الإنسان).

- فالإله أو الأول عندهم كلي مطلق، صدر عنه الكون بتوسط، وإن كانوا قد اختلفوا في الواسطة؛ ففي الفلاسفة اليونانية الكون صدر عن المطلق بواسطة (العقل الفعال والنفوس والأفلاك)، وفي الفلسفة الشرقية الطاوية الكون صدر عن المطلق بواسطة (طاقة تشي، وعن تشي صدر الين واليانغ، وعنهما العناصر الخمسة وباقي الموجودات).
- فالعقل الفعال والنفس الكلية عند اليونان، أو الطاقة الكونية (تشي) في الفلسفة الشرقية هي مبدعة كل ما تحت فلك القمر(الكون)، وتفيض عليه بما يحتاجه.
- وعند اتصال الإنسان بالعقل الفعال والنفس الكلية عند أفلوطين، أو الطاقة الكونية (تشي) عند الأديان الشرقية يأخذ الإنسان خصائص العقل الفعال أو الطاقة الكونية، ويشارك في عملية تدبير الكون، لكن ليس بمرتبة العقل الفعال والنفس الكلية أو طاقة تشي، ويُسمى عندهم حينئذ بالإنسان الكوني أو الكامل أو الإلهي.
- فالإنسان عندهم على قسمين: كامل، وناقص؛ فإذا اتصل واتحد بالعقل الفعال أو النفس الكلية أو الطاقة الكونية فهو كامل، يشارك في عملية تدبير الكون، وبإمكان أي شخص الوصول الى هذه المرتبة، وإذا لم يتحد بالعقل الفعال أو النفس الكلية أو الطاقة الكونية فهو ناقص[(١)].

وعليه فالمشركون في زمان النبي ﷺ خيرٌ ممن يعتقد أن العقل الفعال أو الطاقة الكونية تدبر الكون؛ لأن المشركين لم يعتقدوا أنَّ الأصنام تدبر أو تخلق، بل كانوا يعتقدون أنهم شفعاء لهم عند الله، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

---

(١) الإنسان الكامل في الفكر الصوفي (٤٤٦).

ثانيا: الجذور التاريخية للإنسان الكامل (تأليه الإنسان):

أ- الإنسان الكوني أو الكامل في الفكر الشرقي:

فكرة الإنسان الكوني أو الكامل متداخلة مع القول بالفناء والحلول والاتحاد؛ فالذي يبلغ تلك المرتبة هو الإنسان الكوني أو الكامل عندهم، فالكامل هو الفاني، وهو الذي حل فيه الإله وهو المتحد به(١).

فمثلاً يعتقد الهندوس أن آلهتهم قد حلت أو تجسدت في إنسان اسمه كرشنا، وقد التقى فيه الإله بالإنسان، أو حل اللاهوت في الناسوت، وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن المسيح؛ فالإله فشنو - إله الخير الذي يحفظهم من النوازل وقد جاء اسمه في الفيدا- حل في كرشنا(٢)، والتجسد وجود الإله في كائن واحد لفترة مؤقته؛ لإداء مهمة، ثم يعود إلى وضعه الطبيعي.

وعقيدة التناسخ مما رسخ نظام الطبقات في الهند؛ فأعلى الطبقات طبقة (البراهمة) التي مرجعها الاتحاد والحلول في (البرهمان)، جاء في شريعة منو: "يكون البراهمي موضع تقديس وعبودية" و "يعد إلهًا من الآلهة الكبرى"(٣).

ومن وسائل بلوغ مرتبة الإنسان الكوني أو الكامل عند الهندوس ممارسة التأمل واليوغا(٤).

أمَّا في البوذية فالإنسان الكوني أو الكامل هو بوذا، ويستطيع كل إنسان أن يرتقي إلى مرتبة بوذا؛ بأن يجاهد نفسه ويهذبها من رغبات العالم ومن الصفات البشرية، فعند ذلك يتجسد فيه الإله ويتصف بصفاته، وينقذ غيره بالمعرفة؛ لأنَّ الطبيعة الإلهية تحل في الطبيعة البشرية إذا كانت مستعدة لها، ومن نصوص مذهب (مهايان) التي

---

(١) الإنسان الكامل في الفكر الصوفي (٤٤٦).

(٢) انظر الفكر الشرقي القديم (٧٩)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/٧٢٦).

(٣) فصول في أديان الهند العظمى للأعظمي (٥٦٧، ٥٧٠).

(٤) التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٣٢٢).

يستدل بها قول بوذا: "إن الشخص يقدر على رفع مصيره حتى مستوى الآلهة، أو يخفضه حتى الدرك الأسفل، ومن يهبط يستطيع الصعود.."[(١)].

ب- الإنسان الكوني أو الكامل في الفكر اليوناني:

الإنسان جزءٌ من الإله أو الطبيعة عند أصحاب المدرسة الأيونية، والمدرسة الإيلية، والمدرسة الرواقية، وأصحاب مذهب الأفلاطونية المحدثة، كما سبق تفصيله، والقول بوحدة الوجود مفض إلى القول بنفي الإله وتأليه البشر[(٢)]؛ لأن الإله حاضر في جميع الموجودات.

جاء في قصة الحضارة عن الرواقية: "الإنسان جزءٌ من الله أو الطبيعة؛ لأن الإله حاضر في جميع الموجودات" وما أشبه الإنسان والعالم بالكون الصغير في الكون الكبير، فهو أيضًا كائن حي ذو جسم مادي والنفس مادية، ذلك بأن كل ما يحرك الجسم أو يؤثر فيهِ، وكل ما يحركه الجسم أو يؤثر فيه لا بد أن يكون ذا جسم.

والنفس نسيم ناري (نيوما Pneuma) منبثة في جميع أجزاء الجسم، كما أن النفس العالمية منبثة في جميع العالم. وهي تبقى بعد الجسم إذا مات، ولكنها تبقى على هيئة طاقة غير شخصية. وحين يحدث اللهب الأخير تمتص الروح مرة أخرى في محيط الطاقة وهو الله كما يمتص أتمان Atman في برهمان Brahman"[(٣)].

وقال الشهرستاني عن انكسيمندريس: "وهو أول من قال بالكُمُون والظهور... والإنسان الكامل"[(٤)].

---

(١) انظر البوذية لعبد الله نومسوك (٤٧٧).

(٢) مجموع الرسائل والمسائل (٤/٩)، والثيوصوفيا (١٤٩).

(٣) قصة الحضارة (٨/ ١٨٣).

(٤) الملل والنحل (٢/٦٥).

ج- الإنسان الكامل عند المنتسبين إلى الإسلام (غلاة الصوفية):

هي تطوير لنظرية توسط العقل الفعال بين الأول والموجودات في الفلسفة اليونانية، مع استبدال العقل الفعال بالحقيقة المحمدية أو الإنسان الكامل عند غلاة الصوفية، وإجراء بعض التغييرات والإضافات.

يقول د. لطف الله خوجة: "

- أول من أطلق مصطلح الإنسان الكامل من المتصوفة هو ابن عربي، وأمَّا من قبله فكانوا يستعملون مصطلحات أخرى لها المعاني نفسها التي للإنسان الكامل [كالقطب والولي].
- الإنسان الكامل في رأي المتصوفة هو الجامع للأسماء والصفات الإلهية والحقائق الكونية، وإنه روح العالم، به بقاؤه، وإنه برزخ، وله الواسطة بين الحق والخلق؛ لإيصال الفيض الإلهي إلى الخلق... وأكمل صورة ظهر فيها هي: صورة محمد ﷺ"[1].
- وبإمكان أي شخص الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل؛ عن طريق الترقي في التمارين الروحية - بزعمهم- حتى بلوغ درجة الفناء والاتحاد بالإله، جاء في قصة الحضارة: "ومن فنيت نفسه فناءً تامًا في هذا الاتحاد يسمى عندهم الإنسان الكامل"[2].

---

(١) الإنسان الكامل في الفكر الصوفي (٥٠٠).

(٢) قصة الحضارة (٢١٦/١٣)

ثالثا: الإنسان الكوني أو الكامل عند فلاسفة الطاقة الكونية:

١- نتج عن فلسفة وحدة الوجود عند فلاسفة الطاقة الكونية تأليه الإنسان (الإنسان الكوني أو الكامل الإلهي)؛ لأنه جزء من الإله، فعظموا الذات الإنسانية حتى أوصلوها إلى المبدأ الفعال في الكون الذي يدبره ويتصرف فيه.

وجاء في أعمدة اليوغا الثمانية: "اليوغا تهدف إلى جوهرين: تأليه الإنسان أولاً، وتجسيد الإله فينا ثانيًا"[١]. وتقول روندا بايرن في كتابها (السر): "أنت مصمم مصيرك. أنت المؤلف. أنت كاتب القصة. القلم بين أصابعك، والمحصلة هي ما تختاره أنت"[٢]. وقالت: "أنت كائن روحي! إنك مجال طاقة يعيش في مجال طاقة أوسع... إنك طاقة أبدية"[٣]. وقالت: "الإنسان ما هو إلا نتاج تفكيره"[٤]. وقالت:"المقصود بالسر أننا الخالقون لكوننا"[٥].

٢- الانسان الكوني أو الكامل عند فلاسفة الطاقة الكونية: هو اندماج الذات الإنسانية مع الكون؛ ليصبح المبدأ الفعال الذي يدبره ويتصرف فيه، ويشارك في عملية الخلق معه.

فهو عابر لحدود الزمان والمكان ومستويات العقل والوعي والانتماءات، ولدية قدرة كامنة تمنحه إدراك المعرفة الحقة[٦].

يقول واين داير: "إذا بدأنا نعتقد أنَّنا مُتصلون مع إله على الدوام، سيختفي بقاء

---

(١) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٨، ٢٤، ٢٦).

(٢) كتاب السر (١٦٦).

(٣) المصدر السابق (١٥٩).

(٤) المصدر السابق (١٣٧).

(٥) خرافة السر (٩٠).

(٦) الثيوصوفيا لعنتابي (١٩٢).

الأنا المزيفة. إذا لم يكن هناك مكان يغيب فيه الإله، فهذا يعني أن الإله موجود في داخل كل واحد منا"[(١)].

والغاية عندهم من ممارسة اليوغا-كما سيأتي تفصيله-: أن يدرك الإنسان ألوهيته، قال ديباك شوبرا: "عندما تبدأ الإدراك أن طبيعتك الجوهرية أبدية ولا حدود لها، تصبح الحياة مفرحة، هادفة، وخالية من الهموم"[(٢)].

ويقول أيضًا:"نحن جميعا آلهة ، وأنا كنت ملحدًا حتى أدركت أني الإله"[(٣)].

فليست الغاية من اليوغا هي الاتحاد بالإله فقط، بل أن يصبح اليوجي هو الإله، جاء في قصة الحضارة: "الغاية المنشودة في صراحة هي فصل العقل عن الجسد، هي إزاحة كل العوائق المادية عن الروح، حتى يتسنى لها - في مذهب اليوغا- أن تكسب إدراكًا وقدرة خارقين للطبيعة؛ لأنه إذا نفضت عن الروح كل آثار خضوعها للجسد واشتباكها فيه، فإنها لا تتحد مع براهما وكفى، **بل تصبح براهما نفسه**؛ إذ أن براهما ليس إلا ذلك الأساس الروحي الخبيء، ذلك الروح اللامادي الذي لا يتفرد بنفس، والذي يبقى بعد أن تطرد بالرياضة كل أعلاق الحواس؛ فإذا الحد الذي تستطيع عنده الروح أن تحرر نفسها من بيئتها وسجنها الماديين، إلى هذا الحد **تستطيع أن تكون براهما** بحيث تمارس ذكاء برهميًا وقوة برهمية؛ وهنا يظهر الأساس السحري للدين من جديد، حتى ليكاد يتهدد الدين نفسه بالخطر - هو عبادة القوى التي هي أسمى من الإنسان"[(٤)].

٣- ويعتقدون وجود قدرة خارقة كامنة في كل إنسان، بوسعها أن تمنحه إدراك المعرفة الحقة التي مصدرها العقل الباطن بمعناه الفلسفي كما سيأتي بإذن الله.

---

(١) المصدر السابق (٨١).

(٢) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٤٦)، واليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٣٢).

(٣) https://youtu.be/-YsejnYUBY

(٤) قصة الحضارة (٣/٢٦٥).

قال باتنجل عن جزاء مَن لَزم التّعويذة وصَبَر عليها عند ممارسة اليوغا: "يُجازى بمعرفة الماضي والراهن والمُستأنف"[١].

٤- ومن تطبيقات الإنسان الكوني أو الكامل عند أصحاب الطاقة الكونية:

أ- التواصل مع الأرواح والعوالم الغيبية (الإسقاط النجمي).

ب- تطوير الذات (الجذب، والبرمجة اللغوية العصبية).

ج- الاستشفاء والعلاج: (الريكي، والبرانا)، وسيأتي بإذن الله - تعالى- تفصيل هذه التطبيقات في الباب الثاني.

٥- أشهر الحركات المعاصرة التي تبنت فكرة الإنسان الكوني أو الكامل[٢]:

أ- جمعية الثيوصوفيا: تذكر عنتابي الهدف الثالث من أهداف جمعية الثيوصوفيا فتقول: "دراسة-ما أسموه- قوانين الكون وقوى الإنسان الكامنة". ثم قالت: "وخلاصة هذا الهدف: نشر الاعتقاد بألوهية الإنسان، وهو ركن ركين في عقيدة وحدة الوجود"[٣].

ب- حركة العصر الجديد: تقول د. هيفاء: "الإنسان - في نظرهم [حركة العصر]- إله في الأصل، وهو يمر بمراحل من التطور ليعود إلى تلك الحالة الأصلية"[٤].

(١) باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق المستشرق هلموت ريتر (٤١).

(٢) حركة العصر الجديد لفوز كردي (٢٦).

(٣) فلسفة الطاقة الكونية وموقف الإسلام منها (٧١، ٧٣).

(٤) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (١٨٠).

رابعًا: موقف الإسلام من قضية الإنسان الكوني أو الكامل:

١- الإنسان من أكرم المخلوقات التي خلقها الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

٢- سمو الإنسان ورفعته لا يكون إلَّا بتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له واتباع نبينا محمد ﷺ؛ فقد وصف الله نبيه محمد ﷺ سيد البشر بالعبودية له وحده، وهي أعلى الأوصاف والثناء في قصة الإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

٣- يجب التفريق بين الخالق والمخلوق، فمهما بلغ الإنسان من قدرات أو عبادة لله فلن يصل إلى مرتبة الربوبية والألوهية[١].

٤- فكرة الإنسان الكوني أو الكامل تقوم على فلسفة وحدة الوجود والاتحاد بالمطلق، وسيأتي مناقشة ذلك بإذن الله[٢].

---

(١) الإنسان الكامل في الفكر الصوفي (٤٩٩).

(٢) انظر الفصل الرابع الباب الثاني (٣٨٩).

المبحث الثالث

الوعي أو العقل الكوني

وهذا البحث يشتمل على النقاط التالية:

- أولاً: الوعي والعقل في اللغة.
- ثانيًا: الوعي والعقل في القرآن والسنة.
- ثالثًا: الوعي في علم النفس.
- رابعًا: الوعي أو العقل في الاصطلاح الفلسفي.
- خامسًا: الوعي عند أصحاب فلسفة الطاقة الكونية.
- سادسًا: مقارنة مفهوم العقل الباطن (اللاواعي) بين (علم النفس) و (أصحاب الطاقة الكونية)، وحكم اعتقاد وجود العقل اللاواعي (الباطن).

أولا: الوعي والعقل في اللغة:

أ- **الوعي لغة:** فهم الشيء، وحفظه، وفقهه، والإحاطة به.

قال ابن فارس: "الواو والعين والياء: كَلِمَةٌ تَدُلُّ على ضَمّ شَيْءٍ. ووعيتُ العلم أَعِيهِ وَعْيًا. وَأَوْعَيْتُ الْمَتَاعَ فِي الْوِعَاءِ أُوَعِّيهِ. قال: والشر أخبث ما أوعيت من زاد"[١].

وقال ابن منظور: "الوعي: حفظ القلب الشيء. وعَى الشَّيْءَ وَالْحَدِيثَ يَعِيه وَعْيًا وأَوْعاه: حَفِظَه وفَهِمَه وقَبِلَه، فهُوَ واعٍ، وَفُلَانٌ أَوْعَى مِنْ فُلَانٍ أَي أَحْفَظُ وأَفهَمُ"[٢].

ب- **العَقْل لغة ورد بعدة معان متقاربة منها: الحبس والحجر.**

قال ابن فارس: "(عَقَلَ) العين والقاف واللام أصل واحد مُنْقَاسٌ مطرد، يدل عُظْمُهُ عَلَى حُبْسَةٍ في الشيء أو ما يقارب الْحُبْسَةَ. من ذلك الْعَقْل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"[٣].

وقال ابن منظور: "وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عَنِ التَّوَرُّط فِي المَهالِك أَي يَحْبِسه"[٤].

ومن معاني العقل العلم الذي هو نقيض الجهل.

قال ابن فارس: "الْعَقْلُ: نقيض الجهل. يقال: عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلاً، إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله... ورجل عقول إذا كان حسن الفهم وافرَ الْعَقْلِ"[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٢٤/٦).

(٢) لسان العرب (٣٩٦/١٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦٩/٤).

(٤) لسان العرب (٤٥٨/١١).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٦٩/٤).

ثانيا: الوعي والعقل في القرآن والسنة:

أ- ورد لفظ الوعي في الشرع بمعناه اللغوي الفهم والحفظ، كقوله تعالى ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحاقة: ١٢]، قال ابن جرير: "يعني حافظة عقلت عن الله ما سمعت"[١]، وفي الحديث قال النبي ﷺ: " فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع"[٢]، ومعنى "أوعى" أي: أحفظ وأكثر فهمًا.

ب- **العقل في الكتاب والسنة يُمكن أن نُعرفه من خلال ثلاثة مقامات:**

المقام الأول: أن العقل صفة تقوم بالعاقل، وهي ما يعبر عن بعضها عند الفلاسفة بالعَرَض المقابل للجوهر الذي هو قائم بنفسه لا كالعرض القائم بالغير.

قال ابن تيمية: "اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي يسمى عرضًا قائمًا بالعاقل. وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، وقوله ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ وقوله:﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً ...، (و) العقل في كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعاقل، **سواء سمي عرضًا أو صفة، ليس هو عينًا قائمة بنفسها، سواء سمي جوهرًا أو جسمًا أو غير ذلك**. وإنما يوجد التعبير باسم (العقل) عن الذات العاقلة التي هي جوهر قائم بنفسه في كلام طائفة من المتفلسفة "[٣].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المشهور بتفسير الطبري) (٢٢١/٢٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧٤١)، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، وأخرجه مسلم برقم (١٦٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨٦/٩) (٢٧١/٩).

المقام الثاني: أنه غريزة يميز بها الإنسان بين الأشياء.

قال ابن تيمية: "وقد يُرادُ بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان، التي بها يعلم ويميِّز، ويقصد المنافع دون المضار، كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما: "العقل غريزة"، وهذه الغريزة ثابتة عن جمهور العقلاء، كما أن في العين قوَّة بها تبصر، وفي اللسان قوة بها يتذوَّق، وفي الجلد قوة بها يلمس"(١).

المقام الثالث: هو الاستصحاب العملي، والالتزام بمعاني العلم الصحيح.

قال شيخ الإسلام: "وأمَّا العمل بالعلم، وهو جلب ما ينفع الإنسان ودفع ما يضره بالنظر في العواقب، فهذا هو الأغلب على مسمى العقل في كلام السلف والأئمة، كالآثار المروية في فضائل العقلاء"(٢).

وقال أيضًا: "فالعقل لا يسمَّى به مجرد العلم الذي لا يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به، والعمل بالعلم؛ ولهذا قال أهل النار: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك: ١٠]"

فالعقل في الكتاب والسنة غريزة وعلوم ضرورية وعلوم نظرية وعمل بمقتضى ذلك(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/٢٨٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/١٢٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٧)، وانظر معاني العقل عند الإمام ابن تيمية https://www.alukah.net/culture/٦٦١٧٠/٠/#ixzz٦najecx.

ثالثا: الوعي في علم النفس:

هو وعي عقلي بالأحاسيس والإدراكات للأحداث الخارجية، بالإضافة إلى الوعي الذاتي للأحداث الداخلية، بما فيها الأفكار، والذكريات، والمشاعر نحو الخبرات والذات[١].

فالوعي consciousness يشير إلى نقيض الغيبوبة على مستويات عدة، بدءًا من اليقظة التامة إلى الغيبوبة. وأمَّا الإدراك perception فيشير إلى ما نراه ونسمعه؛ أي تفسيرنا للمعلومات الواردة من الحواس، ولذلك هو لصيق للإحساس، لكنه مختلف عنه.

فالوعي في علم النفس أوسع من معناه في اللغة[٢].

---

(١) علم النفس بوّابات إلى العقل والسلوك (٢٨٢).

(٢) https://twitter.com/fmalanazi/status/١٣٩٩٨٥١٠٣٣٧١٥٧٨٩٨٣٢?s=٢١.

رابعًا: الوعي أو العقل في الاصطلاح الفلسفي:

مفهوم العقل من المسائل التي اضطرب الفلاسفة فيها وتشعبت فيها أقوالهم؛ فقد عبروا عنه بأحد عشر معنى، نقتصر من ذلك على ما يتعلق بموضوع بحثنا، وهي خمسة:

١- **العقل الكلي:** وهو عبارة عن ماهية كلية مجردة عن المادة وعلائق المادة[(١)]، وهو جوهر مستقل قائم بنفسه خالد لا يفنى[(٢)].

٢- **العقل الفعال:** وهو العقل العاشر في نظرية الفيض، وسُمي فعَّالاً لكثرة أفعاله في الطبيعة والإنسان، وتحت هذا العقل يوجد عالم العناصر، وعالم الجزئيات الخاضعة للكون والفساد، وهو أزلي أبدي عندهم مفارق غير ممتزج بمادة[(٣)].

٣- **العقل القدسي:** وهو عبارة عن القوة النظرية التي من شأنها تحصيل المدركات من غير تعليم وتعلم؛ كالنبوة عندهم[(٤)].

٤- **العقل الهيولي (أو المنفعل):** وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات، وهو قوة محضة خالية عن الفعل كما في الأطفال، وإنما نسب إلى الهيولى لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولى الأولى الخالية في حد ذاتها عن الصور كلها[(٥)].

٥- **العقل بالفعل:** هو (العقل الهيولاني) السابق الذكر بعد حصوله على الصور، كحال المستكمل في الكتابة ونحوها[(٦)]، أي أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب، بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت في غير

---

(١) العقول ليس لها تعلق بالمادة -عند الفلاسفة- خلافًا للنفوس فلها تعلق بالمادة، فالنفوس عندهم مبدأ وحدة العالم وحركته وتدبيره وتستمد من العقول الفيوض والمعارف.

(٢) انظر المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي (١٠٦).

(٣) انظر كتاب النفس لأرسطو م٣ف٥ ترجمة يوسف كرم في تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم (٢٣٠).

(٤) انظر المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء (١٠٨).

(٥) التعريفات (١٥٢)، وانظر المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي (١٠٧).

(٦) انظر المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي (١٠٧).

تجشم كسب جديد، لكنه لا يشاهدها بالفعل[١].

فأرسطو ومن تبعه قالوا: إن العقل جوهر قائم بنفسه، وهو أنواع متعددة تنتهي إلى العقل الفعال، وهو مفارق للمادة، غير ممزوج بها، ولا يفنى، مبدع كل ما تحت فلك القمر، وباقي العقول جواهر قائمة بأنفسها مدبرة للنفوس.

قال أرسطو: "وهذا العقل الفعال هو القابل للمفارقة، وهو غير منفعل أصلاً، غير ممتزج بمادة؛ لأن ماهيته أنه فعل، والفاعل أشرف دائمًا من المنفعل، والمبدأ (العلة) أشرف من المادة... وبعد أن يفارق يعود بحسب ماهيته، وهو وحده من حيث هو كذلك خالد ودائم، غير أننا لا نتذكر في حال المفارقة؛ لأنه غير منفعل، بينما العقل المنفعل فاسد، ومن غير هذا فليس شيء يفكر"[٢]، وقال في كتاب النفس في بيان صلة العقل الفعال بالعقل المنفعل (الهيولاني) ومراتب العقول: "ولا نستطيع أن نقول إنّ هذا العقل يعقل تارة ولا يعقل تارة أخرى، وعندما يفارق يصبح مختلفًا عما كان بالجوهر، وعندئذ فقط يكون خالدًا وأزليًا، وبدون العقل الفعال لا نعقل"[٣].

ويذكر د. النشار اختلاف تلاميذ أرسطو والشُرّاح المتأخرين حول تفسير كلامه السابق، فالإسكندر الأفروديسي[٤] فسر العقل الفعال بالإله (المبدأ الأول)؛ لأنه لا يقبل الفساد، وخالد، وأزلي، وصورة مفارقة للمادة، وهذه صفات إله أرسطو الذي يسميه المبدأ الأول، والعقل الهيولاني (المنفعل) بقوة استعداد، وهو فاسد يندثر مع اندثار الجسم[٥].

وقال النشار موضحًا تفسير ابن رشد لعبارة أرسطو السابقة: "وضع العقل الهيولاني

---

(١) التعريفات (١٥٢).

(٢) كتاب النفس لأرسطو م٣ف٥ ترجمة يوسف كرم في تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم (٢٣٠).

(٣) كتاب النفس لأرسطو، ترجمة الأهواني (١١٢،١١٣).

(٤) الإسكندر الأفروديسي: فيلسوف تخصص في شرح فلسفة أرسطو حتى لُقِّب بأرسطو الثاني، وانظر الملل والنحل (١٤٤/٢).

(٥) انظر مقدمة د. مصطفى النشار لكتاب النفس لأرسطو (١٥).

[المنفعل] في وضع مزدوج، فهو من حيث إنه شبيه بالعقل الفعال هو غير فاسد... ومن حيث إنه يتصل بالأشخاص لقبول الصور النوعية فإنه فاسد". أي قد يعتريه الفساد(1).

وذكر وِل ديورَانت في قصة الحضارة موقف ابن رشد من قضية العقل الفعال، قال: "العقل الإنساني مكون [أي عند ابن رشد] من عنصرين:

أحدهما: العقل القابل أو المادي، وهو استعداد الإنسان، أو قدرته على التفكير أو المعرفة العقلية، وهذا العقل جزء من الجسم يفنى بفنائه ...

والثاني: العقل الفعال، المستمد من الله، وهو الذي يبعث العقل القابل على التفكير الفعلي، وهذا العقل الفعال لا يختلف في فرد عنه في آخر؛ بل هو سواء في الناس كلهم(2)، وهو وحده الخالد الذي لا يفنى.

ويشبه ابن رشد عمل العقل الفعال في الفرد أو في العقل القابل بتأثير الشمس التي يجعل ضوؤها كثيرًا من الأجسام نيرة، ولكنه يبقى في كل مكان، ويظل على الدوام كما كان.

ويسعى العقل الفردي للاتحاد مع العقل الفعال، كما تمتد النار إلى الأجسام القابلة للاحتراق.

وبهذا الاتصال يصبح العقل البشري شبيهًا بالله؛ لأنه يستحوذ على الكون كله بالقوة في فكره، والحق أن العالم وكل ما فيه ليس له وجود بالنسبة لنا، وليس له معنى، إلا عن طريق العقل يدركه(3).

وإدراك الحقيقة وحده عن طريق الذهن هو الذي يؤدي بالعقل إلى الاتحاد مع الله ذلك؛ الاتحاد الذي يظن المتصوفة أنهم يستطيعون الوصول إليه بالتدريب النفساني

---

(1) انظر تهافت التهافت (٣٠٣/١)، ومقدمة د. مصطفى النشار لكتاب النفس لأرسطو (٢١)، وتلخيص كتاب النفس لابن رشد تحقيق الأهواني (١٢١). فقد ذكر النشار والأهواني عدة آراء في تفسير عبارة أرسطو السابقة.

(2) مقصوده بذلك المعنى الكلي للعقل.

(3) وهذا مبدأ القول بوحدة الوجود كما سبق (٥٠).

على الزهد، أو بالنشوة التي تحدث بالأذكار ... وهذه هي النتيجة التي وصل إليها أرسطو نفسه، ولا حاجة إلى القول بأن نظرية العقل الفعال والعقل المنفعل مرجعها كتاب النفس لأرسطو (المقالة الثالثة) ... وهي التي استحالت إلى نظرية الفيض، التي تقول بها الأفلاطونية الحديثة، والتي انتقلت إلينا عن طريق الفارابي وابن سينا وابن باجة، وأصبحت هذه الفلسفة العربية في نهايتها كما كانت في بدايتها هي فلسفة أرسطو استحالت أفلاطونية حديثة"[(١)].

ومما سبق نخلص إلى ما يلي:

١- اختلاف التفسيرات لعبارة أرسطو السابقة دليل على الإبهام فيها.

٢- الكلام الذي ذكره أرسطو ليس له علاقة بالحقائق الواقعية في الوجود.

٣- العقل الأول صدر عندهم عن المبدأ الأول، وفاض عن العقل الأول العقل والنفس، ثم تسلسل إلى أن أصبح عشرة عقول وتسع نفوس، وانتهى الأمر إلى العقل الفعال الذي هو - بزعمهم- مبدع كل ما تحت فلك القمر، وباقي العقول جواهر قائمة بأنفسها مدبرة للنفوس.

٤- مرادهم بهذه النظرية إيجاد جواب لمشكلة الخلق والتأثير في الكائنات، وإدراك العلة المؤثرة في الكون التي تدبره وتتصرف فيه؛ فافترضوا وجود العقول والنفوس وهذه العناصر، مما زادهم حيرة واضطرابًا.

هذا هو تصورهم للعقل الفعال، والحق أن العقل الأول أو الفعال عند الفلاسفة كلي، مطلق، لا وجود له خارج الذهن، فهو مجرد أوهام وتخيلات لا حقيقة لها، ولا يستندون فيه إلى دليل عقلي أو حسي أو وحي.

والطاقة الكونية عند أصحابها هي بمنزلة المبدأ الأول، أو بمنزلة العقل الفعال في الفلسفة اليونانية ومن تبعها.

---

(١) قصة الحضارة (١٣/٣٧٣).

مناقشة العقل الفعال عند فلاسفة اليونان:

آراء الفلاسفة ونظرياتهم في العقل الفعال مفاهيم ذهنية، لا وجود لها في الخارج، وليس لها حقيقة في الأعيان، ولا يوجد دليل عقلي أو حسي على إثباتها، كما أنها مخالفة لما تقتضيه المدلولات اللغوية وما يدل عليه الوحي.

فمهوم العقل عند الفلاسفة مجرد مصطلح اصطلحوا عليه، وهو من المجردات التي لا وجود لها إلّا في الأذهان.

قال ابن تيمية: "**والعقل الفعال ... لا حقيقة له.** بل ما يدعونه من المجردات والمفارقات غير النفس الناطقة كالعقول والنفوس إنما وجودها في الأذهان لا في الأعيان"[1].

وهناك علاقة متلازمة بين العقل الفعال والفيض المنبثق منه عملية الفعل والانفعال في الكائنات والتي يمثل العقل الفعال جزءًا منها.

قال شيخ الإسلام في إبطال نظرية فيض العقول: "إن **العقولَ التي تكون دائمةَ الفيض يلزم أن يكون كلُّ ما يصدر عنها - بواسطة أو بغير واسطة- لازمًا لهذه العقول، قديمًا بقدمِها**، وإذا كانت قديمة أزلية لا يكون فعلها وإبداعها متوقفًا على استعداد أو قبول يحدث عن غيرها"[2].

وقال أيضًا: "إذا كان وحدَه هو الفاعل [يعني العقل] لذلك كله، امتنع أن يكون علة تامَّة أزلية مستلزمة لمعلولها؛ لأن ذلك يُوجِب أن يكون معلولُه كله أزليًّا قديمًا بقدمِه، وكل ما سواه معلول له، فيلزم أن يكون كل ما سواه قديمًا أزليًّا، وهذا مكابرةٌ للحس وقول فاسد بالضرورة"[3]. وقد تقدمت مناقشة هذه النظرية بالتفصيل[1].

---

(١) الرد على المنطقيين (٢٧٨).

(٢) المصدر السابق (١/١٥٥) بتصرف.

(٣) المصدر السابق.

خامسًا: الوعي عند أصحاب فلسفة الطاقة الكونية، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالوعي عند أصحاب فلسفة الطاقة الكونية.

هناك غموض وتخبط واضطراب عند أصحاب فلسفة الطاقة الكونية في تحديد مفهوم الوعي، كحالهم مع كل قضية من قضاياهم الفلسفية، ومن القضايا التي يبدوا اضطرابهم فيها جليًا قضية الوعي؛ هل وجوده بعد الفراغ أو العدم، أم أنه سابق عليها بمنزلة المبدأ الأول؟

فأحيانًا يجعلون الوعي بمنزلة المبدأ الأول، **وأحيانًا** يجعلون الوعي بمنزلة العقل الفعال الذي تسلسل فيضه من المبدأ الأول، **وأحيانًا** يجعلون الوعي أعلى درجات الوجود المادي (الإله المتجسد) لكنه دون الوعي المطلق الذي جاء منه الوجود، أي بمنزلة العقل المنفعل (الهيولاني) [٢] في الفلسفة اليونانية.

فذكروا عدة آراء والنتيجة واحدة؛ وهي الوصول إلى المعرفة الباطنية وإدراك الوحدة باتحاد الإنسان مع الوعي الكوني، وتُسمى بالوعي الذاتي.

وتفصيل هذه الآراء على النحو التالي:

الرأي الأول: وهو الذي يجعل أصحابه الوعي بمنزلة المبدأ الأول الذي فاض عنه العقل الأول - كما عند فلاسفة اليونان- ويُسمونه الوعي الكلي، أو العدم، أو الفراغ، أو نقطة الصفر [٣].

يقول ديباك شوبر مبينًا أن مصدر الوجود هو الوعي المحض المتصف بالصفاء الخالي من أي فساد وأن الوصول إليه هو جوهر الروحانية، قال:" إنّ مصدر الخلق بأكمله

==

(١) انظر المطلب الثالث "نظرية الفيض في وحدة الوجود" من الباب الأول، الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) سبق شرحه قبل قليل (١٧٧).

(٣) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (١٧٠).

هو الوعي المحض الخالص الصافي"[١].

ويقول إكهارت تول مبينًا أول الوجود: "لم يكن ثمة فضاء رحب ينتظر الامتلاء قبل أن يكون الكون، قبل الانفجار الكوني الكبير إن أردت.

لم يكن ثمة فضاء لأنه لم يكن ثمة شيء.

كان اللامتجلي[الوعي المطلق] وحده- الواحد.

وظهر الفضاء فجأة، حين أصبح الواحد(عشرة آلاف شيء)، وسمح للكثير بالتواجد.

من أين أتى؟ هل خلقه الله ليأوي الكون؟ بالطبع لا. الفضاء لا شيء، ومن ثم لم يخلق أبدًا"[٢].

ويؤكد أيضًا أن مصدر العالم هو الوعي فلا يوجد ثنائية، بل الوعي يتشكل ذاتيًا، قال: "يأتي العالم من الوعي حين يتجسد في مظاهر وأشكال، أشكال فكرية ومادية"[٣].

وقال أيضًا:" الوعي لم يزل واعيًا، إنه الأبدي غير المتجلي. بينما العالم يتدرج في الوعي.

الوعي - نفسه- لا يقيده الزمان، ولذلك لا يخضع للتطور.

لم يولد ولا يموت. وعندما يتحول إلى العالم المادي، يظهر وكأنه خاضع للزمن والتطور"[٤].

الرأي الثاني: وهو الذي يجعل أصحابه الوعي بمنزلة العقل الأول الذي فاض من المبدأ الأول كما في الفلسفة اليونانية.

---

(١) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (١٥).

(٢) قوة الآن (١٣٩).

(٣) المصدر السابق (١٠٧).

(٤) أرض جديدة النسخة الانجليزية (٢٩١) ترجمة د. هياء الرشيد في كتابها حركة العصر اجديد(١٧٠)، وفي النسخة العربية (٢٨٤).

فنجد في تعاليم رامثا(١) أن الفراغ أو العدم هو المبدأ الأول الذي يكمن فيه كل الوجود، **وبعد تأمل الفراغ لذاته تولد منه الوعي الأول** الذي هو جوهر الوجود كله، وكل الموجودات تشكلت في الوعي وتجسدت من خلال طاقته(٢)، **فالوعي والعالم وجدا ذاتيًا عندما تأمل الفراغ ذاته**(٣).

ويجيب و اين داير على سؤال من أين أتيت؟ فيقرر أن كل موجود نشأ من العدم، فالإنسان عبارة عن طاقة تحولت إلى تجربة بشرية مُوقتة؛ لأنه كيان روحي خالد لا يتأثر بالولادة ولا بالموت، قال: "تقصّ علينا نصوص تاو تي تشينغ أنّ كل الوجود نشأ من العدم. وبالتالي تُجيب كلّ من الفيزياء وعلم الماورائيات على سؤال(من أين أتيت) بالخلاصة التي تقول: إنَّنا نشأنا من شيء لا صورة له، لا حدود له، لا بداية، لا نهاية، لا مادة. إنّ جمعينا في الأساس عبارة عن كائنات روحية تخوض تجربة بشرية مؤقتة. هذا هو جوهرنا، ومن هناك أتينا"(٤). وقال أيضًا: "أحد الإجابات من أين أتينا؟ هو: من اللامكان، من العدم"(٥).

والعدم عنده هو اللاشيء هو الصفر الرياضي(٦)، قريب من فكرة الكُمُون أو الانفجار العظيم التي تقول بأن الوجود كان منكمشًا في نقطة قطرها صفر أي لا شيء ثم حدث الانفجار!.

---

(١) هي تعاليم تزعم جي زي نايت أن المتحدث على لسانها وسيط روحاني اسمه"رامثا" وتزعم أن عمره يزيد على ٣٥٠٠٠ سنة. انظر حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٥٦).

(٢) المصدر السابق (١٧٢).

(٣) المصدر السابق (١٨٧).

(٤) النقلة (٢٦، ٢٦، ٢٩).

(٥) المصدر السابق (٤١).

(٦) الصفر هو الخلاء؛ بمعنى أنه خلو من الدلالة فيه على كمية، إنما فيه دلالة على انتفاء الكمية، المصدر السابق (٣٤، ٣٧-٤٣).

ويقال لهم هل الفراغ - عندكم- صفة وجودية أم عدمية؟ وهل الفراغ (شيء) أم (لا شيء)؟

وهل المعدوم شيء؟

فإن كان الفراغ أمرًا وجوديًا فليس بعدم، وبطل كلامكم أنه عدم، لأن العدم ليس بشيء موجود.

وقد وقع واين داير في التناقض، فأحيانًا يقول أصل الوجود(لا شيء)، وأحيانًا يقول (شيء) ثم يصفه بأوصاف تدل أنه لا شيء، ومقصوده بالشيء ما يدعيه الفلاسفة من الكليات والعقليات الذهنية التي لا وجود لها في الخارج ولا في الأعيان.

وسيأتي بإذن الله تحرير هذه المسائل في الفصل الرابع من الباب الثاني.

ويحاول فلاسفة الطاقة الكونية الهروب من السؤال الحقيقي من أوجد العالم؟- اي ضرورة وجود محدث- بالجواب عن "متى" و "كيف" وجد العالم؟.

وما الذي دفع الفراغ للتأمل الذاتي - عندكم- في ذلك الوقت فلم يحدث قبله أو بعده؟ وكيف يصير الفعل ممكنًا بعد أن كان ممتنعًا بلا باعث؟

فإن الفعل هنا من الفراغ (العدم أو اللاشيء) أمر ممتنع؛ حيث لا يكون الفعل إلَّا من شيء وجدوي، ولا يتصور من شيء عدمي، والممتنع لا يكون ممكنًا في بداهة العقول إلَّا إذا كان هناك سبب يوجب حصوله يقول شيخ الإسلام في بيان هذه القاعدة:" صريح العقل يقتضي بأنه[الفاعل] إذا صار فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً فلا بد من حدوث شيء، وأنه يمتنع في العقل أن يصير ممكنًا بعد أن كان ممتنعًا بلا حدوث، وأنه لا سبب يوجب حصول وقت حدث وقت الحدوث، وأن حدوث جنس الوقت ممتنع"[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٢٢٦).

الرأي الثالث: وهو الذي يجعل أصحابُه الوعي أعلى درجات الوجود المادي (إله مشخص)، لكنه دون الوعي المطلق الذي جاء منه الوجود أي بمنزلة العقل المنفعل (الهيولاني) في الفلسفة اليونانية[(١)].

يقول اكهارت تول:" لكل ما هو موجود كينونة، يملك أساسًا إلهيًا، **يملك درجة من الوعي. للحجروعيٌ بدائي**؛ وإلا لما كان، ولتفرقت ذراته وجزيئاته. كل شيء حي.

الشمس والأرض والنبات والحيوان والبشر- **كلهم تعابير للوعي بدرجات مختلفة، الوعي المتجسد شكلاً**"[(٢)].

فالوعي يعيش مخاضًا بالتشكل في الوجود المادي[(٣)]، بل الوجود المادي ليس له وجود مفارق للوعي[(٤)].

ويقولون: الوعي انحدر في الوجود حتى تحول إلى المادة، ثم أخذت المادة تتطور حتى بلغت الإنسان العاقل، والتطور في الإنسان ليس في الجسم بل بوعيّه وإدراك حقيقته الإلهية والعودة إلى الطبيعة الأولى بزعمهم، قال إكهارات تول: "إن أساسك الإلهي وعيٌ"[(٥)]، فغاية الوجود عندهم الاتحاد بالمطلق(الإله أو المصدر) الذي يسمونه الاستنارة[(٦)].

وقد أوضح أوشو معنى الوعي الجمعي أو الكلي حينما تساءل قائلاً: "فكيف تصبح واعيًا للحضور الكلي، للمقدرة الكلية، فقط بوصفك مراقبًا من غير هوية تتماهى معها؟...

أنت وببساطة المراقب الواقف إلى جانب الطريق هذا هو التأمل...

---

(١) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد(٢٠٧).

(٢) المصدر السابق (١٠٦).

(٣) القوانين الروحانية السبعة للنجاح لديباك شوبرا(١٢).

(٤) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٢٠٧).

(٥) قوة الآن (١٠٧).

(٦) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٢٠٧).

عملي هنا: أن أجعلكم وأجعلكن واعين وواعيات، أنكم وأنكن آلهة وآلهات، و أنكم وأنكن كائنات خالدة"[(١)]؛ لأن الإنسان في حالة الوعي واللحظة تحل فيه الألوهية يقول إكهارات تول: "الحضور يعني الألوهية اليقِظَة أو جوهر الله"[(٢)].

فالوعي من المصطلحات التي يستخدمونها وتحمل معنى باطنيًا بعيدًا عن المعنى اللغوي، وهو عندهم درجات أدناها الوعي الفردي أو الذاتي، وأعلاها الوعي الكوني. وهدفهم هو إدراك حقيقة الذات بالاتحاد مع الكلي (الإله)، ويفسرون النبوة بأنها أعلى مراحل الوعي ويمكن اكتسابها[(٣)].

فوعي الإنسان- أي الوعي الذاتي- يُعد شرارة أو فيضًا من المبدأ الأول، الذي هو جوهر الإنسان وأصله؛ وكلما تطور زادت قدراته، ونما وعيه، واتصل بالوعي الكلي واندمج به واتحد معه![(٤)] يقول يمتري[(٥)]: "كل إنسان من حيث ماهيته كائن إلهي، وهو ينطوي في ذاته بالقوة على كل القدرات والملكات التي تتصف بها الآلهة؛ وتتفتح هذه القدرات وتلك الملكات تدريجيًا وصولاً إلى كمال للوعي وسعة متناميين لا حدَّ لهما"[(٦)].

ويزعمون أن هناك وعيًا كليًا جوهرًا قائمًا بنفسه، يدبر الكون؛ وهو الإله والحقيقة المطلقة، وكل ما في الوجود ما هو إلَّا تجسيدٌ لذلك الوعي، فإذا أدرك الإنسان حقيقة الإلهية، التي هي وعي مجرد، أمكنه التحكم في الواقع من خلال تحوير الوعي[(٧)].

---

(١) تأملات قبل النوم (٣٧). هناك ركاكة كبيرة في هذا النص.

(٢) قوة الآن (٨٩).

(٣) النقلة لواين داير (٢٢)، وحركة العصر الجديد (٢٩).

(٤) الثيوصوفيا (٧٥).

(٥) كاتب وباحث باطني يوناني، يعيش في سوريا، له كتابات ثيوصوفية وترجمات لبعض أعمال "بلافاتسي"، وهو أحد مؤسسي موقع معابر الذي ينشر الفكر الباطني. الثيوصوفيا لمريم عنتابي (٧٥).

- الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة، يمتري أفيرينوس.

- حركة العصر الجديد(٢٩٥، ٤١٤).

فالأرض عندهم كائن واع مدرك عاقل؛ لأن الطبيعة صورة من صور الكلي، فالجمادات والنباتات لها وعي من الكلي؛ لأن الوجود المطلق فكر أو وعي أو عقل[(١)].

وههنا يرد سؤال: هل جميع الكائنات حية مدركة عاقلة؟

والجواب: أن الإدراك الجمعي الكلي على مفهوم الطاقة الكونية من موروثات الفكر الباطني القديم، لم يقل به أحد من علماء المسلمين، بل هو صورة تطبيقية لعقيدة وحدة الوجود، وينبثق من الاعتقاد بأن كل شيء في الكون يشتمل على وعي أو طاقة تتطور عبر دورات الحياة، وقد انتشر هذا الاعتقاد في العصر الحديث بترويج الفيلسوف الياباني مسارو إيموتو[(٢)]، الذي قال بوعي الماء ثم طرد ذلك على جميع الكائنات[(٣)].

وكذا العقل المختار الذي هو مناط التكليف، فهو منفي عن سائر الحيوانات والنباتات والجمادات الأرضية، عدا الإنسان والجان.

أمَّا الإدراك الفردي الذي يخص كل حيوان على حده، وهو ما وهبه الله سبحانه للحيوانات تجاه إصلاح معاشها؛ كإدراكها طرق المعيشة والتصرف بمحيطها فهو ثابت، وقد سماه الله في القرآن هدى قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه: ٥٠].

قال ابن القيم: " أعْطيت[الحيوانات] من التَّمْيِيز والإدراك مَا تتمّ بِهِ مصلحتها ومصلحة من ذَلِك لَهُ، وسلبت من الذِّهْن وَالْعقل مَا ميز بِهِ عَلَيْهَا الانسان"[(٤)].

---

(١) حركة العصر الجديد (٤٩٠).

(٢) مسارو إيموتو: ولد باليابان عام (١٩٤٣م) وتخرج في جامعة يوكوهاما في العلاقات الدولية، ثم حصل على شهادة دكتوراه من الجامعة الدولية المفتوحة للطب البديل بالهند وهي شهادة غير معترف بها في الأوساط العلمية، وعمل ايموتو أبحاثًا على كريستالات الماء وتأثرها بالأفكار والكلمات ويزعم أن الأفكار والكلمات لها طاقة تؤثر على الماء، وتجاهلت الأوساط العلمية "ايموتو" تمامًا باعتبار أن ما قدمه ما هو الا علم زائف، وانظر عدة مقالات في التعريف بمسارو ايموتو ونظريته ومناقشتها: https://sabeily.com

(٣) الثيوصوفيا (١٨٠).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/٢٣٤)

وقد ثبت في النصوص بعض المعجزات؛ كما في قصة الهدد والنمل مع نبي الله سليمان عليه السلام.

المسألة الثانية: الجذور التاريخية للوعي في الأديان الشرقية:

يتمثل الوعي الكوني عند الصينيّين في الاتحاد بالطاو؛ باستقطاب الطاقة الكونية تشي، وفهم حقيقة التفاعل بين القوى الكونية الين واليانغ، وعند الهندوس في التحرر والاتحاد ببرهمان، وقد ورد لفظ الوعي في الأوبانيشاد في عدة مواطن[1]، وعند الفلاسفة اليونانين كهيرقلطس في اللوغس، والآن يُسمى بتطوير الذات عبر التوكيدات.

المسألة الثالثة: صفات الوعي عندهم:

وقد وصفوا الوعي بصفات نوجزها فيما يلي:

أ- مبدأ معلوماتي أعلى، يسري في كل شيء، وهو وراء نشأة الكون[2].

ب- الذاكرة الكونية التي تتضمن جميع المعلومات التي حصلت منذ الوجود، ويمكن الوصول إليها من خلال الممارسة التأملية، أو من خلال ذبذبات معينة؛ فلكل فكرة أو طاقة ذبذبة مرتبطة بها.

ج- قوة كامنة وجودية تحرك الكون وتؤثر فيه، فالإله هو الوعي[3]، فالكون كله وعي، والوعي الكلي يعمل كسجل للوعي الفردي؛ ومن خلال الاتصال بالوعي الكلي يمكن للإنسان إرسال أفكاره لأي إنسان (التخاطر)[4].

د- الوعي هو المحرك للكون، وهو الموجود الأول، بل الأوحد. وهذا الوعي هو الإله في نظرهم، وهو حقيقة كل إنسان، يوضح ذلك ديباك شوبرا عندما يتحدث عن

---

(١) الأوبانيشاد ترجمة عبد السلام زبان (٨٧).

(٢) فلسفة الطاقة الكونية وموقف الإسلام منها (١٩٢).

(٣) الأصول الفلسفية لتطوير الذات (٢/٥٩٧، ٥٩٨).

(٤) حركة العصر الجديد (٤٠٢).

سؤال قديم يطرحه دومًا وهو: "من الذي أوجدني؟"، ثم ينقل الإجابتين الأكثر شهرة على هذا السؤال، وهما: الإجابة الدينية: خلقك الإله بعلم وإرادة. والإجابة اللادينية: أوجدتك الطبيعة عن طريق المصادفة.

ثم يقول معلقًا على هاتين الإجابتين: "لم يكن بإمكاني أبدًا تقبل أي من الإجابتين، وشكِّي هذا هو الذي تسبب في كتابة هذه الأوراق التي أقدم من خلالها إجابة ثالثة". ثم يمضي في تحديد الإجابة بقوله: "من الذي أوجدني؟ هي: أنا من أوجد ذاتي"[(١)]. أي أن الوعي الكلي هو المؤثر في الوجود، والإنسان جزء منه.

هـ- التحكم في الواقع من خلال تحوير الوعي؛ لأن الكون في الفلسفة الشرقية وهم كما سبق، ليس له وجود خارج الذهن، وبالتالي يمكن تشكيله من خلال تعديل الفكر، وفي الفلسفة الباطنية الوعي هو الوجود الأول، وهو الإله والحقيقة المطلقة، وكل ما في الوجود ما هو إلَّا تجسيدٌ لذلك الوعي. فإذا أدرك الإنسان حقيقة الإلهية، التي هي وعي مجرد، أمكنه التحكم في الواقع[(٢)].

و- وإذا بلغ الأنسان الوعي الكلي، يمكنه معرفة الغيب عن طريق اتصاله بالمصدر المزعوم، يقول د. صلاح الراشد: "إن الأنسان عندما يكون في صفاء نفسي أو حاجة، فإنه قد يتصل بهذا المصدر... أي لا يحتاج أن ينام ليرى؛ أي قد يرى الإنسان أحداثًا من الماضي والحاضر والمستقبل"[(٣)].

فالخلاص في الثيوصوفيا يتحقق بالتوصل إلى مراتب عالية من الوعي من خلال اتِّباع أساليب التهذيب المحددة، وتحصيل الأسرار الباطنية[(٤)].

---

(١) المصدر السابق (١٧٨).

(٢) المصدر السابق (٢٩٥، ٤١٤).

(٣) قانون الجذب (٢٨).

(٤) حركة العصر الجديد (٤٣).

المسألة الربعة: وحدة قياس الوعي عندهم:

يقاس الوعي لدى أصحاب الطاقة بما يُسمى بسلم هاوكنز[(١)]، ويعرفونه بقولهم: "أداة تستطيع من خلالها تحديد مرحلة وعيك الحالية وتقيمها بسهولة تامة، وقسم هاوكينز مراحل الوعي لدى الأنسان من ٧٠٠-١٠٠٠ قمة التنوير والمعرفة والوعي والحكمة"[(٢)]، ويفسرون النبوة بأنها أعلى مرحلة من مراحل الوعي، ويمكن اكتسابها.

ومن الواضح تأثر هاوكنز بفلسفة وحدة الوجود قال: "إن الشخص الذي كنته لم يعد موجودًا، لم تكن هناك ذات شخصية أو أنا، كان هناك فقط **وجود مطلق لقوة غير محدودة**، هي كل ما كانت آنذاك، وحوّل هذا الوجود ما كنت (أنا)، وصار الجسد ونشاطاته تحت سلطة إدارة الوجود المطلقة، لقد **تنور العالم من خلال صفاء الاتحاد المطلق**، الذي عبر عن نفسه عندما كشف كل شيء عن جمال المطلق وكماله"[(٣)].

وقال هاوكنز عن هدف عمله: "يهدف المخطط الكلي لهذا العمل الأبدي إلى إعادة سياق التجربة البشرية؛ من حيث تطور الوعي وتوحيد إدراك كل من العقل والروح، كتعبيرات عن الألوهية التي تعد ركيزة الحياة ومصدرًا مستمرًا للحياة والوجود"[(٤)].

يقول د. طلال العتيبي: "الحقيقة أن هذا المقياس ليس له أي أساس علمي، مجرد استعارة لمصطلحات علمية لقياس أمور روحية. تَبَنِيه المصطلحات العلمية أعطته قوة علمية لكن مزيفة"[(٥)].

---

(١) هاوكنز: دكتور في الطب والفلسفة، والرئيس المؤسس لمعهد الأبحاث الروحانية بسيدونا٢٠١٢م. انظر ترجمته في مقدمة وخاتمة كتابه السماح بالرحيل.

(٢) الأصول الفلسفية لتطوير الذات (٢/٥٩٣).

(٣) السماح بالرحيل، ديفيد هاوكينز (٣٦٦).

(٤) المصدر السابق (٣٦٢).

(٥) https://t.co/١٧٣OsCegVe?ssr=true.

فيفترض هاوكنز أن لكل مستوى ترددًا كميًا من الصفر (درجة العار) إلى الألف (التنوير)[1].

وقال أيضًا في بيان بطلان ذلك: "قياس ذبذبات كمية يتطلب بناء نظري وتجريبي دقيق"[2].

فهل الوعي عندهم تحت تصرف الإنسان، أم مستقل عنه (مطلق كلي) يتحكم في مجريات الكون؟

فالوعي الكوني عند أصحاب الطاقة الكونية مبدأ كلي مطلق لا وجود له خارج الذهن، وقد سبق مناقشة العقل الفعال عند بحث العقل في الاصطلاح الفلسفي، وكذلك سبق مناقشته عند بحث نظرية الفيض.

تقول د. هيفاء الرشيد: "**الوعي إذا نسب للإنسان وكان تحت تصرفه، كان**

---

(١) انظر ملحق (٤): جدول مستوى الوعي على ما يُسمى بسلم هاوكنز (٤٢٠).

(٢) المصدر السابق.

ويتحدث د.عايد العجمي (أستاذ مساعد في قسم الهندسة الإلكترونية بالكويت) عن وهم المعرفة وزيف أسس الداوزينغ أو ما يسمى عصا العرافة الكاشفة للمياه الجوفية عندما تتحرك للأسفل أو البندول النحاس أو المعدني، فليس له أي أساس علمي وإنما توازن غير مستقر بحيث تتحرك عند أدنى حركة بسيطة غير ملحوظة مما يوحي للمشاهد وجود قوة خفية.

والذي يستخدم في تطبيقات الفونغ شوي البوذية (طاقة المكان) والتي يدعون أنها حاكم المكان لأنها تأتيهم بحِكَم التنين وربطوها بالمقياس الوهمي المزيف (هاوكينز)، والذي ظهر على أساسه أجهزة مزيفة كثيرة للكشف عن الفيروسات والأمراض المختلفة ومنها ما تطور للكشف عن المخدرات والمتفجرات والأسلحة والأوراق النقدية من مسافات بعيدة كجهاز ٦٥١ ADE المصنوع بواسطة شركة ATSC البريطانية لمؤسسها James McCormick والذي صدر حكم بحقه عام ٢٠١٣ أبريل، بجريمة الاحتيال والنصب وسجن لمدة عشر سنين بسبب الجهاز والذي اعترف فيها بأن الداوزينج (العرافة) هو الأساس الذي بنى عليه جهازه، والجدير بالذكر أن هذا الجهاز بيع منه لأكثر من عشرين دولة عربية وآسيوية وأسعاره وصلت إلى ٦٠ الف دولار وبيع منهاالآلاف!.

https://twitter.com/scita٢u/status/١٣٠١٩٦١٠٦٦٧٧٦٣٤٢٥٢٨?s=٢١

الباعث على الوجود هو الإنسان، وهذا شرك ظاهر في الربوبية؛ لما فيه من إثبات الخلق استقلالاً لغير الله تعالى.

فإن قيل إن للوعي وجودًا مستقلاً عن الإنسان، وهو الذي يتحكم في مجريات الكون، قيل إن الوعي صفة عرضية لا بد أن تقوم بغيرها، وهو معنى مطلق لا يمكن أن يكون له وجود في الخارج إلا عند التقييد، كما هو الحال في السمع والبصر مثلاً؛ فلا وجود للسمع مستقلاً عن السامع، ولا وجود للبصر مستقلاً عن المبصر، وكذلك لا وجود للوعي مستقلاً عن الواعي. ومن هنا تأتي مناقضة هذا القول للعقل.

فإمَّا أن ينسب إلى فاعل فيكون ذلك الفاعل هو الخالق من دون الله، أو ألا ينسب إلى أحد فيكون الباعث على الوجود عدمًا"[1].

فلا يجوز وصف الله الخالق بالوعي؛ لأن الوعي عندهم مبدأ كلي مطلق لا حقيقة له خارج الذهن، قال شيخ الإسلام:" إن الرسل أخبرت عما لم نشهده ولم نحسّه في الدنيا، وسمَّت ذلك غيبًا لمغيبه عن الشهادة، كقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٣]، ومنه قوله تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الرعد ٩]، فالغيب ما غاب من شهود العباد والشهادة ما شهدوها.

وهذا الفرق لا يوجب أن الغيب ليس مما يمكن إحساسه، بل من المعلوم بالاضطرار أن ما أخبرت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الثواب والعقاب كله مما يمكن إحساسه، بل وكذلك ما أخبرت به عن الملائكة، والعرش والكرسي، والجنة والنار، وغير ذلك، لكنَّا لم نشهده الآن.

ولهذا أعظم ما أخبرت به من الغيب هو الله سبحانه وتعالى، مع إخبار الرسول لنا أنّا نراه كما نرى الشمس والقمر، فأي الإحساس أعظم من إحساسنا بالشمس والقمر؟

---

(١) حركة العصر الجديد (١٩١).

وما أخبرت به من الغيب كالجنة والنار والملائكة والعرش والكرسي وغير ذلك مما يمكن إحساسه؛ فليس الفرق بين الغيب والشهادة هو الفرق بين المحسوس والمعقول"[1].

والوعي في اللغة صفة عرضية لا تقوم بذاتها.

وكذا لا يجور وصف الله بالفراغ؛ لأنه وصفٌ بالعدم وهو كفر.

(١) درء تعارض العقل والنقل(١٧١/٥)

سادسًا: مقارنة مفهوم العقل الباطن (اللاواعي) بين (علم النفس) و(أصحاب الطاقة الكونية)، وحكم اعتقاد وجود العقل اللاواعي (الباطن):

١- العقل الواعي أو العقل الظّاهر هو الذي يتبع الحواس العامّة.

٢- العقل الباطن (اللاواعي) حقيقته عند علماء النفس تجارب وخبرات ومعارف، يدركها الإنسان بشكل تلقائي، تُسمى بالسلوك التلقائي.

ومن أوائل الباحثين في علم النفس الذين تناولوا العلاقة بين الوعي واللاوعي فرويد[١]، والعقل الباطن (اللاواعي) عنده جزء من العقل يقوم بتخزين الذكريات والرغبات المكبوتة[٢]، وهذا قد يكون مقبولاً، لكن فرويد جعل العقل الباطن هو المحرك الرئيس للسلوك، وجعله مقدمًا على العقل الواعي، ولا شك في خطأ ذلك.

قال د. خالد الجابر: تفسير المدرسة التحليلية للظواهر النفسية والاجتماعية بالبحث عن أسباب بعيدة خفية غير مدركة لا بأس به للوهلة الأولى، وهو معنى قديم معروف منذ قرون، لكن الإشكال عندهم هو جعل كل شيء خفيًا، وكل خفي سيئًا، وطغيان التفسيرات الجنسية والمعاداة للدين.

وقال أيضًا: من منظور علم النفس الإسلامي للأسباب الخفية البعيدة للظواهر النفسية:

نقر بوجودها في الجملة، لكن لا نجعلها مركزية، ولا نجعلها التفسير الوحيد، ويستطيع الإنسان معرفة نفسه، بالصدق والمراقبة والبصيرة[٣].

---

(١) ومن الأسس التي انطلق منها فرويد الكبالا اليهودية والغنوصية، وانظر كتاب: تأثير الفكر الغنوصي الباطني في نظريات علم النفس الحديث (١٨٠).

(٢) الموجز في التحليل النفسي لفرويد (٤١-٥٠، ٥٤)، والبنية النفسية عند الإنسان ليونغ (٩٣).

(٣) https://twitter.com/Khalid_Aljaber/status/١٤٨٠٠٧٥٣٧١٣٥٧٨٢٢٩٧٨?s=٢٠&t=mw٢DweWbHBMe-jXouWEy-w

ثم تطور مفهوم العقل الباطن (اللاوعي) من خلال كارل يونغ[1]، الذي جعل للعقل ثلاثة مستويات: الوعي، واللاوعي الشخصي الذي يحوي الذكريات المكبوتة والانطباعات غير المدركة، واللاوعي الجمعي الذي هو حصيلة الخبرات الروحانية للبشرية عبر الأجيال والعصور، لكن السؤال المهم في فلسفة يونغ: كيف وصلت إلينا هذه الخبرات (اللاوعي الجمعي)؟

يقرر يونغ أن هذه الخبرات لم نكتسبها من خلال الحياة الاجتماعية والتعليم، وأنها شيء واحد عند كل الناس[2]، فيقول: "تحتوي الخافية الجامعة على جماع الميراث الروحي للتطور البشري، الذي يولد من جديد في البنية العقلية عند كل إنسان"[3]، ويقول أيضًا: "إن ما يتحرك فينا هو تلك القاع الموغلة في البعد؛ أعني تلك النماذج من العقل البشري التي لا سبيل لتذكرها؛ لم نكتسبها بل ورثناها من عصور الماضي السحيق"[4].

فاللاوعي عند فرويد خاص بذكريات أو معلومات متعلقة بالفرد ذاته، ولم يتم تسجلها في الوعي؛ إمَّا نسيانًا، وإمَّا لأنَّها مزعجة جدًّا أو لا تستحق التسجيل، فانتقلت من الوعي إلى اللاوعي.

وأمَّا اللاوعي الجمعي عند يونغ فهو الجزء المشترك بين عقول البشر اللاوعي، ويحتوي على النماذج الأصلية؛ أي: الحقائق والاستعدادات العقلية العالمية غير المستندة على التجارب[5].

---

(١) ولد يونغ بسويسرا عام ١٨٧٥ وكان يميل إلى الوحدة والانعزال كما كان معجبًا بالديانات الشرقية منذ شبابه. انظر: نظريات الشخصية د.بيم الين (١٤١).

(٢) البنية النفسية عند الإنسان ليونغ (٧٧).

(٣) المصدر السابق (٧٧).

(٤) المصدر السابق (٤٧).

(٥) حركة العصر الجديد (٣٥٥-٣٦٦)، والثيوصوفيا (١٨٤).

ولا تنشأ هذه النماذج في العالم المادي، بل وجودها مستقل عنه، قريبًا من نظرية المثل عند أفلاطون[١]، وتُعرف مباشرة من خلال العقل بشكل عفوي، فتتكشف الحقائق العميقة التي خفيت عن الوعي العادي[٢].

يقول يونغ في التفريق بين اللاوعي الشخصي واللاوعي الجمعي: "الخافية الجامعة [اللاوعي الجمعي] غير مدينة بوجودها كالخافية الشخصية، وليست بالتالي كسبًا شخصيًا.

وبينما تتكون الخافية الشخصية أساسًا من محتويات كانت شعورية في وقت ما ثم ما لبثت أن اختفت عن الواعية بعامل النسيان أو الكبت، فإن محتويات الخافية الجامعة لم تكن قط في الواعية؛ وتبعًا لذلك ليست من مكتسبات الفرد، بل هي مدينة بوجودها حصرًا للوراثة.

وبينما يتألف معظم الخافية الشخصية من عُقد تتألف محتويات الخافية الجامعة من نماذج بَدْئية[٣][٤].

---

(١) البنية النفسية عند الإنسان ليونغ (٧٠)، ويونغ يتحدث عن اللاوعي بطريقة مشابهة للأفكار الأفلاطونية.

(٢) الثيوصوفيا (١٨٥).

(٣) يقول د. الحسينان: تقبعُ داخل اللاشعور الجمعي النماذج البدائيةُ التي تعبر عن أشكال تفكير عالمية أو الاستعداد لأدراك العالَمِ وفهمه بطريقة معينة.. تمَّ وراثتها عبر التاريخ البشري الطويل.. من هذه النماذج البدائية:

القناع "ويمثل الدور الاجتماعي الذي يحدده المجتمع للفرد".

والظل" الجانب المقابل للقناع ويمثل الرغبات والانفعالات التي تتنافر مع معاييرنا الاجتماعية".

وأهم هذه النماذج هي الذات "التي تسعى لجمع الأجزاء المتناقضة" فالأنا مركز الشعور والذات مركز الشخصية ككل.

وتحقيق الذات عند يونغ يهدف إلى التكامل والكلية مع كل البشر، وانظر تأثير الفكر الغنوصي الباطني في نظريات علم النفس الحديث (١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣، ٢١٦).

(٤) البنية النفسية عند الإنسان ليونغ (٧٧).

==

٣- **أمَّا العقل اللاوعي الجمعي عند فلاسفة الطاقة الكونية فقد أضفوا عليه أبعادًا أخرى** أكثر باطنية؛ فاصبح عندهم مخزن الحقائق الكونية والعلوم الغيبية، ومسكن الذات الحقيقية؛ حيث اعتبروه القوة المطلقة الكامنة الداخلية، التي تمد الإنسان بالحقائق الغيبية متى نمّاها وطورها، وتُحقق له المعجزات، وتخلق واقعه وقدَرَه وشفاءه، وتمكنه من قدرات فوق بشرية[(١)].

يقول إكهارات تول: "للجسم (الألم) وجهان: جمعي، وشخصي؛ فأمَّا الشخصي فهو البقية المتراكمة للألم العاطفي الذي عاناه المرء في ماضيه، وأمَّا الجمعي فالألم المتراكم في النفس البشرية الجمعية لآلاف السنين"[(٢)].

ويقرر جوزيف ميرفي[(٣)] أن العقل الباطن جزء من الإله؛ أي جزء من العقل

==

حاول البعض حمل كلام يونغ في اللاوعي الجمعي على انتقال الخبرات البشرية عن طريق الجينات أو الفطرة.

وهذا يخالف كلام يونغ نفسه السابق، وقد ذكر د.بيم الين في كتابه نظريات الشخصية (١٤١، ١٤٢، ١٤٦) إن يونغ صاغ اللاوعي الجمعي بطريقة غامضة وغير واضحة أو أنه مفهوم يختلط مع مفاهيم أخرى وأن يونغ يعتمد على العلوم غير التقليدية والأفكار الصوفية ومؤيد للروحية كالتخاطر وغيرها والتي ما زالت غير مقبولة من العلم.

فاللاوعي الجمعي عند يونغ شيء واحد عند كل الناس بخلاف اللاوعي الشخصي فكيف يكون متوارث؟

يقول د. الحسينان: "يرى يونغ أن اللاشعور الجمعي شيءٌ مشتركٌ بين جميع البشر.. تبدو أفكار بونغ عن اللاشعور الجمعي غنوصية". تأثير الفكر الغنوصي الباطني في نظريات علم النفس الحديث (١٨٥).

(١) الثيوصوفيا (١٨٤)، وقوة عقلك الباطن جوزيف ميرفي (٦٦، ٦٠، ٢٧، ٢٦، ١٧).

(٢) قوة الآن (١٦٢).

(٣) جوزيف ميرفي أيرلندي الأصل ولد سنة ١٨٩٨ في محيط كاثوليكي صارم، ثم هاجر إلى أمريكا في مطلع القرن العشرين واكتسب الجنسية الأمريكية، والتحق بالجيش الأميركي كصيدلي في الغرفة الطبيّة في الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهاء مهمته العسكرية سافر إلى الهند ليستفيد من تقاليدها الروحيّة، وقد التقى أثناء رحلاته بصديق عرّفه على روحانيّات الماسونيّة حيث أصبح عضوًا ناشطًا فيها، وبعد عودته إلى أمريكا أسّس كنيسة خاصة به في منطقة لوس أنجلس تنتمي إلى كنيسة العلم الإلهي وهي كنيسة تبشّر بحركة الفكر الجديد، وتوفي عن عمر ناهز الثلاثة والثمانين، سنة ١٩٨١أي قبل أربعة

==

الكوني، ومتصل معه، قال: "إن عقلك لا يشيخ أبدًا، إنه بدون زمان، ولا عمر ولا نهاية له، **إنه جزء من عقل الإله الشامل للكون الذي لم يولد ولا يموت**"[(١)]، وقال أيضًا: "إن عقلك الباطن **على اتصال بالحياة المطلقة والحكمة** التي لا حدود لها"[(٢)].

فالإله عنده كلي مطلق يحل في كل المخلوقات، فيروي في كتابه "سحر الإيمان" أنّ أناسا كثيرين كانوا يزورونه بكنيسته، ويشتكون إليه من أنّهم يؤمنون بالله ويصلّون له ويدعونه، لكنّ أمانيهم لا تتحقّق. فكان يسألهم عن مفهومهم الشخصيّ لله، ويقول: "إن كنت تتخيّل الله ككائن علويّ يوجد بالسماء، متأهّب لمعاقبة البشر على أخطائهم وتجاوزهم لقوانين بشريّة وتابوهات دينيّة، فإنّك ستحدّ نفسك بذلك التفكير، وتسبّب لنفسك التعاسة والبؤس وعقدة الذنب، أمّا إذا كنت ترى الله في الحياة وفي كلّ المخلوقات، فإنّك لن تعرف حدودًا"[(٣)].

فقد زعم ميرفي هنا أنه سئل من الكثير من النَّاس عن سبب عدم الاستجابة لدعائهم مع تضرعهم؟

فكان جوابه بتقرير عقيدة وحدة الوجود وأن الإله كلي مطلق أي لا حقيقة له.

والجواب الشرعي عن هذا السؤال مسطور في الكتاب والسنة:

قال النَّبي ﷺ: "ما من مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحمٍ إلَّا أعطاه

==

عقود لكن يبقى من أكثر كتّاب التنمية البشرية المقروئين إلى اليوم في العالم، ومن المروجين لأفكار حركة الفكر الجديد، وكتابه "قوّة عقلك الباطن" هو أشهر مؤلفاته وأكثرها انتشارًا، تُرجم إلى أكثر من ٢٠ لغة من ضمنها العربية. الموقع الرسمي جوزيف ميرفي: https://drjosephmurphy.com/bio.php، ومقال جوزيف ميرفي الكاهن الذي ابتدع قانون الجذب الفكري لاسمهان الشعبوني.

(١) قوة عقلك الباطن (٢٥١).

(٢) المصدر السابق (٩٣).

(٣) Magic of Faith.Joseph Murphy(٢٤)

(سحر الإيمان) ترجمة اسمهان الشعبوني مقال جوزيف ميرفي الكاهن الذي ابتدع قانون الجذب الفكري.

الله بها إحدى ثلاث: إمَّا أن تُعجَّل له دعوتُه وإمَّا أن يدَّخرها له في الآخرة، وإمَّا أن يُصرف عنه من السُّوء مثلها"[1].

فإمَّا أن يُدَّخر لك إلى الآخرة أجرًا وثوابًا، وإمَّا أن يؤخَّر لحكمةٍ يريدها الله يؤخِّر الإجابة، وإمَّا أن تُعطى خيرًا مما سألت أو يُصرف عنك شرٌّ أسوأ مما دعوت برفعه.

وقد لا يستجاب لمعصية أو لعدوان ارتكبت في الدُّعاء، أوسؤال ما لا يجوز، أو استعمل طريقةً بدعيةً في السُّؤال، أو توسَّل بغير الله ونحو ذلك من الأسباب،فالدعاء له شروط وموانع[2].

ويقرر ميرفي أن العقل الباطن موجود قبل وجود الإنسان والعالم، فلا تعلق له بحياة الإنسان، وهو سابق لجميع الأديان، قال: "إن القوى المعجزة الفاعلة لعقلك الباطن **موجودة قبل مولدك ومولدي، وقبل وجود العالم**. وتاريخ الحقائق العظيمة ومبادئ الحياة تسبق جميع الأديان"[3].

ويصف ميرفي العقل الباطن بصفات الإله الأزلي، أي أنه ليس له زمان ومكان، ولا ينام، ومستودع الذكريات، ويتحكم في كل شيء، قال: "يتمتع عقلك الباطن بقدرة هائلة؛ فهو يلهمك، ويرشدك، ويبوح بالأسماء والحقائق والمشاهد المخزونة في مستوع ذاكرتك، وهو الذي يشغل دقات قلبك... لا ينام عقلك الباطن مطلقًا ولا يرتاح"[4].

ويرى أنه مصدر المعرفة والحكمة، ويعلم كل شيء حتى المستقبل: قال: "الذكاء المطلق لعقلي الباطن يكشف لي كل شيء أحتاج معرفته في كل مكان وفي كل

---

(١) رواه أحمد(١١١٣٣)، وقال المحقق: "سنده جيد"، وقال الألباني:حسن صحيح" صحيح الترغيب والترهيب: (١٦٣٣).

(٢) انظر قدرات العقل الباطن في ميزان الشريعة:

https://almunajjid.com/courses/lessons/٤٩٦

(٣) قوة عقلك الباطن آخر ورقة من المقدمة (غير مرقمة).

(٤) المصدر السابق (٦٨،٣٥).

الأوقات"[(١)]. وقال أيضًا: "إن عقلك الباطن دائمًا عاقل، **إنه يعرف كل شيء**، وفي كثير من الأحيان يتحدث لك فقط بصوت يقبله العقل الواعي في الحال كحقيقة"[(٢)]. وقال أيضًا: "مستقبلك يحدده عقلك الباطن ... إن مستقبل بلد يوجد في العقل الباطن الجماعي لسكان هذا البلد"[(٣)].

ويربط بين العقل الباطن وباقي فلسفاتهم؛ كتفسير العقل الباطن بالضفيرة الشمسية[(٤)]، أو بقانون الكارما[(٥)]، أو الخروج من الجسد، وقراءة الأفكار، والجذب، وقوة الشفاء؛ لأن جميع الأمراض عنده منشأها من العقل الباطن، وكذا الشفاء منها[(٦)]، وسيأتي تفصيله بإذن الله تعالى.

فميرفي هنا ينزّل العقل الباطن منزلةَ الإله الذي يستجيب لمن دعاه،قال الله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧] فمن اعتقد أنَّ العقل الباطن هو الذي يشفي بذاته فهذا كافر بالله كما سيأتي.

وأحيانًا يجعل العقلَ الباطنَ كالخادم ويصفه بالغفلة قال: "... كون عقلك الباطن وهو خادمك الأمين، فسوف يطيعك"[(٧)]. وقال أيضًا: "وعقلك الباطن الذي يتسم بأنه مجهول وغير انتقائي. ويقبل كحقيقة صادقة كلَ شيء يعتقد فيه عقلك الواعي أنه حقيقي"[(٨)].

---

(١) المصدر السابق (١٤٥).

(٢) المصدر السابق (١٦٣).

(٣) المصدر السابق (١٦٤، ١٥٦).

(٤) المصدر السابق (٣٧، ١٠١).

(٥) المصدر السابق (٤٦، ٢٠٤).

(٦) قوة عقلك الباطن (٥٣، ٢٠، ٦٠، ٥٨).

(٧) المصدر السابق (١٤).

(٨) المصدر السابق (١٨).

وقد ألف د. أحمد توفيق حجازي كتابه (العقل الباطن قوتك الكامنة في أعماقك)، وطرح نفس أفكار كتاب "قوة عقلك الباطن" لجوزيف ميرفي السابق ذكره.

ومن تطبيقات أصحاب الطاقة الكونية للعقل الباطن في دورات التنمية البشرية قولهم :إنَّ الأحداث الماضية والمستقبلة مطبوعةٌ في العقل الباطن، فيمكن تذكر أحداث الماضي؛ لأنه مخزن الذَّاكرة، وكل شيء مسجلٌ فيه، وما على الشخص إلَّا أن يقوم بالتَّركيز فترجع، **وكذا المستقبل!**

ولكي تتمتَّع بذاكرةٍ قويةٍ ردِّد ذلك بحسب هذه العبارة، إنَّ الذَّكاء المطلق في عقلك الباطن يكشف كُلَّ شيءٍ تحتاج معرفته في كل مكان وفي كل ميقات.

فهم على ثقة بالعقل الباطن والتَّوكُّل عليه، ومن اللازم عندهم الإيمان به بحزمٍ وجزمٍ، ومن اللازم عندهم كذلك دعاء العقل الباطن والاسترشاد به عن طريق أذكار وأدعية مخصوصة.

ومن قوانين العقل الباطن عندهم ما يسمى بقانون المراسلات، ومفاده: أنَّ العالم الدَّاخلي هو الذي يؤثِّر في العالم الخارجي، ومنها قانون التَّوقُّع، ومظنونه إنَّ أيَّ شيءٍ تتوقَّعه وتضع معه شعورك وأحاسيسك سوف يحدث في عالمك الخارجي.

حكم اعتقاد وجود العقل اللاواعي (الباطن):

العقل اللاواعي (الباطن) من الألفاظ المجملة التي تحتمل أكثر من معنى ولا بُد من التفصيل:

المعنى الأول: اعتقاد وجود العقل اللاواعي بمعناه الفلسفي الباطني ،كما سبق قبل قليل عند جوزيف ميرفي وغيره، بمعنى أن العقل اللاواعي خالق وأزلي، أي ليس له زمان ولا مكان، ولا ينام، وهو مستودع الذكريات، ويتحكم في كل شيء، وربط العقل اللاواعي (الباطن) بالكلِّي المطلق، كما سبق قبل قليل تفصيله، **فلا شك أن هذا المعنى كفر أكبر مخرج من الملة؛ لأنه تأليهٌ للعقل الباطن.**

فالعقل في الإسلام له منزلة كبيرة ودرجة رفيعة، وهو مناطُ التَّكليف، فمن لا عقل

له ليس بمكلَّف، قال النَّبي ﷺ: "**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يَحتلم، وعن المجنون حتى يَعقل**"[(١)].

لكن لايُجعل هذا العقل بديلاً عن الله الخالق، ولا يدعى له صفات الرُّبوبية من الخلق، والرِّزق، والإيجاد والنَّفع، والضُّرِّ ونحو ذلك، وأنه لا حدود له، وأن طاقته لا متناهية.

فعن زيد بن خالد الجهني ﷺ، أنه قال: **صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب "**[(٢)].

فمن نسب نزول المطر إلى الله فهذا المؤمن بالله عز وجل، ومن قال إن نزول المطر بسبب الأنواء ولم يجعله مُسبِّبًا أي أن الله خالق المطر والنجم مجرد سبب فهذا شركٌ أصغر؛ لأنه اتِّخاذ سبب لم يثبت كونه سببا، ونَسَبَ نعمة المطر إلى غير الله.

ومن نسب نزول المطر إلى الأنواء نسبة خلق وإيجاد فهذا كافر بالله عز وجل كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، مومنٌ بتأثير الكوكب في الخلق والإيجاد، قال ابن القيم في بيان أنوع الالتفات إلى الأسباب: أحدهما: شرك، والآخر: عبودية وتوحيد.

---

(١) أخرجه أبو داود (٨٥/٥) برقم (٤٤٠٣)، والترمذي (٨٤/٣) برقم (١٤٢٣)، وابن ماجه (٦٥٩/١) برقم (٢٠٤٢)، من حديث علي ﷺ، والنسائي (١٥٦/٦) برقم (٣٤٣٢)، وابن ماجه (٦٥٨/١) برقم (٢٠٤١) من حديث عائشة ﷺ، وأخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، والسكران والمجنون وأمرهما، والغلط والنسيان في الطلاق والشرك وغيره (٤٥/٧)، قال الترمذي: "والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم".

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٠٣٨)، باب قول الله تعالى: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} [الواقعة: ٨٢] قال ابن عباس: «شكركم».

فالشرك: أن يعتمد عليها ويطمئن إليها، ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود..(أو) يعتقد أنها هي الفاعلة المؤثرة بنفسها، وأنها تنفع وتضر بذاتها، فهذا لا يعتقده موحد...[1].

فكيف بمن نسب إلى العقل الباطن خلق وتدبير كل شيء، وأثبت له الرزق، وأنه مصدر المعرفة والحكمة، وأنه يعلم كل شيء حتى المستقبل؟

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١].

فمشركو العرب أعلم من أصحاب العقل الباطن؛ لأنَّ مشركي العرب إذا قيل لهم من يَرْزُقُكُمْ ويدبِّر الأمر؟ سيقولون الله، وأصحاب العقل الباطن، إذا قلت لهم: من يدبّر الأمر؟ سيقولون العقل الباطن ويزعمون أنَّ العقل الباطن يغيِّر الأقدر.

والعقل الباطن عندهم وسيلة للتَّواصل مع الوعي الكوني، الذي يتضمَّن العلم بالماضي والحاضر والمستقبل، ومن خلال هذا التَّواصل بين العقل الباطن والعقل الكلِّي يمكن للإنسان أن يحصِّل العلوم الخفيَّة والغيبيَّة من المصدر مباشرةً.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [النمل: ٦٥].

وكان النَّبي ﷺ أعلم النَّاس بالله، لا يعلم إلَّا ما علَّمه الله عن طريق الوحي، وجاء في حديث الاستخارة عن جابر ﷺ، قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كالسورة من القرآن: "إذا هم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي

---

(١)مدارج السَّالكين(٣/٤٤٤، ٤٦٢).

وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به، ويسمي حاجته "[(١)].

أما أصحاب العقل الباطن فيزعمون أنهم لا يحتاجون دعاء الاستخارة؛ لأنَّ العقل الباطن عندهم يعلم الغيب، يقول أحمد عمارة أحد مدربي الطاقة:" أنا لا أؤمن بموضوع الاستخارة، وأرى أن من بستخير لا يؤمن بالله.. والاستخارة خدعة عقلية"[(٢)].

المعنى الثاني: اعتقاد وجود العقل اللاواعي بمعناه في علم النفس-على فرض التسليم بوجوده علميًا- أي أنه يربط بين الأشياء، ويخزِّن الذِّكريات، ويحفظ ويربط رائحة عطرٍ معينٍ بمكانٍ معينٍ أو ذكرى جميلة، كحب شخص لرائحةٍ معينةٍ لأنَّها ارتبطت عنده بذكرى جميلةٍ، أو كرهه لرائحةٍ معينةٍ أو لونٍ معينٍ أو منظرٍ معينٍ؛ لعقدةٍ نفسيةٍ تكوَّنت فيه من ارتباط هذا اللون أو هذه الرَّائحة أو هذا المنظر بحادثٍ أو ألم مر به في الماضي، **فهذا مقبول ما دامت تطبيقاته العملية مقبولة**، يشهد لها العقل والتجربة بالصحة والقبول، وتتوافق مع أصول الشرع ولا تصادمها، ولا تخرج عن شيء من التصورات والأحكام[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٢)، باب الدعاء عند الاستخارة.

(٢) انظر:

https://www.youtube.com/watch?v=eNjlMZ٥yLNY

وانظر أيضًا:قدرات العقل الباطن في ميزان الشريعة:

https://almunajjid.com/courses/lessons/٤٩٦

(٣) المصدر السابق.

الباب الثاني

مظاهر وحدة الوجود
في مراكز ومؤلفات
وتطبيقات فلسفة الطاقة الكونية

ويشتمل هذا الباب على الفصول الآتية:

- الفصل الأول: مظاهر وحدة الوجود في مراكز فلسفة الطاقة الكونية.
- الفصل الثاني: مظاهر وحدة الوجود في أبرز مؤلفات فلاسفة الطاقة الكونية.
- الفصل الثالث: مظاهر وحدة الوجود في أبرز تطبيقات فلسفة الطاقة.
- الفصل الرابع: مناقشة الأصول التي بنى عليها فلاسفة الطاقة الكونية القول بوحدة الوجود.

الفصل الأول

مظاهر وحدة الوجود
في مراكز فلسفة الطاقة الكونية

تمهيد:

قد سلف الحديث في الباب الأول عن الجذور التاريخية لفلسفة وحدة الوجود وفلسفة الطاقة الكونية، وفي هذا الفصل من هذا الباب نتحدث بإذن الله - تعالى- عن الحركات المعاصرة التي تبنت فلسفة وحدة الوجود.

تبنى عدد من مفكري الغرب الفكر الباطني كخروج عن الفكر النصراني متأثرين في ذلك بالمهاجرين من شرق أسيا؛ فتكونت عدة حركات باطنية متزامنة، وفيما يلي تعريف بهذه الحركات؛ ينتظم الحديث عنها في أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: حركة الفلسفة المتعالية (التجاوزية).**
- **المبحث الثاني: حركة الفكر الجديد.**
- **المبحث الثالث: جمعية الثيوصوفيا.**
- **المبحث الرابع: حركة العصر الجديد.**

المبحث الأول
حركة الفلسفة المتعالية (التجاوزية)

حركة الفلسفة المتعالية عبارة عن مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي نشأت في أمريكا عند بداية القرن التاسع؛ كردة فعل للعقلانية السائدة في تلك الحقبة، تأثرت بالديانات الشرقية عمومًا وتراجم كتب الهندوس خصوصًا، ويعتبر إمرسن (١٨٠٣-١٨٨٢م) مؤسس حركة الفلسفة المتعالية مرجعًا للحركات الروحية من بعد كحركة الفكر الجديد والثيوصوفيا، وكان إمرسن محاضرًا وكاتبًا وشاعرًا، وله العديد من المقالات، ومن أقواله:"العقيدة الحقيقة للوجود الكلي هي أن الإله يظهر مرة أخرى بكل أجزائه في كل طحلب وخيوط عنكبوت"[١]، فهو يمثل الصورة الأمريكية للاتجاهات الباطنية.

وبالنظر في مبادئ هذه الحركة يظهر للباحث تأثرها الشديد بفلسفة وحدة الوجود، ومن أبرز هذه المبادئ:

أ- الاعتقاد بأن للطبيعة البشرية قدرات خارقة، لا يستخدم البشر سوى جزء يسير منها.

ب- الاعتقاد بأن روح الفرد جزء من الروح الكلي.

ج- الاعتقاد بإلهية العالم وتقديس الطبيعة.

د- الاعتقاد بأن الخلاص والنجاة من داخل النفس، وليس من الخارج (إله أو دين)[٢].

وقد تراجعت الفلسفة المتعالية كحركة مستقلة بعد الحرب الأهلية الأمريكية، لكن أفكارها استمرت؛ فجاءت جزءًا من ثقافة بديلة، تتميز بالانتقائية والاهتمام بالمطابقة بين الطبيعة والإلهية[٣].

---

(١) الموقع الرسمي إمرسن: http://www.emersoncentral.com/co . يمكن تصفحه باللغة العربية

(٢) انظر مقالات إمرسن: http://www.emersoncentral.com/co. وحركة العصر الجديد لفوز كردي (١٤)، وحركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها لهيفاء الرشيد (٣٦).

(٣) New Age and New Religions in America - Sarah Pike. (١٤٩-١٥٠)

المبحث الثاني
حركة الفكر الجديد

وهي حركة غنوصية عرفانية مثالية، تثبت الوجود الذهني، وتنكر حقائق الأشياء الخارجية؛ فالحقيقة عندهم تصورات ذهنية للوعي الذاتي والوعي الكوني الذي يُسَيِّر الحياة، **وقد أصدرت حركة الفكر الجديد كتابًا بعنوان: (اهتزاز الفكر، أو قانون الجذب في عالم الفكر)** لويليام أتكنسون[١]، عام (١٣٢٥هـ-١٩٠٨م)؛ ومضمونه أن الإنسان يُمْكن أن يجذب كل ما يريده من الحياة، والصحة، والسعادة، والثروة، والحب، وغير ذلك.

أعادت حركة العصر الجديد إحياء مضمونه بعد مرور مئة عام على إصداره باسم (قانون السر)، مع تجديد الطرح باستخدام الوسائل الحديثة، وتحددت معالم حركة الفكر الجديد في أواخر القرن التاسع عشر وفق مبادئ قررها كويمبي[٢] قبل ذلك بعقود؛ منها: أن الإله هو الحكمة، وأن المادة ليست سوى صورة مكثفة لحقيقة الحكمة[٣].

وهذا تقرير لعقيدة وحدة الوجود؛ بجعل الوجود جوهرًا واحدًا، وتسميته بالحكمة، وجعل العالم إمَّا أجزاء للحكمة وأبعاضًا، وإمَّا مظهرًا أو أعراضًا أو تجليات أو وهمًا وخيالاً.

---

(١) يمكن تصفح النسخة الانجليزية للكتاب:
Thought Vibration OR The Law of Attraction in the Thought World-WILLIAM WALKER ATKINSON.

(٢) فينيس كويمبي معالج أمريكي ولد عام ١٨٠٢م، ودرس المزمرية (مزمر طبيب يستخدم التنويم المغناطيسي لتخدير مرضاه) وقرر أن المرض ليس سوى وهم، وتوفي عام ١٨٦٦م.
انظر: http://www.phineasquimby.wwwhubs.com/ .

(٣) The A to Z of New Age Movements-Michael York. (١٥٠)
وحركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها لهيفاء الرشيد (٤٨)، وحركة العصر الجديد لفوز كردي (١٥).

وقد ذكرت د. هيفاء الرشيد أن أشهر مطبوعات الفكر الجديد كتاب اسمه (دورة المعجزات) لهلن شوكمن، وتَدَّعي مؤلفته أن أرواحًا أملته عليها، وأنها مجرد وسيط، ومن أهم الأفكار الواردة في الكتاب ما يلي:

أ- البشرية تستحق العقوبة؛ **لاعتقادها بانفصالها الدائم عن الإله.**

ب- وهذا الانفصال أصبح واقعًا بسبب ما يعتقده الناس لاحقًا، ولابد من علاج هذا الخطأ **بإدراك الحقيقة الإلهية للذات البشرية.**

ج- الهدف من الدورة هو نشر الحب الإلهي بين الناس؛ لإيقاظ وشفاء الآخرين.

وقد جاء في مقدمة الكتاب: "... ولذلك يمكن تلخيص الدورة بشكل ميسر كالتالي:

كل ما هو حق لا يمكن أن يهدد

وليس في الوجود ما ليس بحق

هنا يكمن سلام الإله[1].

---

(١) تصفح موقع foundation of Inner peace، وحركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها لهيفاء الرشيد (٤٩).

المبحث الثالث
جمعية الثيوصوفيا

تأسست في أواخر القرن التاسع عشر بنيويورك على يد هِلينا بلافاتسكي[1]، التي كانت متأثرة بالعديد من المبادئ والمعتقدات الهندوسية؛ فكتبت عشرات الكتب والمقالات لتقريب العقائد الهندية للغرب. وتعتمد الثيوصوفيا على الخوارق البشرية، والاتصال المباشر مع الحقيقة الكلية لتحصيل العلوم الباطنية، والقول بوحدة الوجود، وأن الخلاص في الغنوص والاستنارة، وليس في انتظار المخلص عيسى كما عند النصارى، قالت بلافاتسكي: "على الإنسان والروح أن يفوزا بخلودهما بالارتقاء نحو الوحدة التي سيبلغانها ويستغرقان فيها"[2]. وقالت أيضًا في تقرير عقيدة الفيض: "تعتبر الثيوصوفيا البشرية فيضًا من اللاهوت على درب عودتها إلى منبعها"[3]. وقالت أيضًا في تقرير عقيدة وحدة الوجود: "المؤمن بعقيدة وحدة الوجود هو من يعرّف (الإله-God) بالطبيعة والطبيعة بالإله. فإن اعتبرنا (الإله-Deity) مبدأ لا نهائيًا وكلي الوجود... بالتالي تكون الطبيعة ببساطة الجانب المادي للإله، أو جسد الإله"[4]. فغاية الثيوصوفيا الاتحاد

---

(١) مدام هِلينا بلافاتسكي (١٨٣١ -١٨٩١م) مؤسسة جمعية الثيوصوفي، قضت سبع سنوات في هضبة التبت والهند تبحث عن الحكمة وأسرار الحياة عند المعلمين في دور الرهبان ثم رحلت لمصر وأمريكا وهي تحمل مهمة نشر العقائد الباطنية. انظر:
https://wrldrels.org/ar/٢٠١٨/١١/٠٧/the-theosophical-society/

(٢) The Key To Theosophy, Blavatsky
(كتاب مفتاح الثيوصوفية، بلافاتسكي) ترجمة مريم عنتابي في كتابها:"الثيوصوفيا" (١٤٩)، وانظر (٣٧،٦٨، ٧٤، ١٤١-١٥١)، وحركة العصر الجديد لفوز كردي (١٨)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤١).

(٣) The Key To Theosophy, Blavatsky
كتاب مفتاح الثيوصوفية، بلافاتسكي) ترجمة مريم عنتابي في كتابها:"الثيوصوفيا" (١٣٩).

(٤) المصدر السابق (١٤٤).

مع المطلق الموجود في أعماق الإنسان، قالت بلافاتسكي: "الإله الوحيد الذي علينا أن نعترف به ونصلي إليه، أو بالأحرى نعمل للانسجام معه، هو روح الإله الذي يشكل جسدنا هيكلاً لها، والتي تقيم فيه"[1].

(١) المصدر السابق (١٥٩).

المبحث الرابع

حركة العصر الجديد

أنشئ معهد إيسالن محضن حركة العصر الجديد في ستينات القرن العشرين عام (١٣٨١هـ-١٩٦٢م)؛ أي قبل إحدى وستين سنة تقريبًا، على يد مايكل مرفي، الذي التقى أثناء دراسته للفلسفة بأحد المدرسين الهندوس، فاقتنع به، وترك الدراسة، وسافر إلى النُساك الهندوس بالهند، ومكث سنتين، ثم عاد فطلب من والده الذي كان من الأثرياء أن يمنحه قطعة أرض في ولاية كالفيورنيا لينشئ عليها معهد إيسالن، فالتقى بزميله ريتشارد برايس، وكان الهدف من المعهد استقطاب جميع أصحاب الفكر الروحاني من مجالات مختلفة، الذين يجمعهم الإيمان بإمكان ترقي الإنسان إلى مرحلة روحانية إلهية، منهم: كارل يونغ، وإبراهيم مازلو، وغيرهم، مع التركيز على الفكر الشرقي كوحدة الوجود، والتركيز على مخاطبة العامة، وترك مخاطبة النخب، وإحضار الطلاب إلى المعهد لإقامة الدورات لهم، وبعد نجاحهم في بعث أفكارهم من جديد نشطت باقي الحركات المشابهة، كحركة القدرات البشرية الكامنة، وحركة الوعي، ومنها حركة العصر الجديد، وانطلق أكثر من ألفين معهد ومركز في العالم[(١)].

فحركة العصر الجديد هي نشاط مؤسسي معاصر، تبنى نشر الفكر الغنوصي تحت شعار برامج التطوير والإيجابية والصحة والسعادة، انبثقت مباشرة عن حركة الثيوصوفيا وحركة الفكر الجديد. ومن أهم ما يميز الحركة الاعتقاد أن مصدر تلقي المعرفة من داخل الإنسان؛ فيصنع حياته ومستقبله كما يريد، فيكون هو الإله، وتعتمد على المزاحمة لا المواجهة؛ فتزاحم العقائد والأديان حتى تُترك واحدة تلو الأخرى[(٢)].

---

(١) الموقع الرسمي www.esalen.org يمكن الاطلاع عليه باللغة العربية، وحركة العصر الجديد لفوز كردي (٦٣).

(٢) حركة العصر الجديد لفوز كردي (٢٠).

قالت د فوز كردي: "بملاحظة برامج الحركة وفحص أدبياتها تبين أن إيصال الناس إلى الغنوص والإشراق والعرفان الباطني هو غاية مرادها... (و) تتلخص في العقائد التالية:

- الاعتقاد بأن الكل واحد؛ فكل شيء هو الإله، والإله هو كل شيء.
- الاعتقاد بأن الإنسان هو الإله أو جزء من الإله، على اختلاف التصورات الضالة لديهم عن الإله وحقيقته، وأسماؤه: المطلق، أو الكلي، أو الوعي الكلي، أو العقل الكلي، أو الطاو، أو القوة العظمى وغيرها.
- الإنسان لا يموت، وإنما يستمر في الحياة (الدهرية) من خلال التقمص والتناسخ.
- الإنسان يخلق واقعه الخاص وقيمه ومعتقداته، ويحقق مراده خلال حالات الوعي"[1].

ورغم حرص الحركة على كسب احترام الأوساط العلمية، إلَّا أنها رفضت عند العلماء والجامعات؛ لعدم موافقة دراساتها وأبحاثها للمنهج العلمي الصحيح، ولم يقبلها إلا عدد قليل ممن تبنى فكرها[2].

وقد طرح بعض الباحثين سؤالاً عن علاقة حركة العصر الجديد بالحركات السابقة، هل هي طورٌ أو مرحلة متقدمة في الفكر الباطني، أم هي صورة جديدة للحركات السابقة بأسلوب عصري؟

تقول د. هيفاء الرشيد: "عندما نتأمل ما سبق من المراحل التي مرت بها حركة العصر الجديد في طور نشأتها، ندرك أنها حركة معقدة ذات أبعاد متعددة، ويمكن اعتبارها صورة جديدة لبعض الحركات التي سبقتها أو خليطًا منها، إلَّا ما يميز حركة العصر الجديد عن سابقاتها ويجعلها أكثر خطورة؛ وهو ملامستها لاحتياجات العوام، واستهدافها لجميع طبقات المجتمع. ولذلك يمكن القول بأن حركة العصر الجديد تعبير عن المرحلة

---

(١) حركة العصر الجديد لفوز كردي (٢٢).

(٢) المصدر السابق (٢٩).

الانتقالية التي مرت بها الروحية، والثيوصوفي، والفكر الجديد، وحركة القدرات البشرية الكاملة، وغيرها من حركات استسرارية [أي سرية] ذات خصوصية وانعزال، إلى فكر خبيث يغزو المجتمع على جميع مستوياته"[(١)].

وفي عام (١٤٠٣هـ-١٩٨٤م) طلب معهد بحوث الجيش الأمريكي من الأكاديمية القومية للعلوم تكوين لجنة لاختبار بعض التقنيات التي تحسن الأداء البشري؛ وهي تقنيات غير عادية، يدعى تطويرها خارج العرف العلمي السائد، ويدعى لها فاعلية عالية، كما طلب توصيات عامة للتقييم المستقبلي للتقنيات المشابهة من قبل الجيش.

ولقد خلص المعهد إلى أن هذه الدراسات شابها كثير من الخلل في المنهجية، وقفزات لنتائج دون مسوغ علمي لها، إضافة إلى عدم ثبوت وجود هذه القدرات وعدم نفعها[(٢)].

وسيأتي - بأذن الله- في المبحث القادم مناقشة أبرز مؤلفات الفلاسفة المؤثرين في حركة العصر الجديد.

وهناك مراكز متصلة فكريًا بحركة العصر الجديد في عالمنا العربي، هاك أبرزها:

أولا: مركز الراشد للتنمية البشرية:

تأسس عام ١٩٩٦م، وانتشرت فروعه في العالم الإسلامي حتى بلغت ٢٠ فرعًا[(٣)]، ورئيس مجلس إدارة مركز الراشد هو د. صلاح الراشد[(٤)]، وهو من أبرز رواد الطاقة الكونية في العالم الإسلامي، ويعتبر من أوائل من أدخل البرمجة اللغوية العصبية وممارسات "الطاقة" الفلسفية إلى العالم العربي، وقد تجاوز ذلك في السنوات الأخيرة

---

(١) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٥٥).

(٢) https://www.albayan.co.uk/MGZarticle٢.aspx?id=٣٩٥٤
وانظر د. عبد الغني مليباري https://www.youtube.com/watch?v=Elumf.hY٥PhY

(٣) الراشد مركز https://www.dawrat.com/organizer/alrashed-center

(٤) صلاح الراشد: حصل على البكالوريوس في علم الاجتماع والنفس والماجستير في الدراسات الإسلامية، والدكتوراه في علم النفس الإدراكي.

بطرحه الروحاني المتأثر بالأفكار الباطنية الحديثة، وتبنيه نشرها بشكل مؤسسي عبر مركز الراشد للتنمية البشرية، ومنظمة سلام انترناشونال، وحسابه الخاص على تويتر، وأكاديميته الإلكترونية التي تُخرّج أعدادًا من "السفراء" الذين ينشرون أفكاره في شتى بقاع المعمورة[1].

وسنبحث بإذن الله مسألة: صحة تسرب فلسفة وحدة الوجود إلى د. صلاح الراشد فيما يلي:

من خلال بحثي في كتب الطاقة الكونية وجدت فرقًا بين الباحثين في العالم الغربي والعالم العربي؛ فالمؤلفون في العالم الغربي أكثر صراحة ووضوحًا وصدقًا في أفكارهم، فعلى سبيل المثال تجد واين داير، وإكهارات تول، وديباك شوبرا، وأوشو، وغيرهم يصرحون بعقيدة وحدة الوجود والاتحاد بالمصدر، وأن الإله مطلق كلي مبثوث في الكون، كما في الفلسفات الشرقية الوثنية، وسيأتي تفصيله في الفصل القادم.

بينما يحاول د. صلاح الراشد أسلمة هذه الأفكار بما يمكن أن يقبله المسلمون؛ فيقول طاقة الله في كل مكان! كما أنَّ علم الله في كل مكان، قال: "ومما ندركه أن علم الله سبحانه يسري في كل مكان وفي كل الكون، **وأن طاقته تصل إلى كل أحد وكل شيء أينما كان**، وهو الأمر الذي غاب عن بعض فلاسفة الصوفية الذين حاولوا تفسير هذا كله بأن الله موجود في كل وجود كما يقولون، والأمر ليس كذلك..."

ثم يواصل قائلاً: "إن الذي ورط الصوفية والفلاسفة الكبار منهم في هذه المسألة هو رغبتهم في قرب الله منهم، في الوقت الذي يكون الله - سبحانه- بجلاله فوق الكون؛ فقالوا: الله موجود في كل مكان، والذي يمكن أن يقال: إن الله موجود **بعلمه وطاقته في كل مكان**، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم: فالله ثالث اثنين إذ هما في الغار! ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ

(١) انظر حساب صلاح الراشد الرسمي في توتر، وموقع مركز الرشد، وانظر إجابة د. هيفاء الرشيد تاريخ١/١١/١٤٣٨، رقم:ش/١ في موقعها.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة: ٤٠]، ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة ولا الجزئية من الذرة! ولا تسقط ورقة من شجرة إلا بعلمه ومشيئته؛ فالله ينزل نزولاً يليق به - سبحانه- وجلاله وعظيم سلطانه، قد لا نعرف كيفيته **لكننا نشعر بطاقته** ومعيته"[(١)].

ويَرِد على كلام الراشد السابق أسئلة عديدة:

ماهي طاقة الله التي في كل مكان؟ وماهي طاقة الله التي نشعر بها؟

وهل هي جزء من الإله المطلق الكلي المبثوث في الكون، أم هي مخلوقة؟

وعلم الله الذي وسِع كل شيء صفة من صفات الله ثابتة بالكتاب والسنة، فهل يوصف الله بأن له طاقة في كل مكان؟ وما الدليل على ذلك؟

أم يقصد قدرة الله ؟ أم إنه التظاهر بإنكار وحدة الوجود، ومحاولة إثباتها بطرق خفية؟[(٢)].

وتجدر الإشارة إلى أن الراشد قد صرح في موطن آخر بوجود عقل كلي قال: "إن هناك **عقلاً عامًا جامعًا؛ وهو معدل مجموع عقول البشرية**، وهذا العقل الواعي الجامع تصعد إليه الأفكار وتنزل إليه الأوامر!!

إن كل فكرة سلبية أو عنيفة أو غاضبة أو ذات كراهية... فإنها تلوث الوعي العام، فإذا تجمعت هذه الطاقات السلبية تسببت في أضرار على الأرض"[(٣)].

---

(١) على أبواب الملحمة لصلاح الراشد (٢٢٦).

(٢) خرفة السر (٩٩).

(٣) قانون الجذب (١٩).

وفي موطن آخر يُعَرض الراشد بعقيدة وحدة الوجود، قال: "**الكون كله يرتبط ببعضه الآخر، يقال إنه مرتبط في ظرف ما، ليس له زمان أو مكان**، والمسلمون يسمونه (القدر)، ويرى بعض العلماء المسلمين أن كتاب القدر الموجود في السماء الدنيا، وهذا الكتاب في الماضي والحاضر والمستقبل **وكل مكان**، لا يحده الزمان ولا مكان، إنه قوة إذا اتصلْتَ به من خلال صانعه وربه وهو الله فإنك تتصل بالأزمنة والأمكنة... هذا هو الترابط في الكون"[1].

ويقول أيضًا: "الكون تفاعلي مرتبط ببعضه البعض... **يمكن لأي ذرة في أي مكان في الكون أن تتصل بأي خلية أخرى موجودة في الكون**... لدى الإنسان القدرة على الاتصال بالزمان والمكان من خلال عقله"[2].

ويثني الراشد على فلاسفة وحدة الوجود في الغرب، ويصفهم بأنهم معلمو البشرية، قال: "كل يوم أكتشف معلومة جديدة، خاصة مع هذه الموجة غير المعهودة مؤخرًا في الغرب لهذا العلم، والذي يقوده أناس مثل: أيستر وجيري هيكز، ولين ماجتاجريت، وديباك شوبرا، وواين داير ..."[3]. ولا يُخفي تتلمذه على يد رأس الباطنية الحديثة ديباك شوبرا، ولا موافقته له في كثير من أفكاره، وذلك ظاهر جدًا في كلامه وكتاباته، يقول في حسابه الخاص على تويتر: إن ديباك شوبرا هو "أفضل مغرد روحاني" وإنه "مُعلمه" كما أخبر أنه يتعاون معه في مشاريع تنويرية مشتركة[4].

ويقرر أيضًا أن الإنسان إذا بلغ الوعي الكلي يمكنه معرفة الغيب عن طريق اتصاله بالمصدر المزعوم، يقول: "إن الإنسان عندما يكون في صفاء نفسي أو حاجة،

---

(١) المصدر السابق (٣٩).

(٢) المصدر السابق (٤١).

(٣) قانون الجذب لصلاح الرشد" مقدمة الطبعة الرابعة".

(٤) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٥٩) وانظر
https://twitter.com/salrashed/status/١٠٣٥٩٠١٤٨٩٣٣٨٨٢٢٦٦٢?s=٢٤.

فإنه قد **يتصل بهذا المصدر**... أي لا يحتاج أن ينام ليرى؛ أي قد يرى الإنسان أحداثًا من الماضي والحاضر والمستقبل"[١].

وينقل الراشد في كتابه (علَّامة الشرق لاوتزو) عبارات صريحة في عقيدة وحدة الوجود دون تعليق، منها: "هناك فلسفتين أو مجموعتي[٢] اعتقادTwo Paradigms في العالم اليوم: عالم التوحيد وعالم الافتراق.

العالم الأول يؤمن بأن العالم متوحد في طاقته وتشكيله، وأن مصدر طاقته واحد.

والعالم الثاني يؤمن بعوالم متفرقة، يصل أحيانًا إلى الاعتقاد بأن كل إنسان عالم مستقل بذاته!

ما يطرحه لاوتزو هنا كأنه يقول إن عالم التوحيد هو الأعلى والأفضل والأعمق والحقيقي، بينما عالم الفوضى والتفرق هو الأدنى والأكثر سطحية، وإن علامة العالم الأول الإيمان وعلامة الثاني الطقوس.

إذا أردت أن تكون علامة فاتبع طبيعتك العميقة. توصَّل لها. ابحث بعمق. ركز في الداخل"[٣].

ومقصوده من ذلك أنه ثمة عقيدتان، عَقِيدة الخواص؛ وهي فلسفة وحدة الوجود، وعَقِيدة العامة وهي الطقوس الوثنية.

ومنها أيضًا قوله: "فرغ عقلك من الأفكار. اتصل بالعدم. العدم(اللاموجود) أصل

---

(١) قانون الجذب (٢٨)، يستدل الراشد على أن الإنسان يستطيع تخطي الزمان بالرجوع إلى الماضي أو الذهاب إلى المستقبل بحادثة الإسراء والمعراج وأن النبي ﷺ قابل الأنبياء وذهب إلى الجنة وأن هذا ليس من خصائص الأنبياء انظر: https://www.youtube.com/watch?v=SHLrxXIXQS . الدقيقة (٥٥:٣٧).

(٢) الصواب في اللغة: هناك فلسفتان أو مجموعتا.

(٣) كتاب علامة الشرق لاوتزي لصلاح الراشد (١٠٧).

الموجود. كن في الفنا"[١].

وقوله أيضًا: "قم بالعيش كم ساعة أو يوم دون الشعور بالذات، عش كأنك معدوم الموجود، وأنك جزء خادم للكل! جرب هذه الشعور"[٢].

وينقل من كتاب الطاو: "التاو الذي من الإمكان أن تخبره (تعرفه) فهذا ليس التاو الأبدي! ". وزاد في نفس المقالة: "الفرد يرى المتجلي له"[٣]. أي أن التاو مطلق كلي، لا يمكن أن يوصف، موجود في كل مكان(٤)، فمن الطاو المطلق فاض الواحد (طاقة تشي)، تشي)، ومن الواحد(طاقة تشي) يأتي اثنان (ين يانغ)، ومن الاثنين يأتي ثلاثة ومنها تأتي كل الأشياء[٥]، فطاقة التشي هي الوسيط بين التاو المطلق والكون المادي بمنزلة العقول والنفوس في الفلسفة اليونانية[٦]، قال لاو تزي:

"ال (طاو) تنسل الواحد

الواحد ينسل الاثنين

الاثنان تنسل الثلاثة

والثلاثة تنسل العشرة آلاف شيء

العشرة آلاف شيء تحمل الـ (ين)وتحتضن الـ (يانغ)

وتحقق انسجامها بالدمج بين هاتين القوتين"[٧].

---

(١) المصدر السابق (٢٧).

(٢) المصدر السابق (١٠٩).

(٣) المصدر السابق (٩)، وانظر أيضًا (١٣، ١٥، ٨١).

(٤) انظر كتاب الطاو ترجمة فراس السواح (٣٠).

(٥) انظر كتاب الطاو ترجمة علوي (١٥، ١٦، ٢٣، ٩٧)، والفكر الشرقي القديم (٣١٢)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٨٧-٩٠)، وفلسفة الطاقة الكونية (١٣٠).

(٦) قوة الآن (١٣١).

(٧) كتاب الطاو (٩٧) ترجمة هادي العلوي.

وسيأتي بإذن الله مزيد تفصيل وشرح لأقوال لاوتزي من كلام واين داير وإكهارت نول في الفصل القادم.

فهل يعلم د. صلاح الراشد خطورة ما يقول وينقل[١].

ثانيا: مركز بيت السلام.

تأسس مركز "بيت السلام" بلبنان؛ والذي يعد منتجعًا صحيًا وروحيًا، وتسعى مؤسسة المركز مريم نور[٢] إلى إنشاء بيوت سلام في كل أنحاء العالم العربي؛ لنشر علوم الطاقة والأديان الشرقية التي تلقتها على يد" أوشو"[٣] الذي تقول عنه: "أوشو حكيم مستنير، وعالم كبير، منارة لملايين الناس حول الكرة الأرضية"[٤]. وقالت أيضًا عنه: "رؤية أوشو هي رؤية الأنبياء"[٥]. بل وصفت أوشو عندما سُئلت عن سر وجود صورة أوشو بجانب سريرها وفي كل مكان من بيتها، فقالت : "الجبار.. القهار يلعب كل الأدوار"[٦].

---

(١) الأصول الفلسفية لتطوير الذات (٢٧٧/١).

(٢) مريم نور: ولدت عام ١٩٣٦م بلبنان، ودرست العلوم الاجتماعية في الجامعة الأمريكية ببيروت، وكانت على الديانة النصرانية زمنًا طويلاً ثم اتجهت إلى وحدة الأديان، وتنقلت بين عدة بلدان منها أمريكا والهند، واشتهرت من خلال حديثها عن "الماكروبيوتك" وهي: فلسفة باطنية تعتمد على الاعتقاد بالطاقة الكونية واتباع نظام معين في المأكل وتصميم المنزل للوصول للشفاء الجسدي والسمو الروحي. ترجمة مريم نور لنفسها بشكل مطول في كتابها قراءة فنجان (٦) ويمكن الاطلاع عليه:

https://www.kotobati.com/book/reading/e٢٣٠٢٥٤٢-٩٣٣٣-٤aea-٩١٥d-٦٣٩١٦٣٧da٧b,

وانظر آراء مريم نور العقدية (١١)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٢١٠).

(٣) ستأتي ترجمته وآراءه العقيدية في الفصل القادم بالمبحث الرابع بإذن الله تعالى.

(٤) انظر اقطع الجذور ضمن مذكرات بيت السلام (١-٢)، وانظر آراء مريم نور العقدية (١٩، ٣٠).

(٥) المرجع السابق.

(٦) رابط لقاء: https://youtu.be/jQw١COYOMmk الدقيقة الثانية، وصرحت في هذا اللقاء بوحدة الوجود ووحدة الأديان.

ومن أخطر ما تدعو إليه مريم نور التصريح بعقيدة وحدة الوجود؛ حيث قالت: "إن الله **ليس شخصًا بل هو في كل الوجود**... وفي كل الأشكال... وفي كل ما ترى وما لا ترى... وعبادة الله ليست بالحرب بل بالحب... ليست بالصوت بل بالصمت"[1].

وقالت أيضًا: "تأمل بنفسك وراقب نفسك... **الله موجود في كل الوجود**"[2].

وقالت أيضًا: "عندما تعذب جسدك **تعذب الله الساكن فيك**... وعندما يبدأ جسدك السليم **بالتناغم مع الله** ستجد فجأة أن روحك أيضًا **بدأت تغنى وتتناغم**... ادخل في بحور الذكر، **وستصل إلى الوحدة والتوحّد**... الجسد رائع جدًا ومقدّس؛ لأنه شيء طبيعي على **صورة الله ومثاله**"[3].

وقالت أيضًا: "علينا أن نرى **الألوهية في كل شيء**... علينا أن نعود إلى صلة الرحمن، **ونحيا الألوهية الساكنة في وجودنا**"[4].

وتقول أيضًا: "عندما استنار أحد الحكماء، قال بأن العالم كله من نور الله، ولكن طلبتُ من الله إزاحة الستارة أو الغشاوة عن عيوني"[5].

وفسرت مرادها بنور الله، قالت: "كلنا من نور الله، والنور هو الاستنارة"[6].

(١) أسرار مريم نور (٦٥)، وانظر آراء مريم نور العقدية (٣٢).

(٢) المرجع السابق (١٢٤) (١٨٨).

(٣) المرجع السابق (١٦١).

(٤) الحكمة "الجزاء" لمريم نور ضمن مذكرات بيت السلام (٣٧) يمكن الاطلاع عليه:
http://www.mariamnour.com/library/arabic/mariam-aljaza.pdf.

(٥) أسرار مريم نور (١٢٣).

(٦) المرجع السابق (١٦١).

الفصل الثاني

مظاهر وحدة الوجود

في أبرز مؤلفات فلاسفة الطاقة الكونية

ويشتمل على ستة مباحث:

- المبحث الأول: كتاب (النقلة انقل حياتك من الطموح إلى المعنى)، تأليف: واين داير.
- المبحث الثاني: كتاب (قوّة الآن)، تأليف: إكهارت تُول.
- المبحث الثالث: كتاب (القوانين الروحانية السبعة للنجاح)، تأليف: ديباك شوبرا.
- المبحث الرابع: كتاب (التحول التانتري، عندما يجتمع الحب والتأمل)، تأليف: أوشو.
- المبحث الخامس: كتاب (اسأل تُعط تَعَلّمْ أن تُظهر رغباتك)، تأليف: إسْتر هيكس، وجيري هيكس.
- المبحث السادس: كتاب (السر)، تأليف: روندا بايرن.

المبحث الأول

كتاب (النقلة انقل حياتك من الطموح إلى المعنى)

تأليف: واين داير[(١)]

أولا: فكرة الكتاب:

سعى واين داير - بزعمه- للإجابة عن الأسئلة الكبرى: من أنا؟ من أين أتيت؟ وأين سأذهب بعد الموت؟ ومتى سأعود؟ وما جوهر الحياة؟

من وجهة نظر طاوية وبوذية يحاول المؤلف أن يجعلها منطقية قال: "ببساطة أنا أتبع نصيحة لاوتزو، وأسمح ل"التاو" العظيم أن يعيش من خلالي"[(٢)].

فكانت إجابته عن السؤال الأول: من أنا؟ قال: "إن جوابي الشخصي عن سؤال **من أنا؟** هو أنني بضعة من المصدر خالق كل شيء، والذي له العديد من الأسماء ومنها: الإله، الروح، المصدر، التاو، العقل المقدس، وهكذا دواليك. على الرغم من أنني عاجز عن رؤيته أو لمسه، إلَّا أنني منه؛ لأنني يجب أن أكون مثل الذي جئتُ منه، والذي هو عدم، لا صورة له، اندمج في الشكل"[(٣)].

وكانت إجابته عن السؤال الثاني: من أين أتيت؟ فقرر أن كل موجود نشأ من العدم؛ فالإنسان عبارة عن طاقة تحولت إلى تجربة بشرية مُؤقتة: لأنه كيان روحي خالد، لا يتأثر بالولادة ولا بالموت، قال: "تقصّ علينا نصوص تاو تي تشينغ أنّ كل

---

(١) واين داير (١٩٤٠-٢٠١٥م): قضى معظم طفولته في ملجأ الايتام، بعدها حصل على شهادة الدكتوراه في الإرشاد التربوي من جامعة "واين ستيت" كما عمل أستاذًا مساعدًا في جامعة "سانت جون بنيويورك" ثم ترك الكتابة في علم النفس واتجه إلى الكتابة عن العالم الروحاني الشرقي كالبوذية والطاوية. وانظر النقلة (١٤٦-١٥٤).

(٢) النقلة (١٤٦).

(٣) النقلة (١٥، ٤٢، ٤٤، ٧١).

الوجود نشأ من العدم. وبالتالي تُجيب كلّ من الفيزياء وعلم الماورائيات عن سؤال "من أين أتيت" بالخلاصة التي تقول: إنَّنا نشأنا من شيء لا صورة له، لا حدود له، لا بداية، لا نهاية، لا مادة. إنّ جمعينا في الأساس عبارة عن كائنات روحية، تخوض تجربة بشرية مؤقتة. هذا هو جوهرنا، ومن هناك أتينا"[1]. وقال أيضًا: "أحد الإجابات من أين أتينا؟ هو: من اللامكان، من العدم"[2].

والعدم عنده هو اللاشيء هو الصفر الرياضي[3]، قريب من فكرة الكُمُون أو الانفجار العظيم، التي تقول بأن الوجود كان منكمشًا في نقطة قطرها صفر؛ أي لا شيء، ثم حدث الانفجار!.

كل ذلك مع الأخذ في الإعتبار اعتراف المؤلف بأن إجابته لا يمكن أن تدرك بالعقل، بل إن العقل يستعصي عليه فهمها[4]؛ لأن العقل لن يدرك وحدة الوجود.

---

(١) النقلة (٢٦، ٢٦، ٢٩).

(٢) المصدر السابق (٤١).

(٣) المصدر السابق (٣٤، ٣٧-٤٣).

(٤) المصدر السابق (٢٢).

ثانيا: شرح عنوان الكتاب: "النقلة انقل حياتك من الطموح إلى المعنى".

يذكر المؤلف أربع مراحل وتحولات تمر بالإنسان، ويُسمي كل مرحلة "بالنقلة"، ويجعل كلاً من النقلة الأولى والثانية إجباريًا، على النحو التالي:

النقلة (أو المرحلة) الأولى:

هي مرحلة ما قبل الولادة، وهي مرحلة عالم الروح والوحدة مع المصدر (الإله أو التاو)؛ حيث كانت بلا طموح أو هدف... كانت ذاتنا الحقيقية - بزعمه- هي الاستسلام للطاقة الكونية المزعومة.

النقلة (أو المرحلة) الثانية:

وهي الانتقال من الوحدة مع المصدر إلى عالم المادة؛ حيث انتقل الإنسان من العدم إلى الوجود، وأصبحت له ذات مزيفة تميزه وطموح، ويعتقد بانفصاله عن المصدر؛ فأصبح في هذه المرحلة لا يدرك حقيقة وحدة الوجود.

النقلة (أو المرحلة) الثالثة:

وهي العودة إلى إدراك وحدة الوجود، وهذه المرحلة اختيارية وليست إجبارية كالمرحلتين السابقتين، قال: "نُدرك في أذهاننا... أنه لدينا خيار بانعطاف كامل بعيدًا عن الذات المزيفة، والبدء في العودة في اتجاه نشأتنا... هي عودة إلى الروح، وهي دعوة إلى العالم المُقدس الخفي كي يحلّ مكان هيمنة الأنا المزيفة"[(١)]

النقلة (أو المرحلة) الرابعة:

هي ما بعد إدراك وحدة الوجود قال: "عندما نتخلّى عن ذاتنا المزيفة ونبدأ في العودة نحو المصدر، بينما ما نزال على قيد الحياة، فإننا نعيش وفق مجموعة جديدة من المبادئ التوجيهية"[(٢)].

---

(١) النقلة (١٦).

(٢) المصدر السابق (١٦).

ثالثا: أبرز ما يشتمل عليه الكتاب من الأفكار المتعلقة بوحدة الوجود:

أولاً: يقرر "أن كل شيء عبارة عن طاقة، وأن كل شيء يهتزّ على عدة ترددات... [و] أن الفكر نظام طاقي... [و]أنّ الأفكار ذات الطاقة الاهتزازية الأعلى تنسجم تمامًا مع مصدر الطاقة "التاو" أو"الإله""(١).

ثانيًا: المعرفة الحقيقة عنده تكون بالاتصال مع المصدر(٢)، بل قال إن كل ما يقوله أو يكتبه ليس من نتاج تفكيره أو عقله، إنما هو قضايا تُجرى على لسانه من خلال الاتصال بالمصدر، مع استخدامه تفسيرات خاطئة للفيزياء(٣).

ثالثًا: الإله عنده - كما سبق- مطلق، وجميع الكون متصل به (أي: وحدة وجود)، قال: "إذا بدأنا نعتقد أنَّنا مُتصلون مع إله على الدوام، سيختفي بقاء الأنا المزيفة. إذا لم يكن هناك مكان يغيب فيه الإله، فهذا يعني أن الإله موجود في داخل كلّ واحد منا"(٤). فهو لا يؤمن بالإله الذي في الأديان، بل يقول إنه اختراع من الإنسان(٥).

رابعًا: يركز على فكرة الأحدية في الوجود (أي: وحدة الوجود)، ويرفض فكرة الثنائية، ثم يقرر صعوبة ذلك، قال: "يجد مُعظمنا صعوبة في دخول عالم الأحدية". ثم يحاول تقريب فلسفة وحدة الوجود بذكر مثال بالتأمل في أعضاء الإنسان كاليدين والرجلين؛ حيث إن لها صفاتها المميزة، وليست منفصلة عنه، بل هي جزء من كلية الإنسان وذاته، فكذلك الإنسان له صفاته، وهو جزء من المصدر، غير منفصل عنه. ثم يقترح تجربة الوحدة مع الطبيعة أولاً، ثم مع الكلي (التاو)(٦).

---

(١) المصدر السابق (٣٥، ٣٧).

(٢) النقلة (٢٣).

(٣) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (١٣٢).

(٤) المصدر السابق (٨١).

(٥) المصدر السابق (٣٨).

(٦) المصدر السابق (٤٤، ٤٥).

خامسًا: ينفي وجود العالم، ويعتبر وجوده أجزاء من الإله، وأبعاضًا له؛ بمنزلة أمواج البحر في البحر، فالكون جزء من الإله، قال: "اقترحتُ التفكير في علاقتنا بالإله أو التاو العظيم؛ عبر تخيّل المحيط كتعبير رمزي عن الإله، وأمّا نحن فيرمز لنا كوب من مياه المحيط. إذا سألتَ عمّا في الكوب أجبنا: كوب من الإله، ليس على ذات القدر من القوة والعظمة، ولكنّه لا يزال كوبًا من الإله. لو أفرغنا كأس الماء على الشاطئ، سنرى أنَّ الماء يختفي ويتبخّر، إنه يعود في نهاية المطاف إلى المصدر. عندما تكون مياه المحيط في الكوب تكون مُنفصلة عن مصدرها، وتعوزها قوة المحيط، بيد أنها عندما تُعاود الانضمام إلى مصدرها، تُصبح مُجددًا جزءًا من المحيط العظيم. أمّا المياه التي على الشاطئ والتي فقدَت صلتها بمصدرها، فهي رمز الأنا المزيفة"[(١)].

وهذا المثال الذي ذكره واين داير يدل على نقيض مراده في إثبات فلسفة وحدة الوجود؛ لأنه دليل على الثنائية، ففيه إقرارٌ بوجود كوبٍ ومحيطٍ، وهذا يدل على تعدد الوجود؛ فكوب الماء منفصل عن البحر، وليس كما يزعم واين داير أن اعتقادنا بأننا منفصلون هو سبب الثنائية، وأن الثنائية تزول باعتقادنا الاتصال بالإله الكلي؛ لأن هذا مخالف للإدراك الحسي المباشر، فلن يغير من حقيقة انفصال كوب الماء عن المحيط أن يعتقد اتصاله بالمحيط؛ فكوب الماء منفصل سواء اعتقد انفصاله أو اتصاله عن المحيط.

فالعالم ليس جزءًا من الله، بل هو مخلوق منفصل عن الله عز وجل.

وكذا اعتباره الإنسان جزء من الإله كما أن اليد والرجل جزء من الإنسان، مع إقراره بأن الإنسان يكون منفصلاً عن المصدر إذا لم يكن مدركًا لاتصاله به، فإذا أدرك اتصاله بالمصدر فإنه يعود للاتصال به؛ وذلك اعتراف منه بأن أجزاء الإله قد لا تكون مدركة أنها أجزاء من الإله. فأي إله ذلك؟

(١) النقلة (٨٧).

فكلام واين داير السابق مخالف للمعقول والمنقول، فالعقل لا يقبل كون المخلوق خالقًا، أو المعدوم كاملاً، والمعبود عابدًا؛ لأنه جمع بين النقيضين، والنقل يقرر أن الإنسان خلق من تراب ولم يصدر عن فيض.

المبحث الثاني

كتاب (قوّة الآن)

تأليف: إكهارت تُول[١]

أولا: قصة تأليف الكتاب:

قصة تأليف الكتاب شبيهة بقصة استنارة بوذا، وقد ذكرها المؤلف في مقدمة الكتاب، وملخصها: أنه كان يعيش حالة من القلق، ويفكر بالانتحار حتى الثلاثين من عمره، فبينما كان يتأمل لماذا لم يعد قادرًا على الحياة مع نفسه؟ وهل هو شخص واحد أم شخصان؟ وأيهما الحقيقي: الأنا أم الذات؟ سمع صوتًا من داخله يقول: "لا تقاوم شيئًا" فشعر بالراحة لمدة خمسة أشهر، ثم تلاشت، ثم تعلم الروحانيات الشرقية كالبوذية، وقضى سنتين تقريبًا يراقب الناس جالسًا في الحديقة، متجردًا من كل شيء على الصعيد المادي، حتى وصل إلى الحقيقة بزعمه، وأصبح معلمًا روحانيًا، وألف هذا الكتاب[٢].

---

(١) إكهارت تُول: معلم الماني روحاني معاصر، ولد عام١٩٤٨م، عاش مرحلة اكتئاب ثم اتجه إلى الأديان الشرقية كالبوذية، وله مؤلفات كثيرة من أبرزها كتاب "قوة الآن" وكتاب "أرض جديدة". موقع إكهارت الرسمي:

https://eckharttolle.com./

(٢) قوة الآن (١٥-١٨).

ثانيا: فكرة الكتاب:

يعرض المؤلف أكبر مشكلة تمر بالإنسان من وجهة نظره؛ وهي التفكير في الماضي والمستقبل، وعدم الشعور، وعيش اللحظة التي يسميها "قوة الآن".

ومراده باللحظة "قوة الآن" يمكن تفسيره بأحد أمرين:

الأمر الأول: أن تستمتع بالوقت الحاضر، ولا تفكر بالماضي والمستقبل قط؛ بمعنى أن طالب المدرسة مثلاً لا يفكر في اخفاقات ماضية أثناء الاختبارات، ولا يفكر في مستقبله بعد تخرجه؛ ماذا سيصبح؟ وهل سيجد وظيفة؟ بل يفكر الطالب في دراسته الآن فقط، ويستعد لذلك بالجد والاجتهاد.

والتركيز مظنة الإنتاج والتفوق، ولكن التفكير في المستقبل ليس عيبًا مطلقًا، وكذا في الماضي، بل الخطأ المبالغة في ذلك وترك الجد والاجتهاد والعمل.

الأمر الثاني: الفناء في كل شيء والاندماج مع المصدر[(١)]، والتخلص من الأنا المزيفة (ego) التي توهم بالانفصال بين الموجودات؛ لأن الكون كله واحد متصل بالمصدر[(٢)]؟

وهنا يرد سؤال: هل يعني إكهارت تول "بقوة الآن" التفسير الأول أم الثاني؟

والجواب: بكل تأكيد مراده الفناء في كل شيء، والاندماج مع المصدر، وهو ما صرح به حيث قال: الحضور يعني ألوهيتك المستيقظة أو أساس الله[(٣)]؛ أي حين يكون الإنسان حاضرًا في اللحظة تحل فيه الألوهية وهذا تأليه للذات الإنسانية[(٤)]، ويفسر الآن بالفناء عند الصوفية قال: "الآن أساسية في التعاليم الصوفية الفرع الباطني في الإسلام للصوفيين. للصوفيين مقولة: "الصوفي ابن الزمان الحاضر"، صرح جلال الدين

---

(١) المصدر السابق (١٣٢).

(٢) المصدر السابق (٢٧).

(٣) المصدر السابق (١١١).

(٤) المصدر السابق (١٠٧).

الرومي الشاعر الصوفي العظيم قائلاً: "يحجب الماضي والمستقبل اللهَ عن بصائرنا، أحرقوهما معًا بالنار"[١]. ويفسر الآن بالنرفانا والخلاص من تناسخ الأرواح عند البوذية قال: "يكمن سر الحياة في (الموت قبل الموت)، وفي اكتشاف أنه ليس ثمة موت". فليس هناك موت لأن الموت عنده وهم النفس المزيّفة[٢]، ومراده بقوله: "سر الحياة الموت قبل الموت" أي: بتحقيق النرفانا عند البوذية، التي تُحقق لهم - بزعمهم- الخلود الروحي في الحياة؛ لأنَّ هناك خلودًا روحيًا آخر بعد الموت لمن فاته ذلك في الحياة، قال: "ينفتح أمامك باب أخيرًا مباشرة بعد موت الجسد، ولو فقدت فرص التحقق الروحي الأخرى جميعها في حياتك... تقع جولة أخرى من الولادة والموت"[٣]. أي عقيدة التناسخ لمن لم يكن حضورهم قويًا بشكل كاف لتحقيق الخلود الروحي[٤].

---

(١) المصدر السابق (٦٥).

(٢) المصدر السابق (٥٧، ١٤٢).

(٣) المصدر السابق (١٤١).

(٤) المصدر السابق (١٤٢)، وانظر مزيد من التفصيل في عقيدة النرفانا بالمبحث الثاني: (الجذور التاريخية لوحدة الوجود "وحدة الوجود عند البوذية") في الفصل الثاني من الباب الأول (٧٨).

ثالثا: أبرز الأفكار المتعلقة بوحدة الوجود في الكتاب:

١- يقرر أن العالم مجرد إنعكاس[١]، وأن مصدر العالم هو الوعي[٢].

٢- يعرف الحضور بأنه: "الوعي الواعي بذاته، أو الحياة الواعية لذاتها"[٣].

٣- يقرر صعوبة إدراك وحدة الوجود بالعقل؛ لأنها تخيلات ذهنية لا وجود لها[٤].

٤- لحظة الصمت أو السكون أو السلام الداخلي هي أقرب ما يكون الشخص من المطلق[٥]، والسلام الداخلي عنده يتمثل في التحرر من الشعور بالذات البشرية ورغباتها وحاجاتها، والشعور بالاتصال بالمطلق؛ حيث الوعي بالكينونة[٦].

٥- يركز على فكرة وحدة الوجود، ويرفض فكرة الثنائية؛ فالإله عنده مطلق، مبثوث في كل ذرة من ذرات الكون، وجميع الكون متصل به (أي وحدة وجود)، فيقول: "إن الله بداخل الإنسان ليس خارجًا عنه". ويقول أيضًا: "إن كلمة الله تحدنا؛ لأنها توحي بوجود غيرك. الله هو الكينونة[٧] ذاتها وليس كائنًا. ليس ثمة علاقة فاعل ومفعول، ليس ثمة ثنائية، ليس ثمة أنت والله. إدراك الله هو الشيء الأكثر طبيعة. ليس العجب أن تعي الله، بل ألا تعيه"[٨]. وقال في الفصل السابع أبواب إلى اللامتجلي: التعمق في الجسد أثناء ممارسة التأمل البوذي: "تشعر بالجسد الداخلي بوضوح كحقل طاقة مفرد... وكأنه بلا حدود. ثم عمق انتباهك أكثر في

---

(١) المصدر السابق (٢٠٨).

(٢) المصدر السابق (١٠٧).

(٣) المصدر السابق (١٠٦).

(٤) المصدر السابق (٢٥، ٦٢).

(٥) المصدر السابق (٢٥، ٧٤).

(٦) نظر الدعوات الباطنية إلى السلام (٢١٠)، والمصدر السابق (١٤٩).

(٧) يعنون به المطلق، الثيوصوفيا لمريم عنتابي (١٣٢)

(٨) قوة الآن (٢١٤).

الشعور. اتحد به. اندمج بحقل الطاقة حتى تغيب ازدواجية المراقِب والمراقَب بينك وبين جسدك. يذوب التميز بين الداخلي والخارجي الآن... يحررك الوصول إلى العالم اللاشكلي... لنا أن ندعوه اللامتجلّي، المصدر الخفي لكل الأشياء، الكينونة في الكائنات كافة"[١].

ثم يصف اللامتجلّي بأنه المطلق التاو عند الطاوية الذي فاض عنه طاقة تشي، وطاقة التشي هي الوسيط بين التاو المطلق والكون المادي، بمنزلة العقول والنفوس في الفلسفة اليونانية[٢]، ويصفه بأنه منتشر في كل مكان حتى في عواء الكلب[٣]. وقال: "يعرف اللامتجلي ذاته من خلال العالم، وبالنهاية من خلالك. وأنت هنا لتسمح للهدف الإلهي من الكون أن يظهر للعيان"[٤]. وهذا عين قول فلاسفة الشرق وغلاة صوفية المسلمين أن الله يتجلى في الكائنات كما سبق.

٦- الزمان والمكان عنده وهمان لا حقيقة لهما؛ لأنهما عائق في طريق وحدة الوجود والخلود الروحي، فلا يوجد مسافة، فيجب التحرر منهما عن طريق الممارسة العملية لوحدة الوجود[٥]، ثم يطرح سؤالاً: ما الفائدة في التحرر منهما ما دام الإنسان مضطرًا للعيش في عالم محكوم بهما فسيموت كباقي الناس؟

فأصل الوجود عنده من اللامكان، من العدم، والعدم عنده هو اللاشيء؛ أي أن الوجود كان منكمشًا في نقطة قطرها صفر؛ أي لا شيء، ثم حدث الانفجار! قال: "اللاشيء - الفضاء- هو ظهور اللامتجلي في العالم الحسي كظاهرة خارجية"[٦]. وقال

(١) المصدر السابق (١٣٠).

(٢) المصدر السابق (١٣١).

(٣) المصدر السابق (١٣٥).

(٤) المصدر السابق (١٤١).

(٥) المصدر السابق (١٣٦).

(٦) المصدر السابق (١٣٧).

[illegible]

[illegible] قال: "[illegible] هي [illegible] مع الكونية" أي مع الإله المطلق"(1)، ويقرر أن النساء [illegible] الرجال [illegible] الرجال الرئيسة وبشكل عام في العقل [illegible] على نوع التصوير(2).

[illegible] فيهما شيء واحد. قال: "ما هو الله؟ الحياة الواحدة [illegible] أشكال الحياة [illegible] ما هو الحب؟ أن تشعر بحضور هذه الحياة [illegible] وفي أعماق الكائنات كافة"(3).

- الكونية عنده هي المطلق الكلي، كالتاو عند الطاوية، الذي تختفي الأشياء كلها فيه ويبقى وحده(4). يتساءل المؤلف: لماذا لا يستخدم كلمة الله بدلاً عن لفظة الكونية؟(5) فيجيب بأن لفظة الله أصبحت لا تدل على المعنى المطلق الكلي المبثوث في الكون (أي وحدة الوجود) بل إنها: "توحي بوجود غيرك". ثم يقرر "ليس ثمة

---

(1) المصدر السابق (139).

(2) المصدر السابق (132، 27، 24).

(3) المصدر السابق (160، 161).

(4) المصدر السابق (152).

(5) المصدر السابق (152).

(6) المصدر السابق (26).

ثنائية، ليس ثمة أنت والله "[1]، بينما لفظة الكينونة عنده "تمتاز بكونها مفهومًا منفتحًا؛ فهي لا تصغّر غير المرئي المطلق إلى كيان محدد... إنها جوهرك ذاته"[2].

١٠- تأتي الطاقة الروحية إلى هذا العالم من السلام الداخلي والاستسلام، ومعنى الاستسلام عنده هو القبول بالوحدة مع المطلق، والتخلي عن مقاومة العقل لذلك، قال: "الاستسلام هو قبول اللحظة الراهنة دون قيد أو شرط. هو التخلي عن المقاومة الداخلية لما هو كائن... يحررك قبول ما هو كائن فورًا من التماثل مع العقل، ويعيد وصلك بالكينونة"[3]. وقال أيضًا: "الاستسلام يحوّلك. وعندما تتحول، يتحول عالمك كله؛ لأن العالم مجرد انعكاس"[4]. والاستسلام عنده ليس عثورًا على الله؛ لأن كلمة الله كما قال: "توحي بوجود غيرك". ثم يقرر "ليس ثمة ثنائية، ليس ثمة أنت والله" "فكيف تجد مالم يضع يومًا، حياتك ذاتها؟"[5].

---

(١) المصدر السابق (٢١٤، ٢٦).

(٢) المصدر السابق (٢٦).

(٣) المصدر السابق (١٩٨، ٢٠٣).

(٤) المصدر السابق (٢٠٨).

(٥) المصدر السابق (٢١٤).

المبحث الثالث

كتاب: (القوانين الروحانية السبعة للنجاح)

تأليف: ديباك شوبرا[(١)]

أولا: معنى عنوان الكتاب: "القوانين الروحانية السبعة للنجاح":

أي أن هذه القوانين هي جوهر الحياة بشرط الانسجام مع الطبيعة.

ثانيًا: جاءت قوانين النجاح السبعة عند المؤلف مرتبة على النحو التالي:

القانون الأول: (قانون الطاقة الكامنة المحضة)

ويسميه ديباك شوبرا "قانون الوحدة؛ لأنه يكتنف تشعّبات حياتيّة لا حدَّ لها"[(٢)]، وصرح فيه بإنكار وجود الله - تعالى- وتأليه الإنسان، وأن مصدر الوجود هو الوعي المحض، والوصول إليه هو جوهر الروحانية، وأن جوهر الإنسان طاقة كامنة محضة، قال: "إنّ مصدر الخلق بأكمله هو الوعي المحض الخالص الصافي... الطاقة الكامنة المحضة تنشد الإفصاح عن الخفيّ لتجعله ظاهرًا للعيان. عندما ندرك أنّ ذاتنا الحقيقة هي إحدى الطاقات الكامنة المحضة، ننتظم في صف واحد مع القدرة التي تكشف عن كل شيء في الكون"[(٣)]. ويقرر أيضًا الاتحاد بالحقل الطاقي فيقول: "وليس هناك انفصام بينك وبين حقل الطاقة؛ فحقل الطاقة المحضة هو نفسك، وكلما مارست طبيعتك الحقيقية اقتربت من حقل الطاقة الكامنة المحضة"[(٤)].

---

(١) ديباك شوبرا: ولد عام ١٩٤٦م، طبيب وكاتب أمريكي، هندي الأصل والمولد، التقى مهاريشي يوجي وتأثر به ثم أسس مركز شوبرا للصحة في كاليفورنيا، وفكرة المركز الأساسية تقوم على المبدأ القائل بأن الوعي والإدراك هو القوة الرئيسية في الكون، ويصرح ديباك شوبرا أن الإنسان هو الإله. انظر موقعه الرسمي:https://www.deepakchopra.com / ، والقوانين الروحية السبعة لليوغا (٢٠).

(٢) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (١٨).

(٣) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (١٥).

(٤) المصدر السابق (١٨).

ويدعو ديباك شوبرا إلى التحرر من الأنا المزيفة (الإيجو ego) - ويعني بذلك التخلص من ذاتك البشرية وأن تدرك أنك إله، كما تُعبر عنه الهندوسية بتلاشي الذات الفردية والالتحاق بالذات الكونية- كالاسم والمنصب ويسميها "الإحالات العرضية"؛ لأنها توهم بالكثرة والانفصال بين الموجودات[(١)].

و"الايجو" عند علماء النفس بمعنى الأنا، والأنا كما وصفها فرويد هي شخصية المرء في أكثر حالاتها اعتدالاً بين الهو والأنا العليا[(٢)].

أمَّا عند أصحاب الطاقة الكونية فللإنسان ذاتان:

الأولى: الذات (الأنا) الحقيقية: وهي الحقيقة الإلهية المدفونة في داخل الإنسان - أي كما يقول واين داير:"إن الإله موجود في داخل كل واحد منا" [(٣)]- وتدرك بالاتصال بالمطلق أي عقيدة وحدة الوجود.

والثانية: الذات(الأنا) المزيفة (الايجو): وهي الصفات التي يتميز بها الإنسان عن غيره كالاسم والطول والوظيفة ونحو ذلك -أي الصورة البشرية للإنسان- وهي عقبة عندهم لإدراك وحدة الوجود؛ فيجب عندهم التخلص منها أو بالتعبير الصوفي الفناء، يقول واين داير:"الأنا المزيفة في حالة رعب من إيماننا أنّنا بضعة من الإله. إنّ مكانتها القيادية محكوم عليها بالفشل إن أدركنا طبيعتنا الإلهية حقيقة..أحد وظائف الأنا المزيفة الأساسية هي أن نستمر في الاعتقاد أنّنا كيانان مختلفان ومنفصلان إلى حدّ بعيد"[(٤)].

وبعض أصحاب الطاقة الكونية يستخدم الايجو بمعنى الصفات السيئة التي

---

(١) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (١٩).

(٢) الموجز في التحليل النفسي لفرويد (٢٦).

(٣) قوة الآن (٨٢).

(٤) المصدر السابق (٨٥).

ينبغي التخلص منها، وهذا إمَّا أن يكون جاهلاً بمصطلحاتهم أو تدرج للانتقال للمعنى الحقيقي عندهم[(١)].

ومن طرق التحرر عند ديباك شوبرا من الأنا المزيفة (الإيجو ego): التأمل البوذي، والصمت، وقضاء وقت مع الطبيعة، قال: "كلما كنت متلائمًا ومنسجمًا مع عقل الطبيعة كنت أقرب في الوصول إلى إبداعها اللامتناهي غير المحدد، لكن عليك أولاً أن تسمو وتترافع فوق هيجان حوارك الداخلي؛ كي تتصل بذلك العقل المبدع المطلق[(٢)].

القانون الثاني: قانون الأخذ والعطاء والوفرة:

الكون المادي عند المؤلف وهم؛ لأنه مجرد ممارسة الإنسان لذاته، قال: "الكون المادي من حولنا هو لا شيء سوى انعطاف النفس في ذاتها نحو الممارسة؛ ممارسة ذاتها كفكر ومادة"[(٣)]. وقال: "العالم بأكمله كان طاقة خفية كامنة"[(٤)]. ومصدر الكون عنده الإله المطلق، وحقيقته: الروح "المراقِب"، والفكر "عملية المراقبة"، والجسد "المراقَب"، وهي شيء واحد[(٥)].

فالكون عنده يعمل بتبادل الطاقة، فالحياة هي تدفق ووفرة وكثرة الطاقة، فلابد أن يبدأ التدفق منك بالعطاء؛ حتى لا يحدث تخثر وتجمد للطاقة الموجودة فيك، فإذا أردت الفرح مثلاً فامنح الفرح للآخرين، ففي قانون الوفرة إذا أردت أكثر فأعط أكثر، وكل ما تقدمه سيعوضك عنه الكون بمثله أو أكثر منه، قال: "الكون يعمل من خلال تبادل ديناميّ... الأخذ والعطا هما جانبان مختلفان لجريان الطاقة في الكون... وفي

---

(١) النقلة(١٦،٨١)، وقوة الآن(٢٧،٣٤،٤٦)، والقوانين الروحانية السبعة للنجاح (١٩)، وانظر https://t.me/ask_albaydha .

(٢) المصدر السابق (٢٢-٢٧).

(٣) المصدر السابق (١٢).

(٤) المصدر السابق (١٢).

(٥) المصدر السابق (١٧).

عزمنا على إعطاء ما ننشده، نحفظ تداول الوفرة [الطاقة] الكونية في حياتنا"[1]. فالطاقة الكونية عنده تسري في الوجود كله؛ فالحياة نتيجة لتكثفها، والموت نتيجة لقلتها؛ حيث إن وجودها سبب لاستمرار الحياة قال: "فإيقاف تدفق الطاقة هو أشبه بإيقاف تدفّق الدم في الشرايين"[2].

وهذا القانون له علاقة بقانون الجذب والامتنان، لأنه لو كان عندك شعور بالامتنان للكون فسوف يرسل إليك الكون الوفرة في أشكال مختلفة، وسيتضاعف سريان طاقة الوفرة في حياتك، وستحصل على الرزق كالمال مثلاً بثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: سؤال الكون؛ "لأن مصدر جميع الثروات هو حقل الطاقة النقية الكامنة"[3]. ويجب أن تتوافق رغبتك مع التردد الاهتزازي للكون فيقولون: "لا تطلب إلّا في نطاقك الترددي".

الخطوة الثانية: إجابة الكون.

الخطوة الثالثة: السماح للجواب بالتدفق.

القانون الثالث: (قانون الكارما)

وهو كما سبق قانون الجزاء الكوني في الأديان الوضعية في الشرق؛ أي أن الكون يجازي على العمل الصالح، ويعاقب على العمل السيء بالتناسخ، والنجاة من التناسخ يكون بالسلبية وترك العمل للاتحاد بالمطلق، فهي منهم محاولة لإيجاد تفسير للتفاوت في الرزق والصحة، وإحداث نوع من الرقابة الذاتية حين غاب عنهم مراقبة الله وثوابه وعقابه في الدنيا والآخرة[4]، قال: "كل فعل يولّد قوة من الطاقة ترجع إلينا على الشاكلة ذاتها... ما تزرع تحصد... كل فعل له تأثير سلبي أو إيجابي على من هم حولك

---

(١) المصدر السابق (٣٥).

(٢) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٣٨)، والقوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٦).

(٣) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٤٤).

(٤) انظر فصول في أديان الهند للأعظمي (٦٣١)، وحركة العصر الجديد (٢٣٦).

فأنت ستحصد ذلك التأثير عاجلاً أم آجلاً... لا يمكنك الهرب من تلك النتيجة... كل ما يحدث لك الآن هو نتيجة لأفعال وأفكار سابقة لك... وكل ما سيحدث مستقبلاً يتوقف على قراراتك الآن"[1]. ويذكر المؤلف أنه قد يكون على الشخص بحسب قانون الكارما ديونًا في دورات تناسخية سابقة فماذا يفعل؟ ثم ذكر ثلاثة أمور وهي:

أ- أن تسدد هذا الديون السابقة؛ لأنه لا دَيْنَ في الكون يُمحى أو يُلغى من دون أن يُدفع أبدًا.

ب- أن تسأل نفسك أثناء استيفاء هذه الديون، ماذا أتعلم من هذه التجربة؟ ولماذا يحدث لي هذا؟ وما الرسالة التي يقدمها لي الكون؟ وما الذي سأستفيد وأفيد الناس منها؟ أي: تنظر للجانب الإيجابي فيها.

ج- أن تتجاوزها؛ وذلك بممارسة التأمل؛ لترتقي أكثر؛ لتصفو روحك أكثر[2].

القانون الربع: قانون المجهود الأقل:

يريد بهذا القانون أن كل شيء في الطبيعة يعمل تلقائيًا بدون مجهود واحتكاك ومصادمة؛ كالعشب لا يعمل جاهدًا لينمو، إنه ينمو فقط، فعندما تكون منسجمًا مع الطبيعة، متناغمًا مع الكون، وراسخًا في معرفة ذاتك الحقيقية، وأنك إله؛ يعمل معك قانون المجهود الأقل بثلاثة شروط:

الشرط الأول: القبول؛ تقبل الأشياء كما هي في هذه اللحظة، فتقبل نفسك، وأحداث حياتك، وتقبل الناس كما هم؛ لأن من يكافح يكون مخاصمًا للكون.

الشرط الثاني: المسؤولية؛ عدم لوم أي شخص أو أي شيء سبّب حدوثها، بما فيها نفسي، بل امتلك ردة فعل خلاّقة تجاه الوضع كما هو الآن؛ حيث كل مشكلة فيها بذور سانحه متخفّية.

---

(١) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٥٥،٥٠،٤٩).

(٢) المصدر السابق (٥٥-٥٩).

الشرط الثالث: عدم الدفاع عن النفس، والتخلي عن إقناع الآخرين بوجهة نظرك؛ لأنه ستفقد كمًا هائلاً من الطاقة.

يقول: "إذا تقبلت الحاضر بسرور، واحتويته، واندمجت فيه، وانخرطت فيه فسوف تَخبر نارًا ووهجًا وشرارةً من الفرح والسرور واللذة تنبض في كل كائن حي قادر على الإحساس... وعندما تبقى منفتحًا لجميع وجهات النظر تجري أحلامك ورغباتك مع رغبات الطبيعة"[١].

ويذكر المؤلف أن هذا القانون يُعرف في علم الفيدا الهندوسي بمبدأ "اعمل قليلاً وأَنجِز كثيرًا" وفي نهاية الأمر تصل إلى حالة لا تفعل فيها شيئًا وتنجز كل شيء[٢].

القانون الخامس: قانون القصد (النية) والرغبة:

مصطلح النية عند فلاسفة الطاقة الكونية يعني التأثير في الأشياء بواسطة العقل والتركيز، وبمعنى آخر هي قدرة الإنسان على تحويل الانتباه إلى واقع مملوس بالتأمل الشرقي، وتفعيل الاهتزاز، ورفع حالة الوعي لديه، من أجل الاتصال بالمصدر بزعمه[٣]، وهذا القانون يعتمد على أن الطاقة والمعرفة تتواجد في كل مكان في الطبيعة وهي كل شيء[٤]، فتتواجد في جميع الأجسام كالحيوانات، والإنسان، والنبات، وجميعها مكونة من معرفة وطاقة، والفرق الوحيد بين الشجر والإنسان هو محتوى جسد كل منهما من الطاقة والمعلومات[٥]، فكلنا متصلون - بزعمه- بالكون ولنا ذبذبات طاقية وأجساد مادية، ويمكنك أن تغير بوعيك تلك الطاقة والمعرفة الخاصة بك، وبالتالي التأثير على

---

(١) المصدر السابق (٧٣،٧٥).

(٢) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٦٦).

(٣) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٨١)، والنية محلها العقل لحسين السيد

https://hossainelsyed.blogspot.com/ ٢٠٢٠/١٠/blog-post_٢٥.html.

(٤) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٨١).

(٥) المصدر السابق (٨٢،٩٠).

الطاقات على المستوى الكبير من حولك قال: "أنت تشبه ذبذبة أو موجة... أو تدخلاً في حقل الكمّ الأكبر؛ وحقل الكمّ الأكبر هو الكون، وهو أنت في جسدك الممتدّ الموسَّع"(١). وذكر أن الأثر الناتج عن قانون النية هو خلق الإنسان لواقعه قال: "تعلَّم كيفية تسخير طاقة القصد [النية] أو العزم وتوجيهها، وسيكون بإمكانك تحقيق أي شيء ترغب فيه"(٢). وقال أيضًا: "بإمكانك أن تذهب إلى أرضية الخلق الأساسية الأوّلية المطلقة، وبمجرد فعلك ذلك، تُفعّل حقل الترابط والتعانق اللامتناهي"(٣).

ويقرر أن القصد (النية) إذا قرنته بالانفصال يؤدي إلى وعي اللحظة، ويكون اتجاهه نحو الحياة نحو المستقبل، أقصد انوي للمستقبل، واقبل الحاضر (الآن).

القانون السادس: الانفصال:

تكمن المشاكل عند المؤلف في اعتقاد الانفصال عن المصدر والتعلق بالماديات، وحلها يكون بإدراك الوحدة مع "الوعي المطلق" المرادف للإله باعتقاده، ويقرر أن الطريقة للتوصل إلى حل المشاكل تكون عبر تجاوز الوعي حدودَ الـ "أنا" الفردية المزيفة إلى الوعي المطلق الصرف بإيقاف التفكير وبالصمت والتأمل، وعندها تنكشف للإنسان الحلول تلقائيًا؛ وذلك - بزعمه- لأن الإنسان انسجم مع "حقل الاحتمالات اللامحدودة" حيث تقوده حقيقته الإلهية وتنتهي المعاناة.

قال: "لكي تحصل على كل شيء مادي تريده في هذا الكون يجب أن تتخلى عن التعلق به، هذا لا يعني أن تفقد نيتك في الحصول عليه، فقط تخلى عن التعلق بالنتيجة، وهذا من أقوى الأشياء التي ستغير حياتك. ففي اللحظة التي تتخلى فيها عن التعلق بالنتيجة ستحصل عليها؛ لأن التعلق يعني أن هناك شيئًا له مرتبة أعلى من "نفسك" الأقوى

---

(١) المصدر السابق (٨٣).

(٢) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٩١).

(٣) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٨٧)، والنية محلها العقل لحسين السيد
https://hossainelsyed.blogspot.com/ ٢٠٢٠/١٠/blog-post_٢٥.html.

والأكبر والأعلى مرتبة.

فالتخلي يعني الوفرة، والاكتمال الداخلي، والاعتقاد الجازم بذلك، ففي التخلي الحرية.

والوفرة الحقيقية في الوعي هي القدرة على الحصول على أي شيء، أي وقت تريد، بأقل مجهود"[1].

القانون السابع: دارما أو الهدف من الحياة.

قال المؤلف: "الدارما Dharma" كلمة سنسكريتيَّة تعني القصد والغاية والهدف في الحياة"[2]، ومضمونه أن الإنسان في حقيقته وجوهره حقل طاقة محضة مقدّس وروحاني، لكنه وجد في الهيئة المادية التي هو فيها؛ أي يتجسّد في الشكل البشري ليحقق هدفًا في الحياة[3]، فعلى الإنسان أن يكتشف حقيقته المقدسة وأنه ليس بشرًا[4]؛ أي إدراك حقيقة الذات وأنها متحدة مع الكلي "الإله"[5]، قال: "كلّ واحد منّا هو هنا ليكتشف نفسنا السامية أو نفسنا الروحانية... علينا أن نكتشف بأنفسنا أنه في داخل كلّ منّا طاقة عليا [إله] في طور نشيء، أو جَنِين يتوق إلى الولادة حتى يُعبر عن روحانيتنا"[6].

---

(١) القوانين الروحانية السبعة للنجاح (٩٩، ١٠١، ١٠٠)، وانظر هيفاء بنت ناصر الرشيد https://t.me/ask_albaydha.

(٢) المصدر السابق (١١١).

(٣) المصدر السابق (١١١).

(٤) المصدر السابق (١١٤).

(٥) المصدر السابق (٣٣).

(٦) المصدر السابق (١١٤).

المبحث الرابع

كتاب: (التحول التانتري، عندما يجتمع الحب والتأمل)

تأليف: أوشو[(١)(٢)]

أولا: مفهوم التانترا:

تعني إدراك وحدة الوجود من خلال عدم التفكير، قال: "إنّ الوجود واحد، إنه وحدة واحدة. ليس هناك شيئان في الوجود، إنه وحداني، إنه محيط واحد. كلّ الانقسامات الموجودة إنما هي نتيجة أننا منقسمون في الداخل... فتبدو الأشياء مُنقسمة. عندما يكون الجسد نقيًا، والحواس مفتوحة، والتفكير صامتًا، تختفي الانقسامات الداخلية، ويبقى في الداخل الفراغ النقي"[(٣)].

والإله عنده هو الوجود المطلق قال: "كل شيء هو... هذا المجموع الكلي"[(٤)]. وقال أيضًا: "الإله هو الفورية. الإله (هنا-الآن)، إنه يحيط بك بالفعل. في الداخل، في الخارج، وحده الإله يكون. ليس هناك حاجة لأن تجد شخصًا ما يُساعدك كي تجد الإله. إنك فيه بالفعل، ولم تكن بعيدًا عنه مُطلقًا حتى لو أردتَ ذلك، لا يُمكنك الابتعاد عنه، حتى ولو بذلتَ كلّ الجهد، من المستحيل أن تنصرف عنه، ليس هناك مكان آخر تذهب إليه"[(٥)].

---

(١) أوشو: (١٩٣١-١٩٩٠م)، فيلسوف باطني هندي، واسمه باغوان شري راجنيش. وجاء جانب من سيرته في الباب الثاني من البحث الفصل الثالث: "مظاهر وحدة الوجود في اليوغا"، وانظر موقع أوشو الرسمي:https://www.osho.com /، وفصول في أديان الهند العظمى للأعظمي (٦٠٦).

(٢) لأوشو مؤلفات كثيرة يصرح فيها بعقيدة وحدة الوجود، ولكن في هذا الكتاب" التحول التانتري " يبشر بدين جديد هو "التانتري".

(٣) المصدر السابق (٢٢٤).

(٤) المصدر السابق (٢٢٥).

(٥) المصدر السابق (٢٠٨).

والتانترا عنده أيضًا هي ديانة الجسد والحب؛ لأن كل ما تلمسه إلهي[1]، فالجنس عنده هو "التقاء طاقتين عميقتين"[2]، ومن الفروق عند المؤلف بين التانترا واليوغا الهندوسية والبوذية أن التانترا تدعوا إلى ممارسة الجنس والأفضل خارج نطاق الزواج، بخلاف البوذية واليوغا اللتين تدعوان إلى التبتل وترك الجنس[3]، والرعشة الجنسية عنده ذات أهمية في التانترا؛ لأنها تُعطي بعض الاتصال مع الحقيقة المطلقة؛ فهي تذهب بك - كما يزعم- إلى أبعد من التفكير لعدة دقائق[4].

(١) المصدر السابق (٢١١، ٢١٦).

(٢) المصدر السابق (٦٤).

(٣) المصدر السابق (٢١٣، ٢٥٨، ٣١٢، ٣١٧، ٣١٨، ٣٣١).

(٤) المصدر السابق (٢٧٥).

ثانيًا: أبرز الأفكار المتعلقة بوحدة الوجود في الكتاب:

١- العدم عنده هو مصدر الوجود، والعالم وهم لا حقيقة له، أو كأنه حلم[١].

٢- إنكار الزمان والمكان، واعتبارهما خدعة[٢].

٣- الوعي عنده على أربعة مراتب: **الأولى:** التركيز على الموضوع، **والثانية:** التركيز على الموضوع واللاموضوع، **والثالثة:** التخلي عن التركيز، فقط انتباه ثم يقودك الوعي الثالث إلى المرتبة **الرابعة** وهي: حالة اللاتفكير، وهي الحقيقة المطلقة بإدراك الوحدة قال: "في اللحظة التي تُصبح فيها واعيًا، تكون اجتمعتَ مع الإله مباشرة"[٣].

٤- التأمل عنده هو أن يتوقف التفكير، وتتوقف الأفكار، والمراد منه الوصول إلى الوحدة، فإذا وصل إلى الوحدة فلا يحتاج إلى تأمل[٤].

٥- المعرفة عنده تكمن في التجربة الروحية وليست بالعقل[٥]، بل العقل عائق، ويجب على المريد أن يفقد تفكيره عند المعلم، ويستسلم له، ولا يسأل، ويقبل منه كل شيء، حتى لو كانت أفكارًا شاذة أو أمورًا سخيفة كارتداء اللباس البرتقالي مع القلادة[٦].

٦- يفرق بين وجدية سارتر[٧] ووجدية التانترا بأن الأولى تقوم على التفكير حول الوجود،

---

(١) المصدر السابق (١٦٧،١٤٦).

(٢) المصدر السابق (٣٠٧).

(٣) المصدر السابق (١٥٩، ١٦٢، ٢٠٨).

(٤) المصدر السابق (٥٣، ١٤٩).

(٥) المصدر السابق (٩٣).

(٦) المصدر السابق (١٥٥،١٦٣)

(٧) الوجودية عند سارتر خلاصته: الفردية أي الإنسان مركز الكون، وأن الوجود متقدم على الماهية، وأن للإنسان مطلق الحرية في الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه. المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٥٦٥/٢).

==

بينما الثانية مطلقة، والتفكير ليس بابًا لها، بل اللاتفكير هو المدخل لها[(١)].

٧- الهجوم على جميع الأديان وذمها بدون تفريق قال: "إن التانترا هي الديانة الوحيدة الكاملة، والديانة الوحيدة الشاملة. لم تولد ديانة على الأرض مع هذا القدر من الرؤية الشاملة... من يكترث للإله؟ إنّ الإله بعيدٌ جدًا، إنه ليس حقيقيًا للغاية... فالإله واسع جدًا إلى درجة أن العالم يمكن أن يُشمل فيه... يصبح أي مكان تمشي عليه أرضًا مقدسة، وأي شيء تراه ترى الإله فيه، وأي شيء تُقابله تقابل الإله معه"[(٢)]. أي مبدأ كلي في الأذهان فقط، لاحقيقة له في خارج الذهن كما سبق.

٨- النيرفانا عند المؤلف هي اللاتفكير؛ ليصل إلى وحدة الوجود والخلود الروحي، قال: "إذا أردتَ العودة مُجددًا إلى النقاء الأصلي، الطهارة الأولية، النقاء الأصلي للوعي، يتعين عليك العودة إلى الوراء... تحرك من التفكير إلى اللاتفكير، ثمّ من اللاتفكير إلى اللانشأة، ثمّ من اللانشأة إلى اللاتفكير، هكذا تتساقط القطرات في المحيط. مرة أخرى أنت المحيط، مرة أخرى أنت لا نهائي، من جديد أنت أبديّ. إنّ اللاتفكير هو الخلود، بينما التفكير هو الوقت"[(٣)]. وقال: "أينما تكون أنت في حالة نيرفانا. هذا هو التنوير... هي لحظة الإله، لحظة الحقيقة"[(٤)]. أي أن واقع النيرفانا أنك "لم تكن مطلقًا منفصلاً عنها، ولم تكن أبدًا بعيدًا عنها. إنها داخلك وأنت داخلها.

==

وسيأتي بإذن الله بيان خطأ من فرق بين الوجود والماهية في خارج الذهن في نهاية الباب الثاني الفصل الرابع (٣٨٩).

وأن للإنسان قدرة واختيار لكنها لا تخرج عن مشيئة الله فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠].

(١) التحول التانتري (٣٠٦، ٢٧٧).

(٢) المصدر السابق (٢٩٤، ٢٩٥، ١٩٧).

(٣) التحول التانتري (١٤٩، ٢٣٥).

(٤) المصدر السابق (٣١٠).

إنها الحالة الفعلية، عليك فقط أن تُصبح أكثر انتباهًا... إن النيرفانا هي المادة التي صُنعت منها. إنها في كلّ خلية، وفي كل ألياف كيانك. إنها أنت، كلّ ما هو مطلوب أن يتمّ تذكيرك بها"[1].

---

(١) المصدر السابق (٣٣٧).

المبحث الخامس

كتاب (اسأل تُعط تَعَلَّمْ أن تُظهر رغباتك)

تاليف: إسْتر هيكس وجيري هيكس[١]

أولا: نبذة عن الكتاب:

الكتاب عبارة عن تعاليم روحانية يقدمها الكائن الروحاني أبراهام[٢] على لسان إستر؛ حيث يسكن بداخلها على حد زعمها! وفي إحدى اللقاءات صعدت إستر المنصة، ورحبت بالحضور بقول مرحبا، وودعتهم بعد الترحيب مباشرة، ثم أغمضت عينيها، وأخرجت الزفير وتظاهرت بخروج أبراهام الكائن الروحاني الذي يسكن بداخلها، وبدأ بإلقاء تعاليمه على الحضور. وجاء أول سطر من الكتاب بعد المقدمات: "نحن نُدعى أبراهام، ونحن نكلّمكم من البعد اللامادي!"[٣]. ولا شك أن هذا من قبيل الدجل أو الكهانة المعاصرة، المبنية على إخبار الجن عن أمور الغيب.

---

(١) إسْتر هيكس ولدت عام (١٩٤٨م) بأمريكا، وشاركت في تأليف ثمانية كتب مع زوجها جيري هيكس توفي (٢٠١١م) بمرض السرطان، ونشر آل هيكس أكثر من ٦٠٠ كتاب وشريط مسجل وقرص مضغوط وفيديو وزارا قرابة خمسين مدينة لنشر تعاليم الكائن الروحي أبراهام. انظر كتاب اسأل تُعط (٣٧٧)، وموقعهم الرسمي:

https://www.abraham-hicks.com/esther-hicks-official-biography

(٢) أبراهام جاء وصفه في الكتاب على أنه كائن روحي ومرشد ومعلم بدأ إلقاء المحاضرات وتأليف الكتب عن طريق إستر فهو ينطق على لسانها وقلمها، ذكر واين داير في مقدمة كتاب "اسأل تُعط" أنه قضى يومًا كاملاً مع أبراهام شخصيًا وطلب منه التقديم للكتاب. اسأل تُعط (٢٧،٢١،٢٠، ٣٤، ٤٤، ٥٧).

(٣) اسأل تُعط (٣٥)

https://www.youtube.com/watch?v=CkYHfIDDsQY&t=٥٧s.

ثانيا: فكرة الكتاب:

الكتاب يشرح خطوات وموانع قانون الجذب، ويحاول فهم العلاقة بالإله؛ لتحقيق السعادة والإجابة عن الاسئلة الكبرى[1]. والكتاب عبارة عن جزئيين، في الجزء الأول يذكر المؤلفان أن كل ما هو مكتوب فيه أشياء نعرفها قد نكون نسيناها، ومن المهم أن نتذكرها، ويقع في اثنين وعشرين فصلاً، وفي الجزء الثاني من الكتاب يذكر العمليات التي تساعد في تحقيق ما تتذكره الآن، وهي عبارة عن اثنين وعشرين عملية.

ثالثا: أبرز الأفكار المتعلقة بوحدة الوجود في الكتاب:

سمى المؤلفان هذه الأفكار في الكتاب (بالأشياء التي نعرفها وقد نكون نسيناها)[2]، وهاك ملخصها:

١- الإنسان عندهم امتداد لمصدر الطاقة، والطاقة مبثوثة في كل شيء، وتقرر نظرية أفلاطون في المثل أن كل شيء مادي له نظير في عالم المثل قالت: "كل ما هو مركز مادي له نظير لا مادي، ولا استثناء في ذلك.. الاتصال بين العالم المادي والمصدر أصيب بتشويش؛ بسبب الأفكار المقاومة، وسيساعد الكتاب على إعادة الاتصال مرة أخرى"[3].

٢- المعرفة هي الاتصال بالمصدر، والتجربة الروحية أفضل من العلمية[4]، قالت: "إنك تعرف - وقبل ولادتك الطبيعية- أنك كنت طاقة المصدر التي تركّزت في هذا الجسد المادي، وأنت تعرف أن ذلك الشخص المُجسَّد الذي ستكونه لا يمكن فصله

---

(١) اسأل تُعط (٤٥).

(٢) اسأل تُعط (٤١).

(٣) المصدر السابق (٤٤،٥٦، ٦١).

(٤) المصدر السابق (٤٥، ١٥٩).

أبدًا عن أصله. وبذلك تعي اتصالك الأبدي مع مصدر الطاقة"[١].

٣- الإنسان وعي أبدي، وخالق ذاته وواقعه، وأبدي لا يموت قالت: "سوف تتعلم كيف أنّك خالق تجربتك الخاصة، وكيف أن القوة بأكملها تكمن في وقتك الحاضر"[٢]. وقالت: "في العالم اللامادي أنتم خَلقتم ذاتكم، والآن في هذا العالم المادي ستكملون الخلق"[٣]. وقالت: "بما أننا كائنات أبدية، ليس هناك شيءٌ كالموت"[٤].

٤- قانون الجذب مبني على أن الكون عبارة عن ترددات، ووجود الإنسان فيه وجود ترددي تحكمه قوانين مبنية على هذا الأساس[٥]، وعندما تتوافق ترددات رغباتك مع ترددات الكون يحصل ما تريد؛ لأن "الشبيه يجذب الشبيه"[٦]؛ أي أن " كل فكرة تتذبذب، كل فكرة تبعث إشارة، وكل فكرة تجذب إشارة مشابهة لها"[٧]. ووصفت قانون الجذب بالمدير الكوني الذي يقوم بترتيب الأفكار المتشابهة مع بعضها البعض[٨]، ولا يلزم معه العمل قالت: "بمجرد تركيز الانتباه على ما تشعر ستعرف بسهولة إن كنت تركّز انتباهك على ما تتمنى أو على غياب ما تتمنى. وعندما تطابق ترددات أفكارك مع رغبتك فإنك ستشعر بشعور جيد"[٩]، ولا يوجد استثناءات في قانون الجذب عند المؤلفة، قالت:" فكل شيء يحدث معك هو استجابة للأفكار

(١) المصدر السابق (٤٩).

(٢) المصدر السابق (٤٦،٥١، ٥٣).

(٣) المصدر السابق (٥٧).

(٤) المصدر السابق (٣٦٦).

(٥) المصدر السابق (٦٩).

(٦) المصدر السابق (٦٤).

(٧) المصدر السابق (٦٤).

(٨) المصدر السابق (٦٤، ١٩٣).

(٩) المصدر السابق (٦٤،٦٧).

التي تفكر فيها"[١]، فالإنسان كالمغناطيس يجذب الأفكار والناس والأحداث[٢].

٥- خطوات قانون الجذب ثلاث:

الخطوة الأولى: سؤال الكون، ويجب أن تتوافق رغبتك مع التردد الاهتزازي للكون فيقولون: لا تطلب إلَّا في نطاقك الترددي[٣].

الخطوة الثانية: إجابة الكون، قالت: "الخطوة الثانية الكون يجيب... ليست مهمتك إطلاقًا... هي مهمة العالم اللامادي، عمل قوة الإله"[٤].

الخطوة الثالثة: السماح للجواب بالتدفق؛ أي: "السماح بدخول ما سألت عنه. مالم تكن في حالة استقبال أسئلتك، حتى لو تم الإجابة عليها ستبدو لك وكأنه لم يُجاب عليها... لأن تردداتك لم تتوافق لذلك"[٥].

٦- عدم اتخاذ وسيط عند طلبك من الكون، بل اطلب من الكون مباشرة؛ لأنه "لا أحد يعرف ما هو المناسب لك، لكن أنت تعرف، فأنت دائمًا تعرف ما هو المناسب لك في اللحظة ذاتها"[٦].

٧- التركيز على وحدة الوجود، وأن الطاقة الكونية مبثوثة في كل ذرة من ذرات الكون[٧]، قالت: "تذكروا أنكم امتداد صاف وإيجابي للطاقة اللامادية، وكلما كنتم في تناغم ترددي معه كلما شعرتم بشكل أفضل... نحن نشير عادة لذلك الجزء اللامادي منك بكينونتك الداخلية، أو بمصدرك. ليس مهمًا ما تسمي ذلك المصدر للطاقة، أو قوة

---

(١) اسأل تُعط (٦٤، ١٧٠).

(٢) المصدر السابق (٢٠٦).

(٣) المصدر السابق (٨٧، ١٧٨).

(٤) المصدر السابق (٨٨).

(٥) المصدر السابق (٨٩).

(٦) المصدر السابق (٨٩).

(٧) المصدر السابق (٦١).

الحياة، لكن من المهم أن تكون مدركًا تمامًا متى تسمح باتصال تام معه أو تقيّده بطريقة ما"[1]، "وأن الاتصال التام مع الطاقة الكاملة سبب في البهجة والحرية، وأمّا الانفصال التام عنها فهو سبب اليأس والضعف"[2].

(١) اسأل تُعط (٩٢).

(٢) المصدر السابق (١٦٠).

المبحث السادس

كتاب (السر)

تأليف: روندا بايرن[١]

أولا: نبذة عن الكتاب ومراحل تطوره:

من أبرز من روَّج للفسفات الشرقية وتطبيقاتها العلاجية في البلدان الغربية في وقتنا الحاضر حركة عُرفت باسم "حركة الفكر الجديد :New thought movement"، والتي يؤمن أصحابها بمجموعة من المبادئ الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعية)، ويزعمون أنَّهم يستخدمونها في العلاج وتطوير الذَّات، ويحاولون ربطها بمسميات فيزيائية علمية (كقانون الجذب)؛ محاكاة لقانون الجاذبية الثابت علميًا.

وقد أصدرت حركة الفكر الجديد كتابًا بعنوان: (اهتزاز الفكر، أو قانون الجذب في عالم الفكر) لويليام أتكنسون[٢]، عام (١٣٢٥هـ-١٩٠٨م)؛ ومضمونه أن الإنسان يُمْكن أن يجذب كل ما يريده من الحياة، والصحة، والسعادة، والثروة، والحب، وغير ذلك.

ثم أعادت حركة العصر الجديد إحياء مضمونه بعد مرور مئة سنة فأعادت إصداره باسم: **(السر)، لروندا بايرن**، مع تجديد الطرح باستخدام الوسائل الحديثة[٣].

---

(١) روندا بايرن: ولدت عام (١٩٥١م) بأستراليا وبدأت حياتها المهنية كمنتجة إذاعية قبل أن تنتقل إلى الإنتاج التلفزيوني في عام ٢٠٠٦م، ومن أشهر أعمالها كتاب: "السر" وفيلم السر، انظر موقعها الرسمي:
https://www.thesecret.tv/rhonda-byrnes-biography /

(٢) يمكن تصفح النسخة الانجليزية للكتاب:
Thought Vibration OR The Law of Attraction in the Thought World-WILLIAM WALKER ATKINSON.

(٣) حركة العصر الجديد لفوز كردي (٦١).

ثانيا: فكرة الكتاب:

الكتاب في الجملة يحمل نفس أفكار كتاب "اسأل تعط" لإسْتر هيكس الذي سبق الحديث عنه في المبحث السابق، بل ظهرت إستر هيكس في النسخة الأصلية من فيلم السر، وكانت مصدرًا مركزيًا لإلهام الفيلم، ثم تمت إزالة اللقطات التي تظهر هيكس من الإصدار الأخير؛ لخلاف روندا معها، ويدور كتاب السر حول قانون الجذب، وأن "الشبيه يجذب إليه شبيهه"[١]، وأن "كلَّ شيءٍ يحدث في حياتك فأنت من قمت بجذبه إلى حياتك، وقد انجذب إليك عن طريق الصور التي احتفظت بها في عقلك؛ أي ما تفكر فيه، فأيًا كان الشيءُ الذي يدور بعقلك فإنك تجذبه إليك"[٢].

فإذا أردت الثراء مثلاً فما عليك إلَّا أنْ تضبط ذبذباتك عن طريق طاقتك مع ذبذبات ما تريده، وستحصل عليه بدون فعل أي سبب[٣]، والطريقة المثلى للجذب هي الامتنان، لأن عند شعورك بالامتنان للكون سيجعل الكون يرسل إليك الوفرة في أشكال مختلفة، وسيتضاعف سريان طاقة الوفرة في حياتك، وستحصل على الرزق.

---

(١) كتاب السر ص (٧).

(٢) المصدر السابق ص (٤).

(٣) المصدر السابق ص (١٠١،١٠٠).

ثالثا: أبرز الأفكار المتعلقة بوحدة الوجود في الكتاب:

١- الإنسان عبارة عن طاقة متذبذبة، وكل شيء في الكون هو طاقة[١]، وكل ما هو موجود فهو العقل الكوني، أو العقل الكلي، أو المطلق، أو الأسمى، أو تجلياته، وهو مبثوث في كل شيء[٢]، قالت: "إنك الآن تعرف أنك العقل الأسمى، وأنك تستطيع أن تسحب أي شيء تريد من ذلك العقل الأسمى... وكن واعيًا بما أنت عليه حقًا"[٣].

وقالت أيضًا: "كل الاكتشافات وكل اختراعات المستقبل **توجد في العقل الكوني** كاحتمالات، بانتظار العقل الإنساني لسحبها قدمًا... من خلال الوعي الكوني"[٤]. وقالت أيضًا: "كلما تلقيت أي شيء، تذكر أنك قد جذبته إليك عن طريق قانون الجذب، وعن طريق وجودك على التردد المتناغم **مع الدعم الكوني. إن الذكاء الكوني يسري في كل شيء**، في الناس، والظروف، والأحداث ليمنحك ما ترجوه؛ لأن ذلك هو القانون"[٥]. وقالت أيضًا: "الكائن الإلهي هو الحقيقة الوحيدة... **إننا جميعًا متصلون**. نحن فقط لا نرى هذا. فلا يوجد شيء بالخارج وشيء بالداخل. كل شيء في الكون متصل. إنه مجال طاقة واحد... أو عقل كوني واحد، أو وعي واحد، أو منبع واحد. سمِّه ما شئت من أسماء، لكننا جميعًا هذا الكيان"[٦]. فالمشاعر السلبية والتنافس عند مؤلفة

---

(١) كتاب السر (١٥٥).

(٢) كتاب السر كما في النسخة الإنجليزية (١٦٠، ١٦٣)، وقد جاء في ترجمة الشيخ العجيري للنسخة الانجليزية لكتاب السر: "إنك الله متجليًا في هيئة بشرية وُجدت للكمال"، "إنك الله في جسد مادي" خرافة السر (٩٦).

(٣) كتاب السر (١٧٠).

(٤) المصدر السابق (١٦١).

(٥) المصدر السابق (١٦٣).

(٦) المصدر السابق (١٦٢،١٦١).

الكتاب مانع من إدراك الوحدة مع المطلق، قالت: "حينما تفكر أفكارًا سلبية، وتحس بمشاعر سلبية فإنك **تفصل نفسك بهذا عن الخير الواحد الكلي**. والتنافس مثال الانفصال... فحينما تنافس، فإنك تنافس نفسك"[١].

٢- تأليه الإنسان (الإنسان الكوني أو الكامل الإلهي) وأنه خالق أفعاله؛ لأنه جزء من الإله، قالت: "أنت مصمم مصيرك، أنت المؤلف، أنت كاتب القصة، القلم بين أصابعك، والمحصلة هي ما تختاره أنت"[٢]. وقالت:" أنت كائن روحي! إنك مجال، إنك مجال طاقة يعيش في مجال طاقة أوسع... إنك طاقة أبدية"[٣]. وقالت: "الإنسان ما هو إلا نتاج تفكيره"[٤].

٣- إنكار الزمان والمكان واعتبارهما وهمًا، قالت: "ليس هناك زمان بالنسبة للكون، وليس هناك حجم بالنسبة للكون، إن الحصول على مليون دولار هو نفس سهولة الحصول على دولار واحد؛ فالأمر يعتمد على نفس العملية، لكن السبب الوحيد الذي يجعل أحدهما يأتي أسرع من الآخر هو أنك تعتقد أن مبلغ المليون دولار كبير لتحصل عليه بنفس سهولة الحصول على مبلغ صغير مثل دولار واحد"[٥].

٤- مصدر المعرفة عندها الحدس، والتجارب الذاتية، والإلهام من الكون، والاتصال مع المطلق، فالإنسان مصدر الكون (مثالية)، جاء في كتاب السر: "وبشكل مطلق فإننا منبع الكون، وعندما نفهم هذه القوة التي نمتلكها من خلال التجارب الحياتية، فإننا نبدأ في ممارسة سلطاتنا، ونبدأ في تحقيق المزيد مما نرجوه. صنع أي شيء من داخل مجال إدراكنا هو في نهاية الأمر مستقى من الوعي الكوني الذي يدير كل

---

(١) المصدر السابق (١٦٢،١٦٣).

(٢) المصدر السابق (١٦٦).

(٣) المصدر السابق (١٥٩).

(٤) المصدر السابق (١٣٧).

(٥) المصدر السابق (٦٢، ٦٣).

ما في حياتنا"[١]. مع محاولة تلبيس قانون الجذب بلبوس العلم[٢].

٥- خطوات قانون الجذب ثلاثة:

الخطوة الأولى: سؤال الكون، ويجب أن تتوافق رغبتك مع التردد الاهتزازي للكون فيقولون: "لا تطلب إلَّا في نطاقك الترددي".

الخطوة الثانية: آمن بإجابة الكون.

الخطوة الثالثة: السماح للجواب بالتدفق[٣].

وليس هذا من باب التفاؤل أو الايجابية أو التحفيز، بل هي فلسفة شرقية قديمة، لا علاقة لها بالعلم التجريبي، ومفاد هذه الفلسفة أن الطاقة سبب وجود كل شيء، وجوهر كل شيء، وهي مانحة السعادة والحكمة والصحة، وقد انقسم منها جزء يوجد بشكل حر ينساب في الكون، ويمكن للإنسان التدرب على كيفية استمداده والاتحاد معه، من أجل تحصيل السعادة والحكمة والصحة[٤]، ويصفون قانون الجذب بأنه مطلق ودقيق لا مجال للخطأ فيه، وصارم فلا يوجد فيه استثناءات، وحيادي لا علاقة له بالأديان، ولا يفرق بين مؤمن وكافر، ويعمل دون قصد[٥].

لكن هذه الفلسفات الوثنية لو جاءت مباشرة إلى البلاد الإسلامية من منابعها الأصلية لردت وما وجدت قبولاً لوضوح وثنيتها، لكنها للأسف صبغت بصبغة علمية غربية، ثم جاءت إلينا، ومع عقدة النقص التي يعاني منها البعض، وجدت قبولاً وتسويقًا من بعض المثقفين، وأُقيمت الدورات والندوات والبرامج، فاغتر بهم بعض المسلمين.

---

(١) المصدر السابق (٤٧، ١٦٠، ٥٦).

(٢) خرفة السر (٦٦).

(٣) المصدر السابق (٩٣، ٧٤، ٦٠، ٤٧).

(٤) أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة (٤٥).

(٥) المصدر السابق (٦، ١٢، ٢٧، ٣٦).

٦- ومن أخطر ما جاء في كتاب السر الدعوة إلى عقيدة وحدة الوجود:

جاء فيه: "كيف يمكن لكل هذا أن يجعلك كائنًا روحيًا؟ بالنسبة لي، فإن إجابة ذلك السؤال هي أحد أجزاء تعاليم السر وأكثرها مغزى، إنك طاقة، والطاقة لا تفنى ولا تستحدث[١]، الطاقة تغير شكلها وحسب، وهذا يصدق عليك، هذا هو جوهرك الحقيقي، طاقتك الخالصة، لطالما وُجِدت دائمًا، وسوف توجد إلى الأبد، لا يمكن أبدًا ألا توجد.

على مستوى عميق، أنت تعلم ذلك، هل يمكنك تخيل عدم وجودك، فعلى الرغم من كل شيء قد رأيته وعشته في حياتك هل يمكنك تخيل عدم وجودك، لا يمكنك تخيل ذلك، لأنه مستحيل، إنك طاقة أبدية"[٢].

وقد قام الشيخ عبد الله العجيري[٣] بتفنيد هذا الكتاب من الناحية الشرعية والعقلية، ومن كلام مفكرين غربيين في كتابه (خرافة السر)، وقارن بين النسخة الإنجليزية لكتاب (السر) والنسخة العربية المترجمة؛ فوجد أنَّ الذي قام بالترجمة قد

---

(١) مقولة الفيزيائين "الطاقة لا تفنى ولا تستحدث" إن كان يقصد بها أن الكون قديم لا أول له، وباق لا آخر له من غير رب فهذا لا شك في بطلانه مطلقًا. وإن كان يقصد بها أن الله هو الذي خلقها ويقلبها ويسيرها -أي أن لها أولية ولكنها تبقى بابقاء الله لها كبقاء الجنة- فهذا المعنى قد يقبل وإن كان التعبير غير صحيح؛ لأن هناك فرقا بين البقاء الذاتي الذي تفرد الله به سبحانه وبين إبقاء الله لبعض المخلوقات فلا تفنى. فأصحاب الطاقة الكونية يستخدمون مصطلحات فيزيائية لتمرير باطلهم ومعتقداتهم الباطنية كما سبق (١٤٧).

(٢) كتاب السر ص (١٥٩).

(٣) وكذلك ردَّ على هذه الفكرة فيزيائيًا المهندس طلال العتيبي -بكالريوس هندسة ميكانيكية من جامعة الكويت وماجستير تخصص "ميكانيكا النانو" Nano Mechanics جامعة تكساس اوستن ودكتوراه تخصص "ميكانكا الكسر" Fracture Mechanics جامعة تكساس اوستن، في مقال "الرد العلمي على خرافة "قانون الجذب والذبذبات والطاقة" http:// talal.blogspot.com٤، وكذلك الشيخ محمد المنجد في موقعه الرسمي في سلسلة محاضرات مسموعة ومكتوبةhttps://almunajjid.com ، ومجموعة مؤلفات الدكتورة فوز كردي والدكتورة هيفاء الرشيد.

غير الترجمة وحاول أن يخفف عبارات الضلال أو يخفيها، وقد ضرب عدة أمثلة نذكر منها ما يتعلق بالدعوة إلى وحدة الوجود:

قالت في النسخة الانجليزية: "You are a creator, and there is an easy process to create using the law of attraction"

والمعنى: "إنك خالق، وثمة عملية سهلة للخلق باستعمال قانون الجذب"[١].

أمَّا في الترجمة العربية: "إنك مبدعٌ، وثمة عملية سهلة للابتكار والإبداع باستخدام قانون الجذب"[٢].

وقالت في النسخة الانجليزية: "So we are the creators, not only of our own destiny, but ultimately we are the creators of Universal destiny".

والمعنى: "المقصود بالسر أننا الخالقون لكوننا"[٣].

أمَّا في الترجمة العربية: "المقصود من السر أننا نشكل عالمنا"[٤]

وقالت في النسخة الانجليزية: "The law of attraction is the law of creatio".

والمعنى: "قانون الجذب هو قانون الخلق"[٥].

أمَّا في الترجمة العربية:" قانون الجذب هو قانون العمل"[٦].

ويتضح مما سبق أنَّ قانون الجذب "الطاقة" يفيد أن الإله مطلق كلي مبثوث في الكون كما في الفلسفات الشرقية الوثنية.

---

(١) خرافة السر (٨٩).

(٢) كتاب السر (٤٥).

(٣) خرافة السر (٩٠).

(٤) السر (١١٣).

(٥) خرافة السر (٩١).

(٦) السر (١٥).

رابعًا: مناقشة قانون الجذب:

أولاً: لا يوجد دليل على إثبات قانون "الجذب" الذي ينادي به أصحاب الطاقة الكونية وحيًا أو عقلاً أو تجريبيًا.

فقانون الجذب الذي يتفق عليه دعاتهم هو(المتشابهات تجذب المتشابهات) أي أن تركيز الإنسان على شيء ما (بفكره أو شعوره) ينتج عنه جذب ما يشابه هذا الشيء من ذرات الكون من حوله؛ سواء أكان تركيزه عن عمد أم لم يكن[١].

وهذا القانون لا تتوفر فيه معايير التجربة العلمية كقابلية الإعادة من أي مكان أو شخص، ولا تنطبق عليه خطوات التجربة العلمية من المشاهدات، والتساؤلات، والفرضية، والتجربة، والتحليل، وأخيرًا الاستنتاج، بل يقفزون من المشاهدات إلى الاستنتاج، ويربطون بينهما بطريقة عشوائية، فهناك فرق بين التزامن وبين العلاقة السببية، والمطلوب منهم إثبات أن هذا التزامن بسبب قانون الجذب؛ لأن التزامن يُختبر مرات عديدة وفق معايير محددة حتى يُتأكد منه[٢].

ولا يستند أصحاب قانون "الجذب" إلى العقل والتفكير في المعرفة، بل المعرفة عندهم الحدس، ومن شروطها إهمال العقل.

وأمّا من جهة الشرع فلا يوجد آية أو حديث فيه إثبات "الجذب"، بل الجذب محاولة منهم لإلغاء المؤثر الخارجي (الله)، وبديلاً عن عبادة الدعاء والتوكل.

ثانيًا: قانون الجذب فلسفة وثنية قائمة على وحدة الوجود وتأليه الإنسان، يقول واين داير: "إن كل شيء عبارة عن طاقة، وإن كل شيء يهتزّ على عدة ترددات... [و] إن الفكر نظام طاقي...[و]إنّ الأفكار ذات الطاقة الاهتزازية الأعلى تنسجم تمامًا مع مصدر

---

(١) انظر قانون الجذب وموقف الإسلام منه(٤٦٠).

(٢) ندوة فيزيائية بعنوان الموقف العلمي من الطاقة والروحانيين | برنامج طوق

w• https://youtu.be/Cz-bd_kYc

الطاقة "التاو" أو"الإله"[1].

ثالثًا: قانون الجذب هو الجانب التعبدي عند الحركات الباطنية المعاصرة.

رابعًا: الإيجابية والتفاؤل من الإسلام لكن مع بذل العمل[2]، فالإسلام يدعو إلى إيجابية واقعية، لا إلى أوهام تتصادم مع الواقع.

خامسًا: نسبة الفضل إلى الله ﷻ هي طريقة الأنبياء والرسل والصالحين، قال نبي الله إبراهيم ﵇: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٢]، وقال نبي الله يوسف ﵇: ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧]، وقال نبي الله موسى ﵇: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَىَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٤]، وقال ذو القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيۡرٞ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [الكهف: ٩٥].

وأمَّا عند معلمي الجذب فنسبة الفضل إلى قوة الإنسان، بما يُوحي بالاستغناء عن الله، قال ابن القيم: "فصل: وليحذر كل الحذر من طغيان (أنا، ولي، وعندي)؛ فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها (إبليس وفرعون وقارون)، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [ص:٧٦] لإبليس، و ﴿لِى مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون، و ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] لقارون. وأحسن ما وضعت (أنا) في قول العبد: أنا العبد المذنب، المخطئ، المستغفر، المعترف ونحوه. و(لي) في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة،

---

(١) النقلة (٣٥، ٣٧).

(٢) خرفة السر (١٦٢).

وفي الفقر والذل، و(عندي) في قوله: "اغفر لي جدي، وهزلي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي"(١).

سادسًا: البلاء قد يكون رفعة من الله للعبد، وقد يكون كفارة عن ذنب. أما في كتاب (السر) فالعبد هو الذي جذب البلاء حتمًا، وفي هذا اتهام لأنبياء الله. فهل جذب يعقوب البلاء لنفسه عندما قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣](٢).

ومن ذلك استدلالهم بحديث: "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"(٣)، على أن التوافق بين الأشخاص سببه التوافق في المجال المغناطيسي حسب الشحنات السالبة والموجبة.

والمراد بالتوافق في الحديث توافق الصفات والطبائع كما ذكر ذلك شُرَّاح الحديث، قال الخطابي:" يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير، والشر، والصلاح، والفساد، وأن الخير من الناس يحن إلى شكله والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره، فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر؛ فإذا اتفقت تعارفت وإذا اختلفت تناكرت"(٤).

فالمراد بقوله ﷺ "تعارف": توافقت صفاتها وتناسبت في أخلاقها، و"ائتلف": من الألفة وهي المحبة والمودة، و"تناكر": تنافرت في طبائعها، و"اختلف": تباعد وتباغض(٥).

---

(١) زاد المعاد (٤٣٥/٢)، وانظر خرافة السر (١٣٦).

(٢) ناقش الشيخ العجري هذا الاستدلال في كتابه خرفة السر (١٤٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٣٣٦)، باب: الأرواح جنود مجندة، وأخرجه مسلم(٢٦٣٨).

(٤) فتح الباري(٣٦٩/٦).

(٥) انظر تعليق مصطفى البغا على حديث رقم (٣٣٣٦) من صحيح البخاري، وانظر لمزيد من الاستفادة" قانون الجذب وموقف الإسلام منه" (٤٢٨)، فقد ذكرت الباحثة بعض النصوص التي يستدل بها اصحاب الطاقة الكونية وأجابة على شبهاتهم.

سابعًا: الدعاء هو الطلب من الله، مع اعتماد القلب على عليه، وبذل الأسباب، وأمَّا قانون الجذب فهو طلب من الكون وسؤاله؛ وهذا من الشرك الأكبر؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، ويتضمن قانون الجذب ترك العمل بالأسباب الكونية والتعلق بالأوهام والقوى الخارقة والأسرار.

ثامنًا: هناك من يقع في التناقض فيؤمن بقانون الجذب مع العمل بالأسباب؛ لأن قانون الجذب إرسال موجات كهرومغناطيسية بالتفكير وتقويتها بالمشاعر؛ ليستدعي ما يناسبها مما هو على نفس الموجة، مع القناعة والرضى والامتنان بما هو عليه، كأن يقتنع بأن كثرة الطعام لا علاقة له بالرجيم(١).

تاسعًا: الجذب في الفيزياء هو تأثير مجال تابع أو ناتج من مكون فيزيائي يقوم بجذب أو دفع مكون فيزيائي آخر نتيجة تشابه بينهما فمثلاً الأجسام الكهربائية تتجاذب أو تتنافر مع الأجسام الكهربائية الأخرى، والأجسام المادية تتجاذب أو تتنافر مع الأجسام المادية الأخرى، وعلى المستوى النووي تتجاذب أو تتنافر مع مثيلاتها، فلا يمكن للمكون الكهربائي أن يجذب مكونًا ماديًا لا يحمل شحنة كهربائية(٢).

يقول المهندس طلال العتيبي مجيبًا على شبهة أن الإنسان يجذب الأشياء:" نلخص أنواع الجاذبية فيزيائيا في إثنتين:

الجاذبية الكونية التي تتسبب فيها الكتل الضخمة جدًا كالأرض والشمس فيما بينها أو بين الأرض والكتل التي حولها.

أو إختلاف الشحنات موجبة وسالبة، الذي يقصد به الكهرومغناطيسية..

---

(١) خرافة السر (٧٨).

(٢) تعليق استاذ الفيزياء بجامعة أم القرى د. عبد الوالي العجلواني على قانون الجذب عند أصحاب الطاقة الكونية.

أمَّا جسم الإنسان فليس له كتلة ضخمة حتى يستطيع الجذب.. كما أن شحنة جسم الإنسان الكلية متعادلة (لا سالبة ولا موجبة) وليس لها القدرة على جذب الأشياء ولا الانجذاب لها"[١].

فهل يمكن تصديق أن ثمة موجات كهرومغناطيسية تنطلق من دماغ الإنسان بترددات مختلفة لتتناغم مع موجات الكون؛ فتستجلب ما يناسبها فيزئيًا، يقول كبراين جرين (بروفيسور في الفيزياء في جامعة كولومبيا) عن علاقة قانون الجذب بالفيزياء: "إذا كان قانون الجذب يعني أن الفكرة تجتذب إليها ما يشابها، أستطيع أن أوكد لكم أن ميكانيكا الكم لا علاقة لها بها إطلاقًا". ويقول موري جيل مان (حائز على جائزة نوبل في الفيزياء): بأنها هراء كمي[٢].

ختامًا: من خلال دراستي لكتب فلاسفة الطاقة الكونية اتضح لي ما يلي:

١- الفرق الواضح بين الباحثين في العالم الغربي والعالم العربي، فالمؤلفون في العالم الغربي أكثر صراحة ووضوحًا وصدقًا في عرض أفكارهم، بعكس ما يحدث في عالمنا العربي من التدليس وقص أجزاء من الأدلة الشرعية.

فاستر هيكس مثلا تذكر صراحة للناس كما سبق أن من يعلمها هذه الأمور هو كائن ليس من البشر، وتذكر اسمه علانية أمام الحضور[٣].

كما أنهم يصرحون بعقيدتهم بوحدة الوجود ومصادرهم الشرقية[٤].

٢- تقارب فلاسفة الطاقة الكونية مع المدرسية المثالية، التي تنفي وجودًا خارجيًا للكون

---

(١) مقال "الرد العلمي على خرافة "قانون الجذب والذبذبات والطاقة" http://٤talal.blogspot.com .

(٢) وانظر مزيد من نقول المختصين في شتئ المجالات في كتاب خرافة السر(٦٨).

(٣) اسأل تُعط (٣٥)،

https://www.youtube.com/watch?v=CkYHfIDDsQY&t=٥٧s.

(٤) حليمة بنت علي:

https://twitter.com/halima_bent_ali/status/١٤٢٦٣٧٣٥٧٩٩٤٠٢٨٦٤٦٥?s=٢٤.

مستقلاً عن الذهن، وهذا مخالف للفطرة البشرية، والمبادئ الأولية، والحس الظاهر من وجود الكون في الخارج.

٣- المعرفة الحقيقة عندهم تكون بالاتصال مع المطلق أو الحدس ومن شروطها إهمال العقل[١].

٤- التلفيق الباطني واعتقاد وحدة الوحدة.

---

(١) الثيوصوفيا لمريم عنتابي (١١٤).

الفصل الثالث

مظاهر وحدة الوجود في أبرز تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية

ويشتمل على خمسة مباحث:

- المبحث الأول: مظاهر وحدة الوجود في اليوغا.
- المبحث الثاني: مظاهر وحدة الوجود في التنويم المغناطيسي.
- المبحث الثالث: مظاهر وحدة الوجود في البرمجة اللغوية العصبية.
- المبحث الرابع: مظاهر وحدة الوجود في الإسقاط النجمي.
- المبحث الخامس: مظاهر وحدة الوجود في العلاج بالريكي والبرانا.

المبحث الأول
مظاهر وحدة الوجود في اليوغا

وهذا المبحث يشتمل على المسائل التالية:

- المسألة الأولى: تعريف اليوغا.
- المسألة الثانية: تاريخها.
- المسألة الثالثة: الهدف والغاية منها.
- المسألة الرابعة: مراحل اليوغا الثمانية.
- المسألة الخامسة: المفهوم الحديث لليوغا.
- المسألة السادسة: وضعيات اليوغا (أسانات) وبيان حكمها.

المسألة الأولى
تعريف اليوغا

جاء في المعجم الفلسفي: "اليوغا: لفظ سنسكريتي معناه الاتحاد، ويطلق على الرياضة الصوفية التي يمارسها حكماء الهند في سبيل **الاتحاد بالروح الكونية**...، واليوغي: هو الحكيم الذي يمارس هذه الطريقة"[(١)]، والغورو[(٢)] هو معلم اليوغا.

فاليوغا فلسفة تمثل الجانب التعبدي عندهم، صلاتهم والمتعة الروحية التي يريدون أن يحققوها من خلال التنعم بمخاطبة الآلهة[(٣)]، جاء في أعمدة اليوغا الثمانية: "علينا ألا ننسى أساس اليوغا ديني وهدفها ديني، وهي نظام نسكي تعبدي"[(٤)]. وجاء في أعمدة اليوغا الثمانية أيضًا أن مفهوم الإله عند اليوغي ليس "شخصًا، بل صفة أو مادة مبثوثة في الكون"[(٥)]، وتشتمل اليوغا على تقنيات عدة:

١- تمرين تنفس "برانا".

٢- وضعيات وتسمى "أسانا".

٣- إيقاف العقل وتلاشيه ويسمى "لايا".

٤- قوى النفس الروحية وتدعى "سيدهي".

٥- التلاوة المتكررة للترانيم وتسمى "مانترا"، وهي عبارة عن رقى وتعاويذ كالسحر، وليست

---

(١) المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٥٩٠)، وموسوعة الأديان الميسرة (١٤٨، ٤٨٦).

(٢) الغورو كلمة سنسكريتية تعني الظلام والنور، والمراد هنا مرشد روحي يتكلم عن الإله؛ لأنه استوعب الحقيقة الإلهية والنظام الإلهي للكون ويدرك ما لا يدرك الناس ويجلب النور إلى الظلمة. اليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٧٢).

(٣) فلسفة الطاقة الكونية وموقف الإسلام منها (٢٤٨).

(٤) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٠٦).

(٥) أعمدة اليوغا الثمانية (١٠٥).

مجرد أصوات بلا معنى كما يروج لها.

٦- التدرب على السحر الأسود ويسمى "تانترا"[(١)].

ومن الأكثر استخدامًا في العالم الإسلامي والغربي الوضعيات الجسدية وتسمى "هاثا يوغا"[(٢)] التي تعد بالصحة العقلية والنفسية، فتقوم بالتهيئة لتقبل الهندوسية؛ لأن أعلى الهندوسية "راجا يوغا" أو يوغا العقل؛ وهي من أشكال التأمل والاتصال بالمطلق[(٣)].

وجاء في قصة الحضارة أن معنى كلمة يوغا "الحرفي هو **النير**[(٤)]، وليس المقصود أن يخضع الإنسان نفسه - أي **يدمجها في الكائن الأسمى**- بمقدار ما يقصدون بالكلمة إخضاع الإنسان لنير النظام التقشفي المتزهد، الذي يلتزمه الطالب ليبلغ ما يريده لنفسه من طهارة الروح من كل أدران المادة وقيودها، ويحقق ما يسمو على الطبيعة من ذكاء وقوة. إن المادة هي أس الآلام والجهل؛ **ومن ثم كانت غاية اليوغا أن تتحرر النفس من كل ظواهر الحس، وكل ارتباطات الجسد بشهواته؛ فهي محاولة أن يبلغ**

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوجا (٢١٥).

(٢) يسلك الهندوسي طرقًا متعددة لتحقيق الاتحاد بالمطلق من سلك أحدها فكأنما سلكها جميعًا نذكر منها أربعة منها: الطريق الفلسفي (نيانا يوغا)، والطريق العملي دون البحث عن المنفعة الشخصية أي إدراك أن كل فعل هو حركة تعود إلى الإله (كارما اليوغا)، وطريقة التفاني والحب والخلاص ما يُعرف بالعشق الإلهي (بهاكتي يوغا)، وطريقة الفكر والتأمل للاتحاد(راجا يوغا) ويتفرع منها(هاثا يوغا) الوضعيات التي تعتمد على التأمل وضبط التنَّفس، ويتفرع منها أيضًا(مانترا يوغا) التي تعتمد على ترديد أذكار مقدسة كلفظ "أوم" الذي يزعمون أن فيه طاقة تهيمن على مظاهر الكون. التطبيقات المعاصرة (٣٢٤)، وأعمدة اليوغا الثمانية (٢٤-٣٥)، القوانين الروحية السبعة لليوجا (١٠-١٣).

(٣) القوانين الروحية السبعة لليوجا (٢٧، ١٧، ١٣، ٥٤)، وانظر https://youtu.be/Bl٧H٣٢٧٣ghl .

(٤) النير: المزارع الذي يربط الثورين عند الرقبة لإنجاح عملية الحراثة، ففي اليوغا ربط النفس والروح بالجسد لترويضه لكي يكون قادرًا على تحقيق أغراض النفس؛ فاليوغا وسيلة وليست غاية لتحرير النفس من الجسد، وانظر أعمدة اليوغا الثمانية (٤، ١٠)، والقوانين الروحية السبعة لليوجا (٩، ٢٦).

الإنسان التنوير الأعلى والخلاص الأسمى في حياة واحدة، بأن يكفر في وجود واحد عن كل الخطايا التي اقترفها في تجسدات روحه الماضية كلها"[(١)].

فاليوغا عبادة تأملية صوفية وثنية في الفلسفة الهندية القديمة، ذات أوضاع للتقرب إلى الآلهة؛ من أجل الاتحاد بالمطلق بالالتزام بثمانية مراحل، كما سيأتي بإذن الله[(٢)].

(١) قصة الحضارة (٣/٢٦٣).

(٢) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٠٥)، واليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٢٦، ١٣٣).

المسألة الثانية
تاريخ اليوغا

التناسخ من العقائد الهندوسية المفزعة والمرعبة للهندوس؛ لأنه نوع من العقاب، وهدف الهندوسي هو التخلص منه بأي طريقة، ومن الوسائل المهمة للحصول على الخلاص لديهم ممارسة اليوغا.

فاليوغا توجد في معظم النصوص الهندوسية، وترجع أصولها إلى الفيدا ويوبانشاد، ثم دونت على يد باتانجالي[(١)] قبل ميلاد نبي الله عيسى عليه السلام بقرنين؛ فجمع أجزاء المذهب من أقوال وأفعال في كتابه المشهور (يوغا سوترا)؛ أي قواعد اليوغا، الذي لا يزال يتخذ مرجعًا في جماعات اليوجيين في العالم[(٢)].

وقد ترجم البيروني هذا الكتاب إلى العربية قبل ألف سنة تقريبًا، وقال في مقدمة كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة): "وكنت نقلت إلى العربية كتابين: أحدهما في المبادئ وصفة الموجودات، واسمه "سانك"، **والآخر في تخليص النفس من رباط البدن ويعرف بـ "باتنجل"**، وفيهما أكثر الأصول التي عليها مدار اعتقادهم، دون فروع شرائعهم"[(٣)].

وقد طُبع كتاب باتنجل الهندي، ترجمة البيروني بعدة تحقيقات[(٤)].

---

(١) باتانجالي "باتنجل" هو الشخصية الأسطورية ماهاريشي باتانجالي الذي يُعد المدون لفلسفة اليوغا، ويلف تفاصيل حياته ضباب الأسطورة والتاريخ فيزعمون أنه هبط من السماء، وانظر القوانين الروحية السبعة لليوجا (٤٣، ٤٤).

(٢) قصة الحضارة (٣/ ٢٦٢)، والقوانين الروحية السبعة لليوجا (٢٧، ٤٢، ٤٤).

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (٦).

(٤) من أفضلها دراسة بتحقيق المستشرق هلموت ريتر، بدار ومكتبة بيبليون بلبنان، وهو المعتمد في العزو في هذا البحث، ودراسة د. لويس طليبا وطُبعت بإسم:"اليوغا في الإسلام مع دراسة وتحقيق وتفسير لكتاب باتنجل الهندي"، وهناك طبعة بتحقيق ماربو قزح، صادرة عن المكتبة العربية: www.libeayofabiterature.org .

واليوغا ذُكرت في عدة مواطن من الكيتا منها على سبيل المثال: "الفصل السادس الاتحاد عبر التأمل: تحدث الرب قائلاً: ما يدعوه الناس بالزهد إنما هو اليوجا... لا أحد يمكنه أن يطبق اليوجا دون هجر العالم... ليست اليوجا لمن يأكل كثيرًا، وليست لمن يمتنع عن الطعام، وليست لمن ينام كثيرًا أو لا ينام..."[(١)].

ومنها أيضًا: "عندما يركز الإنسان الحي قلبه في الذات الحقيقة، ويخلو من التعلق بكل الرغبات، يُعتبر أنه قد وصل إلى اليوغا... الاتحاد الروحي... الاتحاد مع الروح السامية. الإنسان الذي اخترق هذه العبادة والذي يرى وحدة كل الأشياء، يعاين الروح السامية في كل شيء، وكل شيء في الروح السامية... عن طريق التمارين وعدم التعلق بالرغبة... فإن هذا الانضباط الإلهي الذي يُدعى اليوغا"[(٢)].

وجاء في قصة الحضارة: "كانت اليوغا في أيام اليوبانشاد صوفية خالصة؛ أعني محاولة تحقيق اتحاد الروح بالله؛ وتروي الأساطير الهندية... ثم اختلطت اليوغا بالسحر حتى أفسدها في العهود المتأخرة من تاريخ الهند، وأخذت تشغل نفسها بالتفكير بالمعجزات أكثر مما تفكر في سكينة المعرفة" فاليوغا أحد الأنظمة الفلسفية في الهند[(٣)].

---

(١) الباجافاجيتا الكتاب الهندي المقدس(٦٣-٦٦)، .

(٢) البهاغافاد غيتا، وليام كوان (٤٨-٥٣)، والتطبيقات المعاصرة (٣١٩).

(٣) قصة الحضارة (٢٦٦/٣)، وأعمدة اليوغا الثمانية (٩).

المسألة الثالثة

الغاية والهدف من اليوغا

الغاية الأولى: الأمل في الخلود وإدراك الألوهية، والتحرر من الكارما ومن تكرار التناسخ ومن الأوهام، والاتصال بالعالم العلوي الإلهي، والتنوير، واكتساب الحكمة بالاتحاد ببراهمان، وأن يدرك الإنسان ألوهيته، قال ديباك شوبرا: "عندما تبدأ الإدراك أن طبيعتك الجوهرية أبدية ولا حدود لها، تصبح الحياة مفرحة، هادفة، وخالية من الهموم"(١).

وعليه فليست الغاية من اليوغا هي الاتحاد بالإله فقط(٢)، بل أن يصبح اليوجي هو الإله، جاء في قصة الحضارة: "الغاية المنشودة في صراحة هي فصل العقل عن الجسد، هي إزاحة كل العوائق المادية عن الروح، حتى يتسنى لها - في مذهب اليوغا- أن تكسب إدراكًا وقدرة خارقين للطبيعة؛ لأنه إذا نفضت عن الروح كل أثار خضوعها للجسد واشتباكها فيه، فإنها لا تتحد مع براهما وكفى، **بل تصبح براهما نفسه**؛ إذ إن براهما ليس إلا ذلك الأساس الروحي الخبيء، ذلك الروح اللامادي الذي لا يتفرد بنفس، والذي يبقى بعد أن تطرد بالرياضة كل أعلاق الحواس؛ فإذا الحد الذي تستطيع عنده الروح أن تحرر نفسها من بيئتها وسجنها الماديين، إلى هذا الحد تستطيع أن تكون براهما بحيث تمارس ذكاء برهميًا وقوة برهمية؛ وهنا يظهر الأساس السحري للدين من جديد، حتى ليكاد يتهدد الدين نفسه بالخطر - هو عبادة القوى التي هي أسمى من الإنسان"(٣).

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٤٦)، واليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٣٢).

(٢) الإله في الهندوسية ليس هو خالق الكون أو حافظه وليس هو من يثيب الناس أو يعاقبهم؛ بل هو لا يزيد على كونه فكرة من فكرات كثيرة مما يجوز لنفس أن تركز فيها تأملها وتتخذها وسيلة لمعرفة الحقيقة.

(٣) قصة الحضارة (٣/٢٦٥).

فالاتحاد يحصل عندهم بإزالة أعلاق الحواس حتى ينفرد بالنفس، وحينئذ يكون برهمان أو ينكتشف أنه برهمان نفسه.

الغاية الثانية: تحقيق الفناء في الإله، وتحصيل المعرفة الروحانية الباطنية عبر التأمل الشرقي.

الغاية الثالثة: الحصول على قوة مطلقة، يستطيع بها عمل أي شيء! أو الوصول إلى حالة تسمى (التنوير)، يستطيع بها الاطلاع على الغيب ومعرفة أسرار الكون! قال باتنجل عن جزاء مَن لَزم التّعويذة وصَبَر عليها: "يُجازى بمعرفة الماضي والراهن والمُستأنف"[(١)]، فاليوغا تعني الذهاب إلى مصدر الفكر؛ أي المصدر المثالي لتفسير الكون.

الغاية الرابعة: انتظام الذات مع الكون؛ فهي تذكير الإنسان بحقيقته الإلهية فيمارس اليوغا لإدراك ذلك، فهي طريق للخلاص والحصول على الموكشا[(٢)]، جاء في أعمدة اليوغا الثمانية: "اليوغا تهدف إلى جوهرين: تأليه الإنسان أولاً، وتجسيد الإله فينا ثانيًا"[(٣)].

---

(١) باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق المستشرق هلموت ريتر (٤١).

(٢) الموكشا: التحرر الروحي الأخير عندهم، ويكون عندما يَعِي الإنسان عن طريق التأمل أن أتمان وبراهمان هما واحد أي الأنا الفردية هي واحد مع الأنا الكبرى، وانظر الأوبانيشاد ترجمة عبد السلام زيان (١٨، ٢٠٥).

(٣) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٨، ٢٤، ٢٦).

المسألة الرابعة

مراحل اليوغا الثمانية[1]

الهدف من اليوغا عند أصحابها لا يأتي بضربة واحدة، بل يجب على المريد أن يخطو إلى غايته خطوة خطوة؛ وليس في الطريق مرحلة واحدة، بل لا بد أن يمر بثمان مراحل، ولكن لا يجب النظر إليها وكأنها مراحل متعاقبة بل متداخلة، وتكون المراحل على النحو التالي:

المرحلة الأولى:

"ياما" أو موت الشهوة بالتبتل؛ فتمتنع النفس عن كل سعي وراء مصالحها، وتتحرر من كل رغباتها وجهادها الماديين، وتتمنى الخير للكائنات جميعًا، جاء في أعمدة اليوغا الثمانية: "إن النشاط الجنسي في الحياة الزوجية يشكل علامة استفهام في اليوغا... اليوغا تعتقد أن هدر السائل المنوي يقصّر العمر، ويبعد الرجل عن تاج الكمال"[2]. وتشتمل على وصايا: ترك الكذب والسرقة، وعدم قتل أي كائن حي؛ لذلك اليوغي يتغذى على النباتات، وبعضهم يمتنع حتى عن المنتجات الحيوانية كالبيض.

المرحلة الثانية:

"نياما"؛ وهي اتبّاع أمين لبعض القواعد المبدئية للوصول إلى اليوغا، يمكن أن تُسمى بقواعد السلوك الشخصي؛ كالنظافة بطرق غريبة، والقناعة، والتطهر، والدراسة، والتقوى.

---

(١) باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق المستشرق هلموت ريتر (٣٦-٤٢)، وقصة الحضارة (٣/٢٦٣-٢٦٥)، وأعمدة اليوغا الثمانية (٤١)، واليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٣٣).

(٢) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٠٦).

المرحلة الثالثة:

"أسانا"؛ وهي كلمة سنسكريتية تعني الجلوس والثبات والسكون، فهي وضعية يتخذها اليوغي عند التأمل، ويثبت عليها مدة من الزمن؛ لئلا يشعر بالتعب أثناء التأمل الطويل لإدراك وحدة الوجود، يقول باتنجل: "الخصلة الثالثة هي السكون، فمن طمع إلى شيء طَلَبه، والطلب حركة بالشّوق زوال الراحة، فإذا أَعرضَ عن جميع الأشياء بالكلية، ولَم يَنط هِمته بشيء منها، سَكَن بالحقيقة، وجُوزي بأن لا يتأذّى من حر أو بردٍ، ولا يتألم بجوع أو عطش، ولا يَحس بِمُحرجٍ فَاسْتَراح"[1]. وقال أيضًا: "الوضع هو ما يكون ثابتًا ومريحًا". وقال أيضًا: "عندما نكتسب الثبات، تسقط مشاكل الثنائيات"[2]. ويقول ديباك شوبرا: "تعني أسانا التعبير الكامل عن اندماج العقل والجسد"[3]، وسيأتي مزيد تفصيل في المسألة السادسة.

المرحلة الرابعة:

"براناياما"؛ ومعناها تنظيم التنفس؛ أي التحكم بالبرانا التي هي عندهم قوة الحياة وموجودة في كل شيء، جاء في أعمدة اليوغا الثمانية: "إن التحكم بالبرانا يعطي سيطرة على جميع موجودات الكون... فوخز الإبر يهدف إلى إيجاد توازن بين القوة الموجبة يانغ والقوة السالبة ين. **فكما يوازن اليوغي بين الها (+) والثا(-) عبر التنفس والاسانات**"[4]. ويقول ديباك: "وبحسب باتانجالي فالطريقة الرئيسية لإحياء برانا هي من خلال تقنيات التنفس الواعي المعروفة بِـ (براناياما)"[5]. فهذه المرحلة - بزعمهم- تعين صاحبها على نسيان كل شيء ما عدا حركة التنفس، وبهذا يفرغ عقله من شواغله؛ استعدادًا

---

(١) باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق المستشرق هلموت ريتر (٣٨).

(٢) أعمدة اليوغا الثمانية (١١٥).

(٣) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٣).

(٤) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٠١).

(٥) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٦، ١٣٢).

للخلاء القابل الذي يجب أن يسبق استغراق تفكيره في تأملاته لإدراك الوحدة، فيزعم اليوغي أنه يتعلم بهذه الطريقة الحد الأدنى من الهواء؛ فيستطيع أن يدفن نفسه في التراب أيامًا كثيرة دون أن يختنق![(١)].

المرحلة الخامسة:

"براتياكارا" ومعناها التجريد والاسترخاء والسكون؛ أي تعطيل الحواس ليسكن الفكر ويتحول إلى الداخل؛ لأن سكون الفكر من أهم أسباب إدراك الوحدة، فاليوغا فن الاسترخاء الشامل للجسم والنفس، كوضعية الجثمان والموت، فيقلد اليوغي الموت على مستوى الجسم والفكر فيقولون: "فكر باللاشيء، ودع فكرة اللاشيء تملأ كيانك"[(٢)].

المرحلة السادسة:

"دارانا" أو التركيز؛ وهو أن يملأ العقل والحواس بفكرة واحدة أو موضوع واحد؛ بحيث يصرف النظر عن كل ما عداه، فتركيز الانتباه في موضوع واحد كائنًا ما كان مدة كافية من شأنه أن يحرر النفس من كل إحساس، وكل تفكير في موضوع معين وكل شهوة أنانية، ما دام العقل قد تجرد من الأشياء، فقد يصبح حرًا بحيث يحس الجوهر الروحي للوجود على حقيقته.

وهناك علاقة شديدة بين هذه المرحلة والمرحلتين التاليتين، حتي يصعب التميز بينها فباتنجالي جمع بينها في عنوان واحد سماه "السمياما"؛ وتعني اتزان النفس لتعلقها بالفكر والروح، لكن يمكن التفريق بأن مرحلة التركيز تكون قبل مرحلة التأمل[(٣)].

---

(١) باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق المستشرق هلموت ريتر (٣٨).

(٢) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٣٣، ٢٣٩)، والقوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٩)، والتطبيقات المعاصرة (٣٢٢).

(٣) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٥٩)، باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق المستشرق هلموت ريتر (٤٠).

المرحلة السابعة:

"ديانا" أو التأمل؛ يعتبر التأمل الشرقي عنصرًا هامًا في اليوغا، وبدونه لا يمكن تحقيق الهدف الأسمى منها، ويجب ممارسة اليوغا بالتأمل، وإلا ستصبح وضعيات لا معنى لها، يقول باتانجالي: "إن التأمل يمكن استحداثه من الدأب على تكرار المقطع المقدس "أوم""[(١)]. وأخيرًا يصل الزاهد إلى المرحلة التالية التي تعد خاتمة المطاف في سبيل اليوغا.

المرحلة الثامنة:

"سامادهي" أو تأمل الغيبوبة؛ فهاهنا يمحى من الذهن كل تفكير، فإذا ما فرغ العقل من مكنونه، فقد الشعور بنفسه على أنه كائن مستقل بذاته، وينغمس في مجموعة الوجود، ويجمع كل الأشياء في كائن واحد، قال بانتجل: "الخصلة الثامنة هي الإخلاص في ذلك الدؤوب، حتى تَتّحد الفكرة بالمتفكّرَ فيه"[(٢)]. قالت الدكتورة هيفاء: "الـ (سمادهي) توصف بأنها درجة عالية من الوعي، يتحقق خلالها الإحساس بالوحدة مع الكون واتحاد الذات الفردية (أتمان) بالذات الكونية (براهمان)"[(٣)]. ويقول ديباك شوبرا: "الوعي الخالص: حالما يهدأ ذهنك خلال فترة التأمل، ستمر بلحظات يكون هناك غياب تام للأفكار مع استعادة الوعي. نسمي هذه التجربة الدخول في الفراغ. ليس هناك تعويذة، وليس هناك أفكارٌ. لقد تخلى العقل مؤقتًا عن الارتباط بالزمان والمكان، وأنغمس في الفضاء الأبدي، غير المحدود من الوعي الخالص. هذه التجربة التي تسمى أحيانًا بـ "الساماهي""[(٤)].

---

(١) أوم لفظ مقدس عند الهندوس ويعني الإله المطلق البراهمان (٧٤). الأوبانيشاد ترجمة عبد السلام زبان (٥٤، ١٤٨)

(٢) باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق المستشرق هلموت ريتر (٤٠)، وقصة الحضارة (٣/٢٦٥)، واليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٣٤).

(٣) التطبيقات المعاصرة (٣١٨).

(٤) القوانين الروحية السبعة لليوغا (١٢٤).

المسألة الخامسة

المفهوم الحديث لليوغا

دخلت اليوغا أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر، وانتشرت بحجة الفوائد النفسية والعقلية والصحية، والمساعدة على الرشاقة واللياقة؛ أي من الجانب البدني والنفسي، وأصبح الاتحاد بالإله في الأديان الشرقية بمعنى التناغم بين الجسد والعقل والروح، وجعلوا الشاكرات التي ترمز للآلهة بمعنى الرياضة، وجعلوا التأمل اليوغي ليمتلئ من الآلهة بمعنى السكينة، وأطلقوا اسم الروح الكونية على براهمان الإله، يقول ديباك شوبرا: "تعني اليوغا في جوهرها اتحاد؛ اتحاد الجسد، العقل والروح؛ اتحاد الأنا والروح؛ اتحاد الدنيوي مع المقدس"[(١)]. وقال أيضا: "وبكل الأحوال، فإن اليوغا بجوهرها هي أكثر من كونها نظامًا للياقة البدنية. إنه علم للعيش المتوازن، وطريق لإدراك الإمكانيات البشرية الكاملة"[(٢)] أي "أن اليوغا ليست فقط نظامًا يتبعه الشخص للاتحاد مع الإله، إنما أيضا للحصول على قوة مطلقة، يستطيع بها عمل أي شيء، أو الوصول إلى حالة تسمى (التنوير)، يستطيع بها الاطلاع على الغيب ومعرفة أسرار الكون"[(٣)].

وقد روج أوشو والمهاريشي للجانب الثالث من جوانب تلك الفلسفة، وهو الأسانات؛ أي الوضعيات مع التنفس والتأمل الشرقي؛ لأن أكثر الناس يحب التمارين الرياضية لفوائدها والاستمتاع بها، فيسهل الانتقال من الجانب الخارجي (الأسانات) إلى الجانب الداخلي الفلسفي؛ لأن الشخص لن يستطيع ترك جانب مهم في اليوغا مستقبلاً

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٢٦)، واليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٣٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) هل اليوغا نظام لممارسة اللياقة البدنية أم عبادة وثنية في الفلسفة الهندية القديمة؟ د. أيمن العنقري.

(الجانب الداخلي)؛ لأن اليوغا فلسفة متكاملة، يقول الدكتور الأعظمي: "وقد اشتهر في العصر الحاضر رجلان يعلمان اليوجا **أحدهما: آجاريا راجنش [المشهور بأوشو]** ... يرى أن في الإنسان قوة ذاتية إذا استغلها فستأتي بالعجائب... ادعى أنه حصل على المعرفة التامة؛ وهي العلاقة الموجودة بين الروح والجسم، وأنه يستطيع أن يتحد بالكائنات الواسعة.

وفي عام ١٩٧٤م أسس في مدينة بونا [بالهند] مركز (راجنش آشرم)، وكان يلقي دروسًا يوميًا عن اليوجا. ثم سافر عام ١٩٨٦م إلى الولايات المتحدة، وأسس هناك مراكز كثيرة لتعليم اليوجا... لم يصدق أتباعه حين مات، بل اعتقدوا فيه أنه استتر عن أعين الناس، وأنه اتحد بالكائنات التي لا تفنى.

والرجل الثاني: وهو ماهيش يوجي [المشهور بمهاريشي[(١)]] الذي سافر إلى الولايات المتحدة... وكان يظهر أمام الناس زاهدًا راهبًا، ويطمع في الوقت نفسه في جمع الأموال. فبدأ يعلم الناس طريقة اليوجا، ويدعوهم إلى حركته المهاريشية... فاجتمع حوله آلاف الأمريكيين، وتحمسوا لدعوته. وفي الآونة الأخيرة انكشفت الأسرار المحيطة بالرجل، وطرد من أمريكا، واستولت الحكومة الأمريكية على ثرواته الهائلة"[(٢)].

---

(١) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد في الهامش (٥٨).

(٢) فصول في أديان الهند العظمى للأعظمي (٦٠٦)، والقوانين الروحية السبعة لليوغا (١٧، ٢٧).

المسألة السادسة
وضعيات اليوغا (أسانات) وبيان حكمها

أولا: معنى أسانا:

(أسانا): كلمة سنسكريتية تعني الجلوس والثبات، فهي وضعية يتخذها اليوغي عند التأمل، ويثبت عليها مدة من الزمن؛ لئلا يشعر بالتعب أثناء التأمل الطويل لإدراك وحدة الوجود، قال باتنجل: "الوضع هو ما يكون ثابتًا ومريحًا". وقال أيضًا: "عندما نكتسب الثبات تسقط مشاكل الثنائيات"[(١)]. ويقول ديباك شوبرا: "تعني (أسانا) التعبير الكامل عن اندماج العقل والجسد"[(٢)]. وجاء في قصة الحضارة "أسانا: ومعناها وضع معين للجسد، والغرض منه إيقاف الإحساس"[(٣)]. وعُرفت في أعمدة اليوغا الثمانية بأنها: "وضعية جسمية مريحة، يتوفر فيها الثبات والسكون وغياب الجهد"[(٤)].

ثانيا: علاقة الوضعيات بالشاكرات:

تعمل اليوغا - بزعمهم- عن طريق نظامها التنفسي والوضعيات على تنظيف وإزالة العوائق والانسدادات، التي توجد في مسارات الطاقة المتصلة بمراكز الطاقة في الجسم (الشاكرات)، فالوضعيات مع الترنيم تمد الجسم بالصحة والحيوية والنشاط؛ لأنها تعمل على فتح وتنظيف قنوات ومراكز الطاقة (الشاكرات)، واختلاف الوضعيات يتناسب مع اختلاف الشاكرات في الجسم.

ومن الوضعيات الأفعى الكوبرا "الكونداليني"، وهي ترمز في الهندوسية للطاقة التي تزيل الانسدادات في الجهاز الطاقي بزعمهم؛ لتستطيع العمل بفعالية أكثر، فعن طريق

---

(١) أعمدة اليوغا الثمانية (١١٥).

(٢) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٣).

(٣) قصة الحضارة (٢٦٣/٣).

(٤) أعمدة اليوغا الثمانية (١١٩).

اليوغا يتم إزالة الخوف الطبيعي من الأفعى.

ثالثا: علاقة الوضعيات بالتأمل:

من المعلوم أن جلسات التأمل تستغرق وقتًا طويلاً؛ مما يشعر المتأمل بألم في الظهر والمفاصل، وتخدر القدمين أو الأعضاء التي يجلس عليها، وهذا الألم يشتت الذهن؛ مما يزعج العقل فيؤثر سلبًا على التأمل، فالوضعيات تدرب المتأمل وتؤهله للتغلب على الشعور بالألم؛ ليتعود الجسم على ذلك حتى يفقد الشعور به.

رابعا: علاقة الوضعيات بوحدة الوجود:

غاية اليوجي كما سبق الاتحاد بالإله ليصبح اليوغي هو الإله، لكن كيف يتحقق ذلك لهم؟

والجواب عندهم أن ذلك يتم بمحاكاة قوانين الطبيعة لبلوغ الكمال؛ أي أن اليوجي يحذوا حذو الإله، فكما أن الآلهة تتجسد بأجساد المخلوقات، فعلى اليوغي أن يتجسد ويحاكي ويقلد الآلهة في صورتها وهيئتها، ويحاكي بعض الكائنات التي تعتبر آلهة عندهم، كالقمر والثعبان للاتحاد بها.

ويمكن تقسيم وضعيات اليوغا "الأسانات" إلى أربع مجموعات:

المجموعة الأولى: تتعلق بمحاكاة وتقليد الآلهة.

والمجموعة الثانية: أوضاع يستخدمها الهندوس في عباداتهم؛ كأسانات تحية الشمس التي يطلق عليه: "سوريا ناماسكار"، ويعني باللغة السنسكريتية: "السجود للشمس بثمانية أعضاء" من الجسم! وقد حددوا هذه الأعضاء بالقدمين، والركبتين، واليدين، والصدر، والجبهة[(١)]، مع قراءة التعويذة الخاصة بوضعية التحية (أوم)،

---

(١) حقيقة وأسرار اليوجا (١١، ١٧٠).

وانظر ملحق (٥): صورة للوضعية الخامسة من وضعيات تحية الشمس في اليوغا (٤٢١).

وأخذ نفس وزفره بهدوء، والسماح للتركيز أن يتجه نحو الداخل، ويدرك مستوى الطاقة الذي يجري في جسده، وتتوالف هذه الوضعية بزعمهم مع شاكرا القلب، وتؤدى عند طلوع الشمس[(١)].

والمجموعة الثالثة: محاكاة الحيوانات كوضعية الكلب، والقط، والبقرة، والأسد، والسمكة.

والمجموعة الرابعة: محاكاة الطبيعة (الجمادات) كوضعية الشجرة، واللوتس[(٢)].

وعليه فوضعيات اليوغا - كما هو ظاهر- عبادة وتأمل مرتبط بالأساطير الهندية، ومفضي إلى وحدة الوجود.

أما عن الأذكار والتعويذات التي تقال مع الوضعيات، فيقول شوبرا: "احفظ التعويذة، التي تتوافق خصائصها الترددية مع قانون الطاقة الكامنة الصرفة، ورددها بصمت لعدة مرات خلال يومك؛ لتتذكر أن طبيعتك الجوهرية هي الطاقة الكامنة الصرفة" "أنا الوجود المطلق"، "أنا منعش الكون"[(٣)].

خامسًا: أوجه الفرق بين التمارين الرياضية ووضعيات اليوغا:

١- التمارين الرياضية عمومًا تقوم على تكرار نفس الحركة عدة مرات؛ من أجل تقوية العضلات واللياقة والمرونة وتنشيط الجسم والتحمل، وأمَّا وضعيات اليوغا فهي ثبات على حركة واحدة، وتمدد لطيف للجسم بسكينة، مع التركيز العقلي والتأمل الشرقي.

٢- الهدف من التمارين كما سبق تقوية العضلات، واللياقة، والمرونة ونحو ذلك، وأمَّا

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوغا (١٨٤، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٦)، وأعمدة اليوغا الثمانية (١٦٥-١٧٥)، والتطبيقات المعاصرة (٣٢٩)، واليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٦٤).

(٢) القوانين الروحية السبعة لليوغا (١٧١).

(٣) المصدر السابق (٨١) (٨٤).

الهدف من وضعيات اليوغا فهو تخدير أعضاء الجسم، وإماتة الشعور بالألم؛ لئلا يشعر بالتعب أثناء التأمل الطويل.

٣- لا يوجد في التمارين الرياضية أسرار، ولا يشترط فيها معلم، وأمَّا وضعيات اليوغا فلها أسرار لا يطلع عليها اليوغي، إلا عن طريق معلمه (الغورو).

٤- فكرة التنافس مرفوضة في وضعيات اليوغا، بخلاف الرياضية فهي قائمة على ذلك، يقول ديباك شوبرا: "ليست اليوغا رياضة تنافسية، ولن تحقق اندماج جسدك، وعقلك، وروحك من خلال القوة وبذل الجهد، بل اليوغا نظام الاستسلام الإداري. تبلغ اليوغا هدفها بالاتحاد من خلال تركيز الانتباه والقصد؛ أي من خلال إراحة النفس عن قصد الصراع والخصام"[(١)]، ولا تصنف اليوغا على أنها رياضة عالميًا، وليس لها بطولة.

٥- يجب الشعور بعد وضعيات اليوغا بزيادة الطاقة في الجسم وليس فيها الشعور بالتعب كالرياضة[(٢)].

جاء في أعمدة اليوغا الثمانية **في الفرق بين وضعيات اليوغا والتمارين الرياضية:** "لقد بدأت الرياضة العضلية الأوتوماتيكية مرحلة الانحدار، وقد تدق اليوغا يومًا ما آخر مسمار في نعشها.

تأمر الرياضية التقليدية بالتعب والإجهاد، وأمَّا اليوغا فبالثبات والليونة والقوة، على إيقاع يتلاءم مع قدرات الذات. تنصح اليوغا بالتنزه، في حين أن الرياضة البدنية تنصح بالركض الذي يقطع الأنفاس"[(٣)].

ويقول ديباك شوبرا: "اليوغا في جوهرها هي أكثر من كونها نظامًا للياقة البدنية"[(٤)].

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٩٦، ١٥٤).

(٢) اليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (١٧١).

(٣) أعمدة اليوغا الثمانية (١٢٠).

(٤) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٢٦).

سادسًا: أضرار اليوغا:

التمارين الرياضية لا شك أنها من أسباب تحسن الحالة الصحية والنفسية للشخص، وقد يجد من يمارس اليوغا تحسنًا في الحالة النفسية؛ لاشتمال اليوغا على بعض تمارين الإطالة وصرف الذهن عن الضغوطات والمصاعب والقلق، ويقول ديباك شوبرا: "سيكون هناك أوقات يعلق فيها انتباهك الحاد في وضعية"[١]. وقد استُهدفت المرأة في العالم الإسلامي باليوغا؛ بحجة الفوائد النفسية والعقلية والصحية، والمساعدة على الرشاقة واللياقة، وهذا غير صحيح؛ فلا يوجد في اليوغا حركة، ولكن اليوغي لا يأكل إلَّا النباتات فقط[٢]، يقول الطبيب فارس علوان: "الرد على أن يكون الإنسان نباتيًا: وذلك بأن لا يتناول الإنسان المنتجات الحيوانية، وتنقسم الحمية النباتية إلى نوعين رئيسيين:

١- الحمية الصارمة: وفيها يمتنع المرء عن كل طعام ذي مصدر حيواني؛ كالبيض، واللبن، فضلاً عن اللحوم بأنواعها.

٢- الحمية النباتية العادية: وفيها يمتنع المرء عن اللحوم بكل أشكالها، ولكن لا ضير في تناول البيض والحليب واللبن والجبن...

والنوع الثاني... أخف ضرارًا، ولكن الأفضل... الحمية المختلطة، التي يأكل الإنسان فيها النباتات واللحوم والدهون والنشويات، ولكن بكميات معقولة ومدروسة... ومن المعروف في الطب أن أمراضًا معينة تسود وتنتشر عند النباتين مثل: فقر الدم بأنواعه، وأمراض سوء التغذية... كما يظهر عندهم ضعف في مقاومة البدن؛ مما يؤدي إلى ظهور الأمراض الالتهابية..."[٣].

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوغا (١٧٥).

(٢) التطبيقات المعاصرة (٣٢٨، ٣٣١).

(٣) اليوغا في ميزان النقد العلمي (٤٣).

وهناك مخاطر في ممارسة التنفس البوذي؛ فقد تسبب الأمراض العاطفية والعقلية، ودخول المصحات النفسية، وتلابس الشياطين بهم[(١)].

وقد ذكر الطبيب فارس علوان أن أكثر الوصايا التي يوصي بها دعاة اليوغا: وصايا ضارة، ومؤذية للإنسان، والتي منها:

أ- العري أثناء ممارسة اليوغا، وما يسببه من أمراض بدنية، ونفسية، وجنسية، وحضارية.

ب- تعريض الجلد للشمس، ولا سيما عندما يكون التعريض للشمس طويلاً.

ج- تركيز النظر إلى قرص الشمس أثناء ممارسة اليوغا، وما يسببه من اعتلالات شديدة على العين.

د- التشجيع على الحمية النباتية، التي ما أنزل الله بها من سلطان، وقد مرّ تفنيدها.

هـ- الجلوس الطويل بدون حركة أثناء تأدية وضعيات اليوغا، وما يسببه من تباطؤ دوران الدم في الجسم، وبخاصة في الأطراف السفلية؛ فيظهر فيها الخدر والتنمل، وقد يسبب هذا الجلوس الطويل آفات الأوردة من دوالٍ وبواسير...

و- الانقطاع الطويل عن الحياة الاجتماعية؛ مما يؤدي إلى الانطوائية، والكسل والخمول، وترك السعي في طلب الرزق[(٢)].

---

(١) https://youtu.be/BlYH٣٢٧٣ghI

(٢) اليوغا في ميزان النقد العلمي (٥٢،٨٤ - ٨٦)، ونقل الطبيب فارس إن منظمة الصحة تشهد أن الهند موطن اليوغا من الأكثر البلاد أمراضًا فلم لم تتحقق لهم اليوغا علاجها السحري لكل الأمراض، وينقل عن دراسة أمريكية إن اليوغا من أسباب الأمراض الصحية والنفسية قد تساعد في بداية الأمر بصرف الذهن لكن بعد مدة يتفاقم المرض(٦٩، ٧٤).

سابعًا: حكم ممارسة اليوغا:

يمكن تقسيم ممارسة اليوغا إلى نوعين:

النوع الأول: ممارسة اليوغا مع اعتقاد فلسفتها؛ فهذا لا شك أنه من الكفر المخرج من الملة؛ لاشتمالها على وحدة الوجود، بالاتحاد بالمطلق بالالتزام بثمانية مراحل لإدراك الألوهية، والتحرر من الكارما، ومن تكرار التناسخ، والوصول إلى حالة تسمى (التنوير) يستطيع بها الاطلاع على الغيب ومعرفة أسرار الكون، واشتمالها أيضًا على صرف العبادة لغير الله؛ كالسجود، والترنيمات التعبدية كأوم، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل.

النوع الثاني: ممارسة اليوغا كتمارين ووضعيات فقط، دون اعتقاد فلسفتها، فهذا النوع أُختلف فيه على أقوال:

القول الأول: أنها جائز بشروط؛ فيشترط أن تُجرد عن الكلمات الوثنية كأوم، وأن تخلو من التوجه إلى الشمس والانحناء والتحية لها فعندئذ لم تعد "يوجا"، وإنما هي تمارين رياضية سهلة، تمارس عند جميع الأمم؛ فلا مانع من فعلها حينئذ، مع مراعاة أمرين؛ الأول: مخالفة ترتيب الأوضاع المذكورة في اليوجا، وإدخال بعض الأوضاع الجديدة عليها منعًا للمشابهة.

الثاني: عدم فعلها في الأوقات التي يحرص الهندوس على أدائها فيها كوقت شروق الشمس[(١)].

ويمكن أن يجاب عن هذا القول بأن ممارسة اليوغا مع تغيير أوضاعها وعدم اعتقاد فلسفتها، حينئذ لا تسمى يوغا، والحكم على الشيء فرع عن تصوره.

القول الثاني: أنها محرمة لما يلي:

١- كل وضعية ترمز وتدل على معتقد من المعتقدات والأساطير الهندية الكفرية، التي

(١) انظر فتوى د مجدي عاشور مستشار الافتاء بمصر، ومركز الفتوى (١٠٤٣).

تختلف كليًا عن العقيدة والشريعة الإسلامية، وانظر على سبيل المثال قصة وضعية السمكة، وكيف تحولت السمكة عن طريق اليوغا إلى إنسان، وأن الإله (شيفا) عندما كان يقوم بعملية الخلق كان يتخذ وضعية الكائن الذي يخلقه، ومنه أُخذت وضعيات اليوغا[(١)].

٢- ارتباط الوضعيات "الأسانات" بفلسفة الطاقة الكونية، وبالتأمل الشرقي، وبالشاكرات السبع الرئيسة كما سبق[(٢)]، فلا يمكن الفصل بين الوضعيات وفلسفتها وإلَّا ستصبح مجرد عبث.

٣- اشتمال اليوغا على شعائر وطقوس هندوسية مخالفة للإسلام؛ كالترنيمات، ووضعية تحية الشمس (برانا ماسانا) وهي: أن تأخذ نفسا وتزفر بهدوء، وتسمح لتركيزك أن يتجه نحو الداخل، وتكون مدركًا لمستوى الطاقة الذي يجري في جسدك، وتقرأ التعويذة الخاصة بوضعية التحية بقوة الشمس غير المشروطة بمنح الحياة.وتتوالف هذه الوضعية - بزعمهم- مع شاكرا (مركز الطاقة) في القلب، وهذه عبادة تصرف للشمس وهي من الشرك[(٣)]. ويقر أحد المنظرين لليوغا في العالم الإسلامي بذلك قال: "يجب الحذر والحرص عند الأخذ بهذا البرنامج؛ لأنه يحتوي على الكثير من الأوضاع التي لا تناسبنا نحن المسلمين، كما أن الألفاظ (الترنيمات) التي يترنم بها اليوغيون لا تناسبنا؛ لأنها ألفاظ تعبدية عندهم، لا يجوز التلفظ بها. ويمكننا دراسة الأوضاع التي لا شبهة فيها، إن كان معلمها مسلمًا موثوقًا في إيمانه"[(٤)].

وقوله: "ويمكننا دراسة الأوضاع التي لا شبهة فيها" غير مسَلَّم به؛ فمجرد التشبه

---

(١) أعمدة اليوغا الثمانية (٣، ١٢٢)، والقوانين الروحية السبعة لليوغا (٢٠٧) (١٨١، ١٨٣).

(٢) اليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (٢٠٦).

(٣) القوانين الروحية السبعة لليوغا (١٨٦)، ومقال: هل اليوغا نظام لممارسة اللياقة البدنية أم عبادة وثنية في الفلسفة الهندية القديمة؟ د. أيمن العنقري.

(٤) الطاقة غذاء النفس (١٠٨).

بهم فيما يختصون به محرم، وأمَّا إن كان التشبه بهم في الشعائر الدينية فهذه مسألة أخرى أخطر، قد تصل إلى الكفر بشرط العلم والرضا.

٤- اليوجا نوع من العبادة الوثنية التي تمارس في دور العبادة والميادين العامة، وهي الصلة بين الإنسان والإله عندهم، ويشبهونها بالصلاة عند المسلمين؛ فلا يجوز للمسلم أن يقدم عليها بحال، جاء في كتاب مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية:" يمارسون تلك الرياضات كجماعات وأفراد في الميادين العامة باحترام شديد وقدسية عالية، تشابه ما عليه المسلمين في تأديتهم للصلاة..؛ لأنها لقاء روحي يتم بالخالق فيمنح السكينة لتلك الروح، والحياة لذلك الجسد، الاثنين معًا، فلا تطيق النفس صبرًا عن ذلك الوصال" [(١)].

٥- خطورة الانتقال من اليوغا الجسدية إلى الفلسفية؛ فالتشبه بهم في الظاهر يقود إلى التشبه بهم في الباطن، قال شيخ الإسلام: "المشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة[(٢)] والتدرج الخفي.

وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين، هم أقل كفرًا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيمانًا من غيرهم"[(٣)].

فدعاة اليوغا المعاصرون يعتمدون على التدرج في طرحها في ثلاث درجات:

الدرجة الأولى تبدأ بتدريبات بدنية وروحية كالتأمل والوضعيات والتفس العميق لإذهاب الإرادة البشرية لتحل بزعمهم الإرادة الإلهية

---

(١) مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية لعبدالتواب حسين (١٧٣)، والشفا بالطاقة الحيوية لأحمد توفيق (١٩٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٥٤٨).

(٣) المسارقة هنا طلب الغفلة من القلب قال في القاموس المحيط (٨٩٣): (وهو يسارق النظر إليه، أي: يطلب غفلة لينظر إليه، وانسرق: فتر وضعف. وعنهم: خنس ليذهب)، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٢٠).

الدرجة الثانية وتتضمن التحرر من سيطرق العقل الاتصال بأرواح الموتى بزعمهم والجن للوصول لقدرات الشفاء والعلاج والتأثير والخوارق والكشف أي صفات إلهية.

الدرجة الثالثة وهي الإتحاد بالمطلق وإداك وحدة الوجود.

٦- لو قال قائل: أنا أمارس اليوغا لأجل المنفعة ولا أعتقد بالاتحاد مع الإله، بل ولا أدري عنها، فنقول:

أنت شابهت الهندوس في الظاهر من عباداتهم وطقوسهم؛ فوقعت في أصل المشابهة للوثنيين، ولا تغير النية حكم؛ حيث شدد الإسلام في النهي عن مشابهة الوثنيين في مجرد الشكل والصورة، فنهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لأن عباد الشمس يتعبدون لها في هذين الوقتين، وإن لم يخطر ببال المصلي عبادة الشمس أو التوجه لها بالصلاة؛ لحديث عمرو بن عبسة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار ... حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار"(١).

قال شيخ الإسلام: "الشيطانُ يقارن الشمس، وحينئذ يسجد لها الكفار؛ فالمصلي حينئذ يتشبه بهم في جنس الصلاة.

فالسُّجُودُ وإن لم يكونوا يعبدون معبودَهم، ولا يقصدون مقصودهم لكن يشبهونهم في الصورة فنهى عن الصلاة في هذين الوقتين سدًا للذريعة؛ حتى ينقطع التشبه بالكفار ولا يتشبه بهم المسلم في شِرْكهم"(٢).

وذكرت الدكتورة الرشيد أن اليوغا أوضاع وهيئات محددة لا تجتمع إلا في ممارستها، ثم ضربت مثالاً لتقريب صورة اليوغا، قالت:" فلو جاء بوذي-مثلاً- إلى مجتمعه

(١) أخرجه مسلم (٥٦٩/١) برقم (٨٣٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨٦/٢٣).

بطريقة جديدة للاسترجاء، تتكون من حركات منظمة ومحددة، تبدأ برفع اليدين حذو المنكبين، والتكبير، وتنتهي بالتفاتتين والتسليم، وبين هذه وتلك تتضمن تسبيحًا مع الركوع والسجود وقراءة باللغة العربية. ثم يحيل ذلك الرجل إلى القرآن والسنة لمزيد قراءة واطلاع، ويسمي هذا التمرين الصلاة.

فهل يقول عاقل إن هذا مجرد تمرين للاسترخاء، وقد جربه قوم فوجدوا نفعه؟! ولا يمكن تشبيهها بعبادة المسلمين؛ إذ البوذي ..لا ينوي بها التعبد"[١].

٧- بعض وضعيات اليوغا تضر أغلب الناس، وتؤدّي إلى عواقب ومخاطر صحية، وقد سبق بيان ذلك.

يقول الدكتور الأعظمي: "ويجب أن يكون الإنسان على حذر، فإن اليوجا نوع من العقائد الدينية، ووسيلة من وسائل الترقي الروحي الهندوسي... فالفكرة اليوجية هي فكرة هندوسية برهمية خالصة؛ ليتمكنوا من السيطرة على البشرية، وتعليم اليوجا يساعدهم على ذلك" فالهندوس المعاصرون ينشرون اليوجا لنشر الهندوسية في العالم والسيطرة على البشرية[٢].

ويقول الدكتور أحمد شلبي وهو من المتخصصين بأديان الهند: "ويجب أن نقرر بشدة أن إثارة هذا المذهب (اليوغا) والدعاية له ترمي إلى محاربة الإسلام بطريق غير مباشر، وقد رأيتُ هذه المحولات في عدة بلاد، فالإسلام هو القوة التي قهرت المبشرين المسيحين والبوذيين، فإذا صَرفوا الناس عنه بطريق أو بآخر-ولو باسم جنانا يوجا التي تتسع لكل المعتقدات ولا تتقيد بقيود أي منها- فإن هذا كسب لهم عظيم، وبعد أن يُصْرَف المسلم عن الإسلام بهذه الحيلة البارعة يمكن نقله إلى التشكيك، فجذبه إلى دائرة أخرى، فليحذر المسلم اليوجا ومداخلها ودعاتها"[٣].

---

(١) التطبيقات المعاصرة (٤٨٩).

(٢) فصول في أديان الهند العظمى للأعظمي (٦٠٦).

(٣) أديان الهند الكبرى لأحمد شلبي (١٧٠).

وقال **الدكتور سالم مدني**: "لا يجوز القيام بوضعيات اليوجا باعتبارها تمارين رياضية، أو صحية، أو للتسلية، أو لأي سبب كان؛ إذ كل وضعية ترمز وتدل على معتقد من المعتقدات والأساطير الهندية الكفرية، التي تختلف كليًا عن العقيدة والشريعة الإسلامية". ثم بين "ارتباط الوضعيات الأسانات والتأمل بالشاكرات. والشاكرات السبع الرئيسة هي آلهة"(١).

وقد أصدرت دار الإفتاء المصرية فتوى بتحريم رياضة اليوغا، وجاء في نص الفتوى: "اليوغا من طرق التنسك الهندوسية، ولا يجوز اتخاذها طريقًا للرياضة أو للعبادة". ووصفت الفتوى ممارسة اليوغا بـ"الضلال"، واعتبرت أن مجرّد الإتيان بحركات تشبه تمارين اليوغا هو من "باب التشبه المنهي عنه شرعًا"(٢).

وأصدر مجلس الفتوى الاسلامي في ماليزيا فتوى بتحريم ممارسة اليوغا؛ لأنها تستخدم صلوات الهندوس، وتشجع على الاتحاد بالرب، وهو أمر قال المجلس: "إنه يتضمن تجديفًا". والتجديف هو السخرية والاحتقار.

وقال عبد الشكور حسين رئيس المجلس للصحفيين في مدينة بوتراجايا العاصمة الإدارية لماليزيا: "هناك طرق أخرى لتأدية التمارين الرياضية والشعور براحة البال ... يمكنك ركوب الدراجات، أو السباحة، أو تناول غذاء يحتوي على دهون أقل"(٣).

---

(١) اليوجا والتأمل رياضة أم عبادة (٢٠٦).

(٢) دار الافتاء المصرية فتوى تحريم اليوغا عام ٢٠١٤م، وانظر فتوى الدكتور مجدى عاشور المستشار العلمى لمفتى جمهورية مصر.

(٣) فتوى مجلس الإفتاء بماليزيا في حكم "اليوغا".

المبحث الثاني

مظاهر وحدة الوجود في التنويم المغناطيسي

يُطلق مصطلح التنويم المغناطيسي على نوعين: (التنويم المغناطيسي الطبي النفسي)، و(التنويم الطاقي الفلسفي)، وقد يكون المعالج خليطًا من النوعين السابقين، وبعضهم يستخدم ما هو من أعمال السحر والشعوذة، كما سيأتي تفصيله:

النوع الأول: التنويم المغناطيسي الطبي النفسي ويسمى الإيحائي، وقد اختلف علماء النفس فيه؛ هل هو أحد مباحث علم النفس أم لا؟ ونتج عن خلافهم رأيان:

الرأي الأول: يُعتبر التنويم الإيحائي أحد مباحث علم النفس، وأول من استخدمه هم المصريُون القدماء، ثم اليونانيون، فالبابليون، وأعاد الطبيب السويسري مزمر اكتشافه في العصر الحديث في القرن الثامن عشر عندما استخدمه لتخدير مرضاه أمّا طريقته فتكون بعمل"جلسة" تسمى جلسة علاجية؛ بحيث يسترخي المريض في مكان هادئ ومريح، ويكون مسترخيًا عضليًا، وهادئًا ذهنيًا، ويركز على التنفس العميق، ويأخذ نفسًا عميقًا من الأنف ويخرجه ببطء من الفم، وهنا يتغذى المخ بالأكسجين، وهذه هي بداية العلاج، ويعطي أوامر بالاسترخاء والهدوء بتقنيات معينة. ثم يبدأ المعالج بإزالة أي ترسبات أو مشاعر سلبية قديمة، واستبدالها بأخرى إيجابية. ويستطيع الشخص المنوم مغناطيسيًا - وفي أي لحظة خلال جلسة التنويم- أن يتنبه للاقتراحات أو أن يتجاهلها؛ لأنه يكون بقواه ووعيه ويشعر بما يحيط به، وإنما تركيزه يكون منصبًا على شيء معين فقط، مع بقاء إرادته وإن كانت غير كاملة. ويستُخدم هذا التنويم في علاج بعض المشاكل النفسية - وليس كلها- كالاكتئاب، والتوتر، والإقلاع عن العادات السيئة والتدخين والمخدرات، فأثره على الفرد ولا يتعدى إلى غيره؛ إذ لو كان التنويم المغناطيسي الإيحائي الطبي يعالج كل الأمراض لما احتيج إلى المستشفيات والتخصصات الأخرى.

وهنا يرد سؤال: ما هي الأثار الجانبية للتنويم المغناطيسي الطبي النفسي؟

من أهم وأشرس الآثار الجانبية للتنويم المغناطيسي الطبي الإيحائي: إيجاد ذكريات لا تمت للواقع بصلة، والتي غالبًا ما تؤدي بالشخص إلى الاكتئاب الحاد، وقد تؤدي إلى الانتحار والعياذ بالله.

وقد **عُرِّف التنويم المغناطيسي الطبي النفسي** بأنه اتصال بين نوعين من العقل "الواعي، واللاواعي[١]". وبعبارة أبسط: هو إشغال أو تشويش العقل الواعي للدخول للعقل اللاواعي... بأفكار إيجابية.

كما عرفه البعض بأنه حالة من الانتباه المركز المنتقى، يمكن من خلاله تطوير قدرات فردية فطرية، تمكّن من إحداث تغيير مقصود في الأفكار والمشاعر والسلوك، الشيء الذي لا نستطيع تحصيله عادة في حالات الوعي.

ويقولون إن هذا النوع من التنويم ليس له علاقة بالطاقة الكونية أو الطاقة الحيوية المزعومة بالبرانا أو ممارسة السحر[٢].

الرأي الثاني: أن ما فعله (مزمر) هو نوع من السحر والشعوذة، وقد قامت المنظمة الطبية بفيينا بحرمانه و"رفض نظرياته... وحصل على علامة الدجل"[٣]، قالت د فوز كردي: "يقوم علاج مزمر على التنويم المغناطيسي في محاولة منه لإعطاء تفسير علمي لما يحدث مبنيًا على ما يؤمن به من الطاقة الحيوية، التي يرى أنها المسببة للشفاء والسعادة، والتي عرفها بأنها: سائل لطيف غير مرئي نافذ عبر الكون، تتفاعل بواسطته

---

(١) وهنا تجدر الإشارة إلى أن المقصود باللاواعي هو العقل الباطن بمفهومه الطبي النفسي على فرض صحته، وليس بمفهومه الفلسفي الباطني.

(٢) بحث بعنوان: الفرق علميًا بين التنويم المغناطيسي الطبي النفسي وبين التنويم الإيحائي الطاقي للدكتور محمد السليمان

http://reikifact.blogspot.com/٢٠١٧/٠١/blog-post_٢٣.html.

(٣) علم النفس بوّابات إلى العقل والسلوك (٢٨٢).

جميع الأجسام الأرضية والسماوية، وأنه يمكن توجيهه والتأثير عليه بطرق خاصة، وأن تدفق هذه الطاقة في الجسم يولد الصحة والحيوية، بينما يؤدي تعثر انسيابها إلى المرض والخمول. وقد تبين للعلماء أن ما يقوله مزمر مجرد ادعاءات لم يثبتها العلم، ويشوبها كثير من الدجل، وأنها مستقاة من إيمانه بالفلسفة الشرقية"[١].

النوع الثاني: التنويم الطاقي الفلسفي ويسمى الإيحائي:

يزعم من يعالج بالتنويم الطاقي نقل المعالَج إلى مستوى أعلى من الوعي والإدراك، وحتى يحصل على الوعي والإدراك يجب أن يفتح مسارات الطاقة في جسمه ومراكزها المعروفة بالشاكرات، وعندما يفتح تلك المسارات فإنه يتلقى الطاقة الكونية، والتي بدورها تعطيه الشفاء والسعادة والقوة وكل شيء.

فإذا وجدت المعالج يقول: خلال جلسة التنويم سوف تصلك طاقة البرانا، أو ترجع طاقتك الحيوية.

أو يقول: في هذه الجلسة سوف تعرف أمورًا غيبية؛ كمعرفة كيفية موت جدك الأكبر، أو أمورًا مستقبلية؛ كمعرفة زوجك المستقبلي.

إذا قال لك المعالج: اتحد مع شجرة أو وردة تقابلك في الاسترخاء[٢].

هنا نعلم أن هذه الممارسة لا تمت للعلم بصلة.

---

(١) حركة العصر الجديد لفوز كردي (١٥).

(٢) انظر الفرق علميًا بين التنويم المغناطيسي الطبي النفسي وبين التنويم الإيحائي الطاقي للدكتور محمد السليمان

http://reikifact.blogspot.com/٢٠١٧/٠١/blog-post_٢٣.html .

حكم التنويم المغناطيسي:

لا شك في تحريم التنويم المغناطيسي إذا كان باستخدام الجن، وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

ما حكم الإسلام في التنويم المغناطيسي، وبه تقوى قدرة المنوِّم على الإيحاء بالمنوَّم، وبالتالي السيطرة عليه، وجعله يترك محرمًا، أو يشفى من مرض عصبي، أو يقوم بالعمل الذي يطلب المنِّوم؟

فأجابت: "التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني، حتى يسلطه المنوِّم على المنوَّم فيتكلم بلسانه، ويكسبه قوة على بعض الأعمال بالسيطرة عليه إن صدق مع المنوِّم وكان طوعًا له مقابل ما يتقرب به المنوِّم إليه، ويجعل ذلك الجني المنوَّم طوع إرادة المنوِّم بما يطلبه من الأعمال أو الأخبار بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوِّم؛ وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي ،واتخاذه طريقًا أو وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة، أو علاج مريض، أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوَّم غير جائز، بل هو شرك؛ لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم"[(١)].

وأمَّا إن كان المراد بالتنويم مجرد إيحاءات؛ بأن تضع الشخص في حالة تسمى الغفوة، وفي هذه الغفوة تحيد الدفاعات النفسية والعقل النقدي، فلا يكون على مستوى التنبه الطبيعي؛ ليصبح أكثر تقبلاً للإيحاء من أجل توصيل فكرة أو إحساس أو شعور، فالأصل فيه الإباحة، وإن كان تأثيره قصير المدى، ولم يعد له مكانة في العلاج النفسي، وخرج من علم النفس إلى التنويم المسرحي لإبهار الناس[(٢)].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى (١/٣٤٦) (١٧٧٩).

(٢) د. محمد المهدي أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر

https://www.youtube.com/watch?v=١BeON٤uOUJ٠

قالت د. هيفاء الرشيد عن حكم هذا النوع: "يُرجع فيه لأهل الاختصاص، ويُنظر في تطبيقاته، ويوازن بين مصالحه ومفاسده، ثم يُصدر الحكم عليه بناء على ذلك؛ فإن ثبت نفعه فالأصل فيه الإباحة، إلَّا إن تضمن محرمًا أو أفضى إليه، وقد يمنع سدًا للذريعة؛ لما يحصل من الخلط بين هذه الأقسام في كثير من الأحيان... فالمنع من أجل ذلك أقرب، أو أقل الأحوال يُقيد بشروط صارمة"[١].

وأمَّا إن كان المراد بالتنويم (الإيحائي الطاقي الفلسفي) وهو "ما يستخدم للتوصل إلى أحوال باطنية، وتحصيل الحقائق الغنوصية؛ كالاتحاد بالكون أو الإله، أو ما يستخدم فيه الممارسات الدينية كاليوغا أو الأوراد الصوفية أو غيرها، فهذا أيضًا محرم لتحريم وسائله وغاياته"[٢].

ولا شك في كفر من اعتقد بفلسفة وحدة الوجود والاتحاد بالكون تحت مصطلح التنويم المغناطيسي، ومن أمثلة هذا النوع ما يقوله مؤلف كتاب (التنويم الإيحائي للعصر جديد) في مقدمته: "أقدم بحثًا شاملاً حول التنويم الإيحائي وتطبيقاته المتعلقة بمفاهيم العصر الجديد، كتناسخ الأرواح، والكارما، والإسقاط النجمي، وغيرها..."[٣]، ويصرح بعقيدة الوحدة والاتحاد قال: "عندما يصل معدل الكارما إلى الصفر، تتمكن الروح من الارتقاء إلى مستويات أعلى، وتجتمع بالإله"[٤].

---

(١) حركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها (٣٨٤).

(٢) المرجع السابق (٣٨٣).

(٣) -(ix) New Age Hypnosis-Bruce Goldberg,

ترجمة د. هيفاء الرشيد في كتابها: "حركة العصر الجديد" (٣٨٥).

(٤) - New Age Hypnosis-Bruce Goldberg.

ترجمة د. هيفاء الرشيد في كتابها: "حركة العصر الجديد" (٦٣٨).

المبحث الثالث

مظاهر وحدة الوجود في البرمجة اللغوية العصبية

وفي هذا المبحث خمس مسائل:

- المسألة الأولى: مفهوم البرمجة اللغوية العصبية.
- المسألة الثانية: تاريخ نشأة البرمجة اللغوية العصبية.
- المسألة الثالثة: فرضيات البرمجة اللغوية العصبية
- المسألة الرابعة: علاقة البرمجة اللغوية العصبية بالديانات الشرقية والعلوم الأخرى.
- المسألة الخامسة: حكم البرمجة اللغوية العصبية.

المسألة الأولى

مفهوم البرمجة اللغوية العصبية

يكمن الإشكال الحقيقي في عدم وجود تعريف أو مفهوم محدد متفق عليه بين منظري البرمجة العصبية، يوضح معناها ويميزها عن غيرها. فالبرمجة اللغوية العصبية مستعارة من برمجة جهاز الحاسب الآلي في طريقة تلقي المعلومات وجمعها ومعالجتها.

فلفظ البرمجة يشير إلى طريقة تشكيل صوري للعالم الخارجي في ذهن الإنسان؛ أي برمجة دماغ الإنسان، فالعقل الواعي عند الإنسان شبيه عندهم بمستخدم جهاز الحاسب عندما يُبرمج جهازه على نظام معين، فالإنسان (العقل الواعي) عندهم يحدد ما يريد، ثم يضع ذلك في العقل الباطن.

والعقل الباطن عندهم هو نظام التحكم في الجسم، يدير شؤون الفرد، ويخرج سلوكيات وتصرفات وأعمال وأقوال؛ بمثابة نظام التشغيل والتحكم في جهاز الحاسب.

لكن ما حقيقة العقل الباطن عندهم، هل هو بمعناه عند علماء النفس، أم بمعناه الفلسفي؟

والجواب: يستخدم بعض مدربي البرمجة مصطلح العقل الباطن بمعناه الفلسفي، وبعضهم بمعناه في علم النفس، وسيأتي مزيد من التفصيل بعد قليل.

ويقصدون باللغوية: لغة الكلمات (المنطوقة)، ولغة الحواس (غير المنطوقة) عند الإنسان، وهي من مدخلات المعرفة للإنسان؛ مثل لوحة المفاتيح لجهاز الحاسب الآلي.

ومخرجات الإنسان اللفظية (كالنطق)، وغير اللفظية (كالنظرات) كمخرجات الحاسب الآلي كالذي يخرج على الشاشة أو على الأوراق بواسطة الطابعة.

والعصبية: ترجع إلى ما يحصل في المخ من عمليات، وكيفية قيام الجهاز العصبي بعملية

إخفاء المعلومات والخبرات، وتخزينها في العقل الباطن، ثم استدعائها مرة أخرى[(١)].

قال تاكد جميس[(٢)]: "البرجمة اللغوية العصبية تعني السيطرة على الحاسوب الشخصي الخاص، تقنية جديدة تسهل فهم العمليات التالية: كيف نعتقد؟ كيف نتصل؟ كيف نعالج عواطفنا؟ وفي النهاية لا تختلف البرجمة عن كيفية برمجة جهاز الحاسب الآلي"[(٣)].

وهذا التقرير هو مكمن الخطأ عندهم؛ حيث إنهم ظنوا أن الإنسان مثل جهاز الحاسب تمامًا، كما هو واضح في نظرياتهم على ما سيأتي بإذن الله تعالى، بل الصحيح أن قدرات الإنسان تختلف من شخص لآخر.

وجاء في كتاب البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا في تعريفها: "إنه فن وعلم التفوق الشخصي، أو دراسة الخبرات الشخصية، أو بالمعنى الدارج تعلم كيفية تفسير تصرفات الناس"[(٤)].

ثم ذكر الاختلاف حول البرمجة اللغوية العصبية هل هي علم أم فن؟ ورجح أنها أقرب إلى الفن؛ قال: "وحينما وصفنا هذا المنهج بأنه فن وعلم التميز الشخصي، فإننا قصدنا بالفن أن **التفكير الشخصي والخبرة الذاتية لا ينتميان إلى المنهج العلمي المتبع في العلوم الطبيعية**، كما أن بعض المهارات الدقيقة في مجال الاتصالات والتواصل **تنتمي إلى الفن**

---

(١) البرمجة اللغوية العصبية المعربة لهند المطرود (٥، ١٦٤)، البرمجة اللغوية العصبية للفقي (١٤).

(٢) تاد جميس: درس مباشرة من المعلمين المعروفين في حركة القدرات البشرية، بما في ذلك توني روبينز وريتشارد باندلر. وأصبح ممارسًا رئيسيًا في البرمجة اللغوية العصبية، وأنشأ شركة دولية لنشر أفكاره في العالم، وقام بتأليف العديد من الكتب، وحصل على الماجستير في "الاتصال" والدكتوراه في "التنويم المغناطيس

https://www.drmatt.com/drmattjames

(٣) موقع تاد جميس WWW.nlp.com/about-nlt/What islp، ترجمة د. هند المطرود البرمجة اللغوية العصبية المعربة (١٦٤).

(٤) البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر (١١).

أكثر منها إلى العلم. أمّا السبب في وصفنا له بأنه علم فلأنه يسعى إلى تشكيل بنيان علمي متكامل للخبرات الإنسانية، كما أنه توصل إلى مبادئ ونماذج متينة ولغة خاصة به"(١).

قلت: أمّا قولهم: "يسعى إلى تشكيل بنيان علمي متكامل للخبرات الإنسانية"، فهذا اعتراف أن البرمجة اللغوية لم تصبح علمًا؛ حيث إنها لم تعتمد في الجامعات؛ لحداثة نشأتها وقلة مادتها.

وأمّا قولهم: "توصل إلى مبادئ ونماذج متينة ولغة خاصة به" فهذا غير صحيح؛ بل المبادئ والفرضيات التي ذكروها بعضها باطل قطعًا، وبعضها يحتاج إلى تقييد، وليست خاصة بهم، بل مأخوذة من مصادر أخرى؛ فقد جمعت بين مدارس نفسية متعددة بطريقة انتقائية(٢) كما سيأتي بإذن الله - تعالى- عند الحديث عن فرضيات البرمجة اللغوية العصبية.

وهدف البرمجة عندهم: بناء الشخصية؛ للوصول الى الامتياز البشري، وتقديم حلول تطبيقية لكثير من العوائق التي تحد من تحقيق الإنسان لأهدافه... فتطبيقاته تدخل مجال فن الاتصال، والإدارة، والأسرة، والنجاح، وفهم الذات، واستراتيجيات التفكير، وطرائق التأثير، ويزعم بعض مدربي البرمجة أن البرمجة تتعامل مع الحالات النفسية السهلة باعتبارها نتيجة لتجربة خاطئة ولَّدت مشاعر سلبية عن النفس(٣).

ويعلق د. إبراهيم الخضير؛ استشاري ومدير قسم الطب النفسي، فيقول: "وكيف يستطيع شخص لم يدرس الطب النفسي أو علم النفس تحديد المرض النفسي البسيط وغير البسيط؟ ... تغيير الفكر والسلوك هو لب تخصص... العلاج السلوكي المعرفي"(٤).

---

(١) المرجع السابق (١١).

(٢) البرمجة اللغوية العصبية المعربة لهند المطرود (١٩٠).

(٣) https://www.alriyadh.com/٤٢٦٣٤.

(٤) مقال: هل من المعقول أن يصل الإنسان إلى الامتياز البشري في ثلاثة أيام؟
https://www.alriyadh.coml/٤٦٩٩٦.

فنَشْر أشياء خاصة بأطباء علم النفس لجميع الناس في دورات لمدة أسبوع ليطبقوها على الآخرين خطأ كبير[١].

وقد أصبح للبرمجة اللغوية العصبية منظمات ومؤسسات وشهادات معتمدة ومن أشهرها: الاتحاد العالمي لمدربي البرمجة اللغوية العصبية[٢]؛ وهي مستويات يتدرج فيها: (دبلوم، مساعد ممارس، ممارس، ممارس متقدم، مدرب، مدرب أول).

وحقيقة البرمجة اللغوية العصبية أنها قائمة على التأمل والتخيل والنية والتوكيدات؛ لأن الخيال عندهم عملية ذهنية، يستطيع الشخص أن يبدل ويغير ويعدل فيها بحسب رغبته ويتأثر بذلك[٣]، يقول تاد جيمس: "أنا أتحكم في أفكاري، ومن ثم نتائجي"، "الكون سيعطيك ما تريد"[٤].

قالت د. هند المطرود بعد استعراض طرق البرمجة اللغوية: "يظهر لي أن البرمجة اللغوية العصبية تعتمد كثيرًا على الخيال في كثير من طرقها وتقنياتها، ولا شك أن الخيال لا يتطابق كثيرًا مع الواقع، ولعل هذا هو أحد الأسباب التي تفسر رفض فئة من الناس لها... وعدم استفادة بعض من درس دوراتها في حل مشكلاته؛ إذ صعب عليه التحليق في خياله، أو أنه صُدم بواقعه بعد أن أغرق في الخيال..."[٥].

---

(١) البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر (المقدمة ب).

(٢) الاتحاد العالمي لمدربي البرمجة اللغوية العصبية...http://www.ainlpta.com /، ومن مدارس البرمجة اللغوية العصبية أيضًا: المركز الأميركي للبرمجة اللغوية العصبية، والمركز البريطاني للبرمجة اللغوية العصبية، والاتحاد الكندي للبرمجة اللغوية العصبية، وجامعة البرمجة اللغوية العصبية، والبورد الأمريكي. البرمجة اللغوية العصبية المعربة لهند المطرود (٢٧-٣١).

(٣) البرمجة اللغوية العصبية المعربة لهند المطرود (٥٤).

(٤) The secret of creating your future tad james(١٨) (٢٧-٢٨)
ترجمة هيفاء الرشيد حركة العصر الجديد (٤٥٢).

(٥) البرمجة اللغوية العصبية المعربة لهند المطرود (٥٩).

لكن هل هناك علاقة بين التأمل والتخيل في البرمجة اللغوية العصبية والتأمل البوذي؟

يرى مؤلفا موسوعة البرمجة اللغوية العصبية أن هناك تداخلاً بين البرمجة اللغوية وبين مفهوم التأمل الذي تدعو إليه البوذية؛ من خلال التحكم بالتنفس العميق وإسكات العقل كتقنية تساعد على تحقيق الذات(١).

ومن تعاريفات البرمجة اللغوية العصبية ما جاء في موقع جامعة البرمجة اللغوية العصبية(٢) أنها: "نظرية معرفية، أو نظام متكامل من المعرفة يواصل توليد تقنيات جديدة"(٣).

وعُرفت في موسوعة البرمجة اللغوية العصبية بأنها: "عبارة عن ابستمولوجيا - أي نظام متكامل للمعرفة- أي أنه نظام معرفي مترابط، له لغته، وكتبه، وعلماؤه، ونظرياته التي تسير على قاعدة واحدة"(٤).

وقالت د. فوز كردي - وهي من منتقديها- في إجابة لها عن سؤال: ما علاقة البرمجة اللغوية العصبية بتدريبات علوم الطاقة؟: "هي جزء من المنظومة الكاملة لهذه البرامج التي صممتها وروجتها حركة العصر الجديد، والمؤسسات التي تبنت فكرها في العالم،

---

(١) http://www.nlpu.com/NLPU_WhatIsNLP.html
(يمكن تصفحه باللغة العربية)، والبرمجة اللغوية العصبية المعربة لهند المطرود (١٠٢).

(٢) جامعة البرمجة للغوية العصبية تأسست في عام ١٩٩١بكاليفورنيا ومؤسسها هو بروبرت دلتس. موقعها الرسمي
http://www.nlpu.com/NLPU_Information.html.

(٣) الموقع الرسمي:
http://www.nlpu.com/NLPU_WhatIsNLP.htm
ترجمة هند المطرود، البرمجة اللغوية العصبية المعربة (٢٣).

(٤) موسوعة البرمجة اللغوية العصبية روبرت دلتس وجوديث ديلوزيه (٣٦٣) ترجمة هند المطرود البرمجة اللغوية العصبية المعربة (٢٤).

وجعلوها الخطوة الأولى أو الطعم الذي يدخل الفرد إلى طريق هذه البرامج؛ لكونها برنامجًا انتقائيًا يجمع الكثير من الفوائد المأخوذة من علوم إدارية ونفسية تغطي ضلالات الباطنية؛ فخدعت وما زالت تخدع كثيرين يظنونها مجرد دورات تطوير الذات"[١].

(١) البرمجة اللغوية العصبية وعلوم الطاقة فكر دخيل أم دين جديد؟ لقاء مع د. فوز كردي.

المسألة الثانية
تاريخ نشأة البرمجة اللغوية العصبية

تذكر جميع كتب البرمجة اللغوية العصبية أنها ظهرت في منتصف سبعينيات القرن العشرين؛ أي قبل خمس وأربعين سنة تقريبًا، بأمريكا، على يد "جون جريندر"[١]؛ وهو متخصص في اللغويات، و"ريتشارد باندلر"[٢]؛ وهو متخصص في الرياضيات والحاسب. وكانا مهتمين بملاحظة ودراسة سلوكيات البشر، فقاما بدراسة دقيقة ومفصلة لثلاث شخصيات:

الأولى: "مليتون إيركسون"[٣]

طبيب التنويم المغناطيسي؛ باعتباره نموذجًا متميزًا في حل المشكلات النفسية، وقادرًا على التعبير، فقاما بتفكيك خبراته ومهاراته التي يتمتع بها، ونبرات صوته، وقوته، وردود فعل المرضى أو العملاء وتحليلها.

الثانية: "فيتز بيرلز"[٤]

---

(١) جون جريندر: ولد عام (١٩٤٠م) حصل على الدكتوراه في اللغويات من جامعة "سان فرانسيسكو"، وعُين كبروفيسور في اللغويات في جامعة (سانتا كروز) بكاليفورنيا والتقى جريندر بريتشارد باندلر بهذه الجامعة وقام بدعوته للمشاركة معه في دراساته. انظر: البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (٣٨).

(٢) ريتشارد باندلر: ولد عام (١٩٥٠م) وبدأ درسته في الرياضيات وأهتم بعدها بعلم النفس فدرس العلاج بالـ"جشطلت"، وكان يتمتع بمهارات عالية في استيعاب الأنماط السلوكية للأخرين ويلقب بالإسفنجة لقدرته على أن يصبح شخصًا آخر. انظر: البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (٣٧)

(٣) مليتون إيركسون: ولد عام (١٩٠١م)، واشتهر بنظرته الخاصة للعقل الباطن وأنه قوى كامنة ولديه قدرة على الإبداع وحل المشاكل، والتقى مليتون بـ"باندلر ووغريندر" في السبعينيات وكان له أثر كبير عليهما، وتوفي عام (١٩٨٠م)، وانظر البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (٥١)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد(٤٣٨).

(٤) فيتز بيرلز: طبيب نفسي ألماني ولدعام (١٨٩٣م)، أقام في معهد إيسلن (١٩٦٢-١٩٦٩)، تأثر بالديانات
==

مؤسس العلاج بالـ "جشطلت"[١]، ولم تستخرج نماذجه في البرمجة اللغوية إلّا بعد وفاته بعامين، عبر ملاحظاته الصوتية والمرئية[٢].

الثالثة: "فيرجينيا ساتير"[٣].

ثم استخرجا من هذه النماذج الثلاثة أساليب وقواعد للنجاح لتعميمها على الآخرين، سُميت فيما بعد "بالنماذج اللغوية العصبية"[٤].

وقد ذكرت د. هيفاء الرشيد أن هذه النماذج الثلاثة "كانت تتبنى بعض الفلسفات الباطنية، ولها تأثر مباشر بالفلسفة الشرقية عبر بوابة معهد إيسلن الشهير. وعندما تمت دراسة أساليب التواصل في النماذج الأولى... ظهرت أنماطًا لغوية، ومصطلحات ذات تعلق بالخلفية الثقافية لكل منهم"[٥].

==

الشرقية وبوذية زن على وجه الخصوص، وتوفي عام (١٩٧٠م). انظر والبرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة لكارول هاريس (٢٩،٥٠)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٣٧، ٤٤٢).

(١) العلاج الجشطلتي: فرع من فروع علم النفس وهو اتجاه يركز على الخبرة الآنية (الحالية) والوعي الحالي (أي معايشة الحاضر وعدم التفكير في المستقبل والماضي) لمساعدة العملاء في إعادة بناء تفكيرهم ومشاعرهم وأن يعملوا ككل متكامل ويؤكد على تكامل الخبرات الجزئية. علم النفس بوّابات إلى العقل والسلوك (٨٠٤).

وترى د. هيفاء أن العلاج الجشطلتي استمد كثيرًا من مفاهيمه حول الوعي واللاوعي من الفكر الشرقي. حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٣٤، ٤٤٢)، والبرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة لكارول هاريس(٥١،٢٩،٢٢).

(٢) البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة لكارول هاريس (٣٧)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٣٧، ٤٤٢).

(٣) فيرجينيا ساتير: معالجة أميركية نفسية مختصة في المشاكل الأسرية، ولدت عام (١٩٦٦م)، وكانت متأثرة بالفلسفات الشرقية ومن قيادات حركة" القدرات البشرية الكامنة"، وتعد من أشهر الرواد الأوائل في تطوير البرمجة اللغوية، وتوفيت في عام (١٩٨٨م). انظر البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (٤٩)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد(٤٣٨).

(٤) موسوعة البرمجة اللغوية العصبية (٥٨٥).

(٥) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٤١).

المسألة الثالثة

فرضيات البرمجة اللغوية العصبية[(١)]

هي مجموعة من الأفكار التي تقوم عليها البرمجة اللغوية العصبية، ويزعمون أنها تُعطي قدرًا من الثقة وتُحقق النجاح. وهي في الحقيقة لا تمثل قوانين علمية أو رياضية، وليس لها نمط ثابت، ويختلف عددها ما بين ٦ إلى ٢٤ فرضية أو أكثر على النحو التالي:

الفرضية الأولى: الخارطة ليست هي الواقع:

تعتمد البرمجة اللغوية العصبية على الغموض والعبارات الفضفاضة؛ فجميع الفرضيات قد تُفهم بأكثر من وجه، ومنها هذه الفرضية؛ حيث إنها تحتمل ما يلي:

أ- قد تحتمل إنكار دلالات الحس أو التشكيك فيها، ونسبية الحقائق، فالخارطة تعني الإدراك البشري، والواقع الحقيقة الخارجية، فلا يكمن للإنسان عندهم أن يدرك الواقع على حقيقته، وإنما يدركه من وجهة نظره هو، فجميع النتائج التي يصل إليها الناس ليست هي الواقع، جاء في البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا: "نظرًا لأن كلاً منا يرى العالم من خلال مرشحاته الإدراكية، فلا يستطيع أي منا أن يرى الأشياء على حقيقتها"[(٢)].

ب- وقد تحتمل هذه الفرضية أن بعض الناس عاجزون عن إدراك الواقع، أو أنه لا يلزم أن جميع ما نتصوره في الذهن له حقيقة خارج الذهن، أو ليس كل فكر يؤمن به الشخص هو حقيقة؛ فقد يُطابق الواقع وقد لا يُطابقه، لكن ليس جميع

---

(١) هذا المبحث مستفاد من عدة مصادر من أهمها: "رسالة البرمجة اللغوية العصبية المعربة دراسة عقدية لهند المطرود (٦٠-٨٩)"، والبرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (٢٥-٢٨).

(٢) البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر (١٢، ١٠، ٢٠، ٥١، ٥٣، ٦٩)، وحقيقة البرمجة اللغوية العصبية د. فوز كردي (٥٤)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٤٦).

الناس عاجزين عن إدراك حقيقة الواقع كما يقول السفسطائية[١].

ومن ثمار هذه الفرضية عندهم: أن الإنسان بوسعه أن يغير العالم عن طريق نغيير الخارطة؛ أي تغيير ما في ذهنه.

وهذه العبارة أيضا تحتمل حقًا وباطلاً:

فإن كان مرادهم أن العالم لا وجود له إلا في الذهن -والتغيير يكون في الذهن فقط- فهذا فكر حركة العصر الجديد ومن معها، وهذا المعنى مردود قطعًا؛ فهل الواقع في خارج الذهن كالأماكن ونحوها يتغير بتغير الأفكار؟

وإن كان مرادهم أن الشخص قادر على التغيير بتغيير نمط الفكر والسلوك، فهذا صحيح في الجملة، لكن ليس على إطلاقه؛ فالشخص قادر على تغيير ما يمكن تغييره بمشيئة الله وعونه له قبل الفعل ومع الفعل، ومع بذل الأسباب[٢].

الفرضية الثانية: وراء كل سلوك نية إيجابية.

هذه الفريضة أيضًا يمكن أن تُفهم بأكثر من وجه:

أ- فقد تحتمل أن فَهم مبررات الخطأ تُعطي تصورًا أشمل، ولكن لا تُبرر الوقوع في الأخطاء، أو أنها من باب التماس الأعذار وحسن الظن وإن لم نوافق على هذا الخطأ، وكم من مريد للخير لم يصبه.

ب- وقد تحتمل هذه الفرضية تبرير السلوك السلبي مطلقًا؛ لتحقيق الانسجام النفسي مع الذات، والتخلص من الصراع الداخلي، ومن ثم يبحثون عن تلك النية الإيجابية فلا يعاقب السارق مطلقًا؛ لأنه كما يقولون يحتاج إلى علاج، ولا يحتاج إلى عقاب، وهكذا.

---

(١) السفسطة عند الفلاسفة هي الحكمة المموهة والغرض منها تغليط الخصم واسكاته وخداع الآخرين وتطلق على الذين ينكرون الحسيات والبديهات. انظر المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٦٦٠/١).

(٢) البرمجة اللغوية العصبية المعربة دراسة عقدية لهند المطرود (٦٦).

وهذا المعنى قريب من نظرية المدرسة النفسية التحليلية، التي تفسر سلوك الإنسان في كثير من تصرفاته بدوافع مكبوتة في اللاوعي.

ج- وقد تحتمل هذه الفرضية أن جميع الأفعال والاعتقادات إذا كانت عن نية إيجابية تكون صحيحة مهما كانت منحرفة!![١].

جاء في بحث التأصيل الشرعي لفرضيات البرمجة اللغوية العصبية: "أصل هذه الفرضية يعود إلى الوجودية، والتي تعني في مفهومها: أن يحقق الإنسان ذاته، ويسبر غور نفسه، وألا يرد نفسه عن أي شيء تشتهيه؛ ليحقق الشخصية التي ينتهي إليها دون رقيب، ليشعر بوجوده حرًا طليقًا في اختياراته وفي فكره ورغباته وسلوكه، فلا توجد قيم ثابتة للخير والشر توجه سلوك الناس، فيتصرف الإنسان أيًا كان خلفه نية إيجابية تحقق مقصدًا حسنًا"[٢].

ثم ضرب أمثلة على أن النية الحسنة لا تُصحح الأخطاء:

ومنها غضب النبي ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنه عندما قتل الرجل متأولاً[٣]، وعفو النبي ﷺ عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه عندما أخبر المشركين بعزم النبي ﷺ على فتح مكة[٤]، وغيرها من الأدلة.

---

(١) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٤٧).

(٢) التأصيل الشرعي لفرضيات البرمجة اللغوية العصبية د. عامر خليل (١٩٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٢٦٩)، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، وأخرجه مسلم برقم (٩٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧)، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، وأخرجه مسلم برقم (٢٤٩٤).

الفرضية الثالثة: ليس هناك فشل ولكن هناك خبرات[1].

هذه الفريضة أيضًا يمكن أن تُفهم بأكثر من وجه:

أ- فقد تحتمل معنى صحيحًا وهو التحفيز، فليس هناك إخفاق كامل، فمن أخفق في إنجاز فإنه رصيد له في الخبرات يستفيد منه مستقبلاً، ولكن بشرط ألا تؤدي إلى تبرير الأخطاء أو إضاعة الحقوق.

ب- وقد تحتمل معنى باطلاً؛ إذا أدت إلى تبرير الأخطاء، وسوء التعامل مع الخلق، أو ترك حق الله وعدم محاسبة النفس؛ وهو ما يُسمى بـ "السلام الداخلي"، أو عدم الأخذ بالأسباب الكونية والشرعية.

الفرضية الرابعة: العقل والجسم يؤثر كل واحد منهما في الآخر[2].

أ- قد تحتمل هذه الفرضية أنه لا يوجد عقل بلا جسد، ولا جسد بلا عقل؛ فهما يعملان كالشيء الواحد، ويوثران في بعضهما، وثمرة ذلك عندهم أن الإنسان يستطيع أن يغير كيفية تفكيره بتغيير حالته النفسية والجسدية.

ب- وقد تحتمل أن ما في القلب يظهر على الجوارح؛ أي فلتات الإنسان.

الفرضية الخامسة: إذا كان أي إنسان قادرًا على فعل شيء ما، فمن الممكن لأي شخص آخر أن يفعل مثله[3].

هذه الفرضية فيها إطلاق غير صحيح؛ لأن الواقع يثبت اختلاف الناس وتفاوتهم في القدرات، لكن يقتدي الناس بعضهم ببعض حسب الإمكان.

فأعلى مراتب البشر النبوة؛ وهي اصطفاء من الله سبحانه وتعالى، فهل يستطيع باقي البشر الوصول إلى درجة النبوة والإتيان بمثل معجزاتهم أم يقتدون بهم بحسب الإمكان؟

---

(١) البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر (٢٠٨).

(٢) المصدر السابق (١٤٧).

(٣) البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر (٣١٣).

وبناءً على هذا يتبين بطلان ما يُعرف بـ"النمذجة"[1]؛ فالإنسان ليس جهازًا يمكن تكراره أو صنع نسخ مشابهة له تمامًا؛ وإلَّا لأصبح جميع الناس متفوقين.

الفرضية السادسة: احترام وتقبل الآخرين كما هم.

وهذه الفرضية ليست على إطلاقها أيضًا، بل لها تعلق بباب المولاة والمعادة:

أ- فأمَّا الكافرون فلا تجوز مولاتهم، ولكن هذا لا يعني ظلمهم، بل نحن مأمورون بدعوتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن.

ب- وأمَّا محبة أهل الكبائر من المسلمين، فيحبون لإسلامهم من وجه، ويبغضون لكبائرهم من وجه.

ج- وأما المداراة فتجوز بشروط وضوابط معروفة[2]، بل لا تستقيم حياة الناس إلَّا بها، قال شيخ الإسلام: "وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلَّا بالاجتماع والتعاون والتناصر؛ فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم؛ والتناصر لدفع مضارهم؛ ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع. فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من

---

(١) النمذجة: عملية تستهدف استنباط وتحديد الأنماط السلوكية للمتفوقين ونقله للآخرين، والأنماط التي تعتمد عليها في تقنياتها تشتمل على (القيم والمعتقدات والمواقف والتجارب الداخلية والمناشط التي تنطوي عليها مهارات معينة). البرمجة اللغوية العصبية المعربة دراسة عقدية لهند المطرود (٨١).

(٢) قال ابن بطال: "المدَارَاة: خفض الجناح للناس، ولين الكلام وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الألفة"، وقال أيضًا في الفرق بين المدَارَاة والمداهنة : "المدَارَاة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أنَّ المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسَّرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمدَارَاة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك". فتح الباري لابن حجر (٥٢٨/١٠)، وقال شيخ الإسلام: "المؤمن مشروع له مع القدرة أن يقيم دين الله بحسب الإمكان بالمحاربة وغيرها ومع العجز يمسك عما عجز عنه من الانتصار ويصبر على ما يصيبه من البلاء من غير منافقة .. وإذا عجزوا عنهم لم ينافقوهم بل يصبرون على الحق الذي بعث الله به نبيه". الفتاوى الكبرى(٥٢٨/٦).

أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة"[1]، وكذا ينبغي العفو والصفح والتسامح لوجه الله، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢] ، وعن عبد الله بن عمر قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كم نعفوا عن الخادم؟ فصمتَ، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة، قال: "أُعفُ عنه في كلِّ يومٍ سبعين مرة"[2].

الفرضية السابعة: الأكثر مرونة هو الأكثر تحكمًا[3].

ما المراد بالمرونة هنا؟ هل هي ترك ثوابت الدين، أم الرفق واللين في التعامل؟

فإن كان المراد بالمرونة هنا ترك ثوابت الدين كالقول بوحدة الأديان فهذا باطل.

وإن أريد بالمرونة تغيير الخطط وتوسيع الخيارات لمواكبة المتغيرات الحياتية - كالمرونة المتمثلة في الخيارات المتاحة لطالب المرحلة الثانوية في التقديم على الجامعات والمعاهد- فهذا حق.

وإن أريد بالمرونة الرفق في التعامل، والتماس الأعذار للهفوات، وتقبل الخلاف المعتبر شرعًا فلا شك أن هذا مما أمر به الشرع وإلَّا سيفقد الأقارب والأصحاب.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حق المملوك (٥/٤١٩) (٥١٢١)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/١٨) (١٥٧٩٨)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٨٨٠) (٤٨٨).

(٣) البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر (٣٤١).

المسألة الرابعة

علاقة البرمجة اللغوية العصبية بالديانات الشرقية والعلوم الأخرى

أولا: علاقة البرمجة اللغوية العصبية بالديانات الشرقية.

يتفق الجميع على جود أفكار وعقائد في دورات البرمجة اللغوية العصبية لا تتفق مع الإسلام، ولكن اختلفوا هل هي من صميم البرمجة، أم أنها إضافات من المدربين والممارسين؟

ذكرت د. هند المطرود: أن للبرمجة اللغوية العصبية - كما ورد في موسوعة البرمجة اللغوية - موقفًا من الطقوس الدينية؛ حيث يذكر المؤلفان أثناء نقاشهما لمصطلح الطقوس الدينية أن الهدف منها هو إيجاد العلاقة بين المستويات المختلفة من العمليات (العلاقة بين السلوك والقيم)، وكذلك تنقل الموسوعة عن أحد مؤسسي البرمجة وهو جريندر قوله: "كل تقنيات البرمجة اللغوية العصبية في أحد مستوياتها عبارة عن طقوس، هدفها وضع الشخص في حالة ملائمة للأشياء التي يعملها"[(١)].

وفي مجال البرمجة اللغوية العصبية يوجد الكثير من الباحثين في الجانب الروحي منها، ومن أبرزهم: تاد جميس في تدريباته للهونا[(٢)]، كما توجد عدة طرق تتيح استخدام البرمجة اللغوية العصبية؛ من أجل التوصل إلى فهم شخصي، وتطور الإدراك والوعي الروحي[(٣)].

---

(١) موسوعة البرمجة اللغوية العصبية روبرت دلتس وجوديث ديلوزيه (١١٢٤) ترجمة هند المطرود البرمجة اللغوية العصبية المعربة (٩٣).

(٢) الهونا: كلمة هاوائية (نسبة لجزر هاواي) تعني السر، بمعنى العقيدة الاستسرارية الخاصة. وقد أُطلقت في القرن السابق على جملة المعتقدات الروحانية في الجزر. تشبه المعتقدات الشرقية في مبدأ الطاقة الكونية. حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٣٩)، https://www.drmatt.com/drmattjames .

(٣) البرمجة اللغوية العصبية المعربة دراسة عقدية لهند المطرود (٩٣)، والبرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (١٩،١٣٣).

ومن أوجه العلاقة بين البرمجة اللغوية العصبية والهندوسية: استخدام بعض المدربين[1] المشي على الجمر؛ لإقناع الحضور بأن الثقة في النفس تجعل النار لا تحرق، وهي عندهم مرحلة عالية من الوعي، تقول أحدى المدربات: "إن النار قد تحرق وقد تشفي، الفرق يكمن في إرادتنا وإيماننا... فإذا اعتقد الإنسان أن النار ستحرقه فإنها ستحرقه، ولكن حرارة النار ليست حقيقة، ولا يمكن أن تخدع اليقظة".

ولو أصيب الإنسان بحروق أثناء مشيه على الجمر أرجع السبب إلى فشله في تحقيق الحالة الذهنية الملازمة لحمايته من النار[2].

وترجح د. هيفاء الرشيد أن المشي على الجمر بصورته المطبقة في الدورات التدريبية ليس فيه خرق للعادة، بل له تفسيرات علمية؛ منها أن خواص الطبيعية للجمر-خاصة جمرة الفحم- تجعل المشي عليه ممكنًا؛ لأن الفحم من أضعف الموصلات للحرارة، والحرارة تحتاج إلى وقت طويل للانتقال إلى الجسم المباشر له. ومنها أن الجمر المستخدم نوع خاص يتصف بالخشونة؛ فلا يلامس جميع أجزاء القدم في كل خطوة، ومنها أن الخطوات السريعة على فرش الجمر تقلل من مدة الاتصال بين الجمر والجسد. ومع ذلك يظل ممارسة بالغة الخطورة، وهي محرمة من أربع وجوه:

الوجه الأول: أنه نوع من أنواع السحر (المجازي).

---

(١) ينكر ودسمول- رئيس الاتحاد العالمي للبرمجة العصبية- استخدام أنتوني روبتر المشي على الجمر في البرمجة اللغوية العصبية وذكر أنَّ أنتوني روبتر عندما تحدوه مرة أن يمشي على صفيح حار أصابته بعض الحروق في رجليه.

ومن المعروف أن روبتر في دورات البرمجة اللغوية يحضر إسعاف ينقل المصابين. انظر البرمجة اللغوية العصبية المعربة لهند المطرود (٩٣)، والبرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (٥٨، ٦١).

ومن المدربين الذين يستخدمون المشي على الجمر في دورات البرمجة اللغوية د. سليمان العلي وله العديد من المقاطع في اليتيوب:

https://www.youtube.com/watch?v=٦Q٨u٩yZHADM

(٢) المشي على الجمر أصله وحقيقته (٣٦).

الوجه الثاني: أنه من التشبه بالكفار فيما هو من خصائص دينهم؛ لأن المشي على الجمر عقيدة هندوسية، تمارس سنويًا في احتفال تشبهًا بإحدى الآلهة التي مشت على الجمر من أجل استرداد كرامتها وإثبات طهرها وعفتها في قصة طويلة عندهم، والهندوس يفسرون أمكانية المشي على الجمر بأنها قوى داخلية خارقة، وهو نوع من الامتحان الذي يختبر السالك فيه مدى تخليه عن ذاتيته وانفراده، والارتقاء بوعيه ليتجاوز الذات الوهمية، ومن ثم يحقق الانطلاق ويتوصل إلى الموكشا، فالمشي على الجمر ممارسة للألوهية عندهم[1].

الوجه الثالث: أنه من الدجل والغش والتلبيس[2].

والوجه الرابع: أنه من تعذيب البدن وهو محرم.

ومن أوجه العلاقة بين البرمجة اللغوية العصبية والبوذية والعقل الباطن:

تذكر موسوعة البرمجة اللغوية العصبية أن بعض تمارين ومبادئ بوذية الزن أثرت في ممارسات البرمجة اللغوية ولعبت دورًا في تطويرها[3]، ويرى مؤلفا الموسوعة أن هناك تداخلاً بين البرمجة اللغوية العصبية ومفهوم التأمل الذي تدعو إليه البوذية[4].

فالتأمل في البرمجة اللغوية العصبية تركيز العقل على الحاضر؛ للاتصال مع الداخل قاصدًا اكتشاف القوة العملاقة داخل الإنسان.

فهل يقصدون بالقوة العملاقة قدرات خارقة للعادة داخل الإنسان (أي العقل الباطن بمعناه الفلسفي)، أم قدرات ليست خارقة للعادة لكنها غير مكتشفة؟[5].

---

(١) المشي على الجمر أصله وحقيقته (١٧).

(٢) المصدر السابق (٤٢، ٧٤، ٦٣).

(٣) موسوعة البرمجة اللغوية العصبية (١٥٦٦) ترجمة هند المطرود البرمجة اللغوية العصبية المعربة (١٠٢).

(٤) المصدر السابق.

(٥) ويعتبر كتاب أنتوني روبنز "أيقظ العملاق الذي بداخلك" منطلق العديد من الدورات، انظر البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (٦١)، وحركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٤١).

ويبالغ كثير من مدربي البرمجة اللغوية العصبية في تعظيم قدرات الإنسان الذاتية، بل إن بعضهم جعل للإنسان قدرات خارقة لا يقوم بها البشر، كما سبق في كلام جوزف ميرفي[(١)].

ثانيا: علاقة البرمجة اللغوية العصبية بعلم النفس.

لا تنسب البرمجة اللغوية العصبية إلى مدرسة معينة من مدارس علم النفس، بل هي انتقائية، تأخذ بعضًا منها، وتغفل البعض الآخر، من غير مواكبة للمستجدات العلمية، وهذا إشكال.

وتهتم البرمجة اللغوية بالتطبيق العملي لنظريات علم النفس أكثر من المعرفة[(٢)].

ويزعم بعض مدربي البرمجة اللغوية أن باستطاعتهم علاج الرُهاب في عشر دقائق، بينما يستغرق علاجه في علم النفس عدة أشهر، جاء في كتاب (البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا): "العلاج النفسي التقليدي يستغرق عدة شهورٍ للتخلص من الرُهاب، ولكن هذه التقنية لا تتطلب طرقًا معقدة أو تدريبًا نفسيًا طويلاً، إنها تستغرق ما لا يزيد على عشر دقائق"[(٣)].

وهذه مبالغة؛ لأن الرُهاب هو الخوف المستمر من المواقف الاجتماعية، أو التي تتطلب في أداءها الوجود في المجتمع والذي يرتبك فيه الفرد؛ لذا يميل إلى تجنب هذه المواقف المثيرة للقلق، ويتم تشخيص هذه الحالة إذا كان القلق الناتج عن المواقف الاجتماعية من شأنه أن يعيق النشاطات اليومية المعتادة، أو أداءه الوظيفي، أو أن يكون الشخص مكروبًا لكونه يعاني من هذه المخاوف ويُحتاج في علاجه العودة إلى

---

(١) انظر الباب الأول الفصل الرابع المطلب الثالث "الوعي أو العقل الكوني" من هذا البحث.

(٢) البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر (٢،٨)، ولمزيد من التفصيل انظر البرمجة اللغوية العصبية المعربة دراسة عقدية لهند المطرود (١٥٥، ٢٠٥).

(٣) البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر (٣٥٦).

جذور المشكلة، ومعرفة توقيت ظهورها، وما صاحبها من مواقف وخبرات، ولا يمكن الوصول الى العلاج في هذه المدة القصيرة جدًا (١٠ دقائق)[١].

ثالثا: علاقة البرمجة اللغوية العصبية بالتنويم المغناطيسي:

جاء في كتاب (البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة): "يعاني الكثيرون من متاعب صحية يصعب الشفاء منها بسرعة، والبرمجة اللغوية العصبية تقدم حلولاً لذلك، وأحيانًا يمكن القضاء على الأعراض ومحاربة الألم **بمصاحبة التنويم المغناطيسي**"[٢].

وأوضح تيرانس ماكليندون[٣] في كتابه (الأيام العصبية) الترابط ما بين البرمجة اللغوية العصبية والتنويم المغناطيسي، قال: "يمكن القول بأن تقنيات البرمجة اللغوية العصبية تمثل نموذج العقل اللاواعي تحت تأثير التنويم"[٤].

رابعًا: علاقة البرمجة اللغوية العصبية بالسحر:

ذكرت موسوعة البرمجة اللغوية العصبية أن السحر مهم في إرساء ثقافة اللامستحيل، ورغم أن الموسوعة تذكر بطريقة أو بأخرى أن للسحر معنى مجازيًا؛ فإن الموسوعة لا تنكر العلاقة مع السحر الحقيقي. وتذكر أيضًا: أن البرمجة استعارت أسماء بعض تمارينها من السحر، وأن كثيرًا من تمارينها لها جودة السحر[٥].

---

(١) علم النفس الاكلينيكي، د. عبد الستار ابراهيم ود. عبد الله عسكر (٥٨).

(٢) البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (١٢٢).

(٣) تيرانس ماكليندون كان طالبًا بجامعة "سانتاكروز" في الوقت الذي شهد نشاطًا ل"باندلر" و"جريندر" في البدايات الأولى للبرمجة اللغوية، وحصل على الماجستير في علم النفس، وقام بتأليف كتاب: "الأيام العصبية" الذي أورد به وصفًا لظهور البرمجة اللغوية في كاليفورنيا، وأنشأ "المعهد الاسترالي للبرمجة اللغوية العصبية". انظر البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة (٥٧).

(٤) المرجع السابق (٣٨).

(٥) موسوعة البرمجة اللغوية العصبية (٦٨٦) ترجمة هند المطرود البرمجة اللغوية العصبية المعربة (١٣٧).

وقد نقل صاحب كتاب التأصيل الشرعي لفرضيات البرمجة اللغوية العصبية استخدام بعض مدربي البرمجة اللغوية العصبية السحر الحقيقي والاستعانة بالشياطين[1].

(١) التأصيل الشرعي لفرضيات البرمجة اللغوية العصبية د.عامر خليل (١٩٠).

المسألة الخامسة
حكم البرمجة اللغوية العصبية

البرمجة اللغوية العصبية من النوازل العقدية المعاصرة، ويكتنفها الغموض والعموم في كثير من جوانبها، والاختلاف في ماهيتها؛ فهي واسعة المعالم متعددة التطبيقات، ولكل مدرب أدواته وطريقته؛ مما أفقدها المهنية، فالحكم عليها ليس أمرًا سهلاً، قالت د. هيفاء الرشيد: "اختلف الناس فيها اختلافًا كثيرًا، **بخلاف غيرها من ممارسات حركة العصر الجديد** أو تلك المتأثرة بفكرها [أي فلسفة الطاقة الكونية]... **ربما تكون الإشكالية في البرمجة اللغوية العصبية أن التوجه الفلسفي ليس ظاهرًا** - وقد يكون غير موجود- في بعض تقنياتها، ومستوياتها الدنيا، ولذلك قد يستغرب من يمارسها من تحذيرات بعض المختصين وانتقادهم"[(١)].

وفيما يلي سأعرض بإذن الله أوجه استدلال من يرى جواز البرمجة اللغوية العصبية بشرط تصفيتها من الشوائب، وأوجه استدلال من يرى منعها وأتبع ذلك بمناقشة أدلة الفريقين، ثم الترجيح.

أولا: أوجه استدلال من يرى جواز البرمجة اللغوية العصبية بشرط تصفيتها من الشوائب:

١- الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

٢- الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص على تحريمها.

٣- البرمجة اللغوية العصبية شأنها شأن العلوم المستفادة من الغرب كالفيزياء، والكيمياء، والهندسة، أو بعض العلوم التي أصابتها لوثة فلسفية في بداياتها كعلم النفس، ثم عُدلت، وهُذبت، واستقرت ضمن العلوم.

(١) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٥٤).

٤- أمَّا اعتماد بعض الحركات الباطنية عليها كحركة العصر، فهذا شأنهم، فهل تُرد الكيمياء مثلا لاستخدام حركة العصر لها.

٥- وقوع بعض المدربين في أخطاء عقدية لا يلزم منه التعميم.

٦- ما المانع من استخراج برمجة لغوية عصبية إسلامية بعد تصفيتها من الشوائب على غرار علم النفس الإسلامي.

ثانيا: أوجه استدلال من يرى منعها.

١- البرمجة اللغوية العصبية جزء لا يتجزأ من منظومة تضم عشرات الطرق والتقنيات؛ لنشر فكر حركة العصر الجديد وتحمل فلسفاتهم، فالبرمجة اللغوية لا تأتي مجزأة؛ لأنها أصبحت منظمة بمؤسسات وشهادات معتمدة، ومن ينخرط في بعض تطبيقاتها -التي تحمل اسمها صراحة- لا يؤمن عليه التدرج في مستوياتها والتوصل إلى أكابر مدربيها[(١)].

٢- البرمجة اللغوية العصبية تتبنى فلسفة "الوعي الجمعي"؛ أي العقل الباطن بمعناه الفلسفي، وهي صورة مطورة لفلسفة "العقل الكلي"؛ أي وحدة الوجود، قال تاد جيمس: "الكل هو العقل"[(٢)].

٣- البرمجة اللغوية العصبية لم تثبت بطرق علمية، ولا تخضع للمقاييس العلمية كما صرحوا بذلك[(٣)].

٤- مبالغة المشتغلين بها في الثقة بالنفس والقدرات البشرية؛ حتى يضعف أو يزول التوكل على الله والثقة به عز وجل.

٥- تضمنها لفكر باطني يهدف للاستغناء عن الإله وشعاره: "كيف تستغني بنفسك

---

(١) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٥٦).

(٢) HYPNOSIS.Tad James (٣,٥)

ترجمة هيفاء الرشيد حركة العصر الجديد (٤٥٢).

(٣) البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر (١١).

عن أي مصدر خارجي"؛ فهي ثقافة بديلة عن الدين، تعتمد على المزاحمة لا المواجهة، فتزاحم العقائد والأديان حتى تُترك واحدة تلو الأخرى[1].

٦- تأسيسها لعقيدة وحدة الوجود، وقد ذكرت د. هيفاء الرشيد نموذجًا لذلك كتاب (سر تشكيل المستقبل) لتاد جيمس، قالت:"

أ- يدور موضوع الكتاب حول شاب اسمه "ميلون"، حصل على سر تشكيل المستقبل، من خلال سماعه صوت "ساحر" ينبع من داخله...

ب- بات هذا "الساحر" الباطني يملي على الشاب مبادئ فلسفية، والشاب يتقبلها ويعمل بها، فكان من بينها تأليه الوعي، وجعله حاكمًا على الواقع... قائلاً: "أنا أتحكم في أفكاري، ومن ثم نتائجي" "فالكون يا مليون هو عقل صرف"[2]... خاضع لفكر الإنسان وإرادته...

ج- وأمَّا هدف الإنسان في الحياة فيبينه الصوت الباطني من خلال **خط الزمن،** فيأمر ميلون بالتقدم للمستقبل إلى نهاية خطه المستقبلي حتى يتجاوزه، فإذا رأى نورًا أبيض في نهاية نفق مظلم سعى إليه مسرعًا، ثم تأتي تعليمات الساحر: "اعبر النفق، وادخل في النور الأبيض... كن واحدًا مع النور الأبيض" فيقول المؤلف معلقًا: "اختفى جسد ميلون وأصبح حرًا؛ وَعيًا صرفًا معلقًا في الفضاء"[3]. ثم يستمر في وصف هذه الوحدة، وذوبان الحدود بين جميع مفردات الحدود... والتوصل للحقيقة الكلية"[4].

---

(١) البرمجة اللغوية العصبية وعلوم الطاقة فكر دخيل أم دين جديد؟ لقاء مع د. فوز كردي.

(٢) The secret of creating your future tad james(١٠-١١) (٢٧-٢٨)
ترجمة هيفاء الرشيد حركة العصر الجديد (٤٥٢).

(٣) The secret of creating your future tad james (١١١)
ترجمة هيفاء الرشيد حركة العصر الجديد (٤٥٢).

(٤) حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد (٤٥١-٤٥٢).

ومن هذا النموذج يبدو جليًا ما تشتمل عليه البرمجة اللغوية من عقائد كفرية: فهذا الساحر -بحسب الرواية- يصل بالشاب ميلون إلى عقيدة وحدة الوجود؛ عن طريقة برمجته.

ثالثا: مناقشة أوجه استدلال كلا الفريقين مع الترجيح:

يمكن الإجابة عن أوجه استدلال من يرى جواز البرمجة اللغوية بما يلي:

١- أمّا قولهم: "الحكمة ضالة المؤمن" فهذا مشروط بعدم مخالفة التشريع الإسلامي، وقد سبق نقل بعض المخالفات في البرمجة اللغوية.

٢- وأمّا استدلالهم بقاعدة "الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد نص على تحريمها" فهو استدلال خاطئ وإن صح الدليل؛ لأن البرمجة اللغوية تنطوي على فلسفات وعقائد مخالفة للإسلام كما سبق، فهذه القاعدة دليل على تحريم البرمجة اللغوية؛ لأن القاعدة مقيدة بعدم وجود نص يفيد التحريم، والنصوص التي تدل على التحريم كثيرة، فالقاعدة عند إطلاقها محمولة على الأمور الدنيوية البحتة، كالإدارة والتخطيط والمواصلات والاتصالات ونحوها، ولا يدخل في ذلك الفلسفات والأفكار وتهذيب الذات ونحوها من الأمور المخالفة للشرع.

٣- أمّا قولهم: "البرمجة اللغوية العصبية شأنها شأن العلوم المستفادة من الغرب كالفيزياء". فيمكن أن يجاب عليه بأن هناك علومًا مشتركة تعتبر اكتشافًا لحقائق موجودة في الكون، وهناك علوم أخرى مبنية على معارف وفلسفات مخالفة للشرع، وميزان قبول العلوم الوافدة هو عرضها على الكتاب والسنة، ويقوم بذلك العلماء الربانيون، ومن يُعينهم في ذلك من المتخصصين في شتى المجالات كما ذكر شيخ الاسلام[(١)]. هذا وقد أفتى بخطورة البرمجة اللغوية العصبية جماعة من العلماء

---

(١) مجموع الفتاوى (٨٤/٢)، وقال شيخ الإسلام عن المنطق اليوناني: "ما زال نظار المسلمين بعد أن عُرب[المنطق] وعرفوه يعيبونه ويذمونه ولا يلتفتون إليه ولا إلى أهله في موازينهم العقلية والشرعية.
==

الكبار والمتخصصين في علم النفس[(١)].

٤- وأمّا قولهم: "ما المانع من استخراج برمجة لغوية عصبية إسلامية"؟

فهذا تنظير لا واقع له الآن، وقد ذكر بعض المدربين محاولة ذلك فلم يستطيعوا[(٢)].

ويمكن الإجابة عن أوجه استدلال من يرى منع البرمجة اللغوية بما يلي:

١- هناك خلط بين الطاقة الكونية وحركة العصر الجديد وبين البرمجة اللغوية العصبية.

٢- قولهم: البرمجة اللغوية العصبية تتبنى فلسفة "الوعي الجمعي".

فيقال: ما حقيقة العقل الباطن عندهم، هل هو بمعناه عند علماء النفس أم بمعناه الفلسفي؟

فكلامهم محتمل للأمرين؛ فبعض المدربين يضخم قدرات العقل الباطن، فيضفي عليه صفات الألوهية، بل صرح تاد جيمس بعقيدة وحدة الوجود قائلاً: "الكل هو العقل"[(٣)]، ويحيل في تفسير العقل الباطن على أقوال ديباك شوبرا والشامانية والبوذية[(٤)]. وبعضهم يجعل قدرة العقل الباطن - وإن لم يكن مسلّمًا به علميًا - إبرازًا لقدرات الإنسان وفق القدرة البشرية.

==

ولا يقول القائل **ليس فيه مما انفردوا به إلا اصطلاحات لفظية وإلا فالمعاني العقلية مشتركة بين الأمم** فانه ليس الأمر كذلك بل فيه **معان كثيرة فاسدة**". الرد على المنطقيين (٣٧٤).

(١) انظر كتاب مجموع الفتاوى الشرعية في حكم البرمجة اللغوية العصبية، جمع خلود الشويش.

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=sAsHAPxL ٩zs

الدقيقة (٣٧).

(٣) HYPNOSIS.Tad James(٣,٥)

ترجمة هيفاء الرشيد حركة العصر الجديد (٤٥٢).

(٤) المصدر السابق.

والمسلم يتوكل على الله ﷻ، ويعمل بالأسباب، وينسب الفضل لله سبحانه.

٣- أمَّا قولهم: "البرمجة اللغوية العصبية لم تثبت بطرق علمية".

فيقال: هذا لا ينفي إمكانية الاستفادة منها في حدود معينة؛ كالمساعدة على ترك التدخين مثلاً، وتكون من باب الخبرات والتجارب الشخصية فقط، ولا شك أن التوسع في ذلك يفتح بابًا شديد الاتساع للولوج إلى الخُرَافة والبدع.

٤- أما الجواب عن النقطة الرابعة والخامسة فيكمن أن تُصفى من الأخطاء والشوائب، ويسلم - بعض المدافعين عن البرمجة بضوابط- بوجود عقيدة وحدة الوجود في إحدى فرضياتها وهي "وراء كل سلوك نية إيجابية" وليس جميعها[(١)] كما سبق بيانه.

والذي يظهرلي أن مناط الحكم يكون بالإجابة عن هذا السؤال:

هل وجود الأفكار والعقائد في دورات البرمجة اللغوية العصبية التي لا تتفق مع الإسلام من صميم البرمجة، أم أنها إضافات من المدربين والممارسين؟ وهل يمكن تصفيتها؟

والجواب أنه لا يوجد أساس علمي صلب خاص بالبرمجة اللغوية العصبية تقوم عليه، فلكل مدرب قراءته وطريقته وأدواته وتفسيره، بما يتوافق مع البيئة الثقافية للمتدربين، ومن أمثلة ذلك اختلافهم في تحديد مفهوم العقل الباطن كما سبق، وما بني على باطل فهو باطل، وإن كان فيه بعض الحق فهو مأخوذ من العلوم الأخرى، وقد طوعت حركة العصر الجديد البرمجة اللغوية لأفكارها، وأصبحت البرمجة اللغوية مدخلاً ووسيلة للطاقة الكونية؛ فالابتداء من البرمجة اللغوية العصبية والانتهاء بتطبيقات الطاقة الكونية، إلَّا ما ندر وهذا، من الناحية النظرية.

أمَّا من الناحية العملية؛ أي الدورات والكتب التي تُطرح للناس، فلا شك في منعها؛ لاحتوائها فلسفات وعقائد مخالفة للشرع والعقل والحس كما سبق.

---

(١) التأصيل الشرعي لفرضيات البرمجة اللغوية العصبية، د.عامر خليل (١٨٩).

فعلى سبيل المثال تاد جيمس؛ وهو من أشهر مدربي البرمجة اللغوية ينظر للوعي بنظره إلهيه، ويجعله حاكمًا على الواقع، ويفسر العقل الباطن بما يتوافق مع حركة العصر، وتظهر عقيدة وحدة الوجود عنده بشكل صريح في كتابه: "سر تشكيل المستقبل".

قالت د. فوز كردي: "البرمجة اللغوية العصبية كثير من تدريباتها **لا حرج في تطبيقه منفصلا عن البرمجة**؛ لأنها مأخوذة من علوم متنوعة إدارية ونفسية، فلا يمكن أن ننكر أثر الإيحاء على النفس، فقد تساعد على دفع الإحباط، ولكنها أحيانا كثيرة تنقله من محبط إلى مغرور.

والتوجيه الشرعي غرس علو الهمة وإذكاء مشاعر العزة في تحقيق العبودية لله عز وجل.

لكن البرمجة كبرنامج متكامل تنبع من فكر باطني يهدف للاستغناء عن الإله، وشعاره: كيف تستغني بنفسك عن أي مصدر خارجي"[(١)].

وقالت د. هيفاء الرشيد: "فالبرمجة اللغوية العصبية تنقسم إلى قسمين:

قسم متأثر بالفلسفات الباطنية وأفكار حركة العصر الجديد، **وقسم لا تبدو آثارها عليه**.

ويرتكز الخلاف بينهما على **مفهوم العقل الباطن** أو اللاوعي.

فمن جعل العقل الباطن **وعيًا كليًا ذا سلطة مطلقة** وقدرات خارقة، خلط بين الفلسفة الباطنية والبرمجة اللغوية العصبية.

ومن اقتصر على المفهوم النفسي للعقل الباطن - وإن لم يكن مسلمًا به علميًا- لم يكن مستصحبًا لهذا التوجه...

(١) البرمجة اللغوية العصبية وعلوم الطاقة فكر دخيل أم دين جديد؟ لقاء مع د. فوز كردي.

فالبرمجة القائمة على الفكر الباطني محرمة قطعًا، والمتلبس بها متلبس بأنواع من الكفر والشرك يرق ويغلظ...

[و] **الذي لا تظهر عليه آثار المعتقدات الباطنية** أو تطبيقات حركة العصر الجديد **فالصحيح منعه كذلك**؛ وذلك لعدة اعتبارات [ذكرت الباحثة خمسة اعتبارات نذكر ثلاثة منها]:

أ. أن للبرمجة اللغوية العصبية قابلية كبيرة لتشرب الفكر الباطني؛ نظرًا للبيئة التي نشأت فيها، والتوجهات الباطنية لكثير من شخصياتها البارزة...

ب- أن البرمجة اللغوية العصبية قد تكون مدخلاً إلى غيرها من خرفات الطاقة والفلسفات الشرقية... والمشاهد أن كثيرًا ممن تلبس بعلوم الطاقة القائمة على وحدة الوجود... كانت بداياته في البرمجة اللغوية العصبية.

ج- أن المدربين المتشبعين بالفكر الباطني قد لا يظهرون معتقداتهم بشكل صريح، فإن من مبادئ البرمجة اللغوية العصبية التكيف مع البيئة الثقافية للمتدربين[1]".

---

(١) جاء في كتاب البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا هاري ألدر وبيريل هيذر(٤): "إن المنهج الدولي يتضمن الموضوعات التفصيلية للدراسة، تاركًا شكل وأسلوب التدريب للمدربين المؤهلين كل طبقًا لما يراه مناسبًا سواء من حيث الظروف أو الأسلوب الذي يفضله"، وانظر حركة العصر الجديد لهيفاء الرشيد(٤٥٤).

المبحث الرابع

مظاهر وحدة الوجود في الإسقاط النجمي

يشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: مفهوم الإسقاط النجمي.
- المطلب الثاني: تاريخ مفهوم الإسقاط النجمي.
- المطلب الثالث: برنامج وشروط وتقنيات الإسقاط النجمي عند المروجين له.
- المطلب الرابع: حكم الإسقاط النجمي.

المطلب الأول

مفهوم الإسقاط النجمي

فلسفة تقوم على مبادئ الطاقة الكونية، كالأجسام السبعة للإنسان، خاصة الجسم الأثيري منها، والشاكرات السبعة، والتأمل الشرقي، والعقل الباطن، واليوغا، وفي المستويات المتقدمة اعتقاد وحدة الوجود[(1)].

وتفصيل ذلك في النقاط التالية:

١- يزعمون أن للإنسان جسدين: (جسد مادي فيزيائي، وجسد أثيري):

الجسد المادي (البدن) هو الظاهر الذي نتعامل معه، وتنعكس عليه حالات الأجساد الأخرى.

والجسد الأثيري هو جسم من الطاقة، ويعتبر أهم الأجساد السبعة عندهم، وأساس حياتها، وهو منبع صحة الإنسان وروحانيته، وسعادته!

٢- يزعمون أنَّ الإنسان يستطيع التنقل بوعيه وهو نائم؛ يعني: أن الجسد فقط يكون نائمًا، بينما يكون عقله في حالة يقظة تامة، فينفصل الجسد الأثيري عن الجسد المادي النائم في حالة الإسقاط النجمي، ويبقى بقربه أثناء النوم، ويكون هذان الجسمان متصلين بـ "حبل فضي" يربط بينهما!

٣- بإمكان الإنسان عندهم التنقل بين عوالم مختلفة، كعالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم البرزخ! فيرى الأموات وأرواحهم، بل ويتنقل في أزمنة مختلفة، فله أن يرجع للماضي، وله أن يذهب للمستقبل كما ذكرت ذلك مجلة المعهد الغنوصي، في لندن العدد السادس، عام ٢٠١٦ م، في تقرير كتبه أشهر معلمي الغنوصية في القرن

---

(١) الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات(٢١، ١٥٢، ١٤٦، ٣١، ٥٧)، وانظر وحدة الوجود على سبيل المثال في مقال سمائل عون وير بمجلة المعهد الغنوصي في لندن العدد السادس، عام ٢٠١٦م.

العشرين عن عملية الخروج من الجسد والإسقاط النجمي، وسيأتي تفصيل المقال بعد قليل بإذن الله[1].

٤- هناك برنامج وشروط وتقنيات - بزعمهم- لا بد للشخص أن يتقيد بها حتى يصح له خروجه وسفره من جسده، كما سيأتي.

(١) يمكن تصفح المجلة على الرابط:
https://london-gnostic-institute.org/Abraxas_Magazine/Abraxas-Autumn-٢٠١٦/html٥forwebkit.html?page=٠
والمقال المقصود (٢٧-٣٨)، وانظر الإسلام سؤال وجواب "الإسقاط النجمي".

المطلب الثاني
تاريخ مفهوم الإسقاط النجمي

عُرف الإسقاط النجمي في الديانة البوذية والهندوسية والصينية، وزعموا أن الإنسان قادر على التنقل خارج جسده إلى أي مكان.

وقد قال أرسطو بالجسم الأثيري الذي بُني عليه مفهوم الإسقاط النجمي، قالت د. فوز كردي: "بالنسبة للجسم الأثيري فهو... قول مبني على نظرية قديمة، تفترض وجود مادة الأثير، وهي مادة مطلقة قوية غير مرئية! تملأ الفراغ في الكون، سمَّاها أرسطو: العنصر الخامس، وعدّها عنصرًا ساميًا، شريفًا، ثابتًا، غير قابل للتغيير والفساد[(١)]، وقد أثبت العلم الحديث عدم وجود الأثير، ولكن الفلسفات القديمة المتعلقة بالأثير بقيت كما في الفلسفات المتعلقة بالعناصر الخمسة، أو الأربعة"[(٢)].

وقد تبنت فلسفة الإسقاط النجمي الحركات الباطنية المعاصرة، كالثيوصوفيا وحركة العصر الجديد، ويعتبر أوشو من المروجين له، وتعتبر مها هاشم من أبرز من تحدث عن ظاهرة الإسقاط النجمي في الوطن العربي[(٣)].

ولمها هاشم كلام خطير في وصفها خطوات ممارسة التحريك عن بعد، قالت: "أغلق عينيك، اشعر بالماء أمامك، اشعر بطاقته وادمجه بك... **اشعر باتحادك مع**

---

(١) موسوعة الفلسفة لبدوي (١/١٢٤).

(٢) أصول الإيمان بالغيب وآثاره لفوز كردي (٤٠٧).

(٣) الثيوصوفيا (١١٠،٧٧)، وحركة العصر الجديد(٤٢١)، ومها هاشم مدربة لفلسفة الطاقة الكونية كما ذكرت عن نفسها في حسابها بتوتر: قالت" أنت في حساب أول من أدخل علوم الطاقة الصحيح عربيًا"، وكانت من الناشرين للريكي في البلاد الإسلامية المدافعين عنه ثم أصبحت من المحذرين منه مع استمرارها بنشر علوم الطاقة الأخرى. وانظر مقال: أرواح الأموات من المعلمين القدماء هي مصادر علومهم موقع سبيلي:

https://sabeily.com/

الماء، أنت والماء واحد. بقدر ما تسيطر على طاقتك ستسيطر على الماء. افتح عيونك... أنت جزء منه، من الماء، وهو جزء منك"[1].

(١) منتديات البرمجة اللغوية العصبية، تحت عنوان: تقنيات تحريك الماء عن بعد لمها هاشم
https://www.nlpnote.com/forum/t٢٦٣٨.html,

وانظر وحركة العصر الجديد (٤١١).

المطلب الثالث

برنامج وشروط وتقنيات الإسقاط النجمي عند المروجين له

وضع صاحب كتاب (الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات) برنامجًا مدته سبعة أسابيع للخروج من الجسد حقيقة، قال: "لا يستطيع أحد إتقان الإسقاط النجمي من المحاولة الأولى، ولكن يمكن حصول ذلك بعد عدد كبير من المحاولات الفاشلة، وهذا سيستغرق سنوات"[(١)]. وقد ذكر أنه مارس ذلك بنفسه، ورأى جسده المادي نائمًا على السرير، ورأى جسده الأثيري مضيئًا بلون أزرق مشع وهو يقترب منه ليدخل الجسد، قال:" وفي تلك اللحظة تحدث تفاعلات طاقة قوية جدًا، وهذا ما يعطي الشعور بأن كيان ما **يدخل الجسد**، وهذه الظاهرة معروفة منذ القدم"[(٢)].

وقصة المؤلف السابقة تُشبه قصص الهندوس[(٣)] والصوفية في التنقل بين البلدان في الهواء. وقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن ما يراه الممارس هو صور ذهنية وخدع عقلية، أو أحلام يظن الإنسان أنها الواقع. فكثير منها يحصل أثناء النوم أو حالة مقاربة له.

كما لا يمكن إغفال إمكانية تصوير الشيطان وتلبيسه على الإنسان؛ حتى يظن أنه فعل وهو لم يفعل، وستأتي - بإذن الله- مناقشة ذلك بالتفصيل[(٤)].

---

(١) الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات (١٩).

(٢) المصدر السابق (١٠٠، ١٥٦).

(٣) يذكر د. طالب عمران في كتابه "الحاسة السادسة الإنسان وقواه الخفية" الكثير من قصص خرافة الإسقاط النجمي إبان إقامته في الهند وأنها سمة بارزة عند الهندوس وعلاقتها بالتناسخ وتمارين اليوغا والتأمل الشرقي فذكر منها قصة صديقه "أوم بركاش سنغ" الذي كان يزعم معرفة الغيب والخروج من الجسد والتجول في أنحاء العالم في تسعة أيام وفي نهاية القصة ذكر أنه حاول الخروج من الجسد لمدة (٢١) يوم فمات؛ لأنه لم يأكل لمدة طويلة!. "الحاسة السادسة الإنسان وقواه الخفية" (٤٣-٥٤).

(٤) انظر حركة العصر الجديد للرشيد (٤٢٣).

وتتركز تمارين كتاب (الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات) على ممارسة الطاقة الكونية كل يوم ثلاث مرات لمدة (٤٩) يوم: كتمارين الاسترخاء التام[١]، والتأمل الشرقي، والتوقف عن التفكير[٢] "وزيادة الطاقة الكونية في الجسم وتنظيف وفتح الشاكرات"[٣]، "وتمارين اليوغا"[٤]، "وبرمجة العقل الباطن على صحة الإسقاط النجمي"[٥]. مع تأكيد ذلك بتوكيدات البرمجة العصبية[٦]، "ويكررها حتى يوهم نفسه أنه خرج من الجسد، تمارين التخيل"[٧]. ويقول المؤلف عن تماين عدم الخوف من الأصوات الأثيرية، أو الشعور بالتنميل في الجسم، أو الاهتزازات قبل النوم: "وهي تعتبر طبيًا نوع من اضطرابات النوم، وشعبيًا نوع من المس الشيطاني"[٨].

---

(١) الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات (٢١).

(٢) المصدر السابق (٥٧) (٢١، ٥٦).

(٣) المصدر السابق (٢١، ٣١، ٧١).

(٤) المصدر السابق (١٢١).

(٥) المصدر السابق (٣٠،٢٠).

(٦) المصدر السابق (٥٣) (٣٠، ٣٤).

(٧) المصدر السابق (١٤٦، ١٥٣).

(٨) المصدر السابق (٩، ٩٨، ١٥٢).

المطلب الرابع
حكم الإسقاط النجمي

انفصال الروح عن البدن بعد الموت من الأمور المتفق عليها عند المسلمين، أمَّا انفصال الروح من البدن في النوم فهذا قد اختلف فيه علماء الإسلام على قولين:

القول الأول: أنها لا تنفصل.

والقول الثاني أنها تنفصل، لكنه دون انفصال الموت كما قال الله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الزمر: ٤٢].

أمَّا خروج الروح بإرادة الإنسان فلم يقل به أحد من العلماء، قال ابن رجب في الآية السابقة: "دليل على أن قبض الأرواح من الأبدان لا يشترط له مفارقتها للبدن بالكلية، بل قد تقبض ويبقى لها به منه نوع اتصال كالنائم.

ويستدل بذلك على أن اتصال الأرواح بالأجساد بعد الموت لإدراك البدن النعيم والعذاب أو للسؤال عند نزول القبر لا يسمى حياة تامة، ولا مفارقتها للجسد بعد ذلك موتًا تامًا، وإلا لكان الميت يحيا ويموت في البرزخ مرارًا كثيرة"[(١)].

أمَّا فلسفة الإسقاط النجمي فهي قضية خطيرة على العقيدة؛ لأنها تشتمل على عدة عقائد وفلسفات مخالفة للشرع؛ كاعتقاد الاتصال بالعقل الكلي، وتناسخ الأرواح، بل اشتمالها في مستويات متقدمة على وحدة الوجود، وهذا كفر مخرج من الملة؛ فتظهر علاقة الإسقاط النجمي بوحدة الوجود في قولهم: إنَّ الجسم الأثيري عندما ينفصل عن الجسم المادي ينتقل من العالم المشهود إلى عالم الأثير، ويتحد بالعقل الكُلِّي الذي عنده العلم والقدرة جميعها.

---

(١) فتح الباري (٥/١٠٥).

كما ذكرت ذلك مجلة المعهد الغنوصي في لندن العدد السادس، عام ٢٠١٦م [١] في تقرير كتبه أشهر معلمي الغنوصية في القرن العشرين؛ وهو سمائل عون وير (Samael Aun Weor) [٢] عن عملية الخروج من الجسد والإسقاط النجمي؛ حيث ذكر الكاتب أنه من المهم تعلم الخروج من الجسد الفيزيائي للذهاب إلى عالم السموات والفضاء اللامتناهي؛ للحصول على المعرفة التامة لأسرار الحياة والموت... فبالخروج من الجسد نستطيع استحضار الملائكة!، والتحدث إليهم وجهًا لوجه، كما نستطيع تذكر حياتنا السابقة.

وأوضحت المجلة أن ذلك يتم في اللحظات الانتقالية بين الصحو والنوم.

كما ذكر الكاتب بعض المفاتيح الضرورية لتلك العملية والتي لا تتم إلا بها، وهي مانترات وتقنيات سحرية ...

وفي ختام المقال ذكر الكاتب أن "محفل الأخوية البيضاء" [٣] - وهو محفل دجلي خاص بالعقيدة الباطنية- يزعمون أن أرواح الحكماء مازالت حيه لتعمل على مساعدة البشرية... وذكر الكاتب أن المحفل يسعى جاهدًا لنشر الوعي واليقظة؛ عن طريق الإسقاط النجمي الذي يتيح للبشرية التعلم مباشرة من أسياد الحكمة (عالم الأرواح)، وإيجاد المعلم الذي يرشدها إلى الأسرار العظيمة. ودعا الكاتب إلى التخلص من

---

(١) يمكن تصفح المجلة على الرابط:
https://london-gnostic-institute.org/Abraxas_Magazine/Abraxas-Autumn-٢٠١٦/html٥forwebkit.html?page=٠
والمقال المقصود (٢٧-٣٨).

(٢) سمائل عون وير: كاتب ومؤسس الحركة الغنوصية ولد (١٩١٧م) وتوفي (١٩٧٧) له عدة كتب من أشهرها: الكتاب المقدس الغنوصي: كشف النقاب عن بيستيس صوفيا التعاليم السرية ليسوع كما سجلها تلاميذه.

(٣) يزعم الباطنيون أن الأخوة البيضاء العظيمة ناد يضم عددًا من نُخبة البشر عبر التاريخ فيجمعون بين الأنبياء كنبي الله موسى وعيسى عليهما السلام، ومن يعدونهم حكماء متنورين كبوذا وكونفوشيوس وفيثاغورس وكرشنا. الثيوصوفيا لعنتابي (١٢٢).

الخوف وتقوية النفس؛ لنتمكن من الدخول إلى معابد النور، والحصول على البهجة هناك حيث نجلس عند أقدام الساده العظماء في محفل الأخوية البيضاء؛ للحصول على التعاليم المباشرة من المعلم الروحي، فهو في انتظارنا دائمًا في جسده النجمي لإرشادنا"[١].

ويتضح من هذا المقال علاقة الإسقاط النجمي بالسحر والشياطين على لسان أحد معلمي الغنوصية.

فالإسقاط النجمي بُني على الإيمان بفكرة أن الكون والإنسان كلٌ واحد ووجود مترابط، واعتقاد وجود العقل الباطن بمعناه الفلسفي الذي هو جزء من الإله؛ أي جزء من العقل الكوني ومتصل معه مثل فكرة الصوفية بالاتصال باللوح المحفوظ، وادِّعاء علم الغيب؛ لأنهم يزعمون أن الإسقاط النَّجمي يمكنهم من الانتقال عبر المكان والزَّمان بالجسد النَّجمي، والمتصل بالجسد المادي، ويزعمون أنَّهم يكتسبون كُلَّ المعارف من خلال الجسد النَّجمي؛ عبر التأمل والتحكم بالنوم والذي نسميه بالإحلام لكنها بإرادة الإنسان بزعمهم، فتتضح له حقائق الأشياء ماضيها وحاضرها ومستقبلها،

تقول مها هاشم في لقاء تليفزيوني لها علي قناة دبي:" هناك علوم للطاقة خاصة بقدرة الإنسان مثل **التحكم بالأحلام**...فمثلاً جلستي الآن و أنا أشاهدك– تعني المذيعة - أنا كتبتها وبالتاريخ في مدونتي منذ عدة شهور؛ **رأيتها في الحلم**، و هي كما هي بدون تعديل في مدونتي. هذا ليس خيالاً، وإنما له طريقة علمية نصل إليه بها؛ و هنا قاطعتها المذيعة بإستنكار ودهشة قائلة: وهل الطاقة أيضًا هي التي تخبرك بمثل هذه الأشياء!؟. فتقول: إنها **تُتَعَلَمْ، فعن طريق شحن مراكز معينة بالطاقه قبل النوم** نحصل علي وعي أقوى **خلال النوم** "[٢].

وقد بين شيخ الإسلام علاقة الشياطين بأهل الخرافة كأصحاب الطاقة الكونية

---

(١) ترجمة هذه الفقرات مع التعليق من مقال: الإسقاط النجمي والمعرفة الغنوصية الباطنية.

(٢) برنامج مع نشوة - قناة دبي، الجسد النجمي، موقع سبيلي.

فقال: "وغايتهم أنهم يجعلون في أنفسهم شيئًا ويظنون أن ذلك موجود في الخارج؛ ولهذا تمدهم الشياطين، **فإن الشياطين تتصرف في الخيال وتلقي في خيالات الناس أمورًا لا حقيقة لها**، ومحققو هؤلاء يقولون أرض الحقيقة هي أرض الخيال"[(١)].

غير أن كثيرًا ممن يمارسون الإسقاط النجمي لا يعلمون حقيقته وصلته بعقائد الطاقة الكونية؛ كالتأمل الشرقي، والتوقف عن التفكير، جاء في كتاب"الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات": "لا يمكن القيام بإسقاط نجمي إلَّا إذا تم إسكات الدردشة العقلية الداخلية، وبقي العقل خاليًا من الأفكار والأحاسيس" [(٢)]، وزيادة الطاقة الكونية في الجسم وتنظيف وفتح الشاكرات كما جاء في كتاب"الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات":" قد يتسائل البعض عن علاقة تحفيز الشاكرات بالإسقاط النجمي ببساطة عند الخروج من الجسد **فالطاقة هي كل شيء**"[(٣)]، ومن عقائد الطاقة الكونية المتصلة بالإسقاط النجمي أيضًا "تمارين اليوغا"[(٤)]، "وبرمجة العقل الباطن على صحة الإسقاط النجمي"[(٥)]، مع تأكيد ذلك بتوكيدات البرمجة العصبية، يقول: "أنا أسعى لاكتشاف المستويات العليا للوعي، **أنا أتصل بهذه الرغبة بكامل جسدي وعقلي**، أنا أجذب الطاقة التي ستحول طموحي إلى حقيقة"[(٦)]، "ويكررها حتى يوهم نفسه أنه خرج من الجسد، تمارين التخيل"[(٧)]، وتمارين الاسترخاء التام[(٨)].

---

(١) الرد على المنطقيين (٣٠٩).

(٢) الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات (٥٧) (٢١، ٥٦).

(٣) المصدر السابق (٢١، ٣١، ٧١).

(٤) المصدر السابق (١٢١).

(٥) المصدر السابق (٣٠،٢٠).

(٦) المصدر السابق (٥٣) (٣٠، ٣٤).

(٧) المصدر السابق (١٤٦، ١٥٣).

(٨) المصدر السابق (٢١).

مناقشة فلسفة الإسقاط النجمي:

١- الجسد الأثيري مادة مطلقة عندهم لا حقيقة لها خارج الذهن، فليس ثمة ما يسمى بـ "الجسد الأثيري، ويستطيع أي شخص القول بمثل هذه الخرافات أو أعظم بلا برهان.

٢- الجسم الأثيري لم يثبت بالتجربة العلمية أو العقل أو الوحي؛ فمزاعم الإسقاط النجمي تتجاوز ما يمكن أن يجرب ويشاهد إلى ادعاء أمور غيبية لا تثبت إلا بالوحي.

٣- أوضح علماء الإسلام أن فكرة وجود روح أخرى للإنسان هي فكرة مرفوضة؛ لأن ذلك من الأمور الغيبية التي لا تُقبل تفاصيلها إلَّا عن طريق الوحي، والوحي لم يثبت للإنسان سوى روح واحدة؛ وعليه فالإسقاط النجمي خرافة لا دليل عليها.

٤- هل الإنسان يتحكم في الروح؟ قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

فالنفس تحل في البدن بواسطة نفخ الملك، ولا تفارق البدن إلا في الموت؛ وتكون مفارقة كبرى، أو النوم؛ وتكون مفارقة صغرى كما في حديث ابن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، **ثم يبعث الله ملكًا**، فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، **ثم ينفخ فيه الروح**"(١).

٥- يوهم الشيطان الإنسان أن في تلك الممارسات فوائد للحياة ليستمر بها.

٦- ما حدث مع عمر وسارية(٢) كان من قبيل الكرامات ؛للأولياء فهو خرق سمعي

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨)، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٤٣).

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة "كرامات الأولياء" (١٢٧/٩)، والبيهقي في ==

وبصري مخالف للعادة فالله ﷻ ألهم عمر وأبلغ صوته إلى الجيش كما أبلغ صوت ابراهيم عليه السلام إلى أهل الأرض جميعا، قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ ﴾ [الحج: ٢٧].

٧- يجب التفريق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء والخوارق الشيطانية؛ فمعجزات الأنبياء هي: أمر يجريه الله - تعالى- خارق لعادة الثقلين، مختص بالأنبياء، سالم من المعارضة. أمّا كرامات الأولياء فهي: أمر يجريه الله؛ لحجة أو حاجة، مختص بأوليائه، خارق لعادة غيرهم، سالم من المعارضة بمثله، أو أقوى منه، وشروطها: موافقة الكرامة للشرع، وحصول الإكرام فيها، وصحة وقوعها. وأمّا الخوارق الشيطانية فهي: **أمور مخالفة للشرع**، خارقة لعادة غير أهلها، ويمكن معارضتها بمثلها، أو أقوى منها[(١)]. وقد ذكر شيخ الإسلام أمثلة كثيرة للخوارق الشيطانية، وذكر منها ما كان من صور خدمة الشياطين لهم، قال:" ونحن نعرف من هؤلاء عددًا كثيرًا، وليسوا صالحين، بل فيهم كفّارٌ، ومنافقون، وفُسّاق، وجُهّال لا يعرفون الشريعة، والشياطين تحملهم، وتطير بهم من مكان إلى مكان، وتحملهم إلى عرفات؛ فيشهدون عرفات من غير إحرام، ولا تلبية، ولا طواف بالبيت. وهذا الفعل حرام. والجُهّال يحسبون أنّه من كرامات الصالحين، فتفعله الجن بمن يحب ذلك مكرًا به، وخديعةً، أو خدمةً لمن يستخدمهم من هؤلاء الجهّال بالشريعة، وإن كان له زهد وعبادة"[(٢)]. ومنها ما كان من صورة ترائي الشياطين لهم يقظة أو منامًا، قال:

==

"دلائل النبوة " (٣ / ٣٧٠) وابن كثير في " البداية " (٧ / ١٣١) وأخرون، وجاء هذا الأثر بأسانيد متعددة وكل إسناد لا يخلو من مقال بنحو أربعة طرق أصحها طريق يحي بن أيوب عن محمد بن عجلان وهو صدوق كما قال ابن حجر في التقريب (٤٩٦)، فصحح ابن تيمية هذا الأثر بمجموع طرقه، وضعفه آخرون. وانظر السلسة الصحيحة للألباني (١٠٢/٢)، مجموع الفتاوى (٣١٨/١١).

(١) موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من خوارق العادات، محمد بن ابراهيم الحمد (٦٠٩).

(٢) النبوات (٥٢٤/١).

"وكثيرًا ما يأتي الشخص بعد الموت في **صورة الميت** فيحدثهم، ويقضي ديونا، ويرد ودائع، ويخبرهم عن الموتى، ويظنون أنه هو الميت نفسه قد جاء إليهم، وإنما هو **شيطان** تصور بصورته"(١).

وقد سُئل فضيلة الشيخ عبدالرَّحمن بن ناصر البرَّاك:

فقد انتشر بين بعض النّاس ممارسة غريبة تُسمَّى "الإسقاط النجمي"؛ حيث يدّعي أصحابها أن للإنسان جسمًا "نجميًا" يرتبط بالجسم المادي بحبل فضي، ويمكنه الانفصال عن الجسم المادي، والتنقُّل في أرجاء العالم؛ بل بين المجرات عند بعضهم! فهل هذا ممكن شرعًا؟ وما حُكم خوض هذه التجربة ومحاولة تحقيقها، مع بسط الأدلة ما أمكن؟

وفيما يلي مزيد توضيح لـ "الإسقاط النجمي" أو "الخروج من الجسد"؛ ليعين فضيلتكم على تصور الممارسة بوضوح:

- الهدف مِن الممارسة: يختلف باختلاف المُمارس، وممَّا ذُكر: المتعة والفضول، التجربة الروحانية، معرفة سبب الوجود، وغير ذلك.
- من شبهاتهم:

- قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢]، فالنفس هي الجسم النجمي، تنفصل وتقوم برحلات حال النوم، فلا مانع من التحكم بهذا الخروج والوعي به.
- كما يعتبر بعضهم قصة عمر مع سارية ب دليلاً على الإسقاط النجمي.
- وقال بعضهم: إنّ الإسراء والمعراج هو نوعٌ مِن الخروج من الجسد.

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٣١٩).

- يحصل الخروج مِن الجسد - بزعمهم- في حال النوم، أو في حال الاسترخاء الشديد، مع بقاء العقل بكامل وعيه.
- الخروج عندهم خروج حقيقي، ليس نوعًا مِن التأمل ولا الخيال ولا الإيحاء.
- يمكن للجسم النجمي أن يتجول في العالم "البُعد المادي"، فيسمع ويرى ما يحدث في أي مكان، أو في العالم "البُعد النجمي أو الأثيري"، ويرى بعضهم أنه انعكاس للواقع وممزوج بالأفكار، وأنه يمكن الالتقاء بالأنفس الأخرى المتجولة.
- يقول أحدهم في وصف البعد الأثيري: "هذا البُعد يلتقط أفكارًا، وأحلامًا، وذكريات، وتقليعات كلّ كائن حيٍّ على وجه الأرض، ويحولها إلى حقائق وكائنات".
- يذكر بعض المدربين عددا من التمارين التي تساعد الإنسان على الخروج من جسده، منها:
  - الاسترخاء قبل النوم.
  - تذكُّر الأحلام بتفاصيلها.
  - ترديد بعض الترانيم مثل "ميم" لتحفيز ما يسمونه الطاقة وفتح "الشاكرات".
  - إطالة النظر في بعض الأجسام البسيطة.
  - التركيز على دقات القلب؛ حتى يشعر الإنسان بثقل تتلوه خفة.
  - الجلوس في مكان مألوف والتساؤل: أين أنا؟ ما هذا المكان؟ هل أنا في العالم الأثيري أو الواقعي؟
  - الاستيقاظ المتكرر أثناء النوم وتقطيعه.
- يسبق تجربة الخروج من الجسد حالةُ اهتزاز، يخرج بعدها الجسم النجميُّ ليذهب حيث يشاء.

هذا في المستويات الأولى، أما المستويات المتقدمة فلا تُنشر، وإنما يُدرب عليها مباشرة في دورات خاصة. فهذا ما قالوا، وما ترون في الجواب؟ حفظكم الله وسددكم.

فأجاب:

الحمدُ لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله؛ أمّا بعد:

فمصطلح "الإسقاط النّجمي" ظهر لي - بعد التأمّل والشّرح الوارد في السؤال- أنّه علمٌ فلسفيٌّ؛ أي: مِن علوم الفلاسفة؛ لأنّ مداره على النفس وقدراتها واتصالها بالبدن وانفصالها عنه، وهذه النّفس هي: الروح التي خلقها الله، وجعلها قوامًا لحياة البدن، ويسمّيها الفلاسفةُ "النفسَ الناطقة"، وهي عندهم من المجرّدات التي لا تقوم بها أيُّ صفة.

ولعلّ هذا المصطلح - الإسقاط النجمي- يمزج بين علم التنجيم، الذي يقوم على تأثير النجوم والأحوال الفلكيّة في الحوادث الأرضيّة، وعلم الرُّوحانيّة، الذي يُعنى به الفلاسفة. ولا ريب أنّ ما ذُكر في السؤال عما يُسمَّى بالإسقاط النجمي فيه حقٌّ وباطل، ويحصل الفرقان في ذلك بمعرفة ما قامت عليه الأدلّة مِن الكتاب والسنّة والعقل والفطرة، فكل ما وافقها فهو حقٌّ، وكل ما ناقضها فهو باطل، وما ليس مِن هذا ولا هذا: فهو محلّ نظرٍ وتردد.

وقد دلّ الكتاب والسنّة على أنّ الإنسان مركّبٌ مِن جسمٍ وروح، فالجسم: هو بدنه المحسوس المشاهد، وهو الذي خلقه الله أطوارًا: نطفة، فعلقة، فمضغة، حتى يكتمل خلقه وتصويره، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ ﴾ [آل عمران: ٦]، كل هذا يتعلّق بالجسم المحسوس المشاهد.

وأمّا الرّوح: فهي المخلوقة، التي تُنفخ في هذا الجسم بفعل ملَك الأرحام؛ كما دلّ على ذلك حديث ابن مسعود في الصحيحين، قال ﷺ بعد ذكر أطوار تكون الجسم:

(ثمّ يُرسلُ إليه الملكُ فينفخُ فيه الرّوحَ)، وبنفخ الرّوح في الجسم: يصير حيًا ويحصل له الإحساس والحركة، وكان قبل ذلك ميتًا، لاحسّ ولا حركة. وهذه الروح مع قربها واتّصالها ببدن الإنسان هي مِن عالم الغيب، لا يعرف النّاس مِن حالها إلّا ما دلّت عليه النّصوص، وما يظهر مِن آثارها على البدن.

وقد علم بدلالة الكتاب والسنّة أنّ الروح تتصل بالبدن وتنفصل عنه، فأوّل اتّصال هو ما يكون بنفخ الملك، وأعظم انفصال هو ما يكون بالموت، ودونه ما يكون بالنوم، وهو ما تشير إليه الآية الواردة في السؤال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].

ومما تقدّم يُعلم أنّ القول بأنّ الإنسان مركبٌ مِن جسمٍ مادي؛ وهو بدنُه، ومِن نفسٍ؛ وهي الروح: أنّ هذا القول حقٌّ، وهي مرتبطة بهذا البدن، أمّا تسميتها "بالجسم النّجمي" فهي تسميةٌ ترجع إلى اعتقاد باطل، وهو أنّ هذه النّفس تنشأ مِن إسقاط النّجم، وهذا يتفق مع ما يزعمه المنجِّمون مِن أنّ لكلّ إنسان نجمًا، وهي: الطوالع، فهذا طالعه سَعد، وهذا طالعه نَحس! وهو زعمٌ باطل، فالرّوح تحلّ في بدن الجنين بنفخ الملك كما تقدّم، ولا أثر للنجوم في وجود بدن الإنسان ولا نفسه.

ومِن الباطل مما ذُكر في شرح مصطلح "الإسقاط النجمي، والجسم النجمي" الأمور الآتية:

١- أن الجسم النجمي - كما يسمونه- مرتبط بالجسم المادي بخيط فضي! فهذا محضُ زعمٍ وخيال.

٢- دعوى أن الإنسان يتحكم في مفارقة روحِهِ - الجسم النجمي- لبدنه، وأنّها إذا فارقت البدن تتنقَّلُ في أرجاء العالم وفي الفضاء وبين المجرات! وكلّ هذا - بزعمهم- حقيقة لا في نوم ولا خيال، بل هذا الزعم هو الباطل والخيال، والحقُّ أن الرّوح لا تفارق البدن إلا بالموت أو النوم؛ ففي الموت يكون الفراق كليًا، وفي النوم تفارقه نوعًا وقدْرًا مِن المفارقة، وبهذا يُعلم أنّ ما يُسمَّى: بعلم "الإسقاط النجمي" مزيجٌ من

الكذب والخيال، ومن بعض مذاهب الفلاسفة والمنجمين، ومِن الباطل العملي المتعلق بمفارقة الروح ما ذُكر عن بعض المدربين من الوسائل التي تساعد - بزعمهم- على مفارقة الروح للبدن، وهي أشبه ما تكون بطرائق السّحرة والمشعوذين.

٣- دعوى بعضهم أن قصة عمر المشهورة مع القائد سارية هي مِن قبيل تصرف الروح "الجسم النجمي" عند مفارقتها الجسم المادي! وهذا يناقض ما عليه علماء الإسلام؛ فعندهم أنّ قصة عمر هذه مِن قبيل كرامات الأولياء، مِن نوع الخارق الكشفي البصري والسّمعي؛ فعمر رأى، وسارية سمع، مع بُعد ما بينهما، وقد أصبح ذلك واقعًا بالتجربة كما في وسائل الاتصال والتواصل البصري والسّمعي في هذا العصر.

٤- دعوى بعضهم أن الإسراء والمعراج هو كذلك مِن مفارقة الروح للبدن، وعليه فالرسول ﷺ إنما أُسري وعُرِج بروحه، والصّواب عند المحققين أنّ الإسراء والمعراج كانا يقظةً لا منامًا، وكان بشخصه ﷺ بروحه وجسده؛ كما قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١]، والعبد: اسم لمجموع الرّوح والبدن، وهذا أدل على القدرة الإلهّية والفضيلة النّبوية.

إذا عُلِمَ ما تقدّم؛ فإني أقول: لا يجوز تعلُّم هذا العلم الذي يسمى "الإسقاط النّجمي"، ولا تعليمُه، ولا ممارسته، ومَن يفعل ذلك فهو مِن المفسدين، ويجب الإنكار على محترفيه والداعين إليه، والله أعلم[1].

---

(١) الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ عبدالرّحمن بن ناصر البرّاك، في السابع عشر من محرم الحرام ١٤٣٨هـ.

https://sh-albarrak.com/article/٢٢٠٨.

المبحث الخامس

مظاهر وحدة الوجود في العلاج بالريكي والبرانا

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: مفهوم العلاج بالريكي، والبر انا.
- المطلب الثاني: الأصول المشتركة بين العلاج بالريكي والبرنا، والفروق بينهما.
- المطلب الثالث: حكم الريكي والبر انا.

المطلب الأول

مفهوم العلاج بالريكي، والبرانا

أ. مفهوم الريكي.

كلمة "ريكي" مشتقة من كلمتين "ري" بمعنى كونيّ، و"كي" وتعني طاقة قوة الحياة، فيصبح معنى الكلمتين: طاقة الحياة الكونية، ويقوم مفهوم العلاج بالريكي على الإيمان بفلسفتين هما:

١- فلسفة الطاقة الكونية، وأنها موجودة في كل مكان.

٢- فلسفة الجسم الأثيري "الهالة"، وما يتصل به كالشاكرات.

ونتج عن هاتين الفلسفتين العلاج بالريكي؛ وهو محاولة محاكاة معجزات الأنبياء؛ لأنها مكتسبة عندهم، فيمكن - بزعمهم- شفاء المرضى بمجرد المسح على المريض بيده كمعجزة نبي الله عيسى عليه السلام، وإكساب متدرب الريكي قوة الشفاء الذاتية.

فالهالة تؤثر عندهم في الجسد المادي فيمرض، فلا يوجد مرض عضوي فقط، بل لابد عندهم أن يكون سببه مرضًا طاقيًا[(١)]، ويكون العلاج بفتح الشاكرات؛ لاستقبال الطاقة الإيجابية، وتخليص الجسم من الطاقة السلبية. ويمكن العلاج عن بعد بالريكي، جاء في كتاب (الريكي للمبتدئين) تحت عنوان: الشفاء عن بعد: "يمكننا أن نرسل الريكي للأشخاص الذين يحتاجون إليه ببساطة؛ بأن نتخيلهم في كف أيدينا، أو نتخيل أننا نضع أيدينا على أجزاء جسمهم... وأحيانًا يكون **بإمساك صورة لهم، مكتوب على ظهرها اسمهم مساعدًا لكي يوجد صلة أقوى معهم**"[(٢)].

والسؤال هنا: ما الفرق بين هذا الكلام وما يفعله السحرة والمشعوذون؛ من الزعم

---

(١) انظر المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة (٧٨).

(٢) الريكي للمبتدئين ديفيد إف. فينلس (١٣٢،١٩).

بالعلاج عن بعد مع إحضار صورة للمريض.

ويعود اكتشاف العلاج بالريكي إلى المعلم الياباني: "ميكاو يوسوي"[(١)]، الذي حاول محاكاة ومعرفة سر معجزات نبي الله عيسى عليه السلام في العلاج، وأرجعها إلى قوانين الطاقة الكونية[(٢)].

ب- مفهوم العلاج بالبرانا.

يرى فلاسفة الشرق - كما سبق- أن الوجود صدر عن مبدأ أول كلي مطلق، يُسمى عند الهندوس ببرهمان، وعند الطاوية بالطاو، وهذا المبدأ الكلي في الحقيقة عدم لا وجود له إلَّا في أذهانهم؛ لأن الموجودات في خارج الذهن هي أمور معينة، فكل موجود له حقيقة تخصه يتميز بها عما سواه لا يشركه فيها أحد، وعن المبدأ الأول عند الطاوية صدر طاقة تشي، وعن تشي صدر الين واليانغ، وعنهما العناصر الخمسة وباقي الموجودات.

وعند الهندوسية صدر عن "برهمان المطلق" طاقة البرانا؛ وهي العلة المؤثرة في الكون، والتي تدبره، وتتصرف فيه وتسري في كل ذرة من ذراته، وباتحاد الإنسان معها تمنحه كل شيء[(٣)].

---

(١) ولد ميكاو يوسوي عام (١٨٦٤م) باليابان، وتربى على يد بعثة مسيحية ودرس الإنجيل وأراد أن يكتسب موهبة الشفاء كمعجزة نبي الله عيسى عليه السلام، ولم تقنعه إجابات الكنيسة فذهب إلى أحد الكهنة لعيش معه في صومعته ومكث عدة سنوات فاقتنع أن ملكة الشفا داخل نفسه، فاعتكف بجبل يحتوي بزعمه قدر هائل من طاقة الحياة وفي احدى الأيام جاءه نور واصطدم به وفقد وعيه، وعند عودته اصطدم إصبع قدمه بصخرة ونزفت قدمه وعندما أمسك قدمه التأم الجرح وحقق معجزة الشفا بزعمه، توفي عام ١٩٣٠م. الريكي للمبتدئين (٣٠).

(٢) انظر المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة (١٣).

(٣) انظر الأوبانيشاد ترجمة عبدالسلام زبان (٧٧)، والفكر الشرقي القديم لجون كولر (٩٨)، والفكر الشرقي ليونج شوون (٣٤)، نقلا عن التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية (٦٢)، وفلسفة الطاقة الكونية (١٠٢).

يقول ديباك شوبرا عن طاقة البرانا: "إنها الطاقة الأساسية التي تنعش وتنشط الجماد وتحوله إلى مخلوقات بيولوجية حية ومتطورة... من وجهة اليوغا فإن الفرق بين الكائن الحي والميت حضور البرانا أو الطاقة الحيوية"(١).

والعلاج بالبرانا هو اسم جديد لنوع من العلاج الشرقي القديم، تمت صياغته بطريقة حديثه، ويعتمد على فلسفة الطاقة الكونية؛ كالتأمل التجاوزي لاستجلاب طاقة البرانا، والشاكرات، وتوازن الين واليانغ، والجسم الأثيري.

ومؤسس هذه الطريقة تشو كوك سوي، الذي يزعم أن معجزات الأنبياء هي الشكل الأرقى من المعالجة البرانيَّة ويقول: "الطاقة الإلهية تمر عبر الكائنات العليا: الكائنات الملائكية العليا، الأنبياء العظماء، أو مجسدو الآلهة، المعلمون المقدَّسون... ثم إلى روح المُعالِج، فجسمه الأثيري، ثم إلى جسم المريض الأثيري والعضوي"(٢).

طريقة العلاج بالبرانا:

يضع المعالج يده على موضع الألم من جسد المريض بدون لمس، ويتخيل أن قوة البرانا تفيض من يديه إلى ذلك الموضع، فتنظفه من الطاقة الممرضة السالبة، وتدفق فيه الطاقة الشافية "البرانا"؛ فيتم الشفاء في الحال. بل يمكن العلاج عن بعد بالبرانا إذا كان المعالج متمرسًا، يقول تشو كوك سوي: تحت عنوان: المعالجة الجماعية عن بعد: "من المفترض أن يكون لدى المعالج صورًا للمرضى. في الموعد والتاريخ المحددين اتجه نحو الصور، والمس كل واحدة منها. هذا لتأسيس روابط أثيرية قوية مع المرضى"(٣).

---

(١) القوانين الروحية السبعة لليوغا (٦٥).

(٢) انظر المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة (٣٥٥)، وأثر الفلسفة الشرقية في برامج التدريب (٦٠).

(٣) المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة (٣٦٢)، وانظر الكامل في اليوغا (٢٥٨، ٢٩٦)، وأثر الفلسفة الشرقية في برامج التدريب (٦٠).

وجاء في كتاب أعمدة اليوغا الثمانية: "إن التحكم بالبرانا يعطي سيطرة على جميع موجودات الكون... وإن الفن الشعبي في الصين واليابان في وخز الإبر[(١)] ليس إلا شكلاً آخر من أشكال استعمال البرانا. فوخز الإبر يهدف إلى إيجاد توازن بين القوة الموجبة يانغ والقوة السالبة ين"[(٢)].

ويحاول بعض الممارسين لفلسفة العلاج بالبرانا أو الريكي من المسلمين صبغ هذه الفلسفة بصبغة إسلامية؛ بجعل طاقة البرانا من مخلوقات الله.

وهذا ما أوقعهم في التناقض والاضطراب، فأين الدليل على وجود طاقة البرانا من الوحي أو العقل أو الحس؟ وأين الدليل من الكتاب أو السنة أنها من مخلوقات الله كما زعموا؟

وتجدهم متناقضين في التطبيق، ومن ذلك دعوتهم إلى الاتحاد بطاقة البرانا، وماهي إلا دعوة إلى عقيدة وحدة الوجود كما سيأتي بإذن الله.

---

(١) تقول د. فوز كردي: "العلاج بالإبر الصينية نوع من العلاج الصيني الأصل يختلط فيه العلم بالدجل والكفر ، وملخصه اعتقاد وجود جسم أثيري عليه نقاط محددة يتصل من خلالها بالطاقة الكونية ويستمدها للشفاء ، وهذه النقاط تتطابق مع مسارات الأعصاب على الجسم البدني وبعض مواقع الغدد اللمفاوية والغدد وعند وضع الإبرة يعتقدون أنها تحرر مسار الطاقة وتجعله جاهزا لتلقي طاقة الشفاء ، وهي كتطبيق علاجي يمكن أن يستفاد منها إذا فصلت عن فلسفة الجسم الأثيري والطاقة الكونية ، وتحددت النقاط التي لها حقيقة في الجسم البدني كالأعصاب والغدد . ومن هذا الوجه جاءت فتاوى جوازها، أما إذا كان المعالجون يدخلون فلسفة الطاقة الملحدة في عقيدة المرضى فهي بلا شك تصبح من العلاجات المحرمة". البرمجة اللغوية العصبية وعلوم الطاقة فكر دخيل أم دين جديد؟ لقاء مع د. فوز كردي.

(٢) أعمدة اليوغا الثمانية (٢٠١).

المطلب الثاني

الأصول المشتركة بين العلاج بالريكي والبرنا، والفروق بينهما

أ- الأصول المشتركة بين العلاج بالريكي والبرانا:

العلاج بالريكي والبرانا يعدان نتاج بيئة ثقافية فلسفية واحدة، وتستند أصولهما على الفلسفات الشرقية؛ كالعلاج بالطاقة الكونية، والشاكرات، والجسم الأثيري، والتأمل الشرقي، وغيرها[١].

ب- الفروق بين العلاج بالريكي والبرانا عند أصحاب الطاقة:

١- العلاج بالريكي يكون فيه ملامسة جسم المريض، ولكنه ليس شرطًا عندهم[٢]، بينما في البرانا يضع المعالج يده على موضع الألم من جسد المريض بدون لمس، ويتخيل أن قوة البرانا تفيض من يده إلى ذلك الموضع.

٢- في العلاج بالبرانا يقوم المعالج أولاً بتنظيف الهالة من الطاقة السالبة المريضة قبل شحن الطاقة الإيجابية[٣]، بينما المعالج بالريكي يقوم بشحن الطاقة الإيجابية بدون تنظيف حتى تخرج الطاقة السلبية.

٣- في العلاج بالبرانا يستمد المعالج الطاقة لشحن المريض من الشمس، والشجرة، والهواء، أو الطاقة المقدسة مباشرة[٤]، بينما في الريكي لا يستمد المعالج الطاقة من الخارج، بل من طاقته؛ أي المُعالج هو الذي يعطي الطاقة.

---

(١) انظر الريكي والبرانا عرض ودارسة في ضوء العقيدة الإسلامية (٥٧).

(٢) الريكي للمبتدئين (١١٥).

(٣) انظر المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة (٦٥، ٧٨).

(٤) انظر أثر الفلسفة الشرقية في برامج التدريب (٦١).

وهذه الأصول المشتركة والفروق مزاعم لا دليل عليها من الوحي أو العقل أو الحس.

بل يلاحظ الناقد كم من الوهم يحمله من يدعي ذلك؛ كاستخدام اليدين في إزالة أمر لا يراه ولا يشعر به عموم الناس، ثم مرحلة الشحن بالطاقة[1].

---

(١) انظر الريكي والبرانا عرض ودارسة في ضوء العقيدة الإسلامية (٢٤).

المطلب الثالث

حكم الريكي والبرانا

يشتمل العلاج بالريكي والبرانا على فلسفات خطيرة مخالفة للشرع:

١- أعظمها عقيدة وحدة الوجود، وأن الطاقة مبثوثة في كل ذرة من ذرات الكون؛ فعلى ممارس الريكي استمدادها، والاتحاد معها، وتحقيق توازنها عند الإنسان، ويُدرب في مستوياته العليا على كيفية تدفق الطاقة في الجسم للوصول إلى النرفانا[١]، يقول طلال خياط؛ وهو من الذين يحاولون أسلمة علوم الطاقة: "تدرب... تدرب فيما الكي تتدفق في داخلك حتى **تتصل بالعقل الفعال**"[٢]، فهل يعي خطورة ما يقول.

وجاء في كتاب الريكي للمبتدئين: "ندرك في هذه اللحظات كم نحن ضئيلين ولا نعرف إلا القليل عن جوهر الريكي، تمامًا كحبة المطر بالنسبة للمحيط لهما نفس الطبيعة، **وفي النهاية يمتزجان معًا، ويصبحان شيئًا واحدًا**"[٣].

وجاء فيه أيضًا: "الهدف الأساسي للريكي هو تحسين نوعية وقوة طاقاتنا الداخلية؛ عن طريق **دمجنا في طاقة قوة الحياة الكونية**"[٤].

ويذكر "تشو كوك سوي" مبادئ البرانا قال: "المبدأ الثالث عشر؛ مبدأ الترابط: يرتبط جسم المريض بجسم المعالج كل مع الآخر؛ لأنهما جزء من الجسم الطاقي

---

(١) الريكي للمبتدئين (٢٠).

(٢) انظر مذكرة المستوى الأول ريكي دي جو للمدرب طلال خياط. ويعتبر طلال خياط أمين عام جمعية سعودي ريكي.

http://www.saudireiki.net/

(٣) الريكي للمبتدئين (١٣١)، وانظر أثر الفلسفة الشرقية في برامج التدريب (٤٧).

(٤) الريكي للمبتدئين (٧٣).

الأرضي. وعلى المستوى الأكثر شفافية، يعني هذا أننا جزء من النظام الشمسي. إننا مرتبطون مع الكون برمته. يُدعى هذا المبدأ أيضًا مبدأ الاتحاد"[1].

٢- الاستغاثة بغير الله كأرواح الأموات أو الملائكة، يقول المعلم تشو كوك سوي: "لما كان العديد من التقنيات المتقدمة في هذا الكتاب قوية جدًا؛ فإنه من المفضل طلب البركة الإلهية، ومساعدة الكائنات العظيمة ومرشديك الروحيين، لمساعدة وحماية المريض من الأخطاء المحتملة عند القيام بالمعالجة البرانيَّة"[2]، وذكر صورًا من طلب الشفا من غير الله عز وجل[3].

٣- ادعاء القدرة على امتلاك معجزة الأنبياء عبر الرياضة والتأمل الشرقي.

٤- ممارسة طقوس وثنية كتعويذات مانترا أوم أو نحوها؛ لاكتساب القدرة على معالجة الذات والآخرين[4].

---

(١) المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة (٦٩).

(٢) المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة (٩٨).

(٣) الصدر السابق (٣٥٩).

(٤) الريكي للمبتدئين (١٨٠).

الفصل الرابع

مناقشة الأصول التي بنى عليها فلاسفة الطاقة الكونية القول بوحدة الوجود

وفيه نتناول مناقشة الأصول الآتية:

- الأصل الأول: المعدوم شيء وهو مصدر الوجود.
- الأصل الثاني: الكليات موجودة في الخارج كلية.
- الأصل الثالث: التفريق بين الوجود والماهية.
- الأصل الرابع: المعرفة الحقيقة عندهم تكون بالاتصال مع المطلق، أو بالحدس ومن شروطه إهمال العقل.

يرى معظم فلاسفة الشرق و فلاسفة اليونان ومن تأثر بهم من أصحاب الطاقة الكونية المعاصرين أن الوجود صدر أو انبثق عن مبدأ أول كلي مطلق، جاء في قصة الحضارة: "يتوق معظم الفلاسفة للكشف عن الواحد المستتر وراء الكثرة، وعن وحدة تثبت العقول، ونظام بين ما في العالم من زحام وفوضى وكثرة"[(١)].

ويُسمى هذا المبدأ الكلي عند الهندوس برهمان، وعند الطاوية الطاو، وعند المدرسة الأيلية الماء أو الهواء واللامتعين أو النار، وعند أفلاطون وأرسطو وأفلوطين المبدأ الأول أو العلة الأولى.

---

(١) قصة الحضارة (٦/ ٢٦٣).

وهذا المبدأ الكلي في الحقيقة عدم لا وجود له إلَّا في الأذهان ؛ لأن الموجودات في خا الذهن هي أمور معينة، فكل موجود له حقيقة تخصه يتميز بها عما سواه لا يشاركه ف أحد، وهو عندهم أيضًا لا يوصف بأي صفة ثبوتية كالخلق والإرادة ونحوها؛ لأنها بزعمهم- تحد من كماله، وقالوا: إن هذا الواحد المطلق لا يصدر عنه إلَّا واحد، و تصدر عنه الكثرة؛ فألجأهم ذلك إلى القول بالوسائط بين الواحد والكثرة، فقالوا بفكر مراتب الفيض؛ بمعنى أن الكون يفيض عن المطلق من خلال مراتب متتالية، تتغ أسماؤها بحسب المعتقد والفلسفة ولغة أهلها.

ففي الفلسفة الطاوية صدر عن المطلق (الطاو) طاقة تشي، وعن تشي صدر الين واليانغ، وعنهما العناصر الخمسة وباقي الموجودات.

وفي الفلسفة اليونانية عمومًا صدر عن المطلق (الذي هو المبدأ الأول) العقل الأول، وعن العقل الأول صدر ثالوث مؤلَّف من عقل ونفس وفلك، وعنها باقي الموجودات، كما تقدم تفصيله.

فمبدأ الخلق والتأثير في الكائنات هو مشكلة الفلسفة قديمًا وحديثًا، ما العلة المؤثرة في الكون؟ ومن أين أتى التخصيص والإيجاد في الكائنات؟

فجاء طاليس بفكرة النفوس أو الأرواح المبثوثة في الكون، التي هي المبدأ الفعال المؤثر في الكون، الذي يدبره، ويتصرف فيه، ويسري في كل ذرة من ذراته.

وهي طاقة البرانا في الهندوسية والبوذية، والتشي في الصين، والكي في اليابان.

والطاقة الكونية عند فلاسفة الطاقة المعاصرين، وباتحاد الإنسان معها تمنحه كل شيء.

وقد بنى فلاسفة الطاقة الكونية قولهم بوحدة الوجود على عدة أصول - بزعمهم- بعضها مأخوذة من فلسفات مختلفة شرقية ويونانية، وبعضها من غلاة الصوفية المنتسبين إلى الإسلام، وسنتناول مناقشتها بإذن الله تعالى فيما يلي:

الأصل الأول: قولهم إن المعدوم شيء وهو مصدر الوجود:

يقرر فلاسفة الطاقة الكونية إن مصدر الوجود هو العدم، ويسميه واين داير التاو كما في الفلسفة الطاوية، ويصفه بأنه لا صورة له، يقول واين داير شارحًا التاو والأحدية عند الطاوية: "يشرح البيت الافتتاحي من كتاب (تاو تي تشينغ) أن التاو الذي يُمكن تسميته **ليس هو التاو المطلق**. بعبارة أُخرى ما إن تُطلق عليه اسمًا حتى يضيع؛ لأنّنا بذلك نخلق انقسامًا: الأحدية تعني الواحد وحسب.. في اللحظة التي نُميزه أو نُطلق عليه اسمًا يُصبح شيئًا آخر، شيئًا مُنفصلاً، وبالتالي لم يعُد وحدة واحدة"[١].

ويقول واين داير مجيبًا عن سؤال: من أين أتيت؟: "تقصّ علينا نصوص تاو تي تشينغ أنّ كل الوجود نشأ من **العدم**"[٢]. ويقول أيضًا: "أحد الإجابات من أين أتينا؟ هو: من اللامكان، من العدم"[٣].

ويقرر إكهارت تول فلسفة ابن عربي عندما يصف اللامتجلّي بأنه المطلق التاو عند الطاوية الذي فاض عنه طاقة تشي، ويصفه بأنه منتشر في كل مكان حتى في عواء الكلب[٤]. قال: "يعرف اللامتجلي ذاته من خلال العالم، وبالنهاية من خلالك. وأنت هنا لتسمح للهدف الإلهي من الكون أن يظهر للعيان"[٥]. وهذا عين قول ابن عربي أن الله يتجلى في الكائنات.

ويقول أيضًا: "اللاشيء - الفضاء- هو ظهور اللامتجلي في العالم الحسي كظاهرة خارجية"[٦].

---

(١) النقلة (٤٣،٤٤).

(٢) النقلة (٢٦، ٢٦، ٢٩).

(٣) النقلة (٤١)، وقد سبق نقل كلامه كاملاً في الباب الثاني الفصل الثاني.

(٤) قوة الآن (١٣٥).

(٥) المصدر السابق (١٤١).

(٦) المصدر السابق (١٣٧) وقد سبق بيان فلسفة اكهارت تول مع مزيد نقل من كلامه في الباب الثاني الفصل الثاني (٢٦٣).

ويقول صلاح الراشد: "فرغ عقلك من الأفكار. اتصل بالعدم. العدم (اللاموجود) أصل الموجود. كن في الفنا"[١].

فالمطلق والعدم واللاوجود تعبيرات لشيء واحد، لا وجود له خارج الذهن.

قالت د. هيفاء: "إن العدم هو من الأسماء التي أطلقها فلاسفة الشرق على المبدأ الأول، وهو ما لا يمكن تصوره؛ إذ لا بد للعدم الحقيقي من صانع خارج عنه، يحيله إلى الوجود، وهو ما لا يعترفون به.

والذي يظهر أنهم إنما عبروا بالعدم لوصف ما يرون عدم إمكانية وصفه، فهو المادة الأولية للكون؛ بدليل أنه تكتل فأصبح "القوة"، و"الوجود المحسوس"، وغيرها من التعبيرات التي تدل على أنه الصورة المبدئية للوجود"[٢].

فهل المعدوم شيء؟

يرى فلاسفة الشرق أن المعدوم يعتبر شيئًا خارج الذهن، وهذا مذهب بعض فلاسفة اليونان؛ ومنهم أفلاطون، بدا ذلك جليًا في حديثه عن المثل، التي هي أجناس الأشياء (كليات)، والتي يعتبرها موجودة خارج الذهن، ومستقلة عن جزئياتها. ومن هؤلاء الفلاسفة أيضًا أرسطو الذي يرى أن الكليات موجودة في الخارج مقارنة للجزئيات.

وهذه النظرية اشتهرت عن ابن عربي كما سبق. وقال بها قبل ابن عربي بعض المعتزلة، وإن لم يكونوا -أي المعتزلة- موافقين لابن عربي في مذهبه، ولم يلتزموا بلوازم هذا المذهب كالقول بقدم العالم، وقد بين ذلك شيخ الإسلام في قوله: "لكن هؤلاء [المعتزلة] - وإن ابتدعوا هذه المقالة [المعدوم شيء ثابت في العدم] التي هي باطلة في نفسها، وقد كفرهم بها طوائف من متكلمة السنة- فهم يعترفون بأن الله خلق وجودها [أي المعدومات]، ولا يقولون إن عينَ وجودِها عينُ وجودِ الحق. وأما صاحب

---

(١) كتاب: علامة الشرق لاوتزو، لصلاح الرشد (٢٧).

(٢) التطبيقات المعاصرة (١٥١).

الفصوص[1] وأتباعه فيقولون: عينُ وجودِها عينُ وجودِ الحق"[2].

وترجع أدلة القائلين إن المعدوم شيء ثابت في العدم إلى أصلين:

الأصل الأول: التفريق بين الماهية والوجود، فوجود كل شيء غير ماهيته؛ أي أن الوجود صفة زائد على الماهية التي هي حقيقة الشيء، وسيأتي مناقشة ذلك.

الأصل الثاني: الخلط بين مقام الوجود الذهني ومقام الوجود العيني الخارجي؛ فقد أطلقوا القول إطلاقًا يشمل المقامين، وبهذا يكون أساس الرد عليهم هو تحقيق التفريق بين الوجودين -الذهني، والخارجي- وبإبطال التفريق بين ماهية الشيء ووجوده، وهذا سيأتي بيانه عند إبطال أصلهم الثاني. وسأكتفي هنا بذكر أبرز دليل عند غلاة الصوفية وأتباعهم من أصحاب الطاقة الكونية.

عندما نظروا إلى بعض النصوص الشرعية أو الأحكام العقلية التي عُلِّقت بالوجود الذهني أجروها على الوجود الخارجي؛ كاستدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل:٤٠].

ووجه الاستدلال عندهم: أن الله -عز وجل- سمى المعدوم شيئًا قبل أن يوجد؛ فدلت الآية على أن المرادَ الذي يريد الله أن يكون هو شيء، وهذا المراد معدوم (عند إرادته وقبل إيجاده)، مما دل على أن المعدوم شيء.

والجواب عن قولهم بمقامين: إبطال الدليل، وقلب الدليل.

أما إبطال الدليل فهو أن المراد إيجاده -المعدوم حين إرادته- يكون شيئًا في العلم والتقدير، لا في الوجود والخارج.

وأما قلب الدليل، فالآية حجة عليهم؛ لأن المعدوم عندهم ثابت (في العدم)؛ وعليه

---

(١) فصوص الحكم، فص حكمة نفثية في كلمة شيثية (٦٠، ٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/١٤٤).

فالمقصود بالإرادة في الآية إرادة وجود الشيء، لا إرادة الشيء نفسه. وقد نصت الآية على أن الشيء نفسه هو المراد؛ فالآية تقول ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾، ولم تقل إذا أردنا وجوده؛ ثم إن ثبوته في العدم مناقض لقوله: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ؛ إذ لو كان ثابتًا لما افتقر إلى التكوين، فهم لا يفرقون بين الشيء قبل إيجاده والشيء بعد إيجاده، بينما الآية قد فرقت بينهما؛ فالمعدوم الذي لم يوجد هو شيء في علم الله لا في الخارج والأعيان، وأمَّا ما وُجد منه فهو شيء في الخارج والأعيان.

قال شيخ الإسلام:" وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ قد استدل به من قال المعدوم شيء، وهو حجة عليه؛ لأنه أخبر أنه يريد الشيء، وأنه يكوِّنه، وعندهم أنه ثابت في العدم وإنما يراد وجوده لا عينه ونفسه، والقرآن قد أخبر أن نفسه تراد وتكون"[(١)].

ومن ثمَّ فالمعدوم ليس بشيء في الخارج، قال شيخ الإسلام: "والذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة **عقلاء بنى آدم من جميع الأصناف** أن المعدوم ليس في نفسه شيئًا، وأن ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع القديم"[(٢)].

وقد قرر شيخ الإسلام بطلان دعوى أرسطو القائلة بـ"تركيب الأجسام من المادة والصورة اللّذين هما جوهران قائمان بأنفسهما"[(٣)]، ثم قال: "ومن المعلوم أن قول من يقول: إن هذه المادة المدعاة جزء للجسم يمكن تجردها عن الصورة شبيه بقول من يقول: المعدوم شيء ثابت ثبوتًا مجردًا ليس وجوده"[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥٧/٢)، وانظر بحث مسألة: هل المعدوم شيء، أم لا؟ لتميم القاضي، http://www.al-aqidah.com/art/s/٣٥٠، وانظر الحد الأرسطي أصوله ولوازمه (٣٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٣/٢)، والحد الأرسطي أصوله ولوازمه (٣٨٠).

(٣) بغية المرتاد (٤١٦) (١٢٧).

(٤) المصدر السابق.

==

وبيّن منشأ الخطأ عندهم فقال: "يعمدون إلى الشيء الواحد المعلوم واحدًا بالحس والعقل يجعلونه اثنين؛ إذ كان له وجود عيني ووجود ذهني، فظنوا أن الذهني خارجي"[(١)].

وذكر شيخ الإسلام أيضًا أن الصواب أن يقال لهم: ما مرادك بشيئية المعدوم؟ لأنها قد تطلق ويراد بها أحد المرتبتين التاليتين:

المرتبة الأول وهي مرتبة الثبوت والوجود الذهني والعلمي؛ فيكون المراد أن المعدوم كان شيئًا في علم الله وكتابته ومشيئته.

والمرتبة الثانية: وهي مرتبة الثبوت والوجود العيني الخارجي الحقيقي، ومعناها أن المعدوم كان شيئًا في الخارج؛ أي أن كل حقائق الممكنات أو الموجودات لم تكن قبل ظهورها عدمًا، وإنما كانت ثابتة متحققة ثبوتًا خارجيًا، لا ذهنيًا فحسب.

بهذا التفصيل يزول الإشكال؛ فإن القول بأن المعدوم شيء ثابت، إن أريد به المرتبة الأولى -أي أن المعدوم شيء ثابت في العلم والذهن، أو أنه شيء باعتبار ما سيؤول إليه- فهذا المعنى صحيح، وإن كان في العبارة توسع، فيقال إن الشيء المعدوم قد يكون ثابتًا وموجودًا، لكن في العلم والذهن[(٢)]، وإن أريد به المرتبة الثانية - بأن

==

وقد أورد المستشرق الإيطالي سانتلانا في كتابه الوجود عددًا من الإشكالات والأسئلة التي تبين تناقض أرسطو واضطرابه في المادة والصورة وفي الكليات وفي المبدأ الأول، وانظر نظرات عقدية في تاريخ الفلسفة اليونانية علي الدخيل الله، مجلة جامعة الملك سعود م١٩(٧٢٠).

(١) المصدر السابق (٤١٧).

(٢) وهم يخصون هذه الأحكام بالمعدوم الممكن، أما المعدوم المتنع فليس كذلك عندهم، فإنه ليس بشيء باتفاق العقلاء، قال شيخ الإسلام: "فأما المعدوم الممكن الذي لا يكون فمثل إدخال المؤمنين النار وإقامة القيامة قبل وقتها وقلب الجبال يواقيت ونحو ذلك فهذا المعدوم ممكن وهو شيء ثابت في العدم عند من يقول المعدوم شيء ومع هذا فليس بمقدر كونه، والله يعلمه على ما هو عليه يعلم أنه ممكن وأنه لا يكون.

==

يُجعل المعدومُ شيئًا ثابتًا في الخارج بنفسه- فهذا باطل[١].

==

وكذلك الممتنعات مثل شريك الباري وولده فإن الله يعلم أنه ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص:٣] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤] ويعلم أنه ليس له شريك في الملك ولا ولي من الذل ويعلم أنه حي قيوم ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥] ويعلم ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ٣]. وهذه المعدومات الممتنعة: ليست شيئًا باتفاق العقلاء مع ثبوتها في العلم، فظهر أنه قد ثبت في العلم ما لا يوجد وما يمتنع أن يوجد إذ العلم واسع؛ فإذا توسع المتوسع وقال المعدوم شيء في العلم أو موجود في العلم أو ثابت في العلم فهذا صحيح، أما أنه في نفسه شيء فهذا باطل؛ وبهذا تزول الشبهة الحاصلة في هذه المسألة" مجموعة الرسائل والمسائل (١٤/٤)، وانظر مجموع الفتاوى (١٥٥/٢).

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٥٥/٢-١٥٩)، وبحث مسألة : هل المعدوم شيء، أم لا ؟ لتميم القاضي، http://www.al-aqidah.com/art/s/٣٥ .

الأصل الثاني: دعواهم أن الكليات موجودة في الخارج كلية:

مسألة الكليات وإثبات وجودها في الخارج لها ارتباط بوحدة الوجود؛ لأنها من القضايا التي كثر فيها الجدل بين الفلاسفة قديمًا وحديثًا، وانعكس ذلك على كثير من الأقوال والآراء الفلسفية، ومن ذلك: القول بوحدة الوجود، وكما لا يخفى فإن قضية وحدة الوجود مما يكاد يتفق الباحثون على أنه مستمد من الفلسفة، والأصل في ذلك اختلاف نظرتهم للمبدأ الأول لهذا الكون، أو العلة الأولى، أو غير ذلك مما يطلقه الفلاسفة على مُوجِد هذا الكون ومحدثه، فبعد قولهم بأن الأول واحد بسيط لا يتقيد بشيء من النعوت، اضطربوا في مفهوم إحداثه لهذا الكون من جهة، وتميزه وغيريَّته عن هذا الكون من جهة أخرى، ومن هنا جاء اضطرابهم وتناقضهم؛ حيث إن هذا الواحد المجرد من كل وصف إنما هو أمر كلي ذهني لا وجود له في الخارج؛ وهو من حيث الصورة لا يختلف عن المعدوم؛ فاضطروا إلى إعطائه هيئة ومعنى الوجوديات فقالوا: المعدوم شيء، ثم درجوا إلى تشخصيه ظاهرًا؛ بأن جعلوه الموجودات العينية في هذا الكون، أو هي مظاهر له.(١)

فأفلاطون اعتبر ما هو موجود في الخارج يجمع بين أمرين اثنين: الماهيات المعينة مع ما يقترن بها من الكليات، وهذا ما ينقمه عليه أرسطو، وإن كان أرسطو موافقًا له في أن الكليات موجودة في الخارج كلية، لكنها مقارنة للجزئيات وليست مفارقة.

وأصحاب الطاقة الكونية قالوا: إن الإله موجود في كل ذرة من ذرات الكون؛ لأن وجود الإله عندهم عقلي كلي لا يمكن تعينه، ولازم هذا القول أن الإله غير موجود؛ لأن ما لا يمكن تعينه لا يمكن وجوده(٢).

---

(١) انظر المعرفة في الإسلام (٣٧١).

(٢) انظر المصدر السابق (٣٨٤).

تقرر إستر هيكس نظرية أفلاطون في المثل والتي تنص على أن كل شيء مادي نظير في عالم المثل قالت: "كل ما هو مركز مادي له نظير لا مادي، ولا استثناء في ذلك الاتصال بين العالم المادي والمصدر أصيب بتشويش؛ بسبب الأفكار المقاومة وسيساعد الكتاب على إعادة الاتصال مرة أخرى"[1].

فهل الكليات موجودة في الخارج كلية؟

يرى أفلاطون أن الكليات موجودة في الخارج كلية وجودًا مستقلاً عن الجزئيات ويسميها المُثل، فأفلاطون عنده عالمان:

أ- عالم المثل (الكليات): وهو العالم الحقيقي عنده، وهو المعرفة الحق كالحصان الكلي المجرد بالعقل؛ لأن كل ما نراه من الخيل ليس حقيقيًا عنده، وإنما هو انعكاس ومثال للفكر المجرد الكلي الحقيقي، وهذا الكلي عنده موجود حقيقة خارج العقل.

ب- عالم الحس (الجزئيات): وهو العالم الوهمي عنده.

وأمَّا أرسطو فيرى أن الكليات موجودة في الخارج كلية، لكنها مقارنة للجزئيات.

فالكلي عند أرسطو - كالإنسان مثلاً - لا يدل على مجرد القدر المشترك الكلي الذي يتصوره العقل بين أفراد النوع الإنساني، وإنما يدل كذلك على حقيقة كلية واحدة بالذات، متحققة في الخارج، هي الإنسانية[2].

فلا إشكال في قول أرسطو إن إدراك المعنى الكلي الذي هو أصل التعريف إنما يتحقق بإدراك القدر المشترك بين المتشابهات؛ حتى يكون لها اسم كلي يشملها، فالاسم الكلي-إنسان مثلاً- إنما يفهم معناه بإدراك التشابه بين أفراد الناس، بحيث ينتزع الذهن صورة كلية تصدق على الإنسان.

---

(١) المصدر السابق (٤٤، ٥٦، ٦١).

(٢) المعرفة في الإسلام (٣٧١).

لكن أرسطو أخطأ حين جعل المعرفة الكلية ترجع إلى الدليل العقلي (أي يستدل عليها وليست مباشرة)، دون الدليل الحسي (أي الإدراك الحسي المباشر للجزئيات وانتزاع القدر المشترك بين المتشابهات).

وأنها تقوم على تركيب واقتران ذات الماهية مع وجودها الكلي، فيكون بذلك وجود الشيء قدرًا زائدًا على ماهيته[1].

مع التنبيه على أن التعريفات للتمييز، وليست لتصور حقيقة الماهية؛ لأن تصور كل الأوصاف للماهية أمر ممتنع عند الناس، قال شيخ الإسلام: "هل يمكن تصور الأشياء بالحدود؟

فيقال: المحققون من النظار يعلمون أن الحد فائدته التميز بين المحدود وغيره، كالاسم ليس فائدته تصوير المحدود وتعريف حقيقته، وإنما يدَّعي هذا أهل المنطق اليوناني أتباع أرسطو ومن سلك سبيلهم وحذا حذوهم تقليدًا لهم من الإسلاميين وغيرهم"[2].

وعن سبب قول أفلاطون وأرسطو بأن الكليات موجودة في الخارج يقول شيخ الإسلام: "إثبات المجردات في الخارج هو مبدأ فلسفتهم:

وهذا كان مبدأ فلسفة هؤلاء؛ فإنهم نظروا في الأجسام الطبيعية، فعلموا القدر المشترك الكلى، فصاروا يظنون ثبوته في الخارج، فكان أولهم فيثاغورس وشيعته؛ أثبتوا أعدادًا مجردة في الخارج، ثم رد ذلك عليهم أفلاطون وشيعته، وأثبتوا ماهيات كلية مجردة مثل: إنسان كلي، وفرس كلي أزلي أبدي خارج الذهن، وأثبتوا أيضًا زمانًا مجردًا سموه الدهر، وأثبتوا مكانًا مجردًا سموه الخلاء، واثبتوا مادة مجردة عن الصور، وهي المادة الأولى والهيولى الأولى عندهم.

فجاء أرسطو وشيعته فردوا ذلك كله عليهم، ولكن أثبتوا هذه المجردات في الخارج

---

(١) انظر المصدر السابق (٣٩٠).

(٢) الرد على المنطقيين (١٤).

مقارنة للأعيان، وفرقوا بين الشيء الموجود في الخارج وبين ماهيته الكلية المقارنة لأفرادها في الخارج"[1].

فأرسطو يقرر "أن المحسوسات لا تصلح للعلم اليقيني؛ لأنها دائمة التغير والتبدل، وأن العلم الحقيقي لا بد أن يكون متصفًا بالثبات والديمومة، فلابد أن يكون موضوعه كذلك، **فقرر أن ثمة معنى كليًا ثابتًا فيما وراء المحسوسات**، ملازمًا لها في الوجود، وهو الذي يتعلق به العلم، وقرر أن ما يدركه الحس في تغير دائم؛ فلهذا لا يصلح لتعلق العلم اليقيني به"[2].

فالتغير عند أرسطو في العرضية، ولا يقع على الماهية؛ لأنها كليات مطلقة؛ ففرق بين الوجود والماهية، فالوجود قدر زائد على الماهية، والكليات (الماهية) المقارنة للجزئيات لا تتغير؛ لأن المحسوس فيه شيئان: شيء يتغير وهو العوارض الحسية، وشيء لا يتغير وهي الماهية الكلية؛ فوجود الشيء المحسوس المتعين غير ماهيته الكلية[3].

وقد قرر شيخ الإسلام أن الكلي الطبيعي عند التحقيق لا يوجد كليًا في الخارج إلا معينًا، وإذا تعين أصبح جزئيًا، قال: "والمنطقيون يقولون الكلي سواء كان جنسًا، أو فصلاً، أو نوعًا، أو خاصة، أو عرضًا عامًا له ثلاثة اعتبارات: طبيعي، ومنطقي، وعقلي.

فالطبيعي: هو المطلق لا بشرط؛ الذي لا تقيد فيه الحقيقة بقيد أصلاً، لا ثبوتي ولا سلبي، **ثم أصحاب المثل الأفلاطونية** يزعمون أن هذه الكليات ثابتة في الخارج دائمة أزلية بدون أعيانها، **وأرسطو و أتباعه** ينكرون ذلك، ويقولون لا يوجد إلا مع الأعيان، والتحقيق أنه ليس لها وجود في الخارج منفصل عن وجود الأعيان..."[4].

---

(١) الرد على المنطقيين (١٤).

(٢) الحد الأرسطي أصوله ولوازمه (٣٣٧).

(٣) المعرفة في الإسلام (٣٧١).

(٤) الصفدية (٣٠٤/١) (٢٩٨/١).

مقارنة للأعيان، وفرقوا بين الشيء الموجود في الخارج وبين ماهيته الكلية المقارنة لأفرادها في الخارج"[1].

فأرسطو يقرر "أن المحسوسات لا تصلح للعلم اليقيني؛ لأنها دائمة التغير والتبدل وأن العلم الحقيقي لا بد أن يكون متصفًا بالثبات والديمومة، فلابد أن يكون موضوعه كذلك. فقرر أن ثمة معنى كليًا ثابتًا فيما وراء المحسوسات، ملازمًا لها في الوجود، وهو الذي يتعلق به العلم، وقرر أن ما يدركه الحس في تغير دائم؛ فلهذا لا يصلح لتعلق العلم اليقيني به"[2].

فالتغير عند أرسطو في العرضية، ولا يقع على الماهية؛ لأنها كليات مطلقة؛ ففرق بين الوجود والماهية، فالوجود قدر زائد على الماهية، والكليات (الماهية) المقارنة للجزئيات لا تتغير؛ لأن المحسوس فيه شيئان: شيء يتغير وهو العوارض الحسية، وشيء لا يتغير وهي الماهية الكلية؛ فوجود الشيء المحسوس المتعين غير ماهيته الكلية[3].

وقد قرر شيخ الإسلام أن الكلي الطبيعي عند التحقيق لا يوجد كليًا في الخارج إلا معينًا، وإذا تعين أصبح جزئيًا، قال: "والمنطقيون يقولون الكلي سواء كان جنسًا، أو فصلاً، أو نوعًا، أو خاصة، أو عرضًا عامًا له ثلاثة اعتبارات: طبيعي، ومنطقي، وعقلي.

فالطبيعي: هو المطلق لا بشرط: الذي لا تقيد فيه الحقيقة بقيد أصلاً، لا ثبوتي ولا سلبي. ثم أصحاب المثل الأفلاطونية يزعمون أن هذه الكليات ثابتة في الخارج دائمة أزلية بدون أعيانها، وأرسطو وأتباعه ينكرون ذلك، ويقولون لا يوجد إلا مع الأعيان، والتحقيق أنه ليس لها وجود في الخارج منفصل عن وجود الأعيان"[4].

---

(1) الرد على المنطقيين (14).

(2) الحد الأرسطي أصوله ولوازمه (336).

(3) المعرفة في الإسلام (361).

(4) الصفدية (1/ 4-3) (1/ 208).

فأرسطو وأتباعه ينكرون قول أفلاطون بوجود الكلي العقلي -المطلق بشرط الإطلاق- في خارج الذهن، ويقرّون بوجود الكلي الطبيعي في الخارج مقارنًا للجزئيات[(١)]، قال شيخ الإسلام: "المطلق بشرط الإطلاق- كإنسان مطلق بشرط الإطلاق، وحيوان مطلق بشرط الإطلاق، وجسم مطلق بشرط الإطلاق، ووجود مطلق بشرط الإطلاق- لا يكون إلّا في الأذهان دون الأعيان.

ولما أثبت قدماؤهم الكليات المجردة عن الأعيان التي يسمونها "المثل الأفاطونية" أنكر ذلك **حُذَّاقهم**، وقالوا: هذه لا تكون إلا في الذهن"[(٢)].

وكيف يكون كليًا موجودًا في الخارج وأجزاؤه متفرقة في الجزئيات؟ فليزم من ذلك أنه ليس حقيقة واحدة بالذات.

---

(١) انظر الحد الأرسطي أصوله ولوازمه (٣٣١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٨٦).

الأصل الثالث: التفريق بين الوجود والماهية:

مسألة التفريق بين الوجود والماهية لها ارتباط بوحدة الوجود كما سبق[1].

وقال بالتفريق بين الوجود والماهية بعض الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو[2]، وفرقة المعتزلة، ومدرسة ابن عربي في قولها بوحدة الوجود، فقد قرروا أن الماهية قبل الوجود؛ أي أن الوجود صفة زائد على الماهية التي هي حقيقة الشيء كما سبق.

والصواب هو التفصيل؛ بأن يقال ما مرادك بالماهية والوجود؟ لأنهما تطلقان ويراد بهما أحد المعنيين التاليين:

المعنى الأول: أن الماهية ما يتصوره الإنسان في ذهنه، والوجود ما هو متحقق في الخارج، فعلى هذا المعنى لا إشكال في أن الماهية غير الوجود؛ لأنه ليس كل ما يتصوره الإنسان في ذهنه يكون متحققًا في الخارج.

المعنى الثاني: أن الماهية بمعنى الشيء كما هو في الخارج، وهذا المعنى هو محل الخلاف، فهل هناك شيء في الخارج غير وجود الشيء المحسوس؟

وقد حرر ابن تيمية هذا المناط فقال: "لفظ الماهية والوجود: قد يُعنى بالماهية ما يتصور في الذهن، وبالوجود ما يكون في الخارج، وهذا حق لم ينازع فيه نظار المسلمين، ولا ريب أن الماهية المتصورة في الذهن ليست عين الموجود في الخارج... فمن قال إن الماهية غير الوجود، وأراد بالماهية الصورة العلمية الذهنية وبالوجود ما يوجد في الخارج، فقد أصاب.

وأما إذا عُني بالماهية والوجود جميعًا ما هو ثابت في الخارج، أو عُني بهما جميعًا ما هو متصور في الذهن، وقيل إن في الذهن شيئين، ماهية ووجودها، أو في الخارج شيئان، ماهية ووجودها، فهذا خطأ.

---

(١) انظر الحد الأرسطي أصوله ولوازمه (٣٧٧).

(٢) بغية المرتاد (٤١٤).

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه والنزاع الموجود في أن الماهية هل هي غير وجودها أم لا"اهـ[1].

فقد قرر شيخ الإسلام خطأ من فرق بين الوجود والماهية في خارج الذهن، فوجود كل شيء هو عين ماهيته في الخارج، وماهية كل شيء هي نفس وجوده في الخارج، فليس في الخارج شيئان أحدهما وجود والآخر ماهية، بل هما شيء واحد لا فرق بينهما، فوجود الأنسان في الخارج هو نفس كون الإنسان حيوانًا ناطقًا، وهذا قول أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء[2]. والقول بأن الوجود قدر زائد على الماهية قول لا يكمن تصوره أبدًا، ومخالفته للعقل واضحة؛ فهو كمن يقول: "إن الجسم مادة هي جوهر قائم بنفسه، وهو محل الصور الجسمية التي هي أيضًا جوهر، وهؤلاء يعمدون إلى الشيء الواحد المعلوم واحدًا بالحس والعقل يجلعونه اثنين؛ إذ كان له وجود عيني ووجود ذهني، فظنوا أن الذهني خارجي"[3].

---

(١) الصفدية (٢/٢٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/١٥٦)، ومنهاج السنة (٨/٣٢)، والحد الأرسطي أصوله ولوازمه (٨٤).

(٣) بغية المرتاد (٤١٧)، وحدة الأديان في عقائد الصوفية (١/٥٥١).

الأصل الرابع: المعرفة الحقيقية عندهم تكون بالاتصال مع المطلق ويسمونه بالحدس-الفلسفي الإشراقي-[(١)] ومن شروطه إهمال العقل.

جاء في الكامل في اليوغا أن من آثار الطاقة الكونية أنها تقود إلى إدراك المعرفة الإلهية بالاتحاد بالمطلق: "الوحدة مع الروح الكونية والتي تقود إلى معرفة يقينية ثابتة بالمطلق"[(٢)].

فتذكر استر هيكس صراحة للناس -كما سبق- أن من يعلمها هذه الأمور هو كائن ليس من البشر، وتذكر اسمه علانية أمام الحضور[(٣)].

ويصرح كل من: واين داير، وإكهارات تول، وديباك شوبرا، وأوشو، وغيرهم -كما سبق- بعقيدة وحدة الوجود، وأن المعرفة الحقيقة تكون بالاتصال مع المطلق؛ لأن الإله عندهم مطلق كلي مبثوث في الكون كما في الفلسفات الشرقية الوثنية.

فهناك تقارب بين فلاسفة الطاقة الكونية والمدرسة المثالية، التي تنفي وجودًا خارجيًا للكون مستقلاً عن الذهن، وهذا مخالف للفطرة البشرية، والمبادئ الأولية، والحس الظاهر؛ من وجود الكون في الخارج، قال شيخ الإسلام: "ومعلوم أن الحقائق الخارجية المستغنية عنا لا تكون تابعة لتصوراتنا، بل تصوراتنا تابعة لها"[(٤)].

وقال للصوفية عندما ظنوا أن فناءهم وعدم شهودهم بحواسهم الخارجية للأشياء يستوجب فناءها في نفسها: "هب أنكم غبتم عن هذا ولم تشهدوه، فالغيبة عن شهود الشيء لا توجب عدمه في نفسه.

---

(١) للحدس معاني متعددة بتعدد الفلاسفة واختلافهم، رغم إتفاقهم عمومًا على كونه معرفة مباشرة، فقد يكون حدسًا حسيًا أو عقليًا أو إشراقيًا صوفيًا. انظر جميل صليبا (٤٥٢/١) والثيوصوفيا لمريم عنتابي (١١٤)

(٢) الكامل في اليوغا (١٦)، والأصول الفلسفية لتطوير الذات (٢١٥/١).

(٣) اسأل تُعط (٣٥)،

https://www.youtube.com/watch?v=CkYHfIDDsQY&t=٥٧s.

(٤) الرد على المنطقيين (٧١).

فإذا لم يشهد العبد الشيء، أو لم يرده، أو لم يعلمه، أو لم يخطر بقلبه، أو فني عن شهوده، أو اصطلم، أو غاب، لم يلزم من ذلك أن يكون الشيء صار في نفسه معدومًا فانيًا لا حقيقة له، بل الفرق ثابت بين أن يعدم الشيء في نفسه ويفنى ويتلاشى، وبين أن يعدم شهود الإنسان له وذكره ومعرفته"[1].

موقفنا من العلوم الوافدة:

وموقف المسلمين من العلوم الو افدة ينبغي أن يكون موقفًا ناقدًا ممحصًا؛ فهناك علوم مشتركة تعتبر اكتشافًا لحقائق موجودة في الكون، وهناك علوم مبنية على معارف وفلسفات مخالفة للشرع، وميزان قبول العلوم الوافدة هو عرضها على الكتاب والسنة، ويقوم بذلك العلماء الربانيون، ومن يُعينهم في ذلك من المتخصصين في شتى المجالات.

ويمكن تقسيم هذه العلوم إلى ثلاثة أقسام:

أ- ما يستند إلى العلوم التجريبية والدراسات العلمية، فهذه يتعامل معها بشكل علمي؛ فينظر هل هي حقيقة، أم نظرية، أم فرضية؟

ب- ما يستند إلى التجارب الشخصية، ولا يعول على الدراسات العلمية، فهذا النوع لا يعد دليلاً، ولا يلزم صحته أو تعميمه.

ج- ما يستند على الأساطير والشعوذة والدجل، أو المعارف والفلسفات المخالفة للشرع كفلسفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها فيجب الحذر منها.

وقد قسم شيخ الإسلام العلوم الوافدة إلى أقسام:

القسم الأول: الانتفاع بالكفار في العلوم النافعة كالطب والهندسة فهذا جائز، قال: "ما لا يتعلق بالدين مثل مسائل الطب والحساب المحض.. غايته: انتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا فهذا جائز. كما يجوز السكنى في ديارهم ولبس ثيابهم وسلاحهم..

---

(١) الجواب الصحيح (٣١١/٤)، وانظر منهج ابن تيمية المعرفي د. الدعجاني(٤٤٥).

فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه بل هذا أحسن. لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة ليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة، بل هي مجرد انتفاع بآثارهم"

القسم الثاني:" ما يتعلق بالدين فإن نقلوه عن الأنبياء كانوا فيه كأهل الكتاب وأسوأ حالاً، وإن أحالوا معرفته على القياس العقلي؛ **فإن وافق ما في القرآن فهو حق، وإن خالفه ففي القرآن** بيان بطلانه بالأمثال المضروبة كما قال تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣] ففي القرآن الحق والقياس البين الذي يبين بطلان ما جاءوا به من القياس، وإن كان ما يذكرونه مجملاً فيه الحق - وهو الغالب على الصابئة المبدلين مثل أرسطو وأتباعه وعلى من اتبعهم من الآخرين - **قبل الحق ورد الباطل** والحق من ذلك لا يكون بيان صفة الحق فيه كبيان صفة الحق في القرآن"[(١)]

ومما تجدر الإشارة إليه أن القول بوحدة الوجود باطل، يدل على بطلانه التسوية بين الخالق والمخلوق، وأن الخالق يحل في خلقه وهذا محال؛ لأنه جمع بين النقيضين، فيكون الشيء خالقًا ومخلوقًا والقول بوحدة الوجود سبب للإلحاد، قال شيخ الإسلام: " وكلامهم كله يدور على هذين القطبين: إما أن يجعلوا الحق لا وجود له ولا حقيقة في الخارج أصلاً، وإنما هو أمر مطلق في الأذهان. وإما أن يجعلوه عين وجود المخلوقات؛ فلا يكون للمخلوقات خالق غيرها أصلاً، ولا يكون رب كل شيء ولا مليكه، وهذا حقيقة قول القوم، وإن كان بعضهم لا يشعر بذلك"[(٢)].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى(١١٤/٤) (٧٩،١٩٤/٢٨)(٢١١/٤)، ومناقشة الشيخ العجيري لكتاب السر في القناة الثقافية الدقيقة الخامسة.

(٢) حقيقة مذهب الاتحاديين (١٨)، ومجموع الفتاوى (١٦١/٢، ١٦٢)، ومدلولات المصطلحات الصوفية (١١٥٩).

فالاتحاد والحلول والوحدة عقدية كفرية مناقضة للإسلام بنصوص الشرع قطعية الدلالة والثبوت على أن الوجود مخلوق وخالق، وأن الخالق غير المخلوق، وأن الخلق فعل الله، وأن الله هو الخالق الخلاق قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ ﴾ [التغابن: ٢].

ويدل على بطلانه أيضًا كونه مناقضًا للضرورة الحسية والضرورة الشرعية.

أمَّا بالنسبة لمناقضته للضرورة الحسية، فبيانه: أن القول بأن الوجود كله واحد مخالف لما يدركه الناس بحواسهم؛ من اختلاف بين الأشياء وتنوع خصائصها، وقد تعاملوا مع الموجودات بناءً على مقتضى هذا الاختلاف، فالرجل ليس هو المرأة، والبائع ليس هو المشتري، والصديق ليس هو العدو، والقاتل ليس هو المقتول، والنار ليست هي الماء، فالتسليم بالاختلاف بين أعيان الأشياء الوجودية من الأمور الضرورية يشعر به كل أحد من العقلاء...

وأمَّا بالنسبة لمخالفته الضرورة الشرعية، فبيانه: أن الشرائع كلها قائمة على الاختلاف الحقيقي للوجود، فالأديان كلها قائمة على وجود عابد هو المكلَّف، ومعبود وهو الخالق سبحانه، وقائمة أيضًا على كون بعض الأديان باطلاً وبعضها صحيحًا؛ ولهذا اختلفت أوصاف الناس بناءً على هذا إلى مؤمن وكافر، ومنعم ومعذب، وأيضًا تنوعت شرائع الأديان بين شرائع فعلية وقولية ومالية، ونحو ذلك من الاختلافات المعلومة في الأديان بالضرورة"[(١)].

ويقول ول ديور انت: "إذا بحثنا عن أخطر نظرية أخذها الجانب الصوفي عن المصدر

---

(١) الحد الأرسطي أصوله ولوازمه (٢١٠)، مدلولات المصطلحات الصوفية (٤٥٦).

الهندي نظرية وحدة الوجود، إنها أساس جوهر الفيدا"[١].

ويقول أبو عبدالرحمن بن عقيل:"إن من تمذهبوا بالحلول والاتحاد وشرحوا فكرتهما لم يخرجوا عن نطاق الدعوى والتفنن في الخيال.

ومسار البحث عن الحقيقة لا يترك الناس أحرارًا في دعواهم..وأن من دحضوا خيالات الحلول والاتحاد كابن تيمية إنما تبرعوا بالبرهان من جانبهم راضين بأن البرهان على النافي تنزلاً في الاستدلال، وأبدعوا في إقامة البرهان. وليس عليهم ذلك، فحسبهم أن يطالبوا بالبرهان فقط، لأن الله أمرنا أن قول للمدعين: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٢٤] إنهم تبرعوا بالبرهان مأجورين مشكورين إن شاء الله"[٢].

(١) قصة الحضارة ول ديور انت (٨٤/٣) نقلاً عن وحدة الوجود بين الهندوسية وغلاة الصوفية (٢٩٩).

(٢) شيء من العبث الصوفي لابن عقيل الظاهري (٨٣)

الخاتمة

وفي الختام نخلص إلى ما يلي:

أولاً: وحدة الوجود: نظرية تجعل الوجود الحق واحدًا، وهذا الوجود إمَّا أن يكون هو المطلق أو الأول أو الإله عند من يؤمن بإله، ويكون العالم مظهرًا لذلك الوجود وليس له وجود حقيقي دائم، وإمَّا أن يكون العالم هو الوجود الحق وليس (المطلق أو الأول أو الإله) سوى مجموع الأشياء الموجودة في العالم.

وعليه فلا يوجد عند أصحاب وحدة الوجود إله مباين لخلقه، قائم بذاته، مستقل بصفاته، خالق لكل شيء متميز عن الكون، ليس مختلطًا ولا حالاً بالخلق، بل الإله عندهم مطلق كلي سار في الموجودات.

ثانيًا: أبرز المذاهب لأصحاب وحدة الوجود:

أ- مذهب وحدة الوجود الروحية: ويرى أصحابه أن الإله حال في المخلوقات (أي حال في مجموع العالم) وكل شيء يتحد به (عن طريق الفناء أو النرفانا والخلاص)؛ لأنه جزء من الإله، فالإله عندهم له وجود مطلق سار في الموجودات.

ب- مذهب وحدة الوجود المادية: ويرى أصحابه أن وجود الإله هو وجود المخلوق؛ فلا ترى في الكون إلَّا جوهرًا واحدًا (أي العينية التامة بين الإله والعالم) فَتمَّحي الثنائيات تمامًا، فكثرة الموجودات إما أن تكون وجودًا ذهنيًا وأوهامًا وإمَّا صورًا عقلية للجوهر المعبر عنه بالإله.

ج- نظرية الفيض في وحدة الوجود: ويرى أصحابها أن الواحد-الذي هو المبدأ الأول عندهم- مع تمام وحدته يفيض عنه كل شيء بتراتب وجودي، وهذا العالم وكل شيء يصبو للاتحاد به، فيكون هذا الواحد هو مصدر وجود العالم وجوهر وبمجموعها تتشكل وحدة وجود.

ثالثًا: الجذور التاريخية لوحدة الوجود.

أ- وحدة الوجود في الديانات الوضعية.

يرى معظم فلاسفة الشرق أن الوجود صدر أو انبثق عن مبدأ أول كلي مطلق، **ويُسمى هذا المبدأ الكلي عند الهندوس برهمان، ويزعم الهندوس** أن الكون وما فيه من مظاهر مختلفة هو واحد لا غير، وأن ما نراه من اختلاف وتعدد إن هو إلا خداع بصر لا حقيقة له، وليس في الكون إلا حقيقة واحدة هي برهمان.

ويُسمى هذا المبدأ الكلي عند الطاوية بالطاو، وغاية الطاوية الاتحاد به.

ويعتقد البوذيون فلسفة وحدة الوجود؛ فيرى بوذا أن سعادة الإنسان تكمن في القضاء على الآلام ومسبباتها، والقضاء على الشهوات؛ وبالتالي يقرر أن الفرد البوذي لا بد أن يصل إلى حالة من التأمل والتصور الذهني، وهي الحالة التي يرى فيها أن الذات" الكون الصغير" تندمج مع الكون الكبير، فالغاية في البوذية هي الوصول إلى النرفانا للقضاء على الألم وفهم سر الحياة.

ب- وحدة الوجود في الفلسفة اليونانية.

يرى اليونان أن الوجود صدر أو انبثق عن مبدأ أول كلي، واختلفوا فيه؛ فعند طاليس المبدأ الكلي هو الماء، لكنه ليس الماء المحسوس، وهذا الماء المحسوس أحد تحولاته، وجعل النفوس هي العلة المؤثرة في الكون التي تدبره، وتتصرف فيه، وتسري في كل ذرة من ذراته.

وعند انكسيمندريس المبدأ الكلي هو اللامتعين، وعند انكسيمانس هو الهواء، وعند هرقليطس النار، وتبعه على ذلك الرواقية، وأمَّا برمنيدس فقد آمن بوحدة الوجود، وجوهر واحد هو الوجود وما عداه فهو وهم.

ج- وحدة الوجود في الديانات الكتابية.

وقد تأثر بعض أصحاب الديانات الكتابية بفلسفة حدة الوجود؛ **فقد ظهر أصل عقيدة وحدة الوجود عند اليهود قديمًا**، فقالوا بحلول جزء إلهي في البشر، ومما

قالوه إن أرواح اليهود جزء من الإله، ثم تبلورت عقيدة وحدة الوجود في فرقة الحسيديم ومتصوفة اليهود القبّالاه.

وكان للقول بالوحدة الجزئية المخصصة بالمسيح عند النصارى أثر في تعميمها على غير المسيح لدى بعض فرق النصارى؛ كالغنوصية النصرانية الذين لم يقصروا الاتحاد على اتحاد المسيح بالإله فقط، بل ذهبوا إلى أن الله-تعالى- يتحد أيضًا بالمريدين.

وتظهر عقيدة وحدة الوجود عند بعض المنتسبين إلى الإسلام (غلاة الصوفية)، الذين انقسموا إلى ثلاثة طرق في تفسير الكثرة التي تشهد بها الحواس ويقرها العقل.

رابعًا: الطاقة الكونية: فلسفة تفسر المبدأ الكلي الفعال المؤثر في الكون، الذي يدبره، ويتصرف فيه، ويسري في كل ذرة من ذراته، وباتحاد الإنسان معه يمنحه كل شيء.

خامسًا: البحث في الوجود والقضايا الكبرى، كالمبدأ، والغاية، والمصير، وعلة الخلق، والتأثير في الكائنات هي مشكلة الفلسفة قديمًا وحديثًا، من أين أتى التخصيص والإيجاد في الكائنات؟

ومن ثَمَّ أتت فكرة الطاقة الكونية المعاصرة، التي هي العلة المؤثرة في الكون، تدبره، وتتصرف فيه، وتسري في كل ذرة من ذراته، فهي نفس فكرة النفوس أو الأرواح المبثوثة في الكون عند طاليس، وهي طاقة البرانا في الهندوسية والبوذية، والتشي في الصين، والكي في اليابان، لكنها بمسميات علمية زورًا وبهتانًا.

سادسًا: لا يوجد علاقة بين ما يُسمى بالطاقة الكونية وبين الفيزياء، وإنما هي مغالطة علمية وعبث في فضاء صعب، واستغلال لقلة معرفة العامة بنظريات الفيزياء.

سابعًا: عدم استطاعة أصحاب الطاقة الكونية إثبات ما يُسمى بالطاقة الكونية بالحس أو العقل أو الوحي.

ثامنًا: أصحاب الطاقة الكونية يصفون "الطاقة الكونية" بصفات غيبية وميتافيزيقية

"ما وراء الطبيعية"؛ كقولهم إنها موجودة في كل ذرة من ذرات الكون، وإن لها عقلاً كونيًا، وإنها أزلية أبدية وتربط الإنسان بالذات العليا، ولها القدرة على الخلق والإيجاد والشفا، فالحياة نتيجة لتكثفها، والموت نتيجة لقلتها؛ حيث إن وجودها سبب لاستمرار الحياة.

تاسعًا: تتمثل أبرز الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية في: الديانات الشرقية؛ كالهندوسية، والبوذية، والطاوية، والفلسفة اليونانية وأتباعها، ومتصوفة اليهود، والغنوصية النصرانية، وغلاة الصوفية من المسلمين.

عاشرًا: من أبرز عبادات أصحاب فلسفة الطاقة الكونية: عبادة التأمل؛ وتعني عندهم إيقاف العقل عن التفكير (أي السكون)؛ لأن العقل عقبة ومانع من موانع إدراك وحدة الوجود لديهم، ومن صور التأمل الحديثة: التأمل التجاوزي، وتأمل القلبين المفتوحين، وتأمل التيقظ الذهني.

حادى عشر: من أبرز معتقدات أصحاب فلسفة الطاقة الكونية :فلسفة الإنسان الكوني أو الكامل (تأليه الإنسان)، وتكون بالاتصال والاتحاد بالعقل الفعال أو النفس الكلية أو الطاقة الكونية؛ ليصبح الإنسان مشاركًا في تدبير الكون، وهو ما يُعرف بالإنسان الكامل أو الكوني.

ثاني عشر: من أبرز معتقدات أصحاب فلسفة الطاقة الكونية: الوعي الكوني، وهو بمنزلة المبدأ الأول أو العقل الفعال الذي فاض من المبدأ الأول، أو أعلى درجات الوجود المادي كما في الفلسفة الشرقية واليونانية. وباتحاد الإنسان مع الوعي الكوني يدرك حقيقة ذاته الإلهية، ويصل إلى المعرفة الباطنية، وتُسمى بالوعي الذاتي.

ثالث عشر: تبنت عدة حركات معاصرة فلسفة وحدة الوجود، منها: حركة الفلسفة المتعالية (التجاوزية)، وحركة الفكر الجديد، وجمعية الثيوصوفيا، وحركة العصر الجديد، بالإضافة إلى مركز الراشد للتنمية البشرية، ومركز بيت السلام .

رابع عشر: يعتبر كل من: واين داير، وإكهارت، وديباك شوبرا، و أوشو، وإسْتر

هيكس وجيري هيكس، ورووندا بايرن، من أبرز الشخصيات المعاصرة التي نشرت فلسفة وحدة الوجود عبر المؤلفات والمحاضرات والبرامج الإعلامية.

خامس عشر: تعتبر اليوغا من أبرز مظاهر وحدة الوجود في التطبيقات التأملية؛ لاشتمالها على الاتحاد بالمطلق؛ بالالتزام بثمانية مراحل لإدراك الألوهية، والتحرر من الكارما ومن تكرار التناسخ، والوصول إلى حالة تسمى (التنوير) يستطيع بها المتدرب بزعمهم الاطلاع على الغيب ومعرفة أسرار الكون. ولاشتمالها أيضًا على صرف العبادة لغير الله كالسجود والترنيمات التعبدية كأوم، ولا شك أن هذا من الكفر المخرج من الملة.

وأمَّا ممارسة اليوغا كتمارين ووضعيات فقط، دون اعتقاد فلسفتها السابقة. فمحرم؛ لمشابهة الهندوس في عباداتهم وطقوسهم.

سادس عشر: التنويم المغناطيسي له صور متعددة: منها ما هو مجرد إيحاءات تضع الشخص في حالة تسمى الغفوة؛ ليصبح أكثر تقبلاً لما يُمْلَى عليه من أفكار وأحاسيس أو شعور، ومنها ما يُستخدم معه الجن، ومنها ما يُستخدم للتوصل إلى أحوال باطنية وتحصيل الحقائق الغنوصية؛ كالاتحاد بالكون أو الإله.

سابع عشر: البرمجة اللغوية العصبية تقنية مختلطة؛ فلا يوجد أساس علمي صلب خاص بالبرمجة اللغوية العصبية تقوم عليه، فلكل مدرب قراءته وطريقته وأدواته وتفسيره بما يتوافق مع البيئة الثقافية للمتدربين:

فقد تشتمل على عقيدة وحدة الوجود، كما في كتابات "تاد جيمس" واعتقاد العقل الباطن بمعناه الفلسفي الباطني.

وقد لا تظهر عليها آثار المعتقدات الباطنية، والصحيح منعها كذلك؛ لقابلية البرمجة لتشرب الفكر الباطني نظرًا للبيئة التي نشأت فيها، والتوجهات الباطنية لكثير من شخصياتها البارزة.

ثامن عشر: الإسقاط النجمي فلسفة خطيرة على العقيدة؛ لأنها تشتمل على عدة

عقائد وفلسفات مخالفة للشرع، كاعتقاد الاتصال بالعقل الكلي، وتناسخ الأرواح، بل اشتمالها في مستويات متقدمة على عقيدة وحدة الوجود وهذا كفر مخرج من الملة.

غير أن كثيرًا ممن يمارسون الإسقاط النجمي لا يعلمون حقيقته وصلته بعقائد الطاقة الكونية؛ كالعقل الكلي وتناسخ الأرواح ووحدة الوجود.

تاسع عشر: يقوم مفهوم العلاج بالريكي على الإيمان بفلسفتين هما:

- فلسفة الطاقة الكونية، وأنها موجودة في كل مكان.
- فلسفة الجسم الأثيري "الهالة"، وما يتصل به كالشاكرات والإتصال بالعقل الباطن.

وأخيرًا: العلاج بالبرانا هو اسم جديد لنوع من العلاج الشرقي القديم، تمت صياغته بطريقة حديثه، ويعتمد على فلسفة الطاقة الكونية كالتأمل التجاوزي لاستجلاب طاقة البرانا، والشاكرات، وتوازن الين واليانغ، والجسم الأثيري.

وآخر دعوانا بتوفيق ربنا أن الحمد لله الذي وحده علا.

الملاحق

الملاحــق



ملحق (١)

رمز الين-اللون الأسود-، واليانغ-اللون الأبيض- عند الطاوية



ملحق (٢)

أماكن ووظائف الشاكرات السبع التي يعتقدها الشرقيون وأصحاب الطاقة الكونية

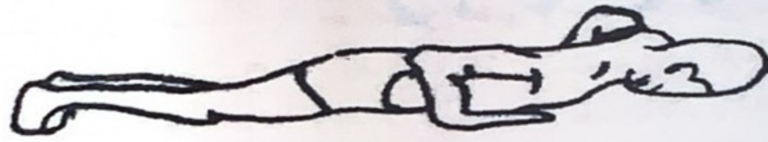


ملحق (٣)
صورة ظلية لممارسة التأمل البوذي بوضعية اللوتس



ملحق (٤)

مستوى الوعي على ما يُسمى بسلم هاوكنز



ملحق (٥)
الوضعية الخامسة من وضعيات تحية الشمس في اليوغا:
(وضعية السجود للشمس بثمانية أعضاء).
كتاب: حقيقة وأسرار العلاج باليوغا (٩٩)

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

(أ)

- الله توحيد وليس وحدة، محمد الأنوار البلتاجي، ط١ ١٤٠٦ ه، الناشر: مكتبة وهبة.
- الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات دراسة نقدية، أحمد بن سعود الغامدي، رسالة مقدمة لدرجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى (لم تطبع).
- الاشارات والتنبيهات لابن سينا مع شرح الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، ط٢، مؤسسة النعمان.
- أرض جديدة، إكهارات تول، ترجمة: سامر أبوهواش، ط١، ٢٠٢٠م، دار الخيال.
- آراء مريم نور العقدية وعلاقتها بالتصوف، تأليف: آمنة البشري، مجلة الدراسات العقدية العدد (٢٧) ١٤٤٢ه.
- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، عام النشر : ١٤١٥ ه - ١٩٩٥م، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.
- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية للطوفي، تحقيق: سالم القرني، ط١، الناشر: مكتبة العبيكان بالرياض.
- أثر الفلسفة الشرقية في برامج التدريب، د. فوز كردي، مجلة العلوم الشرعية، العدد(٢٧)، ١٤٣٤ ه.
- أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ط٦، ١٩٨١م، مكتبة النهضة المصرية.
- الأعمال الكاملة للحلاج من ضمنها الطواسين، والديوان، جمع قاسم محمد عباس، ط١، رياض الريس للكتب والنشر.
- الاستشفاء بالطاقة الحيوية، رفاة وجمان السيد،ط٣، ٢٠١٢م، دار الحرف العربي.

قائمة المصادر والمراجع

(أ)

- الله توحيد وليس وحدة، محمد الأنوار البلتاجي، ط١ ١٤٠٦ هـ، الناشر: مكتبة وهبة.
- الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات دراسة نقدية، أحمد بن سعود الغامدي، رسالة مقدمة لدرجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى (لم تطبع).
- الاشارات والتنبيهات لابن سينا مع شرح الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، ط٢، مؤسسة النعمان.
- أرض جديدة، إكهارات تول، ترجمة: سامر أبوهواش، ط١، ٢٠ ٢م دار الخيا
- آراء مريم نور العقدية وعلاقتها بالتصوف، تأليف: آمنة البشـ العقدية العدد (٢٧) ١٤٤٢هـ.
- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، عام النشر: ١٤١٥هـ ١٩٩٥م. الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.
- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية لـ ط١، الناشر: مكتبة العبيكان بالرياض.
- أثر الفلسفة الشرقية في برامج التدريب، د. فوز كردي، مجلة العلوم الشرعية العدد(٢٧)، ١٤٣٤ هـ.
- أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ط٦، ١٩٨١م، مكتبة النهضة المصرية.
- الأعمال الكاملة للحلاج من ضمنها الطواسين، والديوان، جمع قاسم محمد عباس، ط١، رياض الريس للكتب والنشر.
- الاستشفاء بالطاقة الحيوية، رفاة وجمان السيد،ط٣، ٢٠١٢م، دار الحرف العربي.

- الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات، ترجمة واعداد: محمد العمصي، نسخة ٢٠١٥م.
- أسرار التنويم المغناطيسي الذاتي، آدم إيسون، ط١، ٢٠١٠م، مكتبة جرير.
- أسرار الطاقة، حكم الزمان حمزة، دار نور المعارف.
- أسرار مريم نور، المؤلفة: مريم نور، ٢٠٠٥م، دار الخيال.
- اسأل تُعط تَعَلَّمْ أن تُظهر رغباتك، تأليف: إسْتر هيكس وجيري هيكس، ٢٠١٨م، دار الخيال.
- أساسيات الفيزياء، سامرإبراهيم وآخرون، ط١، دار صفا للنشر والتوزيع بعمان.
- أصول الإيمان بالغيب وآثاره، فوز كردي، ط١، ١٤٢٩هـ، دار القلم.
- الأوبانيشاد ترجمة عبدالسلام زيان، ط١، ٢٠٠٨م، الناشر: شمس للنشر والتوزيع.
- الأخلاق، سبينوزا، ترجمة: جلال الدين سعيد، ط١، ٢٠٠٩م، المنظمة العربية للترجمة.
- أصوات أجنحة جبريل للسهروردي مع شرحها، تحقيق هنري كوربان وبول كراوس، دار بيبليون بباريس.
- الأصول الفلسفية لتطوير الذات في التنمية البشرية، ثريا السيف، ١٤٤٠ هـ، مكتبة الرشد.
- أعمدة اليوغا الثمانية، غطاس الحكيم،ط١، ٢٠٠٢م.
- أفلوطين عند العرب، نصوص حققها وقدم لها عبدالرحمن بدوي، ١٩٥٥م، دار النهضة.
- أفلاطون والأوبانيشاد لقاء الشرق بالغرب،فاسيليس جي فتساكس، ترجمة سهى الطريحي، مراجعة طه جزاع،١٤٣٠هـ، دار نينوى.
- اقتضاء الصراط، ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٧،١٤١٩هـ-١٩٩٩م، الناشر: دار عالم الكتب، ببيروت.
- ألف باء التنوير، أوشو، ط١، ٢٠٠٩م، دار الخيال.

(ب)

- باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق المستشرق هلموت ريتر، بدار ومكتبة بيبليون بلبنان.
- باتنجل الهندي ترجمة البيروني بتحقيق ماريو قزح، صادر عن المكتبة العربية: www.libeayofabiterature.org.
- البداية والنهاية، ابن كثر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ،الناشر: دار الفكر.
- البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا، هاري ألدر وبيريل هيذر، ط٣، ٢٠٠٣م، مكتبة جرير.
- البرمجة اللغوية العصبية المعربة، هند المطرود، رسالة علمية مقدمة لجامعة الملك سعود(لم تطبع).
- البرمجة اللغوية العصبية الآن أكثر سهولة، كارول هاريس، ط٣، ٢٠٠٤م، مكتبة جرير.
- بغية المرتاد، ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، ط٤، ١٤٣٨ هـ، مكتبة العلوم والحكم.
- البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، عبدالله نومسوك، ط١،أضواء السلف.
- بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين،ط١، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- البنية النفسية عند الإنسان، يونغ، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع.
- البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية، عبدالرحمن الوكيل، ط٢، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع.
- الباجافاجيتا الكتاب الهندي المقدس، د. شاكوانتالا راوا شاستري، ترجمة: رعد عبدالجليل جواد، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع.
- البهاغافاد غيتا، وليام كوان.

(ت)

- تأثير الفكر الغنوصي الباطني في نظريات علم النفس الحديث، ابراهيم الحسينان، ط١، دار تكوين.
- تاسوعات أفلوطين، ترجمة فريد جبر، ط١، ١٩٩٧م، مكتبة لبنان.
- التأصيل الشرعي لفرضيات البرمجة اللغوية العصبية، د.عامر خليل، الجامعة العراقية، العدد (٤٤) الجزء الأول، ٢٠١٩م.
- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تأليف البطريرك سعيد بن بطريق، طبع ببيروت سنة ١٩٠٥م، بمطبعة الآباء اليسوعيين.
- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ٢٠١٩م، الناشر: عصير الكتب.
- تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي.
- تاريخ الفلسفة الغربية(الفلسفة القديمة)، برتراند راسل، ترجمة زكي نجيب محمود، ٢٠١٠م، الهيئة المصرية للكتاب.
- التأمل التجاوزي حقيقته وأصوله وآثاره، محمد لمين، اشراف: د. كمال معزي، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية.
- التحول التانتري، أوشو، ترجمة: محمد ياسر حسكي، دار الخيال.ط٢، ٢٠١٩م.
- ترانسيرفينج الواقع (فضاء الاحتمالات)، فاديم زيلاند، ٢٠١٤م، الطبعة العربية: الأكاديمية الدولية للتنمية الذاتية.
- تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة، البيروني،(١٣٧٧هـ -١٩٥٨م)، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية.
- التعريفات، الجرجاني، حققه ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط١،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، الناشر: دار الكتب العلمية.
- تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق: محمد عوامة، ط١، الناشر: دار الرشيد بسوريا.

- التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، هيفاء ناصر الرشيد، ط١، مركز تأصيل.
- تفسير سورة الإخلاص لابن سينا(مخطوط)(١٥٤٨٠).
- التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا لحسن عاصي، ط١، ١٤٠٣هـ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- التصوف والفلسفة، ولتر ستيس، ترجمة امام عبدالفتاح امام، ١٩٩٩م، مكتبة مدبولي.
- التصوف البوذي والتحليل النفسي، سوزكي، ترجمة ثائر ذيب، ط١، ٢٠٠٧، دار الحوار.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ط١، دار عالم الكتب بالقاهرة.
- تلخيص كتاب النفس لابن رشد، تحقيق الأهواني،ط١، مكتبة النهضة المصرية.
- تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، ببيروت.
- تهافت التهافت، ابن رشد، تحقيق: سليمان دنيا، ط٥،دار المعارف.

(ث)

- الثيوصوفيا، مريم عنتابي، ط١، مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

(ج)

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي،ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الجواب الصحيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م الناشر: دار العاصمة بالسعودية.
- لجنيد بن محمد وآراؤه العقيدة الصوفية "عرض ونقد". رسالة علمية - ماجستير- بجامعة أم القرى(لم تطبع).

(ح)

- الحاسة السادسة الإنسان وقواه الخفية، د. طالب عمران، ٢٠١٨م، دار عقل للنشر.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني ، محمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- الحداثة وما بعد الحداثة، عبدالوهاب المسيري وفتحي التريكي، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار الفكر المعاصر.
- الحد الأرسطي، سلطان العميري، ط١، دار الميمان للنشر والتوزيع.
- حركة العصر الجديد ، هيفاء ناصر الرشيد، ط٢، مركز تأصيل.
- حضارات الهند لغوستاف لوبون، ترجمة عادل زعير،٢٠١٢ م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- حقيقة وأسرار العلاج باليوغا، يوسف أبو الحجاج، ط١، ٢٠٠٩م، الناشر: دار الكتاب العربي.
- حقيقة مذهب الاتحاديين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المجلد الرابع، ابن تيمية، تحقيق: رشيد رضا، الناشر : لجنة التراث العربي.
- حقيقة علم الطاقة الباطني د. فوز كردي متاح عبر موقع:
https://ar.islamway.net/article/:٢٢٥٥٥
- الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة، يمتري أفيرينوس. متاح عبر موقع معابر:
http://maaber.٥٠megs.com/issue_november.٣/spiritual_traditions١..htm
- الحكمة "الجزاء" لمريم نور ضمن مذكرات بيت السلام يمكن الاطلاع عليه:
http://www.mariamnour.com/library/arabic/mariam-aljaza.pdf.

(خ)

- خرفة السر، عبدالله العجيري، ١٤٣٨، دار الأوراق الثقافية.

(د)

- داروين ونظرية التطور، شمس آق بلوت، ترجم من اللغة التركية إلى العربية أورخان محمد علي، دار الصحوة.
- دراسات في الأديان، سعود الخلف، ط١، ١٤٢٢ هـ، أضواء السلف.
- الدعوات الباطنية إلى السلام، أماني درديسي، رسالة علمية مقدمة لدرجة الماجستير لجامعة جدة.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، لناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ،تحقيق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم بدمشق.
- دروس في الفلسفة، ابراهيم مدكور ويوسف كرم، ٢٠١٦م، الناشر: عالم الأدب للترجمة والنشر.
- دلائل النبوة، البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث.

(ر)

- رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها لابن سينا، مؤسسة دار هنداوي.
- رسالة في اللاهوت، سبينوزا، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، ط١، ٢٠٠٥م، دار التنوير للطباعة والنشر.
- رسائل ابن سبعين ومن ضمنها"رسالة الألواح"، والرسالة "الفقيرية"، ورسالة "خطاب الله بلسان نوره"، ورسالة "الإحاطة" ، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الرد على القائلين بوحدة الوجود، علي القاري، تحقيق: علي رضا، ط١، الناشر: دار المأمون للتراث بدمشق.

- الرد على المنطقيين، ابن تيمية، الناشر: دار المعرفة ببيروت.
- الريكي والبرانا عرض ودارسة في ضوء العقيدة الإسلامية، عائشة الشمسان، مجلة العلوم الشرعية بجامعة الأمير سطام.
- الريكي للمبتدئين، ديفيد إف. فلينس، ط٢، ٢٠٠٧م، مكتبة جرير.

(س)

- السر، روندا بايرن، ط١، ٢٠٠٨م، مكتبة جرير.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، ط١،الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض.
- السماح بالرحيل، ديفيد هاوكنز، ترجمة: أرجون بنت سليمان، ط١، ٢٠١٦م، دار الخيال.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، ط٢، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- المجتبى من السنن " السنن الصغرى"، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
- السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر، ط٣، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م، الناشر: دار الكتب العلمية ببيروت.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، ط١، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض.

(ش)

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن

حمدان الغامدي، ط٨، الناشر: دار طيبة بالسعودية.

- شرح الأصبهانية، ابن تيمية، تحقيق: السعوي، ط٢، دار المنهاج.
- شرح الفتوى الحموية الكبرى لصالح آل الشيخ، تحقيق عادل رفاعي، ط١، دار الحجاز.
- شرح الفتوى الحموية الكبرى، صالح آل الشيخ، ط١، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع.
- شطحات الصوفية، عبدالرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات.
- الشفا بالطاقة الحيوية، أحمد توفيق، ٢٠١٦م، الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع.
- شيء من العبث الصوفي، لابن عقيل الظاهري، ط٢،١٤١٦ هـ، دار ابن حزم بالرياض.

(ص)

- صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، الألباني، ط، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- الصوفية وحدة الوجود الخفية، أحمد القصير، ط١، مكتبة الرشد.
- صدر الدين القونوي وفلسفته، ابراهيم ياسين، ٢٠٠٣م، الناشر: منشاة المعارف بالاسكندرية.
- الصفدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢، الناشر: مكتبة ابن تيمية بمصر.

(ط)

- الطبيعة لأرسطو، ترجمة إسحاق بن حنين، ١٤٠٤هـ، الهيئة المصرية للكتاب.
- الطاو تي تشينغ" انجيل الحكمة التاوية في الصين"، ترجمة ودراسة: فراس السواح، ط١، ١٩٩٨م، الناشر: دار علاء للنشر.
- الطاو، ترجمة ودراسة: هادي معلوي، دار الكنوز الأدبية.
- الطاقة غذاء النفس، طلال علي خياط.

(ع)

- عبادة التأمل والتفكر في الأديان الوضعية، رؤى اليوبي، ط١، ١٤٤٢هـ، دار الصميعي للنشر والتوزيع.
- العقل الباطن، أحمد توفيق عمارة،ط٦، ٢٠١٨م، كنوز المعرفة.
- على أبواب الملحمة، صلاح الراشد، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، الناشر: مركز الراشد.
- علم النفس الاكلينيكي في ميدان الطب النفسي، د. عبدالستار ابراهيم ود. عبدالله عسكر،٢٠١٣م، مكتبة الأنجلو المصرية.
- علم النفس بوّابات إلى العقل والسلوك، دنيس كون وجون ميترر، ترجمة: د. مفيد حواشين ود. محمد الشقيرات وآخرون، ط١، ٢٠١٩م، دار الفكر.
- العلاج بالطاقة الكونية، لبنى شاكر، ط١، ٢٠١٥م، مكتبة النافذة.
- علامة الشرق لاوتزو، المؤلف: صلاح الرشد، ٢٠١٦م، الراية للنشر والتوزيع.
- عيون المسائل، الفارابي، ١٣٢٨هـ، مطبعة المؤيد القاهرة.

(ف)

- فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض.
- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية.
- فتح الباري، ابن حجر، ١٣٧٩، الناشر: دار المعرفة ببيروت.
- الفتوحات المكية، ابن عربي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية.
- فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، أحمد الأهواني، ط١، ١٩٥٤م،
- الفصل، ابن حزم، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- فصول في أديان الهند ضمن كتاب دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند،

محمد ضياء الأعظمي، ط٧، مكتبة الرشد.

- فصوص الحكم، ابن عربي، تحقيق وتعليق: أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي.
- فكر الهند، ألبير شويتزر، ترجمة يوسف شلب، ط١، دار طلاس للدراسات.
- الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، الناشر: عالم المعرفة.
- الفلسفة الغربية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر المعاصر، سوريا ٢٠١٣م.
- فلسفة وحدة الوجود، نظلة الجبوري، ٢٠٠٨م، دار نينوى.
- فلسفة وحدة الوجود، حسن الفاتح، ط١، ١٤١٧هـ، الناشر: الدار المصرية اللبنانية.
- الفلسفة الإغريقية، محمد غلاب، ط١، ١٩٣٨م، مطبعة البيت الأخضر بالقاهرة.
- الفلسفات الآسيوية، جون كولر، ترجمة نصير فليح، المنظمة العربية للترجمة.
- الفلسفة في الهند، علي زيعور، ط١، مؤسسة عز الدين.
- فلسفة الطاقة الكونية، حسين السيد، رسالة ماجستير مقدمة لقسم العقيدة بجامعة أم القرى(لم تطبع).

(ق)

- القاموس المحيط، القاموس المحيط، الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.
- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأستاذة منهم د. بطرس عبدالملك وآخرون.
- قانون الجذب وموقف الإسلام منه، دلال القحطاني، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى (لم تطبع).
- قانون الجذب، صلاح الراشد، ط،٢٠١م، دار الراية للنشر والتوزيع.

- قانون الجذب، صلاح الراشد، ط٤، ١٤٣٧، قرطبة للنشر والتوزيع.
- قصة الحضارة ، وِل ديورَانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، ط١، ١٤٠٨-١٩٨٨م، دار الجيل.
- قصة الفلسفة اليونانية، زكي نجيب محفوظ وأحمد أمين، ط٢، دار الكتب المصرية.
- قول فلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية، سعود الخلف، بحث محكم.
- قوة الآن، إكهارات تول، ترجمة: رمزي صالحة، ط٤، ٢٠١٩م، دار الخيال.
- القوانين الروحية السبعة لليوغا، ديباك شوبرا وديفيد سيملون، ترجمة: محمود عيسى ونوار العبدالله، ط٢، ٢٠١٨م، دار الخيال.
- القوانين الروحانية السبعة للنجاح، ديباك شوبرا، ترجمة: رجا أبو شقرا، ط١، ٢٠١٣م، الناشر: دار العلم للملايين.
- قوة عقلك الباطن، جوزيف ميرفي، ٢٠٠٨م، مكتبة جرير.

(ك)

- الكامل في اليوغا، سوامي فشنو ديفانندا، الناشر: معرض الشوف الدائم للكتاب.
- الكتاب التذكاري، أبو العلا عفيفي وآخرون، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م، دار الكاتب العربي.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، ط١، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون ببيروت.
- كرامات الأولياء للالكائي ضمن من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، الناشر: دار طيبة بالسعودية.

(م)

- ما بعد الطبيعة لأرسطو، ترجمة إمام عبدالفتاح ضمن كتاب مدخل إلى الميتافيزيقا، ٢٠١٤م، الناشر: دار النهضة بمصر.

- مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية، عبد التواب عبدالله حسين، ط١، ١٤٢٥ هـ، الدار العربية للعلوم.

- ما بعد الطبيعة لأرسطو" حرف اللام "(ضمن كتاب أرسطو عند العرب لعبدالرحمن بدوي، ط٢، ١٩٧٨م، الناشر: وكالة المطبوعات بالكويت).

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل(المشهور بتفسير النسفي)، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت.

- مدلولات المصطلحات الصوفية، دولة عسيري، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الأمام محمد بن سعود(لم تطبع).

- المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية، فوز كردي، ط٢، مركز تأصيل.

- المذاهب اليونانية الفلسفية، دافيد سانتلانا، تحقيق محمد جلال شرف، ١٩٨١م، دار النهضة العربية.

- المذاهب اليونانية الفلسفية، دافيد سانتلانا، ١٩٨١م، دار النهضة العربية.

- مذكرة المستوى الأول ريكي دي جو للمدرب طلال خياط

http://www.saudireiki.net

- مجموع الفتاوى الشرعية في حكم البرمجة اللغوية العصبية، جمع خلود الشويش، تقديم محمد النجدي، ط١، ٢٠١٤م.

- مجموع فتاوى ابن تيمة، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٤١٦هـ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

- مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، علق عليه : السيد محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي.

- المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ،ط١ ،١٤١٨ هـ.

- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية ببيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ "المشهور بصحيح مسلم"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- المشي على الجمر أصله وحقيقته، هيفاء الرشيد، ط١، ١٤٣٦، دار تأصيل.
- مصطلحات في كتب العقائد، محمد ابراهيم الحمد، ط١، دار ابن خزيمة.
- المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،ط٢، ١٤٠٣، الناشر: المجلس العلمي بالهند.
- المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة، تشو كوك سوي، ط٢، ٢٠١٨م، دار الخيال.
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية ببيروت.
- مقارنات الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، ١٣٨٥، دار الفكر العربي.
- مقالات الإسلاميين، الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، ط٣، دار فرانز.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر.
- المستويات المتقدمة في التأمل https://sabeily.com.
- مشروع رؤية جديدة للفكر العربي، طيب تيزيني، ط٥، دار دمشق.
- معاني العقل عند الإمام ابن تيمية، د فهمي النجار https://www.alukah.net/culture/٦٦١٧/٠//#_ftn٨
- معجزات الشفاء بطاقة الحياة، تشو كوك سوي، دار الفنون للنشر والتوزيع.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، عبد السلام محمد هارون،١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، الناشر: دار الفكر.

- معجم المؤلفين، عمر كحالة، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١٩٨٢م، الناشر: دار الكتاب اللبناني.

- المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دندرة للطباعة والنشر، توزيع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحنفي، ط٣، ٢٠٠٠م، الناشر: مكتبة مدبولي.

- معجم مصطلحات الصوفية، د. عبدالمنعم حنفي، ط،١٤٠٧هـ، دار المسيرة.

- معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ط١،١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م، الناشر: عالم الكتب.

- منهج ابن تيمية المعرفي، عبدالله الدعجاني، ط١، ١٤٣٥هـ، الناشر: تكوين للدراسات والأبحاث.

- الموجز في التحليل النفسي، فرويد، تقديم: محمد نجاتي، ترجمة سامي محمد علي وعبدالسلام القفاش، مكتبة الأسرة.

- موسوعة الأديان الميسرة، مجموعة من المؤلفين، ط١، دار النفائس.

- المجموعة الفلسفية، وضع لجنة من الأكاديميين السُوفياتيّين بإشراف روزنتال، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة ببيروت.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، ط٤، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

- موسوعة الفلاسفة، عبدالرحمن بدوي، ٢٠٠٩م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- الموسوعة الفلسفية العربية، معن زيادة، ط١، ١٩٨٨م، معهد الإنماء العربي.

- الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان-وج. أو. أرمسون، ترجمة: فؤاد كامل

وأخرون، الناشر: المركز القومي للترجمة.

- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ط١، ١٩٩٩م، دار الشروق.
- موقف الإسلام من الغنوصية، هدى المالكي، رسالة مقدمة لدرجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى(لم تطبع).
- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة، صالح الغامدي، ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من خوارق العادات، محمد بن ابراهيم الحمد، ط١، دار ابن الجوزي.
- الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: محمد الفاضلي، ٢٠١٤م، المكتبة العصرية.
- منهج الشهرستاني في الملل والنحل، محمد ناصر السحيباني، دار الوطن.
- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- المنهجية في دراسة الأديان الوضعية، عبدالله سمك، ط١، دار طيبة الخضراء.
- منو سمرتي كتاب الهندوس المقدس، ترجمة د إحسان حقي، ط١، دار اليقظة العربية.
- المنقذ من الضلال، الغزالي، تحقيق: عبد الحليم محمود، الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر.

(و)

- وحدة الأديان في عقائد الصوفية، سعيد معلوي، ط١، مكتبة ابن رشد.
- وحدة الوجود بين الهندوسية وغلاة الصوفية، نايف العجمي.
- وحدة الوجود بين الأديان الوضعية والفكر الإسلامي، عبدالله طه أبو شاور، ط١، ١٤٤٠هـ، دار المسيرة.

- الوافي بالوفيات، صلاح الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت.

- وقفات مع الفكر العقدي الوافد، د. فوز كردي.

(ن)

- النبوات، ابن تيمية، تحيقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١ ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، أضواء السلف بالرياض.

- نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، الشهرزوري، ١٣٩٦، دائرة المعارف العثمانية.

- الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، لطف الله خوجة، الناشر: دار الهدى بمصر ودار الفصلية بالرياض.

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، سامي علي النشار، ط٩، الناشر: دار المعارف.

- نظرية المعرفة عند ابن رشد، محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية.

- نظرية المعرفة في الإسلام، عبدالله القرني، ط٤، ١٤٣٦، دار تأصيل.

- نظرة النعيم، صالح بن حميد وأخرون، ط١، دار الوسيلة.

- نظرات عقدية في تاريخ الفلسفة اليونانية علي الدخيل الله، مجلة جامعة الملك سعود م١٩(٧٢٠).

- نظريات الشخصية د.بيم الين، ترجمة: علاء الدين كفافي وأخرون، ٢٠١٢م، دار الفكر للنشر والتوزيع.

- النفس، أرسطو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ط٢، المركز القومي للترجمة.

- النقلة، واين داير، ٢٠١٦، دار الخيال.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الناشر: المكتبة العلمية ببيروت.

(هـ)

- الهندوسية سوامي نيخلاناندا، ترجمة نبيل محسن
- يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه، الاب بولس الياس اليسوعي، ط٢، منشورات المطبعة الكاثوليكية.
- اليوغا في الإسلام مع دراسة وتحقيق وتفسير لكتاب باتنجل الهندي، البيروني، تحقيق ودراسة د. لويس صليبا، ط٣، ٢٠٢٠م، دار ومكتبة بيبليون بلبنان.
- اليوغا في ميزان النقد العلمي، فارس علوان، ١٩٨٩م، دار السلام.
- اليوجا والتأمل رياضة أم عبادة، سالم حمزة أمين مدني، بحث مقدم لجامعة الملك عبدالعزيز.
- اليهود الحسيديم، جعفر هادي، ط١، ١٤١٥ هـ، دار القلم.

الندوات والمقالات:

- ندوة بعنوان: رؤية نفسية للممارسات النفسية الروحانية الشرقية | برنامج طوق.
- ندوة فيزيائية بعنوان الموقف العلمي من الطاقة والروحانيين | برنامج طوق
- نقد مفهوم التيقظ (اليقظة العقلية) Mindfulness د خالد بن حمد الجابر.
- د. عبد الغني مليباري https://www.youtube.com/watch?v=ElumfPh٥hY٧.
- البرمجة اللغوية العصبية وعلوم الطاقة فكر دخيل أم دين جديد؟ لقاء مع د. فوز كردي
- مقال وحدة الوجود لدى اسبيونزا لقاسم شعيب.
- الدكتور تميم القاضي عن وحدة الوجود
http://www.al-aqidah.com/art/s/٣٥١.
- مقال: هل من المعقول أن يصل الإنسان إلى الامتياز البشري في ثلاثة أيام؟
https://www.alriyadh.coml/٤٦٩٩٦.

- مقال هل المعدوم شيء أم لا لتميم القاضي
- مقال النية محلها العقل لحسين السيد
https://hossainelsyed.blogspot.com/١٠/٢٠٢٠/ blog-post_٢٥.html
- مقال: الإسقاط النجمي والمعرفة الغنوصية الباطنية.
- مقال أولاً- فلسفة - الطاقة - الكونية http://sabeily.com/
- مقالات في التعريف بمسارو ايموتو ونظريته ومناقشتها: https://sabeily.com/
- ومقال جوزيف ميرفي الكاهن الذي ابتدع قانون الجذب الفكري لاسمهان الشعبوني.
- قدرات العقل الباطن في ميزان الشريعة:
https://almunajjid.com/courses/lessons/٤٩٦
- هل اليوغا نظام لممارسة اللياقة البدنية أم عبادة وثنية في الفلسفة الهندية القديمة؟ د. أيمن العنقري.
- بحث بعنوان: الفرق علميًا بين التنويم المغناطيسي الطبي النفسي وبين التنويم الإيحائي الطاقي للدكتور محمد السليمان
http://reikifact.blogspot.com/٠١/٢٠١٧/blog-post_٢٣.html.

المصادر التي باللغة الانجليزية:

- HYPNOSIS.Tad James (التنويم المغناطيسي لتاد جيمس)
- Magic of Faith.Joseph Murphy (سحر الايمان لجوزيف ميرفي)
- The secret of creating your future tad james (سر تشكيل المستقبل لتاد جيمس)
- Maharishi Mahesh Yogi، Science of Being and Art of Living، Signet: New York ١٩٦٣. (كتاب "علم الوجود وفن العيش: التأمل التجاوزي" للمهايشي).

- Envyclopedia of Systemic Neuro-Linguistic Programming and NLP New Coding A-M by Robert B. Dilts and Judith A. DeLozier NLP Univernity Press

(موسوعة البرمجة اللغوية العصبية النظامية من تأليف روبرت ب. ديلتس وجوديث أ.ديلوزير مطبعة جامعة NLP)

- مقال سمائل عون وير بمجلة المعهد الغنوصي في لندن العدد السادس، عام ٢٠١٦ م. يمكن تصفح المجلة على الرابط:

https://london-gnostic-institute.org/Abraxas_Magazine/Abraxas-Autumn-٢٠١٦/html٥forwebkit.html?page=٠

فهرس الموضوعات

الباب الأول
حقيقة عقيدة وحدة الوجود
وفلسفة الطاقة الكونية

الباب الثاني
مظاهر وحدة الوجود في مراكز ومؤلفات وتطبيقات فلسفة الطاقة الكونية

